تفسير القرآن الكريم

الموسوم بـ

أقصى الغايات في تفسير الآيات

الدكتور محمد فراج طه

الجزء الثالث

مقدمة

العظيم جَلَّجَلَالُهُ أمر عباده في قرآنه بالمكارم ونهاهم عَن الآثام والمحارم وَوَعدهمْ فِيهِ جزيل الثَّوَاب وَضرب لَهُم فِيهِ الْأَمْثَال وَفصل لَهُم فِيهِ الْمعَانِي الدَّالَّة على سَبِيل النجَاة وَأَبَان فِيهِ الْمُشكلات وأوضح لَهُم فِيهِ الشواهد فَهُوَ بركَة لقَوْله تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ [ص: ٢٩] ليعلموا بذلك أنه يدلهم على النجَاة وينالون باتباعه الزلفى والكرامة وَهُوَ أحسن الحَدِيث تَصْدِيقًا لقَوْله تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣] فَأخْبرهُم أَنه لَا حَدِيث يُشبههُ فِي حسنه وَأخْبر أَنه متشابه غير مُخْتَلف فِيهِ وَسَماهُ بِأَحْسَن الْأَسْمَاء فَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١].

وَقَالَ أَن مَا قبله من الْكتب مُصدق لَهُ وَشَاهد وَأخْبر أَنه مَحْفُوظ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِل من بَين يَدَيْهِ وَلَا من خَلفه، فَهُوَ نور اللَّيْل الْمظلم وضياء النَّهَار وَيجب الْعَمَل بِهِ على مَا كَانَ من جهد وفاقة، وأما الَّذين يَتلون الْقُرْآن ويتدبرونه فهم أَوْلِيَاء الله الَّذين نعتهم بقوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ﴾ [الزمر: ٢٣]، وتبكي أعينهم وتطمئن قُلُوبهم إِلَى ذكر الله ﷻ.

وَقد ضمن الله لِهَؤُلَاء أَن من اتبع مِنْهُم مَا فِي كِتَابه من الْهدى الْإِجَارَة من الضَّلَالَة فِي الدُّنْيَا والسعادة فِي الْآخِرَة والنجاة من الشَّقَاء، قَالَ الله ﷻ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

أبو عبد اللّه الحارث بن أسد المحاسبي، (المتوفى: ٢٤٣هـ) [فهم القرآن ومعانيه (١/٢٤٧)].

(٣٠) سورة الروم مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، وتسمى سورة الروم في عهد النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ووجه ذلك أنه ورد فيها ذكر اسم الروم ولم يرد في غيرها من القرآن، وهي السورة الرابعة والثمانون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الانشقاق وقبل سورة العنكبوت، وهي ستُّون آية، وقيل: تسعٌ وخمسون، الاختلاف في: ﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾، وكلماتُها ثماني مئة وخمسَ عشرة، وحروفها ثلاثة آلاف وثلاث مئة وتسعةٌ وتسعون.

أغراض هذه السورة:

أول أغراض هذه السورة سبب نزولها على ما سر المشركين من تغلب الفرس على الروم، فقمع الله تعالى تطاول المشركين به وتحداهم بأن العاقبة للروم في الغلب على الفرس بعد سنين قليلة، ثم تطرق من ذلك إلى تجهيل المشركين بأنهم لا تغوص أفهامهم في الاعتبار بالأحداث ولا في أسباب نهوض وانحدار الأمم من الجانب الرباني، ومن ذلك إهمالهم النظر في الحياة الثانية ولم يتعظوا بهلاك الأمم السالفة المماثلة لهم في الإشراك بالله، وانتقل من ذلك إلى ذكر البعث. واستدل لذلك ولوحدانيته تعالى بدلائل من آيات الله في تكوين نظام العالم ونظام حياة الإنسان. ثم حض النبي ﷺ والمسلمين على التمسك بهذا الدين وأثنى عليه. ونظر بين الفضائل التي يدعو إليها الإسلام وبين حال المشركين ورذائلهم، وضرب أمثالًا

لإحياء مختلف الأموات بعد زوال الحياة عنها ولإحياء الأمم بعد يأس الناس منها، وأمثالًا لحدوث القوة بعد الضعف وبعكس ذلك. وختم ذلك بالعود إلى إثبات البعث ثم بتثبيت النبي ﷺ ووعده بالنصر، ومن أعظم ما اشتملت عليه التصريح بأن الإسلام دين فطر الله الناس عليه وأن من ابتغى غيره دينًا فقد حاول تبديل ما خلق الله وأنى له ذلك[١]، وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال في ختم تلك السورة: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقال في أول هذه السورة: ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ﴾؛ فهم ليسوا محسنين والله أعلم بالمحسنين وغيرِ المحسنين، وانتظام السورتين: أن كلَّ واحدة منها مكيةٌ متضمِّنةٌ ذكرَ التوحيد ومحاجَّةَ المشركين وبيانَ العاقبة للمؤمنين والكافرين.

(١ - ٣) - ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده، ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ أي: غَلبت فارسُ الرومَ في أقرب أرض الشام إلى حدود أرض فارس والروم، ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم، ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ أي: أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة التقى فيها الجيشان والبادي بالغزو الفرس، وقيل: هي أرض الأردن وفلسطين، ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾: أي: والروم بعد أن صاروا مغلوبين، ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾؛ أي: سيصيرون غالبين لغالبِيهم وهم فارس[٢].

(٤ - ٥) - ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ أي: يظهر أهل الروم على أهل فارس،

---

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ٤١).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٦)، وجامع البيان (١٨/ ٤٥٨)، والبسيط (١٨/ ٩).

والبضع هو: هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول وغلبت الروم فارس، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾: أي: الأمرُ في غلبة فارس للروم وغلبة الروم لفارس للَّه تعالى، لو شاء أن يهلك الفريقين معًا أو أحدهما لفعل، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: يومَ غَلبت الروم فارسَ يفرح المؤمنون، لا بنصرة النصارى، ولكن بتحقيق اللَّه وعدَه دالًّا على صدق نبيِّهم فيما أخبرهم به، وقيل: بل بنصر اللَّه المسلمين على المشركين، على ما روينا أنه كان ذلك في ذلك اليوم، وقيل: كان ذلك عامَ الحديبية، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: أي المنيعُ بسلطانه لا يُغلب على أمره ولا يَجري في خَلقه إلا ما يريده ﴿الرَّحِيمُ﴾ فلا يعاجلُ العصاةَ بالعقوبة[١].

(٦) - ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: نصب على المصدر، كأنه قال: وعَدَ اللَّه ذلك وعدًا، وهو لا يخلف وعده، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: المشركون جهَّالٌ لا يعلمون أن محمدًا ﷺ وسائرَ الأنبياء لم يؤيَّدوا بالمعجزات إلا ليَدُلَّ ذلك على صدقهم، فلا يكذِبون فيما يخبرون، فإذا كذَّبوا محمدًا ﷺ فيما أَخبر عن غلَبَة الروم فارسَ فلجهلهم كذَّبوه.

(٧-٨) - ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: همَّتُهم دنياهم، فيصرفون تدبُّرهم وتفكُّرهم وتعلُّمهم إلى أمور الدنيا فيَعلمونها، ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾: لا يتفكَّرون فيها، وما يكون لهم فيها من الحساب والعقاب، ﴿أَوَلَمْ

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٢٩٤)، (٢)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ١٧٧).

﴿يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: هي كلمة استبطاءٍ، ومعناها: هلا تفكَّروا إذ أخَّروا التفكُّر وتركوه، ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قيل: أي: في خلق أنفسهم؛ كما قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الذاريات: ٢١]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]؛ أي: لو تفكَّروا في خلق أنفسهم أفادهم ذلك علمًا في الآخرة وزوال الغفلة عنهم. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾أي: أوَلم يتفكروا في خلق السماوات والأرض أنَّ اللَّه تعالى لم يخلقهما عبثًا ولا جزافًا، ولكن ليَعتبر بها عباده ويَستدلُّوا بها على وحدانيته وكمالِ قدرته؟، فإنه إنما خلقهما لمنافع عباده بلاغًا لهم في دار التكليف ليحاسبهم في دار الجزاء، وهو معنى قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: للحق، ﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي: وقتٍ معلوم مؤقَّتٍ إذا بلغت ذلك الوقت أفناها وبدَّل الأرضَ غيرَ الأرض وغيرَ السماوات، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾: أي: تركوا هذا التفكُّر فغفلوا وكفروا بالبعث والجزاء(١).

(٩) - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: وهذا تنبيهٌ آخر عن الغفلة: أولم يسيروا في الأرض في أسفارهم للتجارات وغيرها ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ إلى آثار القوم الذين كانوا قبلهم فعَصوا اللَّه وكذَّبوا أنبياءهم، ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم وهي إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أي: من مشركي قريش، ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾: للزراعة ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ بأنواع الأبنية ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾؛ أي: مشركو قريش، فلم يعصمهم شيء من أموالهم وحصونهم مما نزل بهم، فكيف يمتنع هؤلاء من مثل ذلك؟، ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: نزل بهم هذا

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ١٥)، وتفسير الجلالين(١/ ٥٣١).

بعد أن جاءتهم رسل الله إليهم بالحجج الواضحة ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾؛ أي: ليعذبهم من غير ذنب ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بمعاصيهم فعُوقبوا لذلك.

(١٠) - ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾: أي: كذبوا أنبياءَ الله وردُّوا البينات ﴿السُّوأَى﴾ أي: العقوبةُ الغليظة التي تَسوءُ صاحبها، ويحتمل أن يكون ذلك في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا الدمار وفي الآخرة عذابُ النار، وقيل: ﴿السُّوأَى﴾: تأنيث الأسوء؛ أي: أسوأُ العقوبات، ﴿أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: بأنْ كذبوا بها واستهزؤا منها.

(١١ - ١٢) - ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي ينشئ خلق الناس، قيل: ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾؛ أي: المخلوقَ من الماء ثم يعيده من التراب. ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: خلقهم بعد موتهم، وقيل: إلى التراب، وكان خلقه من التراب، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾: أي: يَقنط المشركون من رحمة الله ومن شفاعة الشفعاء، وقيل: ﴿يُبْلِسُ﴾: يُبْهَتُ. وقيل: يَندم، وقيل: يَدْهَشُ.

(١٣ - ١٤) - ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ﴾: أي: ولا يكون لهم من أصنامهم التي جعلوها شركاءَ لله شفعاء يشفعون لهم إلى الله، ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾: أي: فيكونون عن أصنامهم متبرِّئين حين رأوها لا تشفع، وقيل: أي: الملائكة والجن والشياطين يتبرؤون من المشركين، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾: قيل: فريق في الجنة وفريق في السعير، وقيل: يتفرقون في آلهتهم، فلا يجتمعون فيتناصروا[1].

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١٢٠)، الكشاف (٣/ ٤٧١)، وجامع البيان (١٨/ ٤٧٢).

(١٥) -﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾: أي: يُصار بهم إلى الجنة فيكونون فيها في رياضٍ ﴿يُحْبَرُون﴾؛ أي: يُسرُّون، والحَبْرَةُ: السرور، وقيل: أي: ينعَّمون، والحُبور: سرورٌ يظهر أثره في الوجه، وقيل: أي يزيَّنون ويحلَّون، والمحبَّر: المزيَّن.

(١٦ -١٧) -﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: أي: أُحضروا جهنم ليعذَّبوا فيها، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾: أي: صلُّوا للَّه، والتسبيح: الصلاة، ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: أي: مساءً، وهي صلاة المغرب. وقيل: صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: أي: صلاة الفجر.

(١٨ -١٩)-﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعْتِرَاض وَمَعْنَاهُ يَحْمَدهُ أَهْلهمَا، - أي: وهو المحمود عند جميع خلقه من سكان سماواته وأرضه، يحمدونه على نعمه ويثنون عليه بصفاته، وقيل: تحمده الملائكة في السماوات والمؤمنون في الأرض، ﴿وَعَشِيًّا﴾: هي صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: هي صلاة الظهر، وقد أَظْهَرَ؛ أي: دخل في وقت الظهيرة[١]. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: أي: البشَرَ من النطفة، والطيرَ من البيضة، والشجرة من الحبة، والمؤمن من الكافر، والعالم من الجاهل. ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: النطفةَ من البشر، والبيضةَ من الطير، والحبَّ من الشجرة، والكافر من المؤمن، والجاهل من العالم. ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾ الميتة اليابسة ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات في الربيع. ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: أي: يخرجكم اللَّه من قبوركم، دلَّ بها على البعث بعد الموت.

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٢٠)، وتفسير الجلالين(١/ ٥٣٣).

(٢٠) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾: عدَّد في هذه الآيات بعضَ الآيات المنبِّهةِ على كمال قدرته، الدالةِ على وحدانيته، المبطِلةِ قولَ مَن أشرك به شيئًا من خليقته، فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾؛ أي: ومن علامات ربوبيته ووحدانيته ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾؛ أي: خلق آباءكم؛ ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾: أي: آدميون عقلاءُ ناطقون تتصرَّفون فيما فيه قِوامُ معاشكم، فلم يكن اللّه ليخلقكم هكذا عبثًا، بل يتعبَّدكم بشكره ثم يجزي المحسنَ بإحسانه والمسيء على إساءته، فإذا تفرَّد بخلقكم فهو المنفردُ باستحقاق العبادة له.

(٢١) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أي: نساء تَزْدوِجون معًا ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾؛ أي: لتكون نساؤكم سكنًا لكم تطمئنون إلى معاشرتهنَّ وقضاء اللذات منهن. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً﴾: أي: في الشباب وحالَ قيام الشهوة. ﴿وَرَحْمَةً﴾: أي: في حالة الكبر وقِدَم الصحبة يودُّ كلُّ واحدٍ من الزوجين صاحبَه حالَ شبابهما، ويرحمه ويعطف عليه حالَ كبرهما. ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾؛ أي: من نطفة الرجال. وقيل: أي: حواء خلقت من نفس آدم، والأولاد راجعون إلى الأصل. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: لأنه إذا تفكَّر بالعقل السليم تبيَّن له بذلك أنه لم يكن كذلك إلا لقِوام الدنيا بوقوع التناسل فيها إلى الأجل المعلوم، وذلك إنما هو لأن الدنيا دارُ عمل وامتحان، ولا بد بعدها من دارِ حسابٍ وجزاء، وفي ذلك إثباتُ البعث، ويتدرَّج بذلك إلى إثبات الأنبياء والشرائع.

(٢٢) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: وكانت العرب مقرِّين بأنَّ اللّه تعالى هو المنفرد بخلقهما، ومَن قدر على خلقهما على ما فيهما من عجائب

الصَّنعة وبدائع الخِلقة لم يُعجزه البدء بعد الموت، ولم يجز أن يشرَك به مَن لا يمكِنه خلقُ مثلهما. ثم في ذلك دلالة أن لهما صانعًا ومدبِّرًا؛ لِمَا فيهما من آثار الصنعة وعلامات الحدوث، وإذا استحال أن يكون خلقَهما أحدٌ من البشر، واستحال أن يكونا بأنفسهما من غيرِ صانع، دل على أن لهما خالقًا، وهو حجة على كلِّ ملحد ومشرك. ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾: والألسنة: اللغات والأصوات، والألوان: الصور والهيئات، وذلك أبينُ الدلالات، فإن الأصل واحد وهو التراب والماء، وفي الحال لحم ودم وعظم وعصب وعرق وجلد، وتختلف النغمات واللغات، وتتفاوت الألوان والكيفيات، بحيث لا يُشبه وجهٌ وجهًا على اتحاد الصورة، ولا تُشبه نغمةٌ نغمةً على اتحاد الآلة، فدل ذلك على كمال قدرته ونفاذ مشيئته، ﴿فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾: أي: فيه حجج لقوم يعلمون؛ أي: يرجعون إلى علمٍ وإدراكِ حقائق الأمور، ولا يقصُرون هممهم على علم الظاهر من الحياة الدنيا.

(٢٣) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾:

أي: ومن أعلام وحدانيته وكمالِ قدرته ومُجازاتِه العبادَ في آخرته: نومُكم الذي هو راحةٌ لأبدانكم، وجمامٌ من أشغالكم، ليدوم لكم البقاء في الدنيا إلى آجالكم، ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أيضًا على حسَب الحاجة، فإذا تنبَّهتم من منامكم انتشرتُم لمعاشكم تطلبون من فضل الله، وهو القوتُ وغيره الذي به قِوامُ الحياة. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: أي: يُصْغون إلى هذا التذكير ويتدبَّرون فيه[١].

(٢٤) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ﴾ أي إراءتكم ﴿الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافر من

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٢٤).

الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: أي ييبسها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتفكَّرون بعقولهم في جميع ما ذكرنا من وجوه الدلالة بهذه الآيات.

(٢٥) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾: أي: تدومان قائمتين بأمره بلا عَمَدٍ، ثابتَتين تمامًا لمنافع الخلق. وقيل: ﴿تَقُومَ﴾؛ أي: تقف وتسكن بإقامته. وقيل: ﴿بِأَمْرِهِ﴾؛ أي: أمرهما اللّه بذلك، وقيل: أي: بأمره بالعدل، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾: أي: وهو القادر على أن يُخرجكم من الأرض أحياءً للحساب بعد الموت، لا تمتنعون عليه إذا دعاكم كما لا تمتنع السماوات والأرض من القيام بأمره(١).

(٢٦-٢٧) - ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾: أي: مطيعون بإقرارهم بأنه ربُّهم وخالقهم، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾: أي: هيِّنٌ عليه، أي: يسير. ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: الوصفُ الأرفعُ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: في انتقامه من أعدائه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره لخلقه(٢).

(٢٨) - ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: أي: بيَّن اللّه لكم معاشرَ المشركين مَثَلًا من أنفسكم لتقريبِ الأمر من أفهامكم. ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ﴾: أي: هل لكم معاشرَ الأحرار من عبيدكم شركاء ﴿فِي مَا

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٢٣).

(٢) جامع البيان (١٨/ ٤٨٤)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٣٠١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٣٥).

﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾ من الأموال ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾؛ أي: فأنتم معاشرَ المالكين والمملوكين في ذلك الرزقِ سواءٌ يَحكم مماليكُكم في أموالكم كحُكْمِكم ويتصرَّفون فيه تصرُّفكم. ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾: وتخافون أنتم معاشرَ السادة عبيدَكم فيه، فتشفِقون عن أن تأمروا فيه بأمرٍ دون أمرهم، فلا تُمضوا فيه حكمًا دون إمضائهم؛ خوفًا من لائمةٍ تلحقُكم من جهتهم. ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي: كما يخاف بعضُ الأحرارِ بعضًا أن ينفرِد بأمرٍ مشتركٍ بينهم. ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: أي: كما بيَّنَّا لكم هذا المثَلَ وفصَّلنا لكم الحججَ، كذلك نفصِّل الآيات لقوم يرجعون إلى عقلٍ فيتدبَّرون فيها.

(٢٩) - ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي: يتَّبعون ما تميلُ إليهم نفوسهم اتِّباعًا لسلَفهم بغيرِ علمٍ أتاهم من اللَّه، وبغيرِ معرفةٍ منهم بصوابِ ما هم عليه. ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: فلا هاديَ لمن أضله اللَّه. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: ومعناه: فلا مانع لهم من العذاب يوم القيامة كما لا هاديَ لهم في الدنيا.

(٣٠) - ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: الخطاب للنبيِّ ﷺ والمعنى لأمته؛ أي: قد بان لكم بطلانُ الشرك بما أوضحنا لكم من الآيات، فلا تلتفتوا إلى أهله وأقيموا وجوهكم للدِّين الحقِّ مستقيمين عليه؛ أي: أقبِلوا بقلوبكم على ذلك، وانحرفوا عن غيره من الأديان، ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾: أي: خلقةَ اللَّه، نصبٌ على الإغراء؛ أي: الزَموا هذا الدِّين الحقَّ فإنه فطرةُ اللَّه ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾؛ أي: خلَقها عليها؛ أي: على خلقةٍ تَشهد أن لها صانعًا وتدل على التوحيد. ﴿لَا

﴿تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: أي: لا يتهيَّأ لأحد تبديلُ هذه الخلقة وتغييرُها عن هذه الدلالة بإقامةِ حجةٍ على ضدها، إنما يُورد الناس الشُّبَهَ على الحجج ليستزلُّوا بها الناس، فمَن تأمَّلها بان له بطلانُها، وقيل: معناه: خلق اللَّه العباد ليأمرهم بالإسلام، فلا يمكنُ تبديل ذلك وجعلُهم بغيرِ ذلك الدِّين. ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: أي: المستقيم، وهو ما ذكر: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: ولكن الجهل غالب على كثير من الناس لتقليدهم الأسلافَ وتركِهم التأمُّلَ.

(٣١) - ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: أي: أقمْ وجهك للدِّين أنت وأمتُك راجعينَ إلى اللَّه بآمالكم مقبِلين عليه بقلوبكم وأعمالكم، ﴿وَاتَّقُوهُ﴾: أي: اتَّقوا اللَّه واحذروه، يعني: مخالفتَه في الأمر والنهي. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: أديموها لأوقاتها. ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: أي: اتَّقوه وحده، وأنيبوا إليه وحده، وأقيموا الصلاة له وحده، ولا تكونوا ممن يشرك به غيره في العبادة.

(٣٢) - ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: أي: عبدوا أصنامًا متفرقةً، كلُّ قوم يعبدون صنمًا غيرَ صنم الآخرِين، واختار قوم اليهودية، وقومٌ النصرانيةَ، وقومٌ المجوسيةَ، وكذا وكذا. ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: أي: صاروا فرقًا كلُّ فرقةٍ تشايع مَن وافَقها على هواها. ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون لتوهُّمهم أنهم على حقٍّ وأنَّ مَن خالفه باطلٌ، وليس كذلك بل كلُّهم على باطل [(١)].

(٣٣) - ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: أي: وإذا أصاب هؤلاء المشركين بلاءٌ من مرض ونحوِه استغاثوا باللَّه في كشفِ ما نزل بهم مقبِلين

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٣)، وجامع البيان (١٠/ ٥٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم(٥/

بالدعاء إليه وحده دون الأصنام؛ لعلمهم أنه لا فرج عندها. ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾: أي: ثم إذا أعطاهم من ذلك الضرِّ عافيةً ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: إذًا وجدتَ فريقًا منهم يشركون به في العبادة.

(٣٤ - ٣٥) - ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾: أي: يفعلون ذلك ليكونوا كفارًا بما أنعم اللَّه عليهم من كشفِ الضرِّ وإبداله بالعافية فيجحدون ذلك. ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾: أي: يا معاشر المشركين ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ أمركم من عقوبة اللَّه. ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾؛ أي: ما أنزلنا، استفهامٌ بمعنى النفي، أي: أيفعلون هذا بحجةٍ جاءتهم من السماء أنزلناها عليهم فهم لذلك معذورون في الشرك في الرخاء مع إخلاصهم في الشدة؟؛ أي: فليس كذلك، إنما الشركُ هوًى لا حجة عليه. والسلطان: الحجة، وذاك قد يكون بكتاب من السماء وقد يكون برسول وقد يكون بغيرهما. ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾: أي: فهذا السلطانُ يوضِّح عذرَهم في الإشراك باللَّه ويأمرهم بذلك

(٣٦) - ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: خصبًا وسعة برحمة منا ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾؛ أي: أظهروا بها سرورًا. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: أي: أمرٌ يَسُوءهم من قحطٍ ومجاعة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: بسبب معاصيهم، وقيد باليد لأن أكثر العمل وأظهرَه باليدين. ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: أي: وجدتَهم يجزعون فعلَ الذين عن رحمة اللَّه ييأسون.

(٣٧) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: أي: قد رأى هؤلاء أن اللَّه يوسِّع الرزقَ ابتداءً ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يضيِّق، فليس يجب أن يدعوَهم التضييق في الرزق إلى القنوط من رحمة اللَّه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

أي: لعلاماتٍ لأهل الإيمان على أن التضييق في الرزق والتوسعةَ فيه على ما سبق من علمه وإرادته.

(٣٨) - ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: أي: فأعطِ قريبك حقَّه من البرِّ والصلة والمواساة، وأعطِ الفقير والغريب حقوقَهم، فليس فقرُهم وغناك إلا لأن اللَّه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر؛ أي: وليس فقرُ الفقير لهوانه على اللَّه ولا غنَى الغنيِّ لكرامته على اللَّه، لكن امتحَن عباده بالفقر والغنى، وآتِهم حقوقَهم من مال اللَّه قِبَلك، فإنه وإن كان قتَّر عليهم فقد أوجب مقدارَ كفايتهم عليك. ﴿ذَلِكَ﴾: وهو إيتاءُ هؤلاء حقوقهم ﴿خَيْرٌ﴾ لك من بُخلك بمالك. ﴿لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾: أي: يطلبون به التقرُّب إلى اللَّه ونيلَ ثوابه. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: أي: الفائزون ببقاء الأبد ودَركِ الطلب.

(٣٩) - ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: وما أعطيتُم أحدًا من شيء طلبَ الازدياد به لتَزيدوا من أموالهم في أموالكم - وهو أن يكون العطاء طلبًا للمكافأة في الدنيا والاستكثار - فإنه لا يزداد عند اللَّه؛ أي: لا يضاعَف لكم أجره؛ لأنكم قد نلتُم أجرَ ذلك في الدنيا بإعطائكم إياه، فلا مكافأة لكم عند اللَّه. ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾: أي: وما أَعطيتم من شيء تلتمِسون به الطُّهرة من الذنوب، والجزاءَ في الآخرة لا في الدنيا، وهو قوله: ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾؛ أي: التقرُّبَ إلى اللَّه. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾: أي: الواجدون الضِّعفَ؛ أي: الإضعافَ بالواحدة العشرةَ إلى سبع مئةِ ضعفٍ[(١)].

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٣٨).

(٤٠) - ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: رجع الكلام إلى محاجَّة المشركين، يقول: هذه قدرة اللَّه لا يُعجزه شيء، فهو الخالق وحده والرازق وحده والمميت وحده والمحيي وحده. ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾: أي: هل ممن جعلتُموهم شركاء للَّه مَن يفعل شيئًا من ذلك؛ أي: فإذا كانوا لا يفعلون شيئًا من ذلك فكيف أشركتموهم بي؟ ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: تقدَّس اللَّه وتنزَّه عن أن يكون له شريك، وهو أمر بتنزيهه سبحانه (١).

(٤١) - ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى﴾ أي: أجدبَ البرُّ وانقطعت مادةُ البحر بذنوبهم، ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا﴾؛ أي: يعاقبهم في الدنيا على بعض ما عملوا فيها من انتهاك المحارم، وكمالُ الجزاء يكون في الدار الآخرة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: يتوبون، وقيل: ليرجع مَن سوى هؤلاء المعذَّبين اتِّعاظًا بمن عذِّب مِن جنسهم.

(٤٣ - ٤٤) - ﴿قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾: أي: قل لأهل مكة: سافروا فانظروا في بلاد عادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ ونحوها كيف أهلكناهم وخرَّبنا ديارهم. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ أي: دين الإسلام، ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي: لا يردُّه اللَّه وإذا لم يردَّه هو لم يستطِعْ أحدٌ ردَّه، فهو آت لا محالةَ وهو يوم القيامة فاستعِدُّوا له. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: أي: يتفرَّقون، وأصله: يتصدَّعون.

---

(١) جامع البيان (١٨/ ٥٠٧ - ٥٠٨).

(٤٤ -٤٥) - ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: أي: ضررُ كفره وعقوبةُ كفره في دار الجزاء. ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: أي: يوطِّئون مقارَّ أنفسهم في القبور، وقيل: في الجنة. ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله وحده ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ له وحده ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ أي: بفضله. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: فيسويهم بالمؤمنين، بل يُبغضهم فيميِّز بينهم وبينهم، فيعاقب الكافرين عذابًا غيرَ منقطعٍ وذلك عدل منه، ويثيب المؤمنين ثوابًا غيرَ منقطعٍ وذلك فضل منه.

(٤٦) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ﴾: أي: ومن الأعلام الدالة على قدرته إرسالُ الرياح ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾؛ أي: بالمطر لأنها تتقدمه وتُطمع فيه على العادة، يُرسلها ليبشِّر بها ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾؛ أي: يرزقكم من نعمته التي يرحمُكم بها ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ في البحار ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بهذه الرياح، ولتطلبوا ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بالتجارة في البحار والجهادِ فيها، واصَلَ لكم هذه النعمة لتشكروا له عليها فتستحِقُّوا نِعَمَ الآخرة بشكركم على نعم الدنيا.

(٤٧) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾: للدعاء إلى الإيمان وشكر النعم. ﴿فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالحجج الواضحات، فآمن بهم البعضُ وكفر بهم البعض. ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: أي: كفروا، بالإهلاك في الدنيا. ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: ونصَرْنا المؤمنين بهم، فأنجيناهم من العذاب ومنعناهم من الكفار إذ كنا وعدناهم ذلك، وكان حقًّا علينا بوعدنا الذي لا خُلف فيه أن ننصرَ المؤمنين، فعَلْنا ذلك بالأوَّلين وكذلك نفعلُ بالآخِرين، وفيه تسليةٌ للنبيِّ ﷺ والمؤمنين.

(٤٨) - ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ فيبعث الرياح سحابًا؛ أي: فينشأ عند مجيء الريحِ السحابُ، أضاف الفعلَ إليها بطريق التسبيب، ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: أي: يبسطه اللَّه في السماء في أيِّ موضع يشاء، وعلى أيِّ قَدْرٍ يشاء، فيكون المطر في ذلك الموضعِ على ذلك القَدْر. ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾: أي: ويجعل اللَّه السحابَ قطعًا يركَب بعضُه على بعضٍ حتى يَكْثف. ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: أي: المطرَ ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾؛ أي: وسطِ السحاب مع كثافته وغلظته. ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: أي: فإذا أصاب بالودق مَن يشاء من عباده أن يصيبه به استبشروا به؛ أي: فرحوا فرحًا يظهر ذلك في بشرات وجوههم طمعًا في الخصب، ثم مع هذا الموقع إنهم يشركون به غيره ممن لا يقدر على ذلك[1].

(٤٩ - ٥٠) - ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾: أي: وما كانوا من قبلِ أن ينزَّل عليهم الودَقُ من قبلِ ظهور السحاب إلا مُكتئبين باحتباسه عنهم اكتئابَ الآيس من الشيء، حتى يظهرُ ذلك في وجوههم. ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي: فانظروا بعقولكم إلى ما أثَّره المطر من إنبات العشب وأصناف النبات كيف أحييتُ الأرض بذلك بعد أن كانت ميتة؛ أي: كيف اهتزَّت بعد أن كانت هامدةً؟، فاستدِلُّوا بذلك على أن الذي قدر على إحيائها يقدر على إحياء الموتى أيضًا لأنه قادرٌ على كل شيء.

(١) التيسير في التفسير (/ ٤٤).

(٥١) - ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾: أي: ولئن أرسلنا ريحًا على ذلك مُفسدةً، فرأوا ما أثَّر المطر من الزرع قد اصفرَّ بتلك الريح المفسِدة، لظلُّوا من بعد استبشارهم يكفرون بربهم، وهو تعجيبٌ من جهلهم وخفَّةِ عقولهم في عبادتهم لله تعالى على شكٍّ.

(٥٢ -٥٣) - ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾: يقول بعدما أقام الحجج وامتنع المشركون عن الإيمان: فإنك يا محمدﷺ لا يمكنك أن تُسمع مَن لا روح فيه من الأموات، وهؤلاء الكفار بمنزلةِ الأموات ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ أي: ولا يتهيأ لك إسماعُ الصم ما تدعوهم إليه إذا أعرضوا عنك وتباعَدوا عن السمع منك، وهؤلاء الكفار كذلك. ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾: أي: ولا يتهيأ لك يا محمدﷺ أن تهدي الأعمى إلى طريقٍ قد ضلَّ عنه بإشارةٍ منك له إليه مع ذهاب بصره. ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: أي: ما يَسمع مواعظَ الله إلا المؤمنون الذين فتح الله تعالى على أسماعهم المصدِّقون بآيات الله. ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: أي: خاضعون منقادون لأحكام الله.

(٥٤) - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾: الضُّعف بالضم: ما كان أصلًا وبالفتح ما كان عارضًا يقول: الله الذي خلقكم من نطفةٍ ضعيفةٍ كما قال تعالى: ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة: ٨]. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾؛ أي: حالةَ الشباب وبلوغِ الأشُدِّ، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ وهي حالة الهرم، وقوله تعالى: ﴿وَشَيْبَةً﴾؛ أي: بياضَ شعر، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: من صِغَرٍ وكِبَرٍ، وضَعفٍ وقوةٍ،

وشبابٍ وشَيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بمصالح خلقه وبلوغِ مَن بلغ منهم الشبابَ والكهولةَ والهرمَ ومَن انقطع منهم قبل ذلك، والعليم بوقت البعث ﴿الْقَدِيرُ﴾ على كل شيء.

(٥٥) - ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: أي: يحلف هؤلاء المشركون المنكرون للبعث أنهم ما لبثوا في الدينا إلا ساعةً من نهار. ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾: أي: يُصْرَفون في الدنيا عن الصِّدق إلى الكذب، وكانوا يحلفون على الكذب ويقولون: ما هي إلا حياتُنا الدنيا، ولا بعثَ ولا حسابَ ولا جزاء، فكذلك قالوا في الآخرة: ما لبثنا في الدنيا -أو: في قبورنا- إلا ساعة[1].

(٥٦) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾: أي: قال المؤمنون بالبعث العالمون به للكفار: لقد لبثُم مدةً طويلة إلى أن حضَر يومُ البعث ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾؛ أي: في حُكم اللَّه ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ كما أخبر اللَّه تعالى ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي: لا تَرجعون إلى العلم ولا تتدبَّرون فكنتُم تُكذِّبون بالبعث كذلك.

(٥٧ - ٥٨) - ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: كفرُوا ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾: أي: عذرُهم. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: أي: لا يُطلب منهم الإعتابُ وهو الإرضاء؛ لأنَّه لا يُقبل فلا يطلب. ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: أي: في التنبيه على التوحيد وعلى البعث وغير ذلك. ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ﴾: أي: بمعجزةٍ، أو آيةٍ من القرآن ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

---

(١) تأويلات أهل السنة (٨/ ٢٩٢)، التيسير في التفسير (١٢/ ٤٩).

﴿مُبْطِلُونَ﴾: آتون بالباطل، لا يزيدون على الدعوى بعد إقامة البرهان منكم.

(٥٩ - ٦٠) - ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: كذلك يخذل الله الذين لم ينظروا في أسباب العلم فلم يعلموا، وهذا في حق مَن علم الله منهم اختيارَ الضلال، ﴿فَاصْبِرْ﴾ أي: على أذاهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾: أي: ولا يَحملنَّك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفَّة والعجلة في الدعاء عليهم بالعذاب. وقيل: أي: ولا يستفزَّنَّك هؤلاء ولا يُغضبُنَّك فتمتنعَ عن تبليغ الرسالة لذلك.

(انتهى تفسير سورة الروم).

(٣١) سورة لقمان مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورةُ مكية إلا آيتينِ نزلتا بالمدينة: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ إلى قوله: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. سميت هذه السورة بإضافتها إلى لقمان؛ لأن فيها ذكر لقمان وحكمته وجملًا من حكمته التي أدب بها ابنه. وليس لها اسم غير هذا الاسم، وبهذا الاسم عرفت بين القراء والمفسرين، وهذه السورة هي السابعة والخمسون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الصافات وقبل سورة سبأ، وهي ثلاث وثلاثون آية، وكلماتها خمسُ مئة وسبعٌ وأربعون، وحروفُها ألفان ومئة وعشرون حرفًا.

أغراض هذه السورة:

صدرت هذه السورة بالتنويه بهدي القرآن ليعلم الناس أنه لا يشتمل إلا على ما فيه هدى وإرشاد للخير ومثل الكمال النفساني، فلا التفات فيه إلى أخبار الجبابرة وأهل الضلال إلا في مقام التحذير مما هم فيه ومن عواقبه، فكان صدر هذه السورة تمهيدا لقصة لقمان، فابتدئ بالتنويه بأن آتاه الله الحكمة وأمره بشكر النعمة. وأطيل الكلام في وصايا لقمان وما اشتملت عليه: من التحذير من الإشراك، ومن الأمر بر الوالدين، ومن مراقبة الله لأنه عليم بخفيات الأمور، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والتحذير من الكبر والعجب، والأمر بالاتسام بسمات المتواضعين في المشي والكلام، وسلكت السورة أفانين ذات

مناسبات لما تضمنته وصية لقمان لابنه، وأدمج في ذلك تذكير المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى وبنعمه عليهم وكيف أعرضوا عن هديه وتمسكوا بما ألفوا عليه آباءهم. وذكرت مزية دين الإسلام. وتسلية الرسول ﷺ بتمسك المسلمين بالعروة الوثقى، وأنه لا يحزنه كفر من كفروا، وانتظم في هذه السورة الرد على المعارضين للقرآن، وختمت بالتحذير من دعوة الشيطان، والتنبيه إلى بطلان ادعاء الكهان علم الغيب(١)، وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّ ختمَ تلك بذمِّ الكفار لأنهم لا يوقنون وافتتاح هذه السورة بمدحِ المؤمنين أنهم بالآخرة هم يوقنون، وانتظام السورتين: أنهما مكيتان، وكلُّ واحدةٍ منهما في بيانِ وحدانية اللَّه وبيانِ حقِّيَّة الكتاب والرسولِ، ومدحِ المؤمنين وبيانِ حُسن عاقبتهم، وذمِّ الكافرين وبيانِ سوءِ خاتمتهم(٢).

(١ - ٢) - ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾: أي: هذه آياتُ القرآن المحكَم، من قوله تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ﴾ [هود: ١]. وقيل: أي: ذي الحكمة. وقيل: أي: الحاكِم، ومعناه: أنَّ فيه بيانَ الأحكام.

(٣ - ٤) - ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾: أي: هذه الآيات يُهتدَى بها إلى سبيل الحق، ورحِم اللَّه بها عباده بأنْ أودعها ما بهم إليه حاجةٌ في دينهم ومصالح دنياهم، فصاروا بذلك محسنين؛ أي: يُحسنون العمل للَّه تعالى، وخصَّهم بالإضافة لاختصاصهم بالانتفاع بها. ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ

---

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ١٣٩).

(٢) البيان في عد آي القرآن للداني (١/ ٢٠٥)، والكشف والبيان (٧/ ٣٠٩).

﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾: صفات المحسنين.

(٥ - ٦) - ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: وعدٌ لهم؛ أي: هم على الرشاد في الدنيا ولهم الفوزُ في العقبى. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾: أي: ومن الناس مَن يختارُ على هذا الكتاب الذي مرت صفتُه ومدحُ متَّبعيه ووعدُهم عليه في الدارين حديثًا يُلهيه؛ أي: يَلِذُّه في غير دينه، ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: عن دِينه الحقِّ. وقيل: سبيلُ اللَّه ها هنا هو القرآن وذكرُ اللَّه، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي: جهلًا منه وقلةَ تمييز بين ما يُفيد نفعًا في مصالح الدارين وبين ما يفيد وِزرًا وخُسرانًا في الدارين. ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾؛ أي: وليتَّخذ سبيلَ اللَّه هُزوًا؛ أي: سخريةً يسخر منه وممن اعتقده، ويقول: هؤلاء يضيِّعون أيامهم، ويتحمَّلون أثقالَ شرائعَ على أمرٍ مظنونٍ مشكوك فيه، لا ثمرة له على نَصَبه. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: أي: هذه الطائفةُ لهم السبي والقتل في الدنيا. وقيل: لهم العذاب المذِلُّ المخزي في الآخرة[١].

(٧) - ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾: أي: القرآنُ ﴿وَلَّى﴾؛ أي: أعرضَ عن الاستماع إليه. ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾؛ أي: متعظِّمًا مترفِّعًا عن استماعه واتِّباعه. ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾: أي: يعرض عنها كإعراضِ مَن لم يسمعها. ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: وكإعراض مَن في أذنيه ثقلٌ أو صمم. ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: وجيع[٢].

(٨ - ٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾: هو

---

(١) جامع البيان (١٨/ ٥٣٩ - ٥٤٠).

(٢) الكشف والبيان (٧/ ٣١٠).

في مقابلةِ وعيد أولئك بالعذاب الأليم. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: أي في جنات النعيم لا يخرجون منها ولا يموتون فيها. ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾: أي: وعَد اللَّهُ ذلك وَعْدًا صدقًا. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا يغالب فيما يفعل بأوليائه وأعدائه. ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما يفعل من التمييز بينهم وبينهم.

(١٠) - ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: أي: العزيز الحكيم ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ فأقامها ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ وأنتم ﴿تَرَوْنَهَا﴾ أنها بغير عمدٍ. وقيل: جعل لها عمدًا ولكنكم لا ترونها وهي القدرة. ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: أي: وخلق فيها جبالًا ثوابت. ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: أي: لئلا تضطرب بكم، ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾: أي: نشر فيها ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ من أنواع الحيوانات التي تدبُّ على وجه الأرض، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: وهذا إخبارٌ عن نفسه كخطاب الملوك على الجمع، ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: أي: من كلِّ صنفٍ من النبات حسنٍ مُؤْنق.

(١١-١٢) - ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾: أي: مخلوقُ اللَّه ﴿فَأَرُونِي﴾ معاشرَ المشركين ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأصنام والملائكة والشياطين فيستحِقُّوا بذلك العبادة. ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: بل هم واضعون العبادةَ في غير موضعها على سبيلِ ضلالٍ عن الحق ظاهرٍ وجهلٍ بيِّن. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾: ذكر قصةَ لقمان وأمرِه ابنَه بتجنُّب الشرك وملازمة الإخلاص وغير ذلك من الأمور التي كان مشركو قريش يخالفونها؛ لأن أمر لقمان كان مشهورًا عند أهل الكتاب، وكان مشركو العرب يرجعون إليهم، فكان تصديق أهل الكتاب

بقصته حجةً على المشركين. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾: منها العلم والديانة والإصابة في القول وحكمه كثيرة مأثورة ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾؛ أي: وقلنا له: اشكر للَّه. وقيل: ﴿أَنِ اشْكُرْ﴾ ترجمةٌ لقوله: ﴿الْحِكْمَةَ﴾ وهو بيان أن رأس الحكمة للمخلوقين شكرُهم نِعَمَ اللَّه تعالى. ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: أي: نفعُه يعود إليه بتمام النعمة ودوامها وزيادتها والثواب على شكرها ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ عن شكر عباده، لا يتكثَّر بشكرهم، ولا يتعزَّز بطاعتهم ﴿حَمِيدٌ﴾ على إنعامه لأن آثار إنعامه ظاهرةٌ على كافة بريَّته.

(١٣) - ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾: أي واذكر يا محمد ﷺ إذ قال لقمان لابنه ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ﴾: تصغير على جهة الشفقة والتلطف ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾؛ أي: لا تجعل للَّه شريكًا في العبادة. ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ﴾ من المشرك على نفسه ﴿عَظِيمٌ﴾ لأنه يورده عذابًا لا ينقطع ولا يُفتَّر، ولأنه وضْعُ العبادةِ غيرَ موضعها وهو عظيم؛ أي: شنيع منكر في العقول.

(١٤-١٥) - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ أي: ببرِّ والديه، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾: أي ضَعفًا على ضَعفٍ؛ أي: تزداد كلَّ يوم ضعفًا على ضعفٍ؛ لأن الحمل في البداية خفيفٌ ثم يَثْقُل شيئًا فشيئًا. ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾: أي: فطامه عن الرضاعة لتمام عامين؛ أي: أنها ترضعهُ وتربِّيهِ في هذه المدة، وهذا مما يوجِب لها حقًّا، ويُلزمه لها شكرًا. ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾: أي: اشكر لي على الإيجاد ولهما على التربية. ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾: وهو ترغيب وترهيب. ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾: أي: إني وإن كنتُ عظَّمتُ عليك حقَّهما، فلم

يبلغ من حقِّهما عليك أن يجوز لك طاعتُهما فيما يأمرانك به من الإشراك بي وإن اجتهدا عليك في ذلك. ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾: أي: في أمور الدنيا بالمعروف لمثلهما، وهو الطاعةُ لهما فيما لا يُفسد عليك دينك. ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾: أي: واتَّبع أيها الإنسان طريقَ مَن أقبل عليَّ بتوبته وعبادته، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: أي: رجوع جميعِكم في الآخرة. ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: أخبرُكم بأعمالكم وأجازيكم عليها.

(١٦-١٧) - ﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾: أي: إن كانت فعلةُ الإنسان مقدارَ خردلةٍ في الثقل والوزن من خيرٍ أو شر. ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾: قيل: في جبل، وقيل: في حجر. ﴿أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾: مع سعَتهما. ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾: أي: يُحضرها اللّه صاحبَها حتى يوفِّيَه جزاءها إن خيرًا وإن شرًّا. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾: أي: عالمٌ بكل دقيقٍ وجليل من الأشياء. ﴿خَبِيرٌ﴾: أي: عالم بالأشياء على حقائقها وبواطنها، لا بقَدْر ما يعلمه العباد من ظواهرها. ﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: أي: حافِظْ عليها بأركانها وسُننها وأدائها، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: ما عُرف حُسْنُه عقلًا وشرعًا. ﴿وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: ما أنكره الشرع والعقل. ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾: أي: مِن أذى مَن أمرتَه ونهيتَه، ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: أي: هذه الأشياءُ مما عزم اللّه تعالى به على عباده؛ أي: أمرهم به أمرًا حتمًا، فعليهم الثباتُ عليه واعتقادُ وجوبه. وقيل: ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾؛ أي: من الأمور التي تدل على أن صاحبه ثابتٌ في دينه، قويُّ النية في طاعة ربه، عالمٌ بصحة

ما يَدين به، مستبصِرٌ في أمره[(١)].

(١٨-١٩) - ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: أي: لا تُمِلْه مُعْرِضًا عن الناس تكبُّرًا أو استخفافًا لمن يُقبل عليك يكلِّمك، بل أَقبِلْ عليه بوجهك متواضعًا. ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾: أي: بطرًا وأشرًا. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: والاختيال مشيةُ المتكبِّر، والفخر: ذكر المناقب للتطاوُل بها على السامع. ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: هو المشي في لِينٍ وتواضعٍ، كما قال تعالى: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾: أي: واخفِضْ صوتَك إذا تكلَّمتَ ولا تُفْرِط في رفعه كفعلِ المتعظِّم. ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾: أي: أقبحَ الأصوات وأشنعَها عند السامعين. ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾: جمع حمار، ولو كان في ارتفاع الصوت فضيلةٌ لم يُستشنع صوتُ الحمار الذي هو أرفعُ الأصوات.

(٢٠) - ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: ألم تعلموا العلم الذي يقوم مقام رؤية العين أن اللَّه خلق لكم ما في السماوات وما في الأرض من شمسٍ وقمرٍ ونجمٍ ونباتٍ وبرٍّ وبحر مما جعله اللَّه مذلَّلًا لكم غيرَ ممتنعٍ عليكم منفعةً لكم وقِوامًا لحياتكم في دار الامتحان؟. ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: أتمَّ عليكم ﴿نِعَمَهُ﴾: أي: أنعم عليكم نعمًا ﴿ظَاهِرَةً﴾ تَظهر وتُشاهد ﴿و﴾ نِعمًا ﴿باطنةً﴾ لا تَظهر للأبصار ولا تشاهَد. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾: يقول: هذه نعمي على عبادي، ثم منهم ﴿مَنْ يُجَادِلُ﴾ في توحيدي وإخلاصِ طاعتي يريد بذلك إثبات

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٧٠).

الشريك والتعطيلَ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منه بما يخاصم به إنما هو مقلِّد، ﴿وَلَا هُدًى﴾: ولا دلالةٍ عليه نظرًا وعقلًا ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾: ولا كتابٍ أنزله اللَّه تعالى بصحةِ ما يدعو إليه ويدَّعيه.

(٢١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: أي وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في اللَّه: إنه ليس معكم من اللَّه هدًى ولا كتابٌ يدل على ما تقولون فهلمُّوا إلى كتاب اللَّه. ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ الذين كانوا يعبدون الأوثان، ونشرك كما أشركوا تقليدًا لهم. ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: أي: أولو كان الشيطان يدعوهم إلى الكفر الذي يفضي إلى عذاب جهنم يتَّبعونه؟، وهذا استفهامٌ بمعنى التوبيخ؛ أي: فلِمَ يتَّبعونه وهو يدعو إلى ذلك؟[(١)].

(٢٢) - ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾: أي: ومَن يخلِص عمله للَّه ويتوجَّه إلى طلب رضا اللَّه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ وفيما يعمل تاركٌ للإساءة ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾؛ أي: فقد تعلَّق بالركن الأوثق الذي لا أوثق منه، فهو مخلِّصه من العذاب الذي لا انقطاع له. ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: أي: ومصيرُ الأمور في أواخرها إلى اللَّه، وهو يحاسب بها ويجازي عليها.

(٢٣) - ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾: أي: ومَن لم يُسلِم وجهه للَّه وكفر به، فليَهُنْ عليك أمره، ولا يَغُمنَّك كفرُه، فلا يرجع إلا إليه ضرُّه. ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: يوم الحساب ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾؛ أي: فنجزيهم بذلك. ﴿إِنَّ اللَّهَ

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٣٦)، والكشف والبيان (٧/ ٣٢٠)، والنكت والعيون (٤/ ٣٤٣)، التيسير في التفسير (١٢/ ٨٤).

﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: عالم بضمائر القلوب فكيف بعلانيَة الأعمال، فهو يجازيهم بما أَظهروا وبما أضمروا.

(٢٤ - ٢٥) - ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾: أي: نبقيهم في الدنيا فيمتَّعون بالبقاء فيها مدةً قليلةً وهي مُدَد أعمارهم. ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: أي: ثم ندخلُهم كرهًا في ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾؛ أي: شديدِ الإيلام عظيمِ المكروه، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: أي: إذا سئل هؤلاء المشركون عن خالق السماوات والأرض اعترفوا بأنه هو اللَّه. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: قل: الحمد للَّه على ما هدانا لدينه وجعلنا من أهل العلم به، وأوضح حججنا على مَن خالفنا فيه إذ قرَّرهم بما فيه الحجة عليهم. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي ليس شركُهم لانقطاع الحجج عنهم، لكن أكثرهم لا يعملون بعلمهم؛ أي: يتركون التدبُّر في الدلائل فيَفوتهم العلم بسفههم.

(٢٦ - ٢٧) - ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: له ذلك كلُّه، وهو مالكه وخالقه، ولا حاجة له إلى إيمان هؤلاء. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: أي: إن اللَّه هو المستغني عن خلقه، المحمودُ بشهادة خلقه كلِّهم بوحدانيته وقدرته وإلهيته بشهادة الخِلقة. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ جُعلت بالبَرْي أقلامًا ليُكتب بها ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾: فكان البحرُ مدادًا، ومَدَّه -أي: زاد فيه- سبعةُ أبحر، فكتب بها كلمات اللَّه في إقامة الحجج على عباده، وضربِ الأمثال لهم، وتنبيهِهم على مصالح دينهم ودنياهم، وذكر أقاصيص مَن سلَف قبلهم من الأمم، وغيرِ ذلك من ضروبِ ما يشتمِل عليه كلامه، وما اختَصَّ

العلماءَ به من معاني كلامه، وما استأثر اللَّه به دون خلقه، ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ أي: لم يَفْنَ كلامُ اللَّه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: أي: منيعٌ في ملكه فلا يُرام ولا يغالَب. ﴿الْحَكِيمِ﴾: يُطْلع عبادَه على ما يشاء، ويفعل ما يشاء، ويضع كلَّ شيء في موضعه(١).

(٢٨) - ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: أي: إلا كخَلْقِ نفسٍ واحدة وبعثِ نفسٍ واحدة في أن أمري إذا أردتُ شيئًا أن أقول له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، فلا يَلحقُني نَصَب بكثرةٍ، ولا يَخِفُّ عليَّ بقلَّةٍ، وقدرتي على الكل قدرتي على الواحد، فإذا قدرتُ على الواحد فأنا على الجميع قادر. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لافتراء المشركين على اللَّه في أنه لا بعث ولا نشور ﴿بَصِيرٌ﴾ بأعمالهم فهو مجازيهم عليها.

(٢٩) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: وهذا احتجاج على المشركين؛ أي: ألم تر أن اللَّه يأخذ من الليل فيَزيد في النهار، وكذا في النهار؟، وهو كقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [النور: ٤٤]. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: لمنافع العباد ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾؛ أي: إلى أن يكون الأجل المسمى وهو يوم القيامة، فيفني اللَّه هذا كلَّه. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي: عليم بذلك(٢).

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٨٧).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٠٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٩٧)، وجامع البيان (١٨/ ٥٧٣)، وروح المعاني (٢١/ ٨٧).

(٣٠) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: أي خلَق ما خلَق على ما شاهَدْتُموه ليدلَّكم بخلقه إياه على أنه هو الإله الحقُّ لا إله غيرُه. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾: لا يستحقُّ العبادة غيرُه؛ لأنه لا يقدر على شيء. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾: العالي على كل شيء، وكلُّ ما دونه فهو له متذلِّلٌ منقاد، وهو الكبير وكل شيء دونه فهو له متصاغر.

(٣١) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾: أي: ألم ترَ أن السفن تجري في البحر مع صغرها وكِبَر البحر وهولِ أمواجه؟ ﴿بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾؛ أي: بتسخيره إياها وإنعامه بذلك على خلقه. ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾: من أعلام قدرته. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: أي: لكلِّ مَن هو من أفاضل المؤمنين؛ لأن جميع خصال الإسلام ترجع إلى الصبر والشكر، والصَّبَّار والشَّكور مبالغةٌ في هذين الوصفين؛ أي: الانتفاعُ بهذه الآيات إنما يحصل لهؤلاء، فكأنها لهم دون غيرهم.

(٣٢) - ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾: أي: وإذا جاءهم في البحر موجٌ متراكبٌ بعضُه على بعضٍ كأنها ظلل فوقهم؛ أي: جبال مُظِلَّة أو سحاباتٌ. ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: حين علموا حينئذ أنه لا مُنْجيَ لهم غيرُه. ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ أي: مقتصدٌ في قوله مصرٌّ على كفره، وقيل: محسنٌ القولَ في ربه وهو مع ذلك ثابتٌ على كفره، ولا يَعتبر بذلك إلا قَدْرَ الاقتصاد. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾: أي: وما يجحد بها جعلناه آيةً من أمر البحر وغيرِه إلا كلُّ غدَّارٍ قبيحِ الغدر، يَنقُض عهدَ اللَّه من بعد ميثاقه بما جَعل له من المَشاهد في نفسه على وحدانية اللَّه تعالى، وبما أعطاه اللَّه من الإقرار بلسانه أنه خالقُه

ومنجيه من الأهوال، كفورٍ لإنعام اللَّه تعالى عليه.

(٣٣) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾: ختَم السورة بتجديدِ الموعظة وترهيبِهم بيوم القيامة؛ توكيدًا للأمر بمخالفة المشركين في جحد البعث، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ فلا تخالفوا أمرَه ولا نهيه. ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾: أي: لا ينوبُ فيه والد عن ولده. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾: أي: نائب. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: أي: بالبعث والحساب والجزاء. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: أي: لا تغترُّوا بهذه الحياة القُربى فتُهلِكوا أنفسَكم وترتكبوا المعاصي مستبعِدين للقيامة، أو مغترِّين بقول هؤلاء المشركين الجاحدين له، فإن الحياة الدنيا قريبةُ الانقضاء تَفْنى لذَّاتُها وتبقى تَبِعاتها. ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾: أي: ولا يخدعنَّكم مِن التوقِّي من عذاب اللَّه مَن يغرونكم فيدعوكم إلى المعاصي، ويُوهموكم أنْ لا بعثَ ولا حساب ولا جزاء[1].

(٣٤) - ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: أي: علم وقت قيام الساعة عند اللَّه لا يعلمه غيره، فإياكم أن تأتيَكم بغتة وأنتم مغترُّون بالحياة الدنيا. ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾: أي: هو الذي ينزِّل الغيث للوقت الذي يعلم الصلاح في إنزاله لعباده وبلاده، ولا يَعلم العباد بذلك. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾: هو الذي يعلم ذلك: أذكر هو أم أنثى؟ أحيٌّ هو أم ميت؟ وعلم جميع صفاته وهيئته ووقت ولادته. ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: أي: ما تعمل في مستقبل العمر من خيرٍ

---

(١) جامع البيان (١٨/ ٥٧٣)، والكشف والبيان (٧/ ٣٢٢)، والبسيط (١٨/ ١٢٦)، التيسير في التفسير (١٢/ ٩١).

أو شرٍّ. ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾: أي: بأيِّ بلد. وقيل: أي: بأيِّ قدم تموت. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: أي: هو العالم بظواهر الأشياء وبواطنها بتفاصيلها وجملها[١].

(انتهى تفسير سورة لقمان).

---

(١) الدر المنثور (٦/ ٥٣٠)، وتفسير مقاتل (٣/ ٤٤٠)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٤٧)، وجامع البيان (١٨/ ٥٨٥).

(٣٢) سورة السجدة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة السجدة مكية إلا ثلاثَ آيات نزلت بالمدينة: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ إلى قوله: ﴿كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ نزلت في عليِّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وعُقبةَ بنِ أبي معيط، وهي تسع وعشرون آيةً، وثلاثون في قول، والاختلاف في قوله: ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، أشهر أسماء هذه السورة هو سورة السجدة، وهو أخصر أسمائها، وهو المكتوب في السطر المجعول لاسم السورة من المصاحف المتداولة. وتسمى أيضًا الم تنزيل، وتسمى "الم" تنزيل السجدة، وتسمى بسورة المضاجع أيضًا لوقوع لفظ المضاجع فيها، نزلت بعد سورة النحل وقبل سورة نوح، وقد عدت الثالثة والسبعين في النزول، وكلماتها ثلاثُ مئة واثنتان وسبعون، وحروفها ألف وخمسُ مئة وأربعة وعشرون(١).

ومن مزايا هذه السورة وفضائلها: ما روي عن أبى هريرة قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم. تَنْزِيلُ. السجدة. وهَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ»(٢)، وما روي عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «كَانَ لا يَنامُ حتى يقرأَ الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةُ، وتَبارَكَ الذي بيدِهِ الملكُ»(٣).

---

(١) البيان في عد آي القرآن (١/ ٢٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٧٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٠٤)، والنسائي في (السنن الكبرى) (١٠٥٤٢)، وأحمد (١٤٦٥٩).

أغراض هذه السورة:

أولها التنويه بالقرآن أنه منزل من عند الله، وتوبيخ المشركين على ادعائهم أنه مفترى بأنهم لم يسبق لهم التشرف بنزول كتاب. والاستدلال على إبطال إلهية أصنامهم بإثبات انفراد الله بأنه خالق السماوات والأرض ومدبر أمورهما. وذكر البعث والاستدلال على كيفية بدء خلق الإنسان ونسله، وتنظيره بإحياء الأرض، وأدمج في ذلك أن إحياء الأرض نعمة عليهم كفروا بمسديها. والإنحاء على الذين أنكروه ووعيدهم. والثناء على المصدقين بآيات الله ووعدهم، ومقابلة إيمانهم بكفر المشركين، ثم إثبات رسالة رسول عظيم قبل محمد ﷺ هدى به أمة عظيمة. والتذكير بما حل بالمكذبين السابقين ليكون ذلك عظة للحاضرين، وتهديدهم بالنصر الحاصل للمؤمنين. وختم ذلك بانتظار النصر. وأمر الرسول ﷺ بالإعراض عنهم تحقيرًا لهم، ووعده بانتظار نصره عليهم(١)، وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال في ختم تلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ وقال في افتتاح هذه: ﴿الم﴾ ومعناه: أنا اللَّه أعلمُ، وانتظام السورتين: أنهما في بيان وحدانية اللَّه تعالى، وذكرِ الكتاب والرسول، ومحاجَّةِ المشركين، ومدحِ المؤمنين، وبيانِ عاقبة الفريقين.

(١ - ٢) - ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: أي: هذا تنزيل الكتاب وهو القرآن. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه أنه من عند اللَّه. وقيل: أي: لا ترتابوا فيه. ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: هو من ربِّ العالَمين، وهو كقوله تعالى:

---

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ٢٠٥).

﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الواقعة: ٨٠]، وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

(٣) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: أي: أم يقولون: اختلقه محمد ﷺ. ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي ليس كما يقولون أنه مفترًى، بل هو الحق من ربك يا محمد ﷺ. ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي لم يأتهم رسول منذرٌ وهم مشركو العرب. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: أي: لتنذرهم العذاب إن أصروا على كفرهم فيُسْلِموا ويهتدوا إلى الحق.

(٤) - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: استواء يليق به. ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾: أي: ليس لكم سوى اللَّهِ تعالى وليٌّ يتولى أموركم، ولا شفيع يشفع لكم إليه إن متُّم كافرين؛ أي: فإليه وحده فافزعوا فلن ينفعكم أحد دونه كما يتوهَّم المشركون من ولاية آلهتهم وشفاعتها. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أفلا تتَّعظون بمواعظ اللَّه؟.

(٥) - ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾: أي: يدبر الأمر من السماء فيَنزل به بعض ملائكته من السماء إلى الأرض، فيُلقي ذلك إلى الذي أُمر بإلقائه إليه من الرسل. ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾: أي: يعرج الملك ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الموضع الذي أُمر بالعروج إليه من السماء. ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾: في نزول الملك إلى الأرض وعروجه منها إلى السماء ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾: من أيامكم في الدنيا؛ لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرةُ خمسِ مئة عام، فإذا قطع الملَك ذلك في يوم واحد نازلًا

وصاعدًا حصل له مسيرة ألف سنة في يوم واحد(١).

(٦ - ٧) - ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي: الموصوف بما مرَّ عالمٌ بما غاب عن الخلق وما شهِدوه وما شاهدوه، لا يخفى عليه شيء من ذلك. ﴿الْعَزِيزُ﴾: المنيع بسلطانه فلا يغالَب ﴿الرَّحِيمُ﴾ بخلقه بإيصال المنافع ودفع المضار. ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ﴾: أي: أتقن كلَّ شيء قد خلقه كما قال: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. وقيل: أي: عَلِم كلَّ شيء قد خلقَه، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾: أي: بدأ خلقَ آدم من طينٍ وهو التراب المبلول بالماء.

(٨ - ٩) - ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾: أي: نسل آدم، وهو ما توالَدَ منه من الذرية ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾؛ أي: من ماءٍ سُلَّ من أصلاب الرجال ﴿مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ صفةُ السلالة أنها نطفةٌ ضعيفة رقيقة لا خطر لها عند الناس. ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾: أي: عدلَه، ويجوز أن ترجع الهاء إلى ﴿مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ ويجوز أن ترجع إلى النسل. ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾: أي: أدخل فيه الروحَ الذي خلقه له، والإضافة إليه للتشريف؛ كبيت الله، وناقة الله، وشهر الله. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: أي: جعَل لكم معاشرَ الناس ما تسمعون به فتميِّزون به بين الأصوات، وما تبصرون به فتميِّزون به بين الأشخاص والألوان، والأفئدةَ حتى تعقلوا بها الأمور وتتدبروها. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: وهذا حثٌّ على الاستكثار من الشكر له على ما ابتدأهم به من هذه النعم لينالوا به النعيمَ المقيم في الآخرة أيضًا.

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ١٢٨) وجامع البيان (٢٣/ ٣٩١)، ومعاني القرآن للزجاج (٥/ ١٤٣).

(١٠) - ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: أي: وقال المشركون المنكرون للبعث للأنبياء: إذا بَلِينا في الأرض وهلَكت أجسادنا فيها فلم تتبيَّن لأنَّا صرنا ترابًا كما يَضِلُّ الماء في اللبن فلا يتبين فيه نعاد بخلقٍ جديد فنَحيَى كما كنا قبلَ موتنا؟! أي: إن هذا عجَبٌ منكَر، فهذا استفهام بمعنى الإنكار. ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾: ﴿بَلْ﴾ ردٌّ لِمَا قبله صريحًا أو تقديرًا، وتقديره هاهنا: ليس لهم جحودُ قدرة اللَّه تعالى على البعث والإعادة؛ لأنَّا نبهناهم بالآيات على قدرتنا، لكنْ قد اعتقدوا ألَّا دارَ للحساب والجزاء، فهم لهذا ينكرون البعث والإحياء بعد الموت.

(١١) - ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ﴾: أي يقبض أرواحكم ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ لإحصاء آجالكم وقبض أرواحكم، وهو عزرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: في القيامة، فيحاسبكم على أعمالكم ويجازيكم عليها(١).

(١٢) - ﴿وَلَوْ تَرَى﴾: أي: ولو ترى يا محمد ﷺ ﴿إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ هذا بيانُ حالهم إذا رجعوا إلى اللَّه يوم القيامة ﴿نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ﴾ حياءً وخزيًا ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: عند حساب ربهم والعرض على ربهم. ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾: أي: يقولون: يا ربنا أبصرنا الآن ما لم نكن نُبصره في الدنيا وسمعنا ما لم نكن نسمع؛ أي: تيقنَّا بالبعث وزالت الشكوك. ﴿فَارْجِعْنَا﴾: أي: إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾؛ أي: الإيمانَ والطاعة ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ بالبعث والحساب، وأنه لا ينفعنا عبادةُ مَن كنا نشركُه بك.

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ١٠٧).

(١٣) - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾: أي: ولو شئنا لأعطَينا كلَّ نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيارُ ذلك لاهتدوا، ولكن لم نعطهم ذلك اللطفَ لَمَّا علمنا منهم اختيارَ غيرِ ذلك، وعلى قول المعتزلة: شاء أن يعطي كل نفس ما به اهتدت، وقد أعطاها لكنها لم تهتد. ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: أي: وجَب القول مني لَمَّا علمتُ أنه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم، وهو ما علم منهم أنهم يختارون الردَّ والتكذيب.

(١٤) - ﴿فَذُوقُوا﴾: عاد الكلام إلى خطاب المجرمين في القيامة، أي: يقال لهؤلاء: قاسوا العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾؛ أي: بترككم العمل لهذا اليوم كأنكم نسيتُموه فلم تذكُروه ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾؛ أي: تركناكم في جهنم، وقيل: أي: جازيناكم على نسيانكم. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾: أي: واعلموا أن هذا العذاب خالدٌ لكم غيرُ زائل عنكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هذا لكم بأعمالكم من الكفر والمعاصي[(١)].

(١٥) - ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾: أي: إن هؤلاء المشركين لإلفهم الشركَ وتقليدهم الآباءَ في أنه لا بعثَ ولا حساب ولا جزاء لا يؤمنون بآياتنا؛ أي: القرآن، إنما يؤمن بها المتدبِّرون لها المستمِعون إلى مواعظها، فهم إذا قرئ عليهم القرآن ووُعظوا به ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ لله على وجوههم تذلُّلًا لله وتعظيمًا لآياته ﴿وَسَبَّحُوا﴾؛ أي: في سجودهم ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾. قيل: يقولون: (سبحان الله وبحمده) في السجود، ويجوز أن يكون

---

(١) تأويلات أهل السنة (٨/ ٣٣٥)، جامع البيان (١٧/ ١١٩).

التسبيحُ تنزيهَ اللَّه تعالى عما لا يليق به، وحمدُ اللَّه وصفَه بصفاته العلى وتسميتَه بأسمائه الحسنى.

(١٦) - ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾: أي: تتباعد ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾: جمع مضجع، وهي مواضع الاضطجاع من الفُرش وغيرها؛ شغلًا منهم بالصلاة في أوقات اضطجاع الناس للنوم والاستراحة. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾: في الصلاة وخارج الصلاة. ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: أي: يتصدَّقون نفلًا وفرضًا، ذاك بالنفس وهذا بالمال.

(١٧) - ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: أخفَوا أعمالهم فأخفَى اللَّه جزاءهم، يقول: لا يعلم أحد كُنْهَ ما يعطي اللَّه هؤلاء المؤمنين في الجنة من الثواب الذي تَقَرُّ به أعينهم مما أخفاه اللَّه عنهم. ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: جزاءً لهم من اللَّه تعالى على هذه الأعمال.

(١٨) - ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾: ذكر وعيدَ الكافرين ووعد المؤمنين، ثم عجَّب عباده ممن سوَّى بين الفريقين، فقال: ﴿أَفَمَنْ﴾ وهو استفهام بمعنى النفي، يقول: أفمَن كان متقادمَ الإيمان كمَن كان فاسقًا خارجًا عن طاعة اللَّه يَهتكُ الحرمةَ فيما بينه وبين اللَّه؟؛ أي: إن هذا لا يكون، والآية نزلت في علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان بينهما تنازعٌ في شيء، فقال الوليد لعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إلى كم تهدِّدني؟! فواللَّه إني لأحدُّ منك سنانًا، وأشجعُ منك جَنانًا، وأبسطُ منك لسانًا، وأملأ منك حشوًا في الكتيبة، فقال له علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: اسكت يا فاسق، فأنزل اللَّه هذه الآية تصديقًا لعليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ونزل أيضًا

قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ في الوليد[١].

(١٩ - ٢٠) - ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: هو تفصيل قوله: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾، فإن المؤمنين في جنات المأوى ناعمون. ﴿نُزُلًا﴾؛ أي: رزقًا وعطاءً لهم بأعمالهم الصالحة. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾: أي: إذا رفعهم لهب النار إلى أعلاها رُدُّوا إلى مواضعهم فيها بضرب الزبانيةِ إياهم بمقامع الحديد. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: أي: وتقول لهم خزنة النار: قاسُوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون، والتذكير راجعٌ إلى العذاب، وإن جعل راجعًا إلى النار فلأن تأنيثها ليس بلفظيٍّ ولا حقيقيٍّ، فيجوز التذكير فيه للَفْظه[٢].

(٢١) - ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ﴾: أي: هؤلاء الفساقَ ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾؛ أي: العذاب في الدنيا من القتل والسبي، وقيل: هو يوم بدر. وقيل: هو مصائب الدنيا وشدائدُها في النفوس والأموال والقَحْط. ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾: أي: قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب الآخرة؛ أي: يجمع اللّه لهم العذابين. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي: ليرجعوا إذا انتبهوا بالعذاب الأدنى، وقيل: لعل الآخرين يعتبرون بهم فيرجعون.

---

(١) الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٤٩)، وجامع البيان (١٨/ ٦٢٥)، والتيسير في التفسير (١٢/ ١١٤).

(٢) معاني القرآن (٤/ ٢٠٨)، الكشاف" (٣/ ١٥٠).

(٢٢) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾: أي: وُعِظ بها ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فتولى عنها فلم يقبلها، فلا أحق بالعذاب في الدنيا والآخرة من هذا. ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾: أي: إنَّا من هؤلاء الفسَّاق المشركين منتقِمون تمييزًا بين المحسن والمسيء(١).

(٢٣) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: أي: التوراةَ؛ أي كما أعطيتُك القرآن. ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾: أي: في شكٍّ من أنك ستلقاه يوم القيامة، وتكونان مع سائر الأنبياء في المراتب العالية التي أُعدَّت لكم. ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: قيل: أي: وجعلنا موسى هاديًا.

(٢٤) - ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾: أي: من بني إسرائيل ﴿أَئِمَّةً﴾: قادةً يُقتدَى بهم. ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: أي: يدلُّون الناس على الطريق المستقيم بأمرنا إياهم به، وهم أنبياء بني إسرائيل، وغيرُ الأنبياء أيضًا. ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾: بكسر اللام والتخفيف؛ أي: لصبرهم، وبفتح اللام وتشديد الميم، يعني: إذ صبروا وحين صبروا. ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾: والآيات: التوراة. وقيل: المعجزات التي كانت لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢٥) - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾: أي: يَقطع الحكم بين هؤلاء المذكورين -وهم المؤمنون والكفار وبنو إسرائيل وغيرهم- في الآخرة وهو قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: من أمور الدنيا والدِّين، فيميِّز بينهم في الثواب والعقاب، فيَتبيَّن إحسان المحسنين وإساءةُ المسيئين، وحقُّ المحقِّ وباطل المُبْطِل.

---

(١) لطائف الإشارات (٣/ ١٤٤).

(٢٦) - ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾: أي: أولم يتبين لهم إهلاكُنا القرونَ من قبلهم فيتَّعظوا أو يرتدِعوا عن الشرك؟. ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾: أي: يمشي هؤلاء في مساكن المهلَكين في أسفارهم، وهي بلاد قوم صالح وشعيب ولوط؛ كما قال: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ [الصافات: ١٣٧]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: أي: مَن فعَل فعلَهم جُزي جزاءهم ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ما يوعظون به فيتعظوا به؟.

(٢٧) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أي: أولم يرَ هؤلاء المكذِّبون بالبعث ﴿أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ وهو المطر ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾؛ أي: اليابسةِ التي لا نبات فيها، انقطع ذلك لانقطاع الأمطار، وهو من قولهم: سيف جُراز؛ أي: قطَّاع. ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾: أي: بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ﴾؛ أي: مواشيهم من الحشيش ونحوه ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ من الأطعمة والفواكه ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا بأعينهم فيستدلُّوا به على أن مَن قدر على إحياء الأرض بعد موتها فهو قادرٌ على إحيائهم بعد موتهم؛ أي: أبصَروا ذلك فهلَّا استدلُّوا[١].

(٢٨) - ﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي: ويقول هؤلاء المنكِرون للبعث: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾؛ أي: الحكم والقضاء والفصل بيننا وبينكم على ما تذكرونه، والفتح: الحُكم، والفتَّاح: الحاكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه كائن فبيِّنوا لنا وقته.

(٢٩) - ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾: لأن إيمانهم إيمانُ اضطرارٍ، وقد قال الله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر:

---

(١) لطائف الإشارات (٣/ ١٤٦ - ١٤٧)، التيسير في التفسير (١٢/ ١٢١).

٨٥]. ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: لا يمهَلون بتأخير العذاب عنهم[١].

(٣٠) - ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: أي: عن قتالهم، وكان هذا قبل فرض القتال.

﴿وَانْتَظِرْ﴾: هذا الفتح يومَ القيامة، أو يوم بدر، أو يوم فتح مكة، فإنه كائن لا محالة. ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾: أي: ماكثون إلى أن يكون ذلك، جعَلهم منتظِرين له وإن لم يقصدوا ذلك لأنه كان يأتيهم لا محالة، وقيل: إنهم منتظِرون نزولَ الموت بهم، وكانوا موقنين به[٢].

(انتهى تفسير سورة السجدة).

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٣٣٥)، والبسيط (١٨/ ١٦٣)، ومعالم التنزيل (٦/ ٣١٠).

(٢) جامع البيان (١٨/ ٦٤٤) التيسير في التفسير (١٢/ ١٢٧).

(٣٣) سورة الأحزاب مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة الأحزاب مدنية، وهكذا سميت سورة الأحزاب في المصاحف وكتب التفسير والسنة، ولا يعرف لها اسم غيره. ووجه التسمية أن فيها ذكر أحزاب المشركين من قريش ومن تحزب معهم، أرادوا غزو المسلمين في المدينة فرد الله كيدهم وكفى الله المؤمنين القتال، وهي التسعون في عداد السور النازلة من القرآن، نزلت بعد سورة الأنفال، وقبل سورة المائدة، وهي ثلاث وسبعون آية، وألف ومئتان وسبع وثمانون كلمة، وخمسة آلاف وستُّ مئة وسبعة وأربعون حرفًا.

أغراض هذه السورة:

لكثير من آيات هذه السورة أسباب لنزولها، وأكثرها نزل للرد على المنافقين أقوالًا قصدوا بها أذى النبي ﷺ، وأهم أغراضها: الرد عليهم قولهم لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة فقالوا: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله تعالى إبطال التبني. وأن الحق في أحكام الله؛ لأنه الخبير بالأعمال وهو الذي يقول الحق وأن ولاية النبي ﷺ للمؤمنين أقوى ولاية، ولأزواجه حرمة الأمهات لهم، وتلك ولاية من جعل الله فهي أقوى وأشد من ولاية الأرحام. وتحريض المؤمنين على التمسك بما شرع الله لهم لأنه أخذ العهد بذلك على جميع النبيئين. والاعتبار بما أظهره الله من عنايته بنصر المؤمنين على أحزاب أعدائهم من الكفرة والمنافقين في وقعة الأحزاب ودفع كيد المنافقين.

والثناء على صدق المؤمنين وثباتهم في الدفاع عن الدين. ونعمة الله عليهم بأن أعطاهم بلاد أهل الكتاب الذين ظاهروا الأحزاب، وانتقل من ذلك إلى أحكام في معاشرة أزواج النبي ﷺ وذكر فضلهن وفضل آل النبي ﷺ وفضائل أهل الخير من المسلمين والمسلمات. وتشريع في عدة المطلقة قبل البناء. وما يسوغ لرسول الله ﷺ من الأزواج. وحكم حجاب أمهات المؤمنين ولبسة المؤمنات إذا خرجن. وتهديد المنافقين على الإرجاف بالأخبار الكاذبة. وختمت السورة بالتنويه بالشرائع الإلهية فكان ختامها من رد العجز على الصدر لقوله في أولها: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الْأَحْزَاب: ٢]، وتخلل ذلك مستطردات من الأمر بالاقتداء بالنبي ﷺ. وتحريض المؤمنين على ذكر الله وتنزيهه شكرًا له على هديه. وتعظيم قدر النبي ﷺ عند الله وفي الملأ الأعلى، والأمر بالصلاة عليه والسلام. ووعيد المنافقين الذين يأتون بما يؤذي الله ورسوله والمؤمنين. والتحذير من التورط في ذلك كيلا يقعوا فيما وقع فيه الذين آذوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ(١) وانتظام أول هذه السورة بآخر سورة السجدة: أنه أمر رسوله ﷺ بالإعراض عن الكافرين، ونهاه هاهنا عن طاعة الكافرين والمنافقين، وانتظام السورتين: أن تلك السورة في محاجَّةِ المشركين والصبر على أذى المؤذين، فقد قال: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ وقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾. وهذه السورة في تعداد ضروب أذًى ناله من الكافرين والمنافقين(٢).

(١) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي: دم على تقواك ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ

---

(١) التحرير والتنوير(٢١/٢٤٨).

(٢) الكشف والبيان (٨/ ٥)، والبيان في عد آي القرآن (١/ ٢٠٨)، والتيسير في التفسير (١٢، ١٢٨).

﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يدعونك إليه. وقيل: الخطاب له والمراد به جميع المؤمنين، فإنه ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ على الجمع. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾؛ أي: بما يؤذيك من قولهم ﴿حَكِيمًا﴾ في أن لا يعاجلَهم بالعقوبة على فعلهم(١).

(٢ - ٣) - ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: من أوامره ونواهيه. وقيل: واتَّبع أحكام اللَّه التي نوحيها إليك دون أحكام الجاهلية في الظهار وفي التبنِّي، ولا تخالف ذلك. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: أي: عالمًا، هذا خطابٌ له ولأمته. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: أي: اعتمِدْ عليه، وفوِّض أمرَك إليه مما تخافه من ضرر أذى الكفار. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: أي: وحسبك اللَّه قائمًا بأمورك.

(٤) - ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾: يذكُر ما كان المنافقون يقولونه، يقول: لم يجعل اللَّه لرجل ﴿فِي جَوْفِهِ﴾؛ أي: في بطنه قلبين، إنما جعل له قلبًا واحدًا. وقيل: هو في أبي معمر جميل بن معمر بن أُسَيدٍ الفِهْريِّ، وكان حافظًا لِمَا يسمع، وأهدى الناسِ للطريق، وسمَّته العرب ذا قلبين، وكان هو يقول: إن لي قلبين أحدهما أعقلُ من الآخر، وكان يوم بدر انهزم وإحدى نعليه في رجليه والأخرى في يديه، وكان يعدو في الرمضاء وتحترق رجله ويقول: أين نعلي أين نعلي؟ ولا يعقل أنها في يده، فأنزل اللَّه هذه الآية في شأنه تكذيبًا لهم في تسميته بذلك(٢). ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾: بضم التاء

---

(١) تأويلات أهل السنة (٨/ ٣٤٧)، والكشف والبيان (٨/ ٥)، والبسيط (١٨/ ٢٦٦ - ٢٦٧).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٧١ - ٤٧٢)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٤)، وتأويلات أهل السنة (٨/ ٣٤٩)، والكشف والبيان (٨/ ٦)، والنكت والعيون (٤/ ٣٧٠ - ٣٧١)، وأسباب النزول للواحدي (١/ ٣٥١).

من المظاهرة، وأصله: تتظاهرون، فأُدغمت التاء في الظاء، وهذه الكلمة بوجوهها اسم لقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهرِ أمي، وكان ذلك طلاقًا في الجاهلية، فأبطل الشرعُ هذا الحُكم وجعله سببًا لحرمةٍ مؤقَّتة بالكفَّارة، وهي حرمةُ الفعل. ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾: أي: ولم يجعلِ اللَّه مَن تدَّعون بنوَّته فتسمُّونه ابنًا لكم. ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: أي: إن قولكم للزوجة: هي أم، وللدَّعيِّ: هو ابنٌ، هو قولٌ تقولونه بألسنتكم التي بأفواهكم، لا حقيقةَ له في اعتقاد القلوب عند اللَّه تعالى، ولا حجةَ مع صاحبه، إنما هو كقول النائم الهاذي يوجد بالفم لا حقيقةَ له، فلا تصير المرأة بذلك أمًّا، ولا الدعيُّ ابنًا. نزلت في شأن زيد بن حارثة، كانوا يسمُّونه: زيد بن محمد؛ لأن النبيَّ ﷺ كان تبنَّاه[1]، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾: ما يجب أن يقال وما له حقيقةٌ. ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾: أي: يرشد إلى طريق الحق في هذا وفي كلِّ الأحكام، فاتَّبعوا ما شَرَعه في الإسلام، وكان في الجاهلية إذا أعجَبَ أحدَهم ولدُ غيره ضمَّه إلى نفسه وتبنَّاه، وجعَل له مثلَ نصيبِ أحد الأولاد، فبيَّن اللَّه الحقَّ فيه وهدَى السبيل.

(٥) - ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾: الذين ولدوهم: يا فلان بن فلان. ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾: أي: أعدلُ وأقومُ. ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾: لم تعرفوا أنسابهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾؛ أي: فهم إخوانكم في الدين ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾؛ أي: أولياؤكم في الإسلام، و﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾: فنسبتُم

---

(١) رواه البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما كنَّا نَدْعُو زيدَ بن حارثةَ إلَّا زيدَ بنَ محمدٍ حتى نزل في القرآن: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾.

واحدًا إلى رجلٍ وعندكم أنه أبوه وكان ذلك خطأً. ﴿وَلَكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أي: ولكن فيما تعمَّدْتُم ذلك من النسبة إلى غيرِ الأب مع العلم بذلك. وقيل: فيما أخطأتم به قبل بلوغ النهي، فنسبتُم إنسانًا إلى مَن تبناه ﴿وَلَكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾؛ أي: فقلتُم ذلك بعد سماع النهي. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: لا يؤاخذ بالخطأ، ويقبلُ التوبة من المتعمِّد.

(٦) - ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: أحَقُّ بالمؤمنين بأنْ يَحكم عليهم من أنفسهم فيما يحكمون به لأنفسهم مما يخالف حكمَه. وقيل: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾؛ أي: من بعضهم لبعض، ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: أي: أن نساء النبيِّ كأمَّهات المؤمنين في وجوب تعظيمهنَّ وبِرِّهنَّ. وقيل: في أن اللَّه حرَّمهن عليهم كما حرَّم عليهم أمهاتهم. ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾: أي: ولاية الميراث تقع بالأرحام لا بالتبني. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: أي: في حكم القرآن. وقيل: أي: في حكم اللَّه الذي كتبه لهم. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾: أي: بعضُهم أحقُّ بميراث بعضٍ من الذين تواخَوا على الإيمان والهجرة، وكانوا يتوارثون بهذه المؤاخاة. ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾: أي: إلا أن تُوصوا لمن أحبَبْتُم من هؤلاء بشيء، فيكون له ذلك بالوصية لا بالميراث. وقيل: ﴿مَعْرُوفًا﴾ بالصلة لهم، والمعونةِ بالبر والعقلِ عنهم ونحوِها، هذا وجه. ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾: أي: التوارثُ بالأرحام في اللوح المحفوظ كان مسطورًا. وقيل: أي: في القرآن، وهي آية المواريث[1].

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٥)، وجامع البيان (١٩/ ١٦) التيسير في التفسير (١٢/ ١٣٩).

(٧) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ حين أخرجوا من صلب آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام، ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ شديدًا بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى ثم قولُه: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ يحتمِل أن يكون هو الميثاقَ المذكورَ في أول الآية، وإنما أُعيد لِمَا أريد من تعريف تغليظه؛ أي: توثيقه وتأكيده، ويحتمِل أن يكون الأولُ ميثاقَ الإقرار والشهادة، والثاني ميثاقَ التبليغ والبشارة.

(٨) - ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ﴾: أي: الأنبياءَ، وهم الصادقون ﴿عَنْ صِدْقِهِمْ﴾: عن دعائهم لأمتهم: ماذا أُجيبوا فيه؟، وهل أُطيعوا وأُنزلوا منزلة الآباء من الأمم؟؛ أي: أممهم، حتى كأن الأنبياء أحبُّ إليهم من أنفسهم وأهاليهم وأولادهم. ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أي: للكافرين من أمم هؤلاء؛ أي: مَن شَهد عليهم الأنبياء بالكفر (١).

(٩) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: أي: اذكروا أيها المؤمنون منَّةَ الله عليكم ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾؛ أي: حين جاءتكم جنود من المشركين أهلِ مكة وهوازن وغطفان في الأحابيش، وظاهَرهم على ذلك أهلُ الكتاب من بني قريظة، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ قطَّعت خيامهم وأكفأَتْ قُدورهم، فلم يمكِنْهم القَرارُ في مواضعهم ﴿وَجُنُودًا﴾؛ أي: من الملائكة ﴿لَمْ تَرَوْهَا﴾: أي: لم يرها

---

(١) جامع البيان (١٢/ ٥٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم في (٦/ ٢٠٣٥)، والتيسير في التفسير (١٢/ ١٤٣).

المشركون. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾: أي: لم يَخْفَ عليَّ أيها المؤمنون ما عمِلْتُم من التحصُّن والثبات على معاونة النبيِّ ﷺ وهو وعدٌ لهم.

(١٠) - ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: قيل: هو وصف لهم بالكثرة والتوجُّهِ إليهم من كلِّ جهةٍ، وذلك أهولُ ما يكون. وقيل: ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾: ما يلي مكة ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: ما يلي المدينة.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾: أي: مالت عيونكم عن كلِّ شيء فلم تلتفت إلا إلى العدوِّ متحيِّرةً، قاله الفراء، ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾: قيل: أي: كادت قلوبهم تبلغ الحلاقم. ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ أي: ظُنونًا مختلفةً، يظنُّ المخلِص أن اللَّه تعالى منجزٌ نبيَّه وعدَه في إعلائه وقهرِ أعدائه، ويظنُّ المرتاب أو غيرُ نافذ البصيرة غيرَ ذلك، وقيل: هذا خطاب للمؤمنين؛ أي: تظنُّون مرةً أن اللَّه سيكفيكم ويقوِّيكم ويحميكم، وتظنُّون مرةً أنه يبتليكم ويخليكم، ويُخطر الشيطان مع ذلك قلوبَكم الخواطر [(١)].

(١١-١٢) - ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي: امتُحن المؤمنون فبان صبرُهم وثباتهم. ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾: أي: حرِّكوا تحريكًا شديدًا بليغًا بالفتنة والتمحيص. ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾: قيل: إن المنافقين معروفون وهم كفارٌ غير مؤمنين ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ هم قوم لا نصرةَ لهم في الدِّين كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشُّبَه عليهم، ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾: أي: أن رسول اللَّه ﷺ وعدَنا النُّصرة ولم تظهر أَمَارةُ ذلك بل يَظهر غيرُ ذلك، فليس ما

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٧٦)، والنكت والعيون (٤/ ٣٧٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٩١)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٦).

وُعدنا إلا غرورًا؛ أي: إلا شيئًا يخدعُنا به.

(١٣) - ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾: أي: يا أهل المدينة ليس لكم موضعُ قيام. ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: أي: منكشفةُ الظهور. وقيل: أي: خالية. وقيل: أي: ضائعة. وقيل: أي: ممكنةٌ للعدو، ونحتاج إلى أن نرجع فنحفظَها لقرب العدوِّ منها. ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾: أي: ما يريدون إلا هربًا من العسكر؛ حذرًا من الحرب، وإرادةً لكسر قلوب غيرهم.

(١٤) - ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾: أي: المدينة ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾؛ أي: من نواحيها. ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾: أي: الكفر؛ ﴿لَآتَوْهَا﴾: أي: لأعطَوها من أنفسهم وكفروا، وهذا على قراءة المد، أما على قراءة القصر ﴿لَأَتَوْهَا﴾؛ أي: لجاؤوها وفعلوها، ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾: أي: ما تثاقلوا عن الإجابة إلا وقتًا قليلًا، وهذا وصفٌ لهم بضعف النية فيما يُظهرونه من الإسلام، وانحلالِ عقائدهم في الإيمان. وقيل: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾؛ أي: لو عادوا إلى الكفر لم يلبثوا بالمدينة إلا قليلًا حتى يعاجلهم اللَّه تعالى بعذابه فيهلكوا[١].

(١٥-١٦) - ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾: أي: مسؤولًا عنه؛ أي: فنقضوا عهدهم واللَّه يسألهم عن ذلك. ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ

(١) السبعة (١/ ٥٢٠)، والتيسير (١/ ١٧٨)، والكشف والبيان (٨/ ١٩)، والبسيط (١٨/ ٢٠٠)، والتيسير في التفسير (١٢/ ١٥٢).

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي: إن كان حضر أجلُكم فلن ينفعكم الفِرار، وإن كان لم يحضر وفَرَرْتُم لم تمتَّعوا في الدنيا إلا قليلًا، وهو مدة أعمارِكم، وذلك قليلٌ لأنه ينقضي عن قريب؛ أي: فصبرُكم مع رسول اللَّه ﷺ في مجاهدة الكفار خيرٌ لكم من الفرار على كل حال(١).

(١٧) - ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: أي: يمنعكم مما يريد اللَّه إنزالَه بكم. ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾: أي: في أنفسكم من قتلٍ أو غيره من مكروه. ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾: أي: إطالةَ عمرٍ في عافيةٍ وسلامة؛ أي: هل هذا كلُّه إلا من اللَّه تعالى؟ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: أي: ولا ينال هؤلاء القوم من غير اللَّه مَن يتولى حفظهم، ولا مَن ينصرهم على مَن يريد إيقاعَ مكروهٍ بهم. وقيل: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾؛ أي: هزيمةً ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾؛ أي: ظهورًا على الأعداء.

(١٨) - ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾: أي: المثبِّطين المثقِّلين الناسَ عن شهود الحرب، وأصل التعويق: المنعُ، وهم طائفة من المنافقين. ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾: أي: طائفةٍ أخرى منهم. وقيل: هؤلاء اليهود يقولون لإخوانهم؛ أي: للَّذين يؤاخونهم على الكفر. ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾؛ أي: أقبِلوا إلينا وصيروا في جملتنا، ودَعُوا عسكرَ محمد ﷺ ولا تشهدوا معه القتال. ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾: الحربَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقولون لإخوانهم: إن أصحاب محمد لا يحضرون الحرب، إلا طائفةٌ قليلة منهم لا يقاومون الأحزاب، فهم مغلوبون فلا تكونوا

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٧٨)، ومعالم التنزيل (٦/ ٣٣٣).

معهم[١].

(١٩) - ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: جمعُ شحيح وهو البخيل أي: بخلاءَ عليكم بالظفَر والغنيمة والخير ومعونةِ الضعفاء. ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: أي: كدوران عينِ الذي يزول عقله عند ظهور سكرات الموت. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ﴾: أي: عصَوكم وآذَوكم بالكلام، ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: أي: ذَرِبةٍ بالقول بعد أن كانت حَصِرةً بالخوف. وقيل: أي: يطعنون فيكم ويغمزونكم بالمعايب كذبًا وزورًا. ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾: قيل: أي: بخلاءَ عليكم بالغنيمة، وقيل: أي: أَشِحَّةً بكلام الخير؛ أي: يُسيؤون القولَ فيكم ولا يُحْسنون. ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾: أي: في الحقيقة، بل بالألسنة ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي: أبطل بإضمارهم الكفرَ ما أظهروه من الأعمال. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: أي: إحباطُ أعمالهم.

(٢٠) - ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾: أي: يظنُّون أن الأحزاب وهم قريشٌ وغطفانُ ومَن معهم ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾؛ أي: لم ينصرفوا مع أنهم انصرفوا، وهو بيان جبن هؤلاء المنافقين. ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾: أي: ولو رجع الأحزاب إلى المدينة بعد أن انصرفوا إلى مواضعهم تمنَّى هؤلاء المنافقون -لجُبنهم- لو كانوا في البوادي مع الأعراب وهم سكان البدو؛ ليأمنوا على أنفسهم. ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾: أي: يودُّون لو أنهم في البدو ويسألون هناك عن أخباركم مَن أتاهم من المدينة؛ أي: تمنَّوا أن يكونوا ببُعدٍ منكم لا يعلمون

(١) جامع البيان (١٩/ ٥٠).

بحالكم إلا بالسؤال عنها من القادمين من جهتكم جُبنًا منهم. ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾: أي: لو كان هؤلاء السائلون في عسكركم ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ورياءً وسمعةً لا نفعَ لكم فيه.

(٢١) - ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: أي: لقد كان لكم قدوةٌ برسول الله حين خرج لحرب هؤلاء وبذَل نفسه لنصر دين الله، مع ما قاساه من البلايا من البرد والجوع وحفر الخندق وغيرِ ذلك، فكان ينبغي لهؤلاء أن لا يخالِفوه ولا يتخلَّفوا عنه. ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: أي: يأمل ثوابَ الله ويخافُ عقاب الله، والرجاء اسم لهما جميعًا. ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾: بالتعظيم له في كل الأحوال، فهذا هو الذي يرغب في اتِّباع رسول الله ﷺ.

(٢٢) - ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: أي: أخبَر الله أنه يكون بلاءٌ وشدة في آيات ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ [البقرة: ٢١٤] ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ [العنكبوت: ١ - ٢] الآيات ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٩]، ونحوها. ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: ظهَر صدقُها. ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ما رأوا ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ وتصديقًا ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ وتفويضًا، وقالوا: ظهر صدق وعد الله في إصابة البلاء، فكذلك يظهر صدق وعده في النصر والفرج.

(٢٣) - ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن جماعة من الصحابة لمَّا سمعوا رسول الله ﷺ يصف شهداء

بدر ودرجاتهم في الجنة وثوابَهم عند اللَّه تعالى، قالوا: لئن أرانا اللَّه مثلَ ذلك اليوم فعلنا وفعلنا، فلما ابتُلوا بيوم أحد صاروا فرقًا، فمنهم مَن استُشهد مثلَ حمزةَ ومصعبِ بن عميرٍ ودونهما، ومنهم مَن جُرح، ومنهم مَن انهزم، فوصف اللَّه الذين ثبتوا في الحرب فقال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾: أي: نذره، وقيل: أجَله وقيل: الموت ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ يعني الوفاء بالعهد ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ أي: ما نقضوا العهد بخلاف حال المنافقين (١).

(٢٤) - ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾: هم الذين صدَقوا ما عاهدوا اللَّه عليه وهو متصلٌ بما قبله، قالوا: هذا ما وعدَنا اللَّه ورسوله أنه يمتحنُنا بالشدائد من الكفار ويتعبَّدنا بمجاهدتهم؛ ليتميَّز بذلك الصادقُ من الكاذب، فيجزيَ اللَّه الصادقين بصدقهم ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ﴾: وهو إذا مات المنافق على نفاقه ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: يقبلَ توبةَ مَن تاب منهم وأخلص ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لمن تاب وإليه أناب.

(٢٥) - ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾: أي مع غيظهم لم يَشْفوه؛ أي: صرفهم عن المدينة وكفَّهم عن النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾: أي: ظَفَرًا. ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾: أي: لم يُحْوِجهم في ردِّهم عنهم إلى قتال، بل دفعهم عنهم بالريح فلم يستطع أحد منهم أن يُلجم دابته، وجالت

(١) جامع البيان (١٩/ ٦٤ - ٦٥)، وتفسير مقاتل (٣/ ٤٨٤)، البسيط (١٨/ ١٩)، وتفسير الجلالين(١/٥٥٣).

خيلهم في عسكرهم وتقطَّعت أطنابهم فانهزموا سريعًا عاجلًا. ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾: قادرًا منيعًا.

(٢٦) - ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: أي: عاونوا المشركين وهم يهود بني قريظة ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾؛ أي: حصونهم، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: أي: ألقى فيها الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وهم البالغون ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ وهم الصبيان والنساء.

(٢٧) - ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾: أي: جعلها لكم بعدهم. ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا﴾: أي: لم تصيروا إليها بعدُ قاصدين قتال أهلها واستيلاءكم على أموالهم فيها، وهذا وعدٌ لهم بإحرازِ أرض لم يصلوا إليها بعد. قيل: هي أرض فارس والروم، . وقيل: هي مكة. وقيل: هي خيبر. وقيل: هي فدكُ وخيبرُ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾: أي: لم يزل الله قادرًا على استئصال الكفار -وإن كان لا يعاجل بالعقوبة- وعلى كل شيء.

(٢٨) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ وهن تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده، ونزلت الآية في غيرة غارتها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقيل: إن بعض نسائه استزادَتْه في النفقة، ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾؛ أي: إن كنتن تُرِدْن نكاحَ مَن يمتِّعُكُنَّ بدنياه وزينتِها من الأموال حتى تتوسَّعْنَ في النفقة والكسوة حتى تنفردَ كلُّ واحدةٍ منكن بزوجٍ لا يتزوَّج معها غيرَها فتزولَ الغيرة عنها ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾؛ أي: فجئن ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾؛ أي: أُعطِكُنَّ المتعةَ بالمعروف ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾؛ أي: أطلقكن طلاقًا حسنًا لا ضرارَ فيه في وقت السُّنَّة.

(٢٩) - ﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يعني رضا اللَّه ورضا رسوله ﴿وَالدَّارَ الْآخِرَةَ﴾؛ أي: ثواب الآخرة دون زينةِ الدنيا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ أي: تنلنَ بالدوام على نكاحي رضا اللَّهِ ورضاي وثوابَ الآخرة دون زينة الدنيا، فإذا أحسَنْتُنَّ العمل فاثْبُتْنَ على نكاحي أَثْبُتْ عليه[١].

(٣٠) - ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾: أي: زنًا ظاهرٍ ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: مثلين كل واحد منهما ضعفُ الآخر؛ لأن ضعف الشيء مثله، وهذا لشرفهن وقَدْرهن بصحبة النبيِّ ﷺ، فتَفْحُشُ جنايتُهنَّ وتُغلَّظ عقوبتُهن، وكذلك طاعتُهن وثوابهن. وقيل: هذا العذاب المضعَّف في الآخرة كالثواب المضاعف. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: أي: وكان تضعيف العذاب لهن على اللَّه هينًا غيرَ متعذِّر.

(٣١) - ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي: ومَن يدم منكنَّ على طاعة اللَّه وطاعة رسوله، والقنوت: الدوام على العمل للَّه تعالى. ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أَيْ مِثْلَيْ ثَوَاب غَيْرهنَّ مِنْ النِّسَاء. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾: أي: وهيَّأنا لها في الجنة رزقًا حسنًا خطيرًا.

(٣٢) - ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾: بل لكُنَّ فضيلةٌ على كلِّ النساء بأنَّكن زوجات رسول اللَّه ﷺ في الدنيا والآخرة، ومشاهِداتٌ أفعالَ النبيِّ ﷺ وأقوالَه وأحواله بالليل والنهار. ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾: هذه الفضيلةُ لكنَّ إذا اتقيتنَّ

---

(١) المحرر الوجيز (٤/ ٣٨٢)، ومجاز القرآن" (٢/ ١٣٦ - ١٣٧)، التيسير في التفسير (١٢/١٦٨).

المعاصيَ ومخالفةَ اللَّه ورسوله والرغبةَ في الدنيا وزينتها. ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: فلا تَلِنَّ بالكلام إن كلَّمْتُن الرجال من وراء حجابٍ كما يكلِّم الإنسان مَن يخضع له بالطاعة وينقادُ له فيما يريد. ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: جوابُ النهي بالفاء فنُصب؛ أي: فيطمع فيكنَّ مَن ﴿فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾؛ أي: نفاق، وقيل: فجور. والمرض المطلق ضَعْفٌ في البدن، وهذا ضعفٌ في الدِّيانة أو الاعتقاد أو الصلاح. ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: يرضاه الشرع بأنْ يكون كلامًا يُعرف أنه كلامُ العفائف الصالحات الصائنات. ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾: أي: الْزَمْنَ بيوتَكُنَّ فذلك أَستَرُ لكنَّ وأحرى أنْ لا يراكُنَّ أجنبيٌّ يكلِّمكنَّ. ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾: وهو التبختُر إذا خرجت من بيتها. وقيل: هو التزيُّن والتكشُّف، وأصل الكلمة: السعةُ والظهور، ومنه: البُرج، وهو القصر، والبَرَج في العين وهو سَعَة الحدقة. والجاهلية الأولى: المتقدِّمة على الإسلام. وقيل: إن اللَّه تعالى كان أعلمَ نبيَّه انفتاحَ بلدان الأمم على أمته واتِّساعَ أصحابه ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾: فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿وَآتِينَ الزَّكَاةَ﴾: فإنها مواساةُ أهل الجنة ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في كلِّ أمرٍ ونهي. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾: أي: إنما يريد اللَّه بتنبيهكم يا أهلَ بيت محمدﷺ على مراشدكم بهذه الأوامر أن يُذهب عنكم نجاسةَ الآثام ويطهِّركم عنها فتطهَّروا بها[١].

(٣٤) - ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: أي: القرآن

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٢٥)، وجامع البيان (١٩/ ٩٧)، والتيسير في التفسير (١٢/ ١٧١).

﴿وَالْحِكْمَةِ﴾؛ أي: بيانِ معاني القرآن، وقيل: الحكمةُ: سنةُ الرسول وهي كلامه، والحكمة من الإحكام وهو الإتقان، وسنةُ الرسول أيضًا محكمةٌ واجبة لحفظ كالكتاب. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾: قيل: اللطيف: العالم بغوامض الأشياء، الخبير: العالم بحقائقها؛ أي: هو عالمٌ بأفعالكنَّ وأقوالكنَّ وأحوالكنَّ، ومُجازٍ لَكُنَّ عليها، فاحذَرْنَ مخالفةَ أمره ونهيه ومعصيةَ رسوله. وقيل: ﴿لَطِيفًا﴾؛ أي: بارًّا بكنَّ ﴿خَبِيرًا﴾؛ أي: عالمًا بمواضع الاختيار لكُنَّ، فاشكُرْن إنعامه عليكنَّ.

(٣٥) - ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾: أي: الخاضعين للَّه بالطاعة والخاضعات. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: أي: المصدِّقين للَّه ورسوله والمصدِّقات. ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾: أي: المطيعين للَّه والمطيعات. ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾: أي: في العهود والأقوال والمعاملات. ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾: أي: على الطاعة، وعن المعصية، وفي البلية. ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾: والخشوع: سكونُ الظاهر، وخوفُ الباطن، والتذلُّلُ للَّه. ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾: فرضًا ونفلًا. ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾: فرضًا ونفلًا أيضًا. ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾: أي: فروجهنَّ، واختصر لدلالة صدر الكلام عليه، ومعناه: الحافظين عن الحرام. ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾: أي: اللَّه كثيرًا، وهو بالألسنة والقلوب. ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾: لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعاتهم، هو جواب الابتداء، وعظمُ الأجر بكثرته ودوامه[(١)].

(٣٦) - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ

(١) الكشف والبيان (٨/ ٤٥).

يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾: بيَّن في هذه الآية وجوبَ طاعة اللَّهِ ورسوله، ووعيدَ مَن عصَى اللَّهَ ورسوله. ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾؛ أي: أمَرَ اللَّه ورسوله أمرًا؛ وقوله تعالى: ﴿الْخِيَرَةُ﴾؛ أي: الاختيار بين الفعل والترك، ودلَّ ذلك على أن الأمر للوجوب. ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ أي: بيِّنًا ظاهرًا: فإن كان عصيانَ ردٍّ وامتناع عن القبول فهو ضلال وكفر، وإن كان عصيان فعلٍ مع قبول الأمر والنهي واعتقادِ الوجوب فهو ضلال وخطأ كما في قوله: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥].

(٣٧) - ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أي: اذكر يا محمد إذ كنت ﴿تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ﴾ أنت ﴿عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق، وهو زيد، وكان عبدًا لخديجة فوهبته لرسول اللَّه ﷺ فأعتقه، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾؛ أي: جامِلْها، وبالخلق الحسن عامِلْها، ولا تطلِّقها -وكذا يجب على المتوسِّط بين الزوجين أن يدعوَهما إلى حسن المعاشرة- ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾؛ أي: يا زيد اتَّق اللَّه وراعِ حقوق النكاح ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ يا محمد ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾؛ أي: مُظْهِره؛ أي: ما أَعلمك اللَّه أنك تتزوَّجها إذا طلقها زوجها برضاه واختياره وانقضت عدتُها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾؛ أي: تكره قالةَ الناس أنه تزوج امرأة ابنه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ فتفعلَ ما أباحه لك وأَذِنَ لك فيه. ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾: أي: حاجة وهي كنايةٌ عن تمام الانتفاع بها على قَدْر رغبته فيها ثم مفارقتِها عند كراهة صحبتها. ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾: أي: جعلناها زوجة لك، ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾: أي: ضِيقٌ ﴿فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾؛ أي: في نكاح زوجات

الذين تبنَّوهم ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾؛ أي: استوفوا منهن حاجتَهم وفارقوهن وانقضت عِدَّتُهن ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾؛ أي: وكان ما أمر الله به مما يجب أن يفعل (١).

(٣٨) - ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾: أي: لا إثم ولا ضيق على رسول الله ﷺ في النكاح الذي أحلَّه الله له وأمره به، وهو نكاح زينب، ﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾؛ أي: قدَّر له من عدد النساء، والفَرْض: التقدير. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: هو كما سنَّ الله في الأنبياء الذين مضَوا من قَبله في زوال الحرج عنهم وعن أممهم فيما أباحه لهم، وأنهم لا ينبغي لهم أن يستَحْيوا من الناس فيما أباح الله لهم من الملاذِّ. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾: أي: وكان ما أمر الله به قضاءً مقدَّرًا لا بد من كونه.

(٣٩) - ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ أي: الذين كانوا يبلِّغون رسالات الله؛ كقوله ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ أي: ما كانوا يتلونه. ﴿وَيَخْشَوْنَهُ﴾: أي: في أمر الدِّين ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾؛ أي: سوى الله، فكن أنت يا محمد كذلك. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: أي: حافظًا لأعمال خلقه، محاسبًا لهم عليها ومجازيًا بها، فهو الأحقُّ بأنْ يُخشى دون خلقه، وقد تكلم الناس في الآية بوجوهٍ وهذا أقومُها وأسلمها.

(٤٠) - ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾: أي: أبًا بالنسب لأحد من الرجال البالغين. ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾: يعمل بأمره. ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾:

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ١٨٠).

أي: هو آخِر النبيين، وشريعتُه ناسخةٌ لشرائع المرسلين، فتمسَّكوا بها ولا تعترِضوا عليه في شيء منها. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾: من مصالح العباد وكلِّ شيء.

(٤١ -٤٢) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾: شكرًا له على النعم التي مرت وغيرها، والكثير: الذي لا ينقطع، وقيل: الكثير: ما كان عن إخلاص فيقبَل ويَكثُر ثوابه، فأما ما لا إخلاصَ فيه فقد قال اللَّه تعالى في حقه: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾: أي: ونزِّهوه، وقيل: صلُّوا له بالغداة والعشيِّ. ﴿بُكْرَةً﴾ يعني: الفجرَ والظهرَ والعصر ﴿وَأَصِيلًا﴾؛ أي: المغرب والعشاء(١).

(٤٣) - ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾: أي: يرحمكم ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾؛ أي: ويأمر ملائكتَه بالاستغفار لكم والدعاء. ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾: أي: ليديمكم خارجين ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾؛ أي: من الضلالات ﴿إِلَى النُّورِ﴾؛ أي: الهدى. وقيل: أي: من الجهالات إلى العلم. وقيل: ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾؛ أي: ليهديَكم إلى الجنة وينجيَكم من النار. ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾: يرحمهم فلا يعذِّبهم إذا أطاعوه وأطاعوا رسوله(٢).

(٤٤ - ٤٦) - ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾: أي: يوم يرونه ﴿سَلَامٌ﴾؛ أي: يسلِّم بعضهم على بعضٍ، ويقول: أمنٌ لنا ولكم من عذاب اللَّه أبدًا. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: أي: ثوابًا خطيرًا عظيمًا. ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾؛ أي: على

---

(١) تأويلات أهل السنة (٨/ ٣٩٦)، والبسيط (١٨/ ٢٦٣).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٣٨)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٤٥).

الأمة، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أهلَ طاعتنا ﴿وَنَذِيرًا﴾: ومخوِّفًا أهل مخالَفتنا. ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾: كما قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿بِإِذْنِهِ﴾؛ أي: بأمره. وقيل: بعلمه. ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾: أي: مصباحًا مضيئًا من ظُلَم الضلالة إلى نور الهداية.

(٤٧ -٤٨) - ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾: أي: ثوابًا يُفْضل به عليهم عظيمًا، وهو الملكُ الكبير والنعيم الكثير. ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾؛ أي: لا تؤذِهم مكافأةً لهم. وقيل: أي: اجعل إيذاءهم إياك في جانبٍ كأنه لم يكن، ولا تفكر فيه فنحن مكافئون كافُون. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: كافيًا وناصرًا وحافظًا ودافعًا.

(٤٩) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: قيل: أي: قبل أن تجامعوهن، ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾: قيل: أي: تعدُّونها، وقيل: أي: تستوفونها. ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: المتعةُ الواجبة إن كان المهرُ غيرَ مسمًّى، فإنْ سُمي فالواجب نصفُ المسمَّى والمتعة مستحبة. ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: أي: لا تمسكوهن ضرارًا، وقيل: هو أن يرجعها إلى بيتها من غيرِ منع حقٍّ أو أذًى.

(٥٠) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾: أي: زوجاتِكَ ﴿اللَّاتِي آتَيْتَ﴾؛ أي: قبلتَ، ﴿أُجُورَهُنَّ﴾: أي: مهورَهن. ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: أي: وأحللنا لك ما ملكتَه مِلْكَ يمين؛ قيل: هي ماريةُ القِبْطية أمُّ إبراهيم. ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾: أي: أَغْنمكَ من غنائم المشركين، أُحل لك أن تضمَّها إلى نفسك

بالمِلك دون النكاح. وقيل: أي: صفيةُ بنتُ حيي، وجُوَيرِيَة بنت الحارث هما ممَّا أفاءَ اللَّهُ عليه أعتقهما وتزوجها. ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾: من بنات العباس وغيرهن من أولاد عبد المطلب ﴿وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ﴾ من ولد بنات عبد المطلب ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾ من أولاد عبد منافٍ بن زهرة.

﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: أي: وأحلَلْنا لك تزوُّجَ بَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ من مكة إلى المدينة، فإن لم تهاجر لم يحلَّ لك نكاحها. ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾: أي: مصدِّقةً بتوحيد اللَّه، وهي أمُّ شَرِيكٍ بنتُ جابر العامريِّ، وكانت تسمى: أمَّ المساكين. وقيل: هي زينب بنت خُزيمة. ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾: أي: ملَّكت نفسها رسولَ اللَّه ﷺ بالنكاح بلفظ الهبة من غيرِ مهرٍ، وفقهاء الكوفة يجيزون النكاح بلفظ الهبة، ويجعلون خصوصية النبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في ترك المهر. ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾: أي: أحبَّ أن ينكحها؛ ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ومعناه: أنها خالصة للنبي ﷺ من غير مهر، وغيرُ النبيِّ ليس له ذلك، بل يجب المهر وإن لم يسمِّه أو نفاه. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾: أي: ما أوجبنا من المهور ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: فإنه لا يكون إلا بعِوَضٍ، وأطلقنا لك الاصطفاء من الغنيمة ما شئت. ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: أي: ضِيقٌ، فيكون ما تتوسَّع به من الملاذِّ المباحة عونًا لك على القيام بما أُمرتَ به. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: بعباده[١].

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ٥٤)، والنكت والعيون (٤/ ٤٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٨٢)، وجامع البيان (١٩/ ١٣٤).

(٥١) - ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾: أي: أبحتُ لك أن تؤخِّرَ من نسائك مَن تشاء عن نفسك فلا تَقْسِمَ لها. ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾: أي: تضمُّ إلى فراشك مَن تشاء منهن. ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: أي: ومَن دعوتَ إلى فراشك وطلبتَ صُحبتَها ممن عزلْتَ عن نفسك بالإرجاء ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: فلا ضِيقَ عليك في ذلك؛ أي: ليس إذا عزلتها لم يجز لك ردها إلى نفسك. ﴿ذَلِكَ﴾: أي: ذلك الإعادة ﴿أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾؛ أي: يرضينَ كلُّهنَّ بما آتيتَهن، رفْعُه بفعلِ الرضا؛ أي: هذا أقربُ إلى أن يعود سرورُهن وانتفاء الحزن عنهن ورضاهن إذا علمن أنك فعلتَ ذلك كلَّه بأمر اللَّه، وأن لهنَّ الثوابَ إذا رضينَ بذلك، وأن لكلِّ واحدة منهن الرجاءَ في الابتغاء بعد العزل. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: أيها العِبَاد من الرجال والنساء، من محبة البعض لبعض ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمصالح عباده ﴿حَلِيمًا﴾ لا يعاجلهم بالعقوبة على مخالفته.

(٥٢) - ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: إن اللَّه تعالى لمَّا أمر رسوله بتخيير نسائه، فخيَّرهن فاخترنه، شكر اللَّه تعالى لهن ذلك فعظَّم حقَّهن بأنْ جعلهنَّ أمهاتِ المؤمنين، ومنع رسوله من أن يتزوج عليهن غيرهنَّ أو يتبدل بهنَّ سواهنَّ وإن وقع بقلبه حُسنُ غيرهن، وقصَره عليهن، وصرَف توسِعتَه في الملاذِّ بعدهنَّ إلى مِلكِ اليمين فقط. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾: أي: حافظًا لا يغيب عنه علمُ شيء؛ أي: فانْتَهِ يا محمد ﷺ إلى ما حدَّدْتُه إليك في نسائك ومِلك يمينك.

(٥٣) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾؛ أي: مَنازلَه التي فيها نساؤه ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾؛ أي: إلا أن تُدْعَوا إلى طعام يريد أن يطعمَكُموه رسولُ اللَّه ﷺ لوليمةٍ أو نحوها ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾؛ أي: فتدخلونه غيرَ منتظِرين إدراكه. ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾: أي: تفرَّقوا. ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: أي: غيرَ مشتغلِين بعد الفراغ من الطعام بالحديث تستأنسون به. ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾: أي: يَشُقُّ عليه بتضييقكم المنزلَ عليه وعلى أهله، ومَنْعِكم إياه عن أهله ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾؛ أي: يترك إعلامكم بذلك وأمرَكم بالانتشار. ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾: أي: لا يترك بيانَ الحق. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾: أي: سألتُم أزواج النبيِّ، ولم يسبق ذكرهنَّ صريحًا، لكنْ ثبت ذلك دلالةَ قوله تعالى: ﴿بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ لأن فيها نساءه. ﴿مَتَاعًا﴾: أي: شيئًا من الأمتعة بالاستعارة ونحوها. وقيل: أي: سألتم منهنَّ شيئًا تنتفعون به في الدِّين من رواية الحديث ونحوِه. ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: أي: بينكم وبينهن سترًا. ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾: أي: أبعد من خواطر الشيطان وعوارض الفتن التي تدعو إليها الطباع من ميل النساء إلى الرجال والرجال إلى النساء. ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾: أي: بما مر، وقيل: بأيِّ أذًى كان. ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾: أي: لا يجوز بعد وفاته، ولا يجوز بعد فراقه في حياته بطلاقٍ أو نحوه، و﴿كَانَ﴾ أي: كان ذلك في حكم اللَّه الذي لا يتغيَّر ولا يتبدل. ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾: أي: عظيم الإثم، وقيل: أي: منكرًا في العقل والشرع.

(٥٤ -٥٥) - ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا﴾: أي من أذى الرسول ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في أنفسكم من ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيجازيكم به. ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ﴾: لمَّا أمرهن بالاحتجاب استثنى مَن يجوز لهن أن لا يحتجبن منهم من آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن، وأبناء أخواتهن؛ لأنهن محارم لهن. ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾: هن نساء المؤمنات. ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: هن إماؤهن، ولا يدخل في ذلك عبيدُهن عند عامة العلماء، وهم كالأجانب. ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾: خطاب لنساء النبي ﷺ وأمرٌ لهن بالتقوى. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾: أي: شاهدًا عليه عالمًا به مُجازيًا على وَفْقه[١].

(٥٦) - ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾: وهذا تعريف للمؤمنين منزلةَ النبي ﷺ، والصلاة من الله تعالى: الرحمة والمغفرة والرضوان، ومن الملائكة: الدعاء له. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾: أي: قولوا: صلى الله على محمدﷺ، أو: اللَّهمَّ صلِّ على محمدﷺ ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: أي: حيُّوه تحيةً؛ أي: قولوا: اللَّهم سلِّم على محمدﷺ.

(٥٧) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهم الكفار يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله؛ ولأن عصيان الرسول عصيانُ الله، فكان إيذاؤه كذلك إيذاءه. ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: أي: أبعدهم الله عن رحمته وطردهم في الدارين؛ لأن إيذاءه كفر ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ في الآخرة

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٤٠)، والدر المنثور (٦/ ٦٤٣). وتفسير الجلالين(١/٥٥٩).

مُذلًّا مخزيًا.

(٥٨) - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: وهم رجال أمته ونساؤهم ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾: فعلوا ما يستحقُّون به الإيذاء بالحد والتعزير والإسماع ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾؛ أي: كذبًا مفترًى وهذا في الإيذاء بالقول ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ظاهرًا مظهِرًا من نفسه أنه إثم(١).

(٥٩) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: قيل: أي: زوجات المؤمنين، وقيل: أي: الحرائر. ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾: أي: يغطِّين رؤوسَهن ووجوهَهن في بروزهن من البيوت في حوائجهن وإلى متبرَّزاتهن قبل اتخاذ الكُنُف في البيوت ليلًا ونهارًا بملاحفهنَّ وأردِيَتهنَّ، والجلبابُ ثوب أوسعُ من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾: أي: يريهنَّ أنهنَّ حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾؛ أي: ولا يؤذيَهنَّ أهل الريبة توهُّمًا منهم أنهن إماءٌ، فإنهم كانوا يَتْبعون الإماءَ وكان زيُّ الأمة والحرة في الأصل واحدًا وهو قميص وخمار، وربما آذى الرجل منهم الحرة بالرفث من الكلام، فأمر الله بهذا ليزول ذلك عنهنَّ، وكنَّ عاجزاتٍ عن الزَّجر والإماءُ كنَّ يزجرن بالكلام.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: ﴿غَفُورًا﴾ لِمَا سلف قبل هذا من تركِ إدناءِ الجلابيب ﴿رَحِيمًا﴾ لا يؤاخذُهم بما ارتكبوه على جهلٍ، ﴿رَحِيمًا﴾ بدلالتهم على ما يزول به الأذى عنهم(٢).

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ٦٣)، ومعالم التنزيل (٦/ ٣٧٥).

(٢) العين (٦/ ١٣٢)، وتفسير مقاتل (٣/ ٥٠٦)، ومعالم التنزيل (٦/ ٣٧٦).

(٦٠) - ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: أي: لئن لم يكفَّ عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات هؤلاء ثلاثةُ الأصناف: ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ وهم الذين يُضمرون الكفر اعتقادًا ويظهرون الإيمان قولًا. ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ أي: شكٌّ فلا يعتقدون أحد الدِّينين. ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ المسلمون الذين يحرِّكون القلوب بإيقاع الأخبار الكاذبة. ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: أي: لنسلِّطنَّك عليهم ولنأمرنَّك بقتالهم، ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي: في المدينة إلا زمانًا قليلًا، بل يُضطرُّون إلى الجلاء عنها إلى أرض أخرى. وقيل: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: أذلَّاء مقهورين مقموعين، فإن القِلة توضعُ مكان الذِّلة، ويكون نعتًا لهم على هذا القول.

(٦١-٦٢) - ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ أي: مشتومين مُبْعدين عنكم وعن مجالسكم ومساجدكم. ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾: أي: وُجدوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾: هذا حكمُهم إذا ظهر حالهم. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾: أي: سنَّ اللَّه هذا سنةً في المنافقين الذين كانوا في سائر الأمم؛ أنهم كانوا إذا كاشفوا سلَّطتُ عليهم أنبيائي فأَجْلَوهم وأَسَروهم وقتلوهم. ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: أي: لطريقة اللَّه التي أجراها لهم تغييرًا، بل هي تجري مجرًى واحدًا في الأمم كلها[١].

(٦٣) - ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾: قالوا: متى الآخرة؟ وكان ذلك كالإنكار منهم، فأجاب الكفارَ وهم أهل مكة عن هذا السؤال بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾: هو الذي يعلمُها لا أنا. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ

---

(١) جامع البيان (١١/ ٦٤٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٠).

﴿قَرِيبًا﴾: أي: وما يُعْلِمُك لعل ما يُنتظر منها قريبٌ، ﴿قَرِيبًا﴾ أي: زمانًا قريبًا؛ أو: في زمان قريب.

(٦٤ - ٦٦) - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾: أي: أبعدهم عن رحمته في هذا اليوم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾؛ أي: هيأ لهم نارًا موقودةً ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾؛ أي: في هذه النار ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: مَن يلي دفعَها عنهم ويمنعُهم من العذاب بها. ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾: أي: تُصرَّف حالًا بعد حال، ولونًا بعد لون، بما يمسُّهم من لفحها واشتعالها فيها، فتسودُّ تارةً وتخضرُّ أخرى. ﴿يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾: وهذا إخبارٌ أنهم إنما وقعوا في ذلك لكفرهم بالله ورسوله.

(٦٧ - ٦٨) - ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ أي: الأتباع منهم، والسادة: جمع السيد، وهو الذي يملك تدبير السواد الأعظم، والكبراء: الرؤساء العظماء، ويجوز أن يكون الكبراء علماءَهم. ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾: أي: عذابَ الضلال والإضلال. ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾: بالباء من الكِبَر وهو العِظَم، وبالثاء من الكثرة، وهما قريبان لأن ما كثُر عظم[(١)].

(٦٩) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾: أي: لا تؤذوا النبيَّ ﷺ ولا المؤمنين، ولا تكونوا في ذلك كالذين آذوا موسى، وهم بنو اسرائيل، فقالوا فيه ما لم يكن فيه. ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾: أي: أظهر براءته. ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾: أي: ذا جاهٍ ومنزلة.

---

(١) السبعة (١/ ٥٢٣)، والتيسير (١/ ١٧٩).

(٧٠) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾: أمر رسوله بتقواه في أول السورة وأمر أمته بها في آخرها. وقيل: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في إيذاء اللَّه ورسوله والمؤمنين. ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: صوابًا، فاذكروا المؤمنين والمؤمنات بالجميل.

(٧١) - ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾: أي: يوفِّقْكم لصالح الأعمال. وقيل: أي: يثبكم عليها ثوابًا جزيلًا لا فساد فيه ولا ضرر ولا أذى. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: أي: يمحُها ويكفِّرْها. ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: أي: نجا من كلِّ ما يخاف، ووصل إلى كلِّ ما يرجو.

(٧٢) - ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾: ضمَّن هذه السورة ما ضمَّنها من الأمر والنهي، ثم ختم السورة بتعريفِ أمر الفرائض والأمانات ليكونوا على علم فيَستفرِغوا مجهودهم في القيام بها ويخافوا تضييعها، واختلف في تأويل الأمانة: فقيل: الأمانة: الطاعة للَّه، وقيل: الأمانة: الدِّين والفرائض والحدود، ﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيهما فهما ونطقًا. ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ أي: خفن. ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾أي: ظلومًا بحقِّها جهولًا بأخذها وقيل: ﴿ظَلُومًا﴾ حين خالف أمر ربه ﴿جَهُولًا﴾ لا يدري ما العقابُ في تركها[(١)].

(٧٣) - ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾

---

(١) جامع البيان (١٩/ ١٩٩)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٢١٦)، وتفسير الجلالين (٥٦١/١).

أي: أن اللَّه ألزم الأمانةَ الإنسَ فلم يقبلها المنافقون والمنافقات والكفار فيعذبهم اللَّه، وقبلها المؤمنون ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ويغفر لهم ما سلف منهم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: يغفر ذنوب التائبين، ويرحم عباده المؤمنين [١].

(انتهى تفسير سورة الاحزاب).

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٢١٩).

(٣٤) سورة سبأ مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه سورة مكيةٌ، وهذا اسمها الذي اشتهرت به في كتب السنة وكتب التفسير وبين القراء، ووجه تسميتها به أنها ذكرت فيها قصة أهل سبأ، وهي السورة الثامنة والخمسون في عداد السور، نزلت بعد سورة لقمان وقبل سورة الزمر، وهي خمسون آيةً وخمس آيات، وقيل: وأربع آيات، وكلماتُها ثماني مئة وثلاثٌ وثمانون، وحروفُها ثلاثةُ آلاف وخمسُ مئة وخمسةَ عشر.

أغراض هذه السورة:

من أغراض هذه السورة إبطال قواعد الشرك وأعظمها إشراكهم آلهة مع الله وإنكار البعث فابتدئ بدليل على انفراده تعالى بالإلهية ونفي الإلهية عن أصنامهم ونفي أن تكون الأصنام شفعاء لعبادها، ثم موضوع البعث، وإثبات إحاطة علم الله بما في السماوات وما في الأرض فما يخبر به فهو واقع ومن ذلك إثبات البعث والجزاء.، وإثبات صدق النبي فيما أخبر به، وصدق ما جاء به القرآن وأن القرآن شهد به علماء أهل الكتاب، وتخلل ذلك بضروب من تهديد المشركين وموعظتهم بما حل ببعض الأمم المشركين من قبل. وعرض بأن جعلهم لله شركاء كفران لنعمة الخالق فضرب لهما لمثل بمن شكروا نعمة الله واتقوه فأوتوا خير الدنيا والآخرة وسخرت لهم الخيرات مثل داود وسليمان-عليهما السلام-، وبمن كفروا بالله فسلطت عليه الأرزاء في الدنيا وأعد لهم العذاب في الآخرة مثل سبأ، وحذروا من

الشيطان، وذكروا بأن ما هم فيه من قرة العين يقربهم إلى الله، وأنذروا بما سيلقون يوم الجزاء من خزي وتكذيب وندامة وعدم النصير وخلود في العذاب، وبُشِّر المؤمنون بالنعيم المقيم[١]، وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أن تلك السورة في مدح اللَّه وهذه في حمد اللَّه، وانتظام السورتين: أن تلك مدنية في بيان المعاملة، وهذه مكية في بيان العقيدة، وبهما تعبَّد اللَّه عباده، واشتملت السورتان على مدح الموافقين وثوابهم وذمِّ المخالفين وعقابهم.

(١) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ افتتحت السورة بالحمد لله للتنبيه على أن السورة تتضمن من دلائل تفرده بالإلهية واتصافه بصفات العظمة ما يقتضي إنشاء الحمد له والإخبار باختصاصه به، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾: أي: هو المحمود في الآخرة، وهو المستحِقُّ للحمد فيها لا ملك إلا له ولا مالك إلا هو، وهو المنعِم على المطيعين بالجنة وما فيها من النعيم المقيم والأجر العظيم، وهم يحمدونه فيها، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: المحكِم لأفعاله، المصيبُ في أفعاله وأقواله ﴿الْخَبِيرُ﴾: العالم بالأشياء على حقائقها.

(٢) - ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾: ما يدخل فيها في جوفها من جمادٍ ونامٍ وحيوان. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: ما يكون على ظهرها من هذا، فيعلم أعيانها ومقاديرها وأحوالها ومدةَ بقائها ووقت فنائها. ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من مطر وملَكٍ وغيرِ ذلك. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: أي: يصعد إليها من الملائكة الحفظة وما يكتبون. ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾: لا يعاجل مَن عصاه بالعقوبة، ويغفر لهم بالتوبة،

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢/١٣٥).

وهو المستحِقُّ للحمد بذلك.

(٣) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: وقال المنكِرون للبعث، الواصفون اللَّهَ تعالى بضدِّ ما مر ذكرُه من القدرة والحكمة والعلم: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ وإنكارهم لذلك: إما أن يكون لأنه ليس في قدرة اللَّه تعالى عندهم وقد بيَّن قدرته بخلق السماوات والأرض، أو لأنه ليس بحكمةٍ، وإقامةُ القيامة لمجازاةِ المطيع والعاصي حكمةٌ، أو لأنه لا يعلم بأعمال العباد ليجازَيهم على وَفق عملهم، وقد بيَّن أنه حكيمٌ عليمٌ، فبطل قولهم بما تقدم من عدم إتيانِ الساعة. ثم زاد في البيان فقال: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ نفَى قولهم وأقسم على كونها، وأكد باللام والنون. ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾: بالجر نعتًا لـ ﴿ربي﴾ وبالرفع على معنى: هو عَالِمُ الغَيْبِ، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾: أي: لا يَبعد ولا يغيب، ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾: أي: علمُ مقدارِ نملةٍ صغيرة. وقيل: ما يتراءى من شعاع الشمس إذا وقعت في كوَّة. ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾: أي: من مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴿وَلَا أَكْبَرُ﴾ من ذلك ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ وما يرجع منه إلى أعمال العباد، فهو في كتاب الحفظة(١).

(٤ - ٥) - ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: ليكافئ، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: أي: حسن خطير في الجنة. ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾: أي: في إبطال آياتنا بالافتراء عليها مسابقينَ مقدِّرين أنهم يفوتونا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ بخلافِ جزاء الأوَّلينَ. و﴿معجِّزين﴾ بالتشديد؛ أي:

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٥٦١).

مثبِّطين الناسَ عن تأمُّلها، والرجز: العذاب المؤذي المؤلم.

(٦ - ٧) - ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: أي: ﴿وَيَرَى﴾ بقلبه وهو العلمُ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم أصحاب رسول اللّه، وقيل: مؤمنو أهل الكتاب ﴿الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهو القرآن ﴿هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِى إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: هؤلاء يرون القرآن حقًّا ويعلمونه صدقًا، وأنه يهدي إلى طريق الحق وهو طريق اللّه تعالى ودينُ اللّه ﴿الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يغالب ﴿الْحَمِيدِ﴾ المستحِقِّ للحمد. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: وقال هؤلاء المنكرون للساعة لإخوانهم الموافقين لهم على الإنكار: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ يعنون النبيَّ ﷺ ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾؛ أي: يخبركم أنكم بعد أن تَبْلوا في قبوركم وتتقطَّعَ أجسادكم فيها أو تأكلكم السباع، والمَزْق: الخرق، والتمزيق: التكثير والتكرير منه، ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ تعودون خلقًا جديدًا أحياءً كما كنتم قبل البِلَى والتقطُّع، وهذه لفظةُ تعجيب بصيغة الاستفهام؛ كقولك: هل رأيت مثل هذا؟!

(٨) - ﴿أَفْتَرَى﴾ الافتراء: الاختلاق وإيجاد خبر لا مخبر له، ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾؛ أي: جنون، وهذا قولهم أيضًا، يقولون: لا ندري أنَّ ما يخبر به ويضيفه اللّه تعالى أهو على جهة الافتراء على اللّه تعالى فهو أمر فظيع، أم به جنون فهو يتكلم بما لا يدري؟! فأجابهم اللّه تعالى فقال: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: أي ليس هو مفتريًا على اللّه تعالى ولا به جنون، ولكن المنكرون للبعث ﴿فِى الْعَذَابِ﴾ في الآخرة إذا صاروا إليها ﴿وَ﴾ في ﴿الضلالِ البعيد﴾ عن الحق في الدنيا. وقيل: ﴿فِى الْعَذَابِ﴾؛ أي: في العناء والأذى؛ لِمَا يجتهدون فيه من

إضلالِ الناس وصدِّهم عن الحق مع بطلان سعيهم(١).

(٩) - ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أفلم ينظروا: ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؟ أي: ما فوقهم وما تحتهم ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: قطعًا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: أي: راجعٍ إلى اللَّه مقبلٍ عليه متدبرٍ في آياته، فهو المنتفع بها(٢).

(١٠) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾: ثم بيَّن قصةَ أبٍ وابنٍ كانا منيبين إلى اللَّه، أي: ولقد أعطينا داود النبيَّ منا أمرًا فضَّلناه به على غيره من أهل عصره، وهو ما قال: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾؛ أي: قلنا: يا جبال رجِّعي معه ما يأتي به من ذكرِ اللَّه وتسبيحه. وقيل: أي: سبِّحي معه، وكانت تسبِّح معه. ﴿وَالطَّيْرَ﴾ وكانت الطير تسبِّح معه إذا سبَّح. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾: أي: جعلناه ليِّنًا في يده.

(١١) - ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾: أي: أمرناه أن اعمل سابغات؛ أي: دروعًا تامةً تعمُّ الإنسان ما دون رأسه بالتغطية حتى تقرب من الأرض. ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: أي: في النَّظم والوصل والنَّسج؛ أي: اجعل المسامير على قَدْر الحَلَق لا تغلِّظها فتَخرق ولا تدقِّقها فتَقْلَق. ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾: أي: أنت وأهلك عملًا يوافق أمر اللَّه ويكون طاعةً له، ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: أراه وأعلمه وأقدِر على

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٢٢٧).

(٢) تفسير الجلالين (١/ ٥٦٣).

المجازاة به، وهذا ترغيب وترهيب[١].

(١٢) - ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ أي: وسَخَّرْنا له الرِّيحَ، ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: أي: كانت تغدو به مسيرة شهر وتَروح به مسيرة شهر آخر. ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾: أي: أذَبْنا له عينَ النحاس فأجريناها له حتى سالتْ بإسالتنا كما ألنَّا لداود الحديد دلالةً على نبوَّته. ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: بحضرته وبمرأى عينه باستعماله. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: أي: بأمر اللَّه. ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: كان مع سليمان ملَك بيده سوط من نارٍ، فمَن استعصى عليه من الجنِّ ضربه بذلك السوطِ من حيث لا يراه الجن. وقيل: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة؛ لأنَّهم مكلَّفون كبني آدم[٢].

(١٣) - ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾: أي: المجالسِ الشريفةِ والمنازل الرفيعة. ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾: كانوا يصنعون تماثيل الأنبياء والصالحين ليُقتدَى بهم. ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾: أي: صِحافٍ كبيرةٍ كالحياضِ، والواحدة: جابيَة، ومعناه: جامعةٌ للماء[٣]. ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾: أي: ثابتات غيرِ زائلاتٍ عن وقيل: كان يسعُ في كلِّ قِدْرٍ ألفُ شاة ونحوها، وكانت تُتَّخذ من الجبال لا تحرَّك عن

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٠)، ومجاز القرآن (٢/ ٩٤)، وجامع البيان (١٨/ ٤١)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ١١٥).

(٢) جامع البيان (١٩/ ٢٢٨)، والكشف والبيان (٨/ ٧٣)، والبسيط (١٨/ ٣٣٠)، ومعالم التنزيل (٦/ ٣٨٩)، والنكت والعيون (٤/ ٤٣٧).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٣٥٦)، الوسيط (٣/ ٤٨٩)، والكشاف (٣/ ٥٧٢).

موضعها. ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾: أي: وقلنا لهم: اعْمَلُوا للَّه على الخلوص شكرَ النعمة عليكم ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ أي: مَن يشكر على الأحوال كلها. وقيل: أي: قليل مَن يشكر على الشكر.

(١٤) - ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾: أي: ما دلَّ الجن، وقيل: ما دل آلَ داود، ودابة الأرض: هي الأَرَضة التي تكون في الخشب فتأكلُه. ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾: أي: عصاه، من قولك: نسأتُ البعير وغيرَه: إذا زجَرْتَه ليزداد في سيره. ويقال: نسأ؛ أي: ساق. ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: أي: سقط ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾؛ أي: علمت، وقيل: أي: ظهر حال الجن للإنس. ﴿أَنْ لَوْ كَانُوا﴾: أي: الجن ﴿يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾: ما غاب عن حواسِّهم ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾: في استسخار سليمان في هذه الأعمال[١].

(١٥) - ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾: غيرَ منوَّن لأنها اسم قبيلة أو أرض، وبالخفض منوَّنًا لأنه اسم أبٍ ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾؛ أي: أرضهم وبلدهم، و﴿مساكنهم﴾؛ أي: منازلهم. ﴿آيَةٌ﴾: أي: علامةٌ تدل على أن لهم إلهًا خلقهم وأنعم عليهم؛ لأن ما أعطاهم من أنواع الشجر وألوان الثمر خارجٌ عن وسع البشر. ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾: هي ترجمة قوله ﴿آيَةٌ﴾. كانت سبأُ قريبة من صنعاء، وكانت أخصبَ البلاد وأطيبَها وأكثرَها ثمرًا، حتى كانت المرأة تضع على رأسها مِكْتَلًا فتطوف فيها بين الأشجار وقد امتلأ المكتلُ من ألوان الثمار من غير أن تمسَّ بيدها شيئًا.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٥٢٧)، بحر العلوم (٣/ ٧٨)، والكشف والبيان (٨/ ٧٩)، ومعالم التنزيل (٦/ ٣٩١).

﴿جَنَّتَانِ﴾؛ أي: بساتينُ من جانبٍ وبساتين من جانب. ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ قيل: عن يمين السائر بينهما وعن شماله. وقيل: عن يمين الوادي وعن يساره. وقيل: عن يمين مساكنهم وعن يسارها. ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾: أي: قلنا لهم ذلك، وهو أمرُ إباحةٍ ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾: وهو أمر إيجاب وقيل: كان هذا على ألسنة رسلهم. ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾: أي: لكم بلدةٌ طيِّبةُ الماء والهواء والتربة مستلَذَّةٌ مُخْرِجة للنبات والثمرات، وربٌّ غفورٌ لعباده إذا تابوا وأنابوا إليه وشكروا له، فآمِنوا به واشكروا له وأطيعوه يغفر لكم[1].

(١٦) - ﴿فَأَعْرَضُوا﴾: أي: فتولَّوا عن الواجب عليهم من الشكر وكفروا. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾: السيل: الماءُ الجاري الكثير الذي لا يضبط دفعهُ لعِظَمه. و﴿الْعَرِمِ﴾ قيل: هو المطر الشديد. ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ﴾: تثنيةُ (ذات) لأنه نعت ﴿جَنَّتَيْنِ﴾، والأكُل: الثمر ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ الخمط: كلُّ نبتٍ مرٍّ لا يمكن أكلُه، وقيل: هو كلُّ شجرٍ ذي شوكٍ. الأثل: الخشب[2]. وقيل: السَّمُر - وهو شجرة الطلح صغير الورق قصير الشوك، وخشبه جيد للسقوف - وقيل: الطَّرْفاء - شجر لا ثمر له وهو نوع من الأثل[3] -، ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾: قيل: السِّدر: شجر النَّبق. أي: بدِّلت لهم جنانًا لا خُضرةَ لها ولا نَضرة إلا شيءٌ قليلٌ لا يُعبأ به ولا يُكتفى به من الخمط والأثل والسِّدر جميعًا، فكان

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٧٦)، وجامع البيان (٨/ ٢٧٥).

(٢) ذكره ابن فورك في تفسيره (٢/ ١٣٨)، والكشف والبيان (٨/ ٨٤).

(٣) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٧/ ١٩٨).

نعتًا للأُكُل وهو من هذه الأشياء الثلاثة(١).

(١٧) - ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾: أي: ما فعلنا بهم من إهلاك جناتهم ومساكنهم جزاءُ كفرهم في الدنيا. ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ أي: لا تكون إزالة النعم إلا جزاءَ الكفور، وهذا في الدنيا والآخرة على اعتبارهما، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[القلم: ٣٣].

(١٨) - ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾: أي: متواصلةً، وهي أن تَظهر الثانية من الأولى لقربها منها، ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾: قيل: أي: للمَقيل والمبيت، وقيل: سوَّينا مسيرةَ ما بين كلِّ قريتين فكانت لا تتفاوت. ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾: أي: قال لهم رسولهم ذلك، أو معناه: كانوا يسيرون كذلك ﴿آمِنِينَ﴾: أي: من الجوع والعطش وتعرُّض الناس.

(١٩) - ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ أي: بَطِروا وأساؤوا السيرة، وجهلوا قَدْر النعمة والعافية، وسألوا اللَّه تعالى أن يبعِّد أسفارهم. ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بخَسوها حظوظَها من النعمة والعافية والدَّعة ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدَّث الناس بعدهم بما جرى عليهم فيتمثَّلون به، ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: أي: فرَّقناهم في البلاد كلَّ مفرَّقٍ. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: أي: لكلِّ مؤمنٍ مستكملِ خصال الإيمان، فإن الشكر والصبر حاصِلُها؛ أي: هو المنتفِع بهذه الآيات بالتأمُّل فيها وإن كانت الآيات للكلِّ على العموم(٢).

---

(١) معاني القرآن (٤/ ٢٤٩)، ومجاز القرآن للزجاج(٢/ ١٤٧).

(٢) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤١٠)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٥٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٥١)، والبسيط (١٨/ ٣٥٢).

(٢٠) - ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾: أي: حقَّق على هؤلاء العصاة الذين أنكروا البعث وأعرضوا عن شكر اللَّه تعالى وكفروا به إبليسُ ما ظنَّه فيهم حيث قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ [الإسراء: ٦٢]، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، وأشباه ذلك.

﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: إن جُعل ﴿مِنَ﴾ للتمييز فمعناه: فاتَّبعوه في الكفر إلا المؤمنين، وإنْ جعل من للتبعيض فمعناه: فاتبعوه في المعاصي إلا فريقًا من جملة المؤمنين لم يتابعوه في معصيته، وهم المخلصون المطيعون(١).

(٢١) - ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: أي: ولايةِ جبرٍ على فعل. وقيل: أي: حجةٍ على ما يدعوهم إليه. ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكنْ؛ أي: ولكنَّا ابتلينا المكلَّفين بوساوسه ليُعلم المؤمن المخلص من الشاكِّ في البعث، ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: عالمٌ به يحفظه على صاحبه ليجازيَه جزاء عمله، وقيل: أي: رقيب.

(٢٢) - ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: قل يا محمد للمشركين: ادعوا هؤلاء الذين اتَّخذتُموهم من دون اللَّه أولياءَ ليُظهروا شيئًا من آثار القدرة كما أظهرتُ، وهذا توبيخٌ لهم وتقريع. و﴿زَعَمْتُمْ﴾ بمعنى: ظنَنْتُم هاهنا، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: الأصنام ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾: أي: نصيبٍ، وقيل: أي: شركةٍ مع اللَّه تعالى. ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ﴾:

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٢٥٠).

وما للّه من الأصنام ﴿مِن ظَهِيرٍ﴾؛ أي: مُعينٍ على خلقِ شيء.

(٢٣) - ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ﴾: أي: عند الله ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ وهو لا يأذنُ في الشفاعة إلا للمؤمنين، ويكون ﴿لَهُ﴾ على هذا التأويل للمشفوع له، ويجوز أن يكون للشافع؛ أي: لا يَشفع إلا مَن أذن اللّه له به، واللّه لا يأذن بالشفاعة للأصنام. ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: أي: أُزيل الفزع عنها، وقد فَزِعَ؛ أي: خاف، وأفزعه غيرُه؛ أي: أخافه، وفزَّعه؛ أي: أزال خوفه؛ حتى إذا كُشف عنها الفزع ﴿قَالُوا﴾ للملائكة الذين فوقهم، وهم المبلِّغون ذلك إليهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾: أي: أَمر به، وهو كلام الخاضع المتذلِّل. ﴿قَالُوا﴾: أي: أولئك الملائكة: ﴿الْحَقَّ﴾؛ أي: قال اللّهُ الحقَّ؛ أي: أَمَر أمرًا حقًّا. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾: أي: المتقدِّس بالجلال، المتفرِّد بالكمال، فلا يأمر إلا بالحق[(١)].

(٢٤) - ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين: ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾: مَن يخلق لكم الأرزاقَ الكائنة في ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الأمطار وما يَصلح بالشمس والقمر والنجوم، وما في الأرض من الماء والنبات، ولا يقدرون أن يضيفوا شيئًا من ذلك إلى آلهتهم، فيسكتوا لانقطاع الحجة. ﴿قُلْ﴾ أنت: ﴿اللَّهُ﴾ يفعل ذلك ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: فإنا لعلى هدًى بالإيمان باللّه تعالى والإخلاصِ له، وأنتم في ضلالٍ مبين بإشراككم به غيرَه.

(٢٥ - ٢٦) - ﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أي:

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٣٣١) معالم التنزيل (٦/ ٣٩٨).

إنما أدعوكم لنَفْعِكم ودفعِ الضرِّ عنكم، لا لنفعنا ودفع الضر عن أنفسنا، فإنكم لا تؤاخَذون بإجرامنا ونحن لا نؤاخَذ بإجرامكم. ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾: أي: في القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: يقضي فيجزي كلَّ فريق على وَفْقِ عمله إنْ خيرًا فخير وإن شرًّا فشر. ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾: أي: القاضي العدلُ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأعمال العباد وبوجوه القضاء.

(٢٧) - ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾: أي: قل يا محمد للمشركين: ﴿أَرُونِيَ﴾؛ أي: عرِّفوني ﴿الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ﴾؛ أي: بالله ﴿شُرَكَاءَ﴾؛ أي: في العبادة، هل لها شركٌ في السماوات والأرض؛ أي: شركةٌ مع الله في الخلق فتستحقَّ العبادة. وقيل: ﴿شُرَكَاءَ﴾؛ أي: في الخَلْق، فيَستقيمَ وصفُها بكونها شريكًا لله أو معبودًا معه؛ أي: وهذا لا يكون. فإذا عجزوا عن ذلك فقل أنت: ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: أي: لا معبودَ إلا الله، وهو الله المعبود المستحِقُّ للعبادة، العزيزُ الذي لا يُرام، والحكيم الذي له تنفيذُ الأحكام، ومنه الإتقان والإحكام، وإراءة الآيات والأعلام.

(٢٨ - ٢٩) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: أي: وما أرسلناك إلا مبشِّرًا ونذيرًا للناس كافةً؛ أي: جميعًا، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: وهم المشركون؛ لأنَّهم أكثر من المؤمنين، ولا يعملون بعلمهم، ولا يتأمَّلون في الآيات ليعلموا[1]. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: وهو شاملٌ لِمَا يقع به التبشيرُ والإنذار ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ذلك.

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٢٥٨).

(٣٠) - ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾: أي: هذا مؤقَّتٌ عند الله بيوم لا يتقدَّمونه بساعةٍ ولا يتأخرون عنه، وهو يوم القيامة.

(٣١) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾: أي: لن نصدِّق به؛ أي: بنزول القرآن على محمد ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: التوراةِ والإنجيل، جحَدوا التوراة والإنجيلَ حين احتج عليهم بقول علماء أهل الكتاب وإخبارهم عن ذكر النبيِّ فيهما، فجحدوا الكتب كلَّها أصلًا سفهًا منهم. ثم بيَّن حالهم ذلك اليومَ فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: أي: محبوسون في موضع الحساب والسؤال ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾؛ أي: يتراجعون الكلام بينهم باللوم واللعن والبراءةِ من بعضهم عن بعضٍ. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: أي: يقول الأتْباع للسادة الذين من صفتهم استضعافُ مَن دونَهم وجرُّهم إلى مرادهم: ﴿لَوْلَا أَنتُمْ﴾: أي: لو لم يكن تسلُّطكم علينا وقهرُكم إيانا واستتباعُكم لنا ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بمحمد متابِعين له.

(٣٢) - ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم﴾: استفهام بمعنى الإنكار، ومعناه: ما منعناكم عن اتِّباع الهدى بعد إذ جاءكم، وما كان لنا ولايةُ القهر لو آمنتم أن نمنعكم ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ ثابتين على الكفر باختياركم.

(٣٣) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: أي: بل كان سببُ كفرنا مكرَكم بنا في الليل والنهار على الدوام، كنتُم

تخادعوننا عن الهدى، وتمكرون بنا أبدًا، وأضاف المكر إلى الليل والنهار لوقوعه منهم فيهما ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾: أي: أشباهًا من الأصنام، فنعبدَها دونه. ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: أي: أضمروها في قلوبهم واستشعروها في قلوبهم. وقيل: أخفوها؛ أي: السادة عن الأتباع. ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: لمَّا رأوا العذاب ولمَّا جعلنا؛ أي: ندموا حين رأوا الأغلال جُعلت في أيدي الكفار إلى أعناقهم، ويحتمل أن يكون عطفًا على قوله: ﴿وَأَسَرُّوا﴾ ﴿وَجَعَلْنَا﴾؛ أي: وجعلنا الأغلال في أعناق المستضعَفين والمستكبرين جميعًا فهم كفار. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: استفهام بمعنى النفي للتقرير؛ أي: لا نجزيهم إلا بأعمالهم [(١)].

(٣٤) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: أي: وما بعثنا قبلك في بلدةٍ من رسولٍ ينذر الناس عاقبةَ الشرك والكفرِ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾؛ أي: منعَّموها، وهم أصحاب الأموال والأعوان مستكبِرين ممتنعين عن زوال رئاستهم. ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾: أي: جاحدون.

(٣٥ -٣٦) - ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾: أي: من الأنبياء، فنحن أكرمُ على الله وأولى بالحق ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؛ أي: ولا يعذِّبنا الله على تكذيب الرسل لأنه فضَّلنا عليهم. ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: أي: يوسِّع على مَن يشاء ويضيِّق على مَن يشاء، لا تفضيلًا لمن يوسِّع عليه لكنْ لِمَا يرى من الحكمة. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يقفون على مواضع الحكمة.

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٥٧)، وجامع البيان (١٦/ ٤٠).

(٣٧) - ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾: أي: قربةً، وقيل: أي: درجةً ومنزلة. ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: أي: لكنْ مَن آمَن وعمل صالحًا فأولئك لهم الزُّلفى. ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾: أي: الأضعاف، والضعفُ هو المثل إلى ما زاد عليه، ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾: أي: بأعمالهم ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾؛ أي: في غرفِ منازل الجنة ﴿آمِنُونَ﴾ من كلِّ مَخوف.

(٣٨) - ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾: أي: في إبطالها وفي صرف الناس عنها ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: ظانِّين أنهم يفوتوننا. ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: أي: في النار، بخلاف الفريق الأول أنهم في غرفات الجنة آمنون.

(٣٩) - ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾: أي: فلا تتَّكلوا على ما أعطاكم من أسباب العزِّ والتوسُّع في الدنيا، ولا تمتنِعوا بها عن طاعة اللَّه، بل أنفقوا في طلب مرضاته. ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾: يعطي خلَفَه في الدنيا مع ما يُثيب عليه في الآخرة. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: أي: المعطِين؛ لأنه قادر على مواصلةِ رزقه وزيادةِ ما شاء لمن شاء فيه بغيرِ حساب.

(٤٠) - ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: أي: الذين سبق ذكرهم: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ [سبأ: ٣١] و﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ [سبأ: ٣٢]، وقيل: يوم يحشر العابدين والمعبودين جميعًا؛ أي: يجمعهم للحساب والعرض. ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ بحضرتهم ﴿لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾؛ أي: أهؤلاء المشركون كانوا يعبدونكم في الدنيا.

(٤١) - ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: أي: ننزِّهكَ تنزيهًا أن يكون معك إلهٌ. ﴿أَنْتَ

﴿وَلِيُّنَا﴾: أي: أنت إلهُنا وحافظُنا ومتولِّي أمورِنا ومصالحنا، وأنت الذي نتولَّاك ونلتمسُ قُربك بإخلاص العبادة لك. ﴿مِن دُونِهِمْ﴾؛ أي: من دون هؤلاء المشركين الذين يزعمون أنهم يتولَّوننا ونتولَّاهم، بل أنت وليُّنا وحدك وهم ليسوا لنا بأولياء ولا نحن لهم أولياء. ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾: أي: بل كانوا يتولَّون الجنَّ ويظنُّون أنهم يتولَّوننا، ويعبدونهم ويتوهَّمون أنهم يعبدوننا. ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾: أي: كلُّهم، وقيل: معناه: بل كانوا يطيعون الشياطين في عبادتهم إيانا[1].

(٤٢) - ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: أي: يقال لهم: اليومَ لا تجدون عند هؤلاء الذين كنتُم تعبدونهم من دون اللَّه ضرًّا ولا نفعًا مما كنتُم ترجون من شفاعتهم لكم. ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: لهؤلاء الكفار ولسائرهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾أي: تنكرون وتقولون مستهزئين: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ [سبأ: ٢٩].

(٤٣) - ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: أي: وإذا تقرأ على هؤلاء ﴿آيَاتُنَا﴾: آيات القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾؛ أي: واضحاتٍ دالَّاتٍ على إعجاز القرآن ﴿قَالُوا مَا هَٰذَا﴾ يعنون محمدًا ﷺ ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾؛ أي: يصرِفكم عن دينِ آبائكم. ﴿وَقَالُوا مَا هَٰذَا﴾: أي: القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾؛ أي: كذب ﴿مُّفْتَرًى﴾؛ أي: مختلَقٌ. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا﴾؛ أي: ما هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: تخييلٌ ظاهر؛ تحيَّروا: فمرة قالوا: هو كذب، ومرة

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٢٦٧).

قالوا: هو سحر. ويحتمل أن يكون قوله: ﴿سِحْرٌ﴾ من قولِ الأتباع، وقوله: ﴿إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾ من قول السادة.

(٤٤) - ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾: أي: وما أعطينا هؤلاء المشركين كتبًا يتدارسونها فيدَّعون أنهم وجدوا فيها شاهدًا لقولهم. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾: أي: ولم نُرسل إليهم قبلك رسولًا يا محمدُ يخبرهم عن الله بإبطالِ أمرك، فليست عندهم حجةٌ على ما يقولونه في القرآن وفيك.

(٤٥) - ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: وقد كذَّب الذين كذَّبوا قَبْلَهم من الأمم والرسل فأهلكناهم. ﴿وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾: أي: إن هؤلاء المشركين لم يبلغوا في القوة والأموال والأولاد عُشر ما بلغه أولئك، فإذا لم يمتنع أولئك من عذابي فكيف يمتنع هؤلاء؟. والمعشار: العشر، وكذلك المرباع: الرُّبع، ولا يُتكلم بمثله إلا في هذين. ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: قيل: النكير جزاءُ المنكَر. وقيل: هو الإنكار؛ أي: التغيير؛ أي: فانظر كيف كان تغييري أحوالَهم عن المحبوب إلى المكروه، وتقديره: نكيري، حُذفت الياء تخفيفًا واكتُفيَ بكسرة الراء؛ لاتِّفاق الفواصل (١).

(٤٦) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾: ثم إن الله تعالى بعد أن حاجَّهم فيما وصَفوا به الكتاب والرسول، وعَظَهم ودعاهم إلى النظر ومخالفةِ سُبُل الأمم الخالية في التقليد. وبيَّن وجه النظر على أبلغ وجه وأَبيْنِه فقال: قل يا محمدُ لمشركي مكة: إنما أذكِّركم بكلمة واحدةٍ أو خَصلةٍ واحدةٍ أو موعظةٍ واحدةٍ، وأكتفي بها منكم، وهي:

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٢٦٩).

﴿أَنْ تَقُومُوا﴾ وهي قيامُ القصد إلى الشيء دون النهوض والانتصاب ﴿لِلَّهِ﴾؛ أي: لوجه اللَّه والْتماسِ التقرُّب إلى اللَّه تعالى، لا لحميَّة وعصبية بل لطلب الحق ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾؛ أي: مجتمعين ووحدانًا. ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾: أي: تستعملوا فكركم بالتدبُّر في أمر محمدٍ: هل في شيء من أحواله من مَنشئه إلى وقتِ إخباره بنزول الوحي عليه اشتباهٌ في أمره أو اختلالٌ في حاله يوجب له وصمَه، أو يوجِّه عليه ظنَّه بما لا يجوز معه في العقل أن يكون رسولًا؟ وهل جرَّبتم عليه كذبًا، أو رأيتم في عقله ضعفًا، أو شاهدتُموه يختلف إلى مَن يدَّعي سحرًا أو يكون عنده أقاصيصُ الأولين فيأخذُها منه تعلُّمًا؟ فإذا لم يكن كذلك فاعلموا أنه ليس به جنونٌ، وأنه نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد: أمام عذابٍ قد أعدَّه اللَّه تعالى لمكذِّبي رسوله وجاحدي كتابه ومشركي غيرِه به، واحذروا أيضًا أن ينالكم هذا العذاب الشديد، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: ما هو إلا مخوِّف لكم أمام عذاب شديد.

(٤٧) - ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾: أي: كلُّ ما طلبتُ منكم على ما أدعوكم إليه من الإيمان من جُعلٍ فهو لكم؛ أي: فقد جعلتُه لكم لا حاجةَ لي إليه، ولا أطلب منكم شيئًا ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: ما أبتغي عليه إلا الثوابَ من اللَّه تعالى، وقد وعده لي وعدًا مؤكَّدًا لا خُلف فيه ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ أي: شاهدٌ عليَّ وعليكم، مشاهِدٌ لأفعالي وأفعالِكم، فيجزي كلًّا على وَفْق عمله.

(٤٨) - ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: أي: يُلقي الحقَّ إليَّ وإلى عباده

المؤمنين على وجهٍ لا يقع عليه اعتراضٌ متوجِّهٌ، بل يَبطُل به الباطلُ. ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: أي: هو علَّام الغيوب، لا تخفَى عليه حقائق الأشياء، ولا يذهب عليه الصواب في الحجج.

(٤٩) - ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: أي: الدِّين الحقُّ؛ لوضوح آياته ودلالاته ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾؛ أي: ولا يَثبُت للباطل -أي: الشركِ- أثرٌ بدءًا ولا عودًا.

(٥٠) - ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾: أي: إن تركتُ الحقَّ الذي أَتيتُ به واتَّبعتُكم فقد ضلَلْتُ وألحقتُ الضررَ بنفسي. ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ﴾: ثبتُّ على حقي ﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ تبيان جاءني من ربي ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا أقوله لكم ﴿قَرِيبٌ﴾ مني ومنكم يجازيني ويجازيكم.

(٥١) - ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾: هو يوم بدر حين أخذتهم سيوف الملائكة. وقيل: وهو حين يخرجون من قبورهم، ﴿إِذْ فَزِعُوا﴾؛ أي: هابوا، وقيل: أي: خافوا خوفًا شديدًا. وقيل: الفزع: انزعاج النفس بتوقُّع المكروه. ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي: لا مهرب. ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾: أي: من قُرْب فلم يفوتوا، وهو تمثيل لسرعة الأخذ[1].

(٥٢) - ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾: أي: بالوحي ويجوز أن يكون إلى الرب فقد قال: ﴿إِلَيَّ رَبِّي﴾ فإن كان هذا عند الموت فهو كقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٥٠)، وجامع البيان (١٩/ ٣٠٧)، وابن فورك في تفسيره (٢/ ١٥٥)، والكشف والبيان (٨/ ٩٤)، الكشاف (٣/ ٥٩٢).

وَحْدَهُ﴾[غافر: ٨٤]، وقال: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩]، وإن كان في القيامة فكلُّ الكفار يؤمنون ويتبرَّؤون عن الكفر حينئذ.

﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: أي: كيف ومِن أين لهم تناوُل الإيمان من مكان بعيد؟ وهو تمثيل ومعناه: ليس هذا وقتَ نفعِ الإيمان ولا مكانَ قبول الإيمان، كان ذلك في الدنيا وقبل معاينة هذه الأحوال(١).

(٥٣) - ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: من قبلِ حالة اليأس، أو قبلَ يوم القيامة. ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: أي: يرمون بالظن المغيَّب عنهم ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي: يظنون أن إيمانهم في الآخرة أو حالةَ اليأس نافعٌ لهم؛ جهلًا منهم في الآخرة وحالةِ اليأس كما كانوا جاهلين في الدنيا وفي غير حالة اليأس فعمَّهم الجهل في الحالين. وقيل: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ هو ابتداء كلام في وصفهم في الدنيا، ومعناه: يرمون بالظن فيقولون: لا بعث ولا جزاء، وهو رجمٌ بالظنِّ من مكان بعيد، وهو أضعف ما يكون من الظنِّ لبُعد المكان عن الظانِّ. وقيل: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: يرمون بالآخرة ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي: يبعدون أمرها فلا يعتقدون كونَها.

(٥٤) - ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾: أي: من الانتفاع بالإيمان والتوبة ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: بالذين سابقوهم على الكفر من

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٧٧١)، وابن أبي زمنين في تفسيره (٤/ ٢١)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٥٩).

الماضين، كان لا يقبل إيمانهم عند البأس، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤]. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾: أي: في شك من القرآن والرسول والإيمان والبعث ﴿مُرِيبٍ﴾؛ أي: مشكِّكٍ، وهو مبالغةٌ(١).

(انتهى تفسير سورة سبأ).

(١) المحرر الوجيز (٣/ ١٨٤)، والكشاف" (٣/ ٥٩٢ - ٥٩٣)، والدر المنثور (٦/ ٧١٢)، وتفسير مقاتل (٣/ ٥٣٩)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٢٧٩).

(٣٥) سورة فاطر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكيةٌ، سميت «سورة فاطر» في كثير من المصاحف، وفي كثير من التفاسير. وسميت أيضًا في كثير من المصاحف والتفاسير «سورة الملائكة»، فوجه تسميتها «سورة فاطر» أن هذا الوصف وقع في طالعة السورة ولم يقع في أول سورة أخرى. ووجه تسميتها «سورة الملائكة» أنه ذكر في أولها صفة الملائكة ولم يقع في سورة أخرى، وهذه السورة هي الثالثة والأربعون في ترتيب نزول سور القرآن. نزلت بعد سورة الفرقان وقبل سورة مريم، وهي ستٌّ وأربعون آية، وقيل: خمس وأربعون، والخلاف في سبع الآيات: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ﴿أَنْ تَزُولَا﴾ ﴿لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، وكلماتها سبعُ مئة وخمس وسبعون، وحروفها ثلاثة آلاف ومئة وخمس وأربعون.

أغراض هذه السورة:

اشتملت هذه السورة على إثبات تفرد الله تعالى بالإلهية فافتتحت بما يدل على أنه مستحق الحمد على ما أبدع من الكائنات الدال إبداعها على تفرده تعالى بالإلهية وعلى إثبات صدق الرسول ﷺ فيما جاء به وأنه جاء به الرسل من قبله. وإثبات البعث والدار الآخرة.

وتذكير الناس بإنعام الله عليهم بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، وما يعبد

المشركون من دونه لا يغنون عنهم شيئا وقد عبدهم الذين من قبلهم فلم يغنوا عنهم، وتثبيت النبي ﷺ على ما يلاقيه من قومه، وكشف نواياهم في الإعراض عن اتباع الإسلام لأنهم احتفظوا بعزتهم، وإنذارهم أن يحل بهم ما حل بالأمم المكذبة قبلهم، والثناء على الذين تلقوا الإسلام بالتصديق وبضد حال المكذبين، وتذكيرهم بأنهم كانوا يودون أن يُرْسِلَ إليهم رسول فلما جاءهم رسول تكبروا واستنكفوا، وأنهم لا مفر لهم من حلول العذاب عليهم فقد شاهدوا آثار الأمم المكذبين من قبلهم، وأن لا يغتروا بإمهال الله إياهم فإن الله لا يخلف وعده، والتحذير من غرور الشيطان والتذكير بعداوته لنوع الإنسان(١)، وانتظام أول السورة بآخر تلك السورة: أنه ذكر في آخر تلك السورة أن الكفار في شكٍّ مريبٍ لتركهم التأمُّل في تلك الآيات، وذكر في أول هذه السورة من الآيات ما لا يبقى معه ريب عند التأمل فيه، وهو خلق الأرض والسماوات، وانتظام السورتين: أنهما مكيتان، وهما في محاجَّة المشركين، ومدحِ الموافقين، وذمِّ المنافقين المخالفين(٢).

(١) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: خالقِهما من غير شيءٍ ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى النبيين ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ يطيرون بها ينزلون من السماء إلى الأرض، ويعرجون منها إلى السماء في يوم وأقلَّ منه، ومسيرةُ ما بينهما ألفُ سنة نزولًا وعروجًا، ولولا ما قوَّاهم بذلك لَمَا أَمْكنهم ذلك. ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾: أي: من الملائكة مَن له جناحان كما للطيور التي في الهواء، ومنهم مَن له

---

(١) التحرير والتنوير(٢٢/٢٤٨).

(٢) الكشف والبيان (٨/ ٩٧)، والبيان في عد آي القرآن" (ص: ٢١٠).

ثلاثةُ أجنحة، ومنهم من له أربعةُ أجنحة. ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾: أي: ويزيد بعضَهم على أربعةٍ، فقد روي أن جبريل صلواتُ اللَّه عليه له ستُّ مئة جناح[(١)]، لو نشر جناحًا له لسدَّ ما بين الخافقين، ولبعض الملائكة أكثرُ من ذلك، وهذا عامٌّ يتناول زيادةَ كلِّ شيء في كلِّ شيء، ولذلك قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهذا أساس لحديث إرسال الرسل وبعثِ الخلق يوم القيامة.

(٢) - ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾: قيل: هي النبوة؛ كما قال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾؛ أي: لا يتهيأ لأحدٍ ردُّها ولا معارضتُها. ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾: أي: يقطعْ في زمان الفترة ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾؛ أي: لا يمكن أحدًا فتح هذا الباب. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: في مُلكه وجلاله ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله.

(٣) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾: قيل: هو خطاب للمشركين ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: تذكَّروا. وقيل: أي: احفظوا ما مَنَّ اللَّه به عليكم من أنواع النِّعم. ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ أي: هل خالقٌ غيرُ اللَّه ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: بالمطر والنبات وغير ذلك. وإذا لم يكن غيرُه خالقًا ولا رازقًا فلا إلهَ غيرُه، ولذلك قال بعده: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: أي: كيف تُصْرفون؟ ومن أين تُصرَفون عن هذا الحق إلى غيره؟، والأفكُ بالفتح: الصرفُ، والإفك بالكسر: الكذب، وهو الكلام المصروف عن الصواب.

(٤) - ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد فلا يَضِيقنَّ صدرُك فلستَ بأولِ مَن

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كذِّب مِن الرسل ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كذَّبهم أممهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾؛ أي: وإلى حُكم اللَّه تصيرُ الأمور في عواقبها، فيجعل العاقبةَ المحمودة للأنبياء والمرسَلين والمؤمنين والعاقبةَ المذمومةَ للمكذِّبين، وهذا وعد ووعيد(١).

(٥) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾: وهو عام للمكلَّفين ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: بالثواب والعقاب جميعًا، لقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ والوعدُ يقع على العذاب قال تعالى: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحج: ٧٢]. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: أي: لا تغترُّوا بهذه الحياةِ الخاليةِ فإنها زائلةٌ، وأنتم مبعوثون للعرض والحساب والجزاء. ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾: قيل: الدنيا. وقيل: الشيطان بما يمنِّيكم على اللَّه من المغفرة مع الإصرار، وبما يزيِّن لكم من المُقام على الكفران.

(٦) - ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ قديم من وقتِ أبيكم آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمِّكم حواءَ ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ ولا تتابعوه ولا تطيعوه فتُهْلَكوا. ﴿إِنَّمَا يَدْعُو﴾ إلى طاعته ﴿حِزْبَهُ﴾؛ أي: طائفته ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: ليسوقهم إلى نار جهنم ليكونوا من أصحابها؛ أي: أهلِها الذين لا يفارقونها. وخصَّ حزبه بالذكر وإن كان يدعو كلَّ الناس؛ لأنَّهم هم الذين أجابوه.

(٧) - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: هم الذين أطاعوا الشيطان ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: وهم الذين عادَوه، وهذا هو تحقيق قوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ هو وعدُ الكافرين بالعقاب ووعدُ

(١) لطائف الإشارات" (٣/ ١٩١ - ١٩٢)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٢٨٩).

المؤمنين بالثواب.

(٨) - ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: أي: الكفرُ والمعصية ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ زَيَّنت له ذلك نفسُه باتِّباع الشهوات وتركِ النظر في الحجة، والشيطانُ بالوسوسة واتِّباع الشبهة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: مَن علم منه اختيارَ الضلال أضلَّه اللَّه، ومَن علم منه اختيارَ الإيمان هَدَاه. ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: أي: لا تُهلك نفسَك تأسُّفًا عليهم وتحسُّرًا، وهو كقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: وعدٌ ووعيدٌ وتسليةٌ للنبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(٩) - ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: أي: تجمعُه بإثارته من مواضعه. ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾؛ أي: تسوقه الرياح بأمرنا وتقديرنا. ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: أي: بالسحاب، هذا ظاهره، ومعناه: بالمطر الذي في السحاب، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾: أي: البعثُ بعد الموت.

(١٠) - ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: هو العزيز بذاته والمعزُّ مَن يشاء مِن خلقه، وإنما يعزُّ المؤمنين والمطيعين بالإيمان والطاعةِ، لا الكفارَ المترفين بالمال والسلطنة، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: هو كلُّ قولٍ مَرْضيٍّ عند اللَّه لا خَبَثَ فيه. ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾: هو كلُّ فعلٍ حسنٍ لا فسادَ فيه. ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: قيل: يعني: والمتعزِّزون بالدنيا؛ أي: الذين يمكرون بالضَّعفة بإدخال الشُّبَه عليهم وهي السيئات ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة ﴿وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾؛ أي: يَهلك احتيالُهم ويَبطل، والبوار: الهلاك. وقيل:

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ هم الذين مكروا بالنبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في دار الندوة ليقتلوه أو يُثْبِتوه أو يُخرجوه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ قيل: هو قتلُهم ببدر(١).

(١١) - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾: أي: قدَّر كونكم في الابتداء من تراب ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وهو معنى قولِ مَن قال: خلق آدم الذي أنتم متفرِّعون عنه وهو أصلُكم ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكرانًا وإناثًا للتناسل والبقاء في الدنيا إلى حينه. ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: ثم إذا وقع التناسل فما يكون من حملٍ على أيِّ وصفٍ كان، والوضع في أيِّ وقتٍ كان، فذلك بعلمه وتقديره وتدبيره، ولا يخرج شيء من ذلك عن حكمه، ولا يَعْزُب عن علمه. ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾: أي: هو يعلم أعمار الخلق ومقاديرها طالت أو قصُرت، وهي عنده في كتابٍ في اللوح المحفوظ كتَبه لمن أراد تعريفَه من الملائكة وغيرهم. والمعمَّر: مَن أطيل عمرُه، وناقص العمر: مَن لم يَطُل عمره، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: كتابة ذلك في الكتاب يسير على الله تعالى، لا يتعذَّر عليه شيءٌ، وقيل: أي: حفظُ ذلك على الله بدون الكتابة يسير، وهذا كلُّه بيان قدرته واستشهاد به على قدرته على بعث الخلق بعد موتهم.

(١٢) - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: البحر سمي به لاستبحاره؛ أي: انبساطه وسعته، وشقُّ الأذن سمي بحرًا

---

(١) تأويلات أهل السنة (٨/ ٤٧٣)، والكشف والبيان (٨/ ١٠٢)، البسيط (١٨/ ٤٠٨)، ومعالم التنزيل(٦/ ٤١٥).

لأنه يوسِّعها، وتبحَّر فلان في العلم؛ أي: توسَّع فيه، والفرات: المتناهي في العذوبة. والملح: الماء الذي فيه ملوحة، ولا يقال: مالح، والأُجاج: أشدُّ المياه ملوحة، وهو الذي لشدة ملوحته يلتهِب، ويقال: أجَّجتُ النار؛ أي: ألهبتها، والأجَّة: شدةُ الحر. وقيل: الفرات: البارد، والأُجاج: الحار، وسائغ شرابه؛ أي: سهلٌ انحدارُه إلى الجوف، لا يتكرَّهه الشارب، نفى الاستواءَ بين البحرين بتفاوت الوصفين. ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ﴾: أي: من كلِّ واحد من هذين البحرين ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾؛ أي: السمك، والطريُّ: الغضُّ. ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: أي: تغوصون على الدرِّ والمرجان، وتتخذون من ذلك حليةَ النسوان، إذا ضم ذلك إلى سائر الألوان، ويباع ذلك بأنفس الأثمان. ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾: أي: السفن ﴿فِيهِ﴾؛ أي: في كلِّ واحدٍ منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾: جمع ماخرة. يقال: مخرتِ السفينةُ الماءَ؛ أي: شقته وقيل: مَخْرُها: خَرْقُها الماء. وصرفُه من باب صنع ودخل جميعًا. وقيل: ﴿مَوَاخِرَ﴾: مقبلةً ومُدبرةً، ترى سفينتين إحداهما مقبلةٌ والأخرى مدبرةٌ تجريان بمجرَى ريحٍ واحدة، ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي: بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لتشكروا هذه النعمة(١).

(١٣) - ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾: أي: يُدخل، فيأخذ من هذا ويزيد في الآخر ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ كذلك. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: أي: ذلَّلهما في المسير بالطلوع والغروب لا يمتنعان عما سخَّرهما له، وعلَّق بهما معايش العباد ومصالحهم كما علَّق ذلك بتفاوت الليل والنهار في الفصول. ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٥٣)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٨)، وتفسير مقاتل (٣/ ٥٥٤).

﴿مُسَمًّى﴾: أي: كلٌّ من الشمس والقمر يجري إلى وقتٍ قد جعله الله له، فالقمر يقطع السماء في كلِّ شهرٍ مرةً والشمس في كلِّ سنةٍ مرةً. ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾: لا يخرج شيء من السماوات والأرض ومَن فيهما عن مِلكه ومُلكه، فإياه فاعبدوا دون الأصنام. ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: أي: تَدْعونهم آلهة، وقيل: أي: تعبدونهم ﴿مِنْ دُونِهِ﴾؛ أي: من دون الله ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ وهي القشرة التي على النَّواة، وإذا لم يملكوا هذا القَدْر على حقارته وصغره فما فوقه أبعد.

(١٤-١٧) - ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ بحوائجكم أو تنادوهم ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ لأنهم جماد ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾؛ أي: ما أَمْكنهم إعانتكم؛ لأنَّهم لا يقدرون على كشف الكروب. وقيل: لو كانوا سامعين ما تابعوكم على الكفر. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: أي: يتبرؤون منكم ويجحدون أنكم عبدتُموهم، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: أي: لا يخبرُك عن الغيوب مثلُ مَن يعلم حقيقتَها وهو الله تعالى؛ أي: وقد أخبرتك بما يكون من أحوال هؤلاء يوم القيامة فتيقَّنْه. ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾: أي: المحتاجون إليه ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾؛ أي: المستغني عنكم ﴿الْحَمِيدُ﴾؛ أي: المستحِقُّ للحمد، ما أمركم أو نهاكم لحاجته إليكم بل لحاجتُكم إليه، ونفعُ ذلك لكم وضررُه عائد إليكم. ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: كلَّكم شريفكم ووضيعكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ووحَّد ﴿جَدِيدٍ﴾ لأن لفظ الخلق واحد وأصله مصدر، ومعناه: بخلائق. ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: أي: بعسيرٍ، وهو إذهابكم.

(١٨) - ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: أي: ولا تحمل نفسٌ حاملة حملَ

نفسٍ أخرى يوم القيامة، فلا تغترُّوا بقول كبرائكم المتعزِّزين بالدنيا، القائلين لكم: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، فلا تُجزى نفسٌ عن نفسٍ شيئًا. ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾: أي: نفسٌ مثقلةٌ بالذنوب ﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾ ليُحمل من ذنوبها شيء ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾: أي ولو كان مدعوُّها قريبًا لها؛ من أبٍ أو أمٍّ أو أخٍ أو أختٍ أو نحوِ ذلك، وكل امرئ منهم له شأنٌ يغنيه. ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾: أي: إن إنذارك إنما يقبلُه وينتفع به مَن يخشى الله في حالة الغيب، فأما مَن لم يخشَه فلا ينتفِع بإنذارك، فكأنه لم يسمع إنذارك وكأنك لم تنذره ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: ذكره بلفظ الماضي وذكر ﴿يَخْشَوْنَ﴾ بصيغة المستقبل؛ لأن الخشية صفةٌ لازمةٌ دائمةٌ والصلاةَ مؤقتةٌ لها أوقاتٌ مخصوصة تنقضي بانقضائها وتنتهي بانتهائها. ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾: أي: تطهَّر من الآثام ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ فنَفْعُ ذلك له. ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: أي: مرجع الكلِّ من الخاشعين المصلِّين المتزكِّين وغيرهم.

(١٩ - ٢١) - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: مَثَلٌ للضالِّ والمهتدي ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾: مَثَلٌ للضلالة والهدى ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾: مَثَلٌ لجزاء المهتدي وجزاء الضال. وقيل: ﴿الظِّلُّ﴾: الجنة؛ قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] و﴿الْحَرُورُ﴾: النار، وأصل الحرور: السَّموم، وهي الريح الحارَّة في الشمس، والظلُّ للراحة والحرورُ للتعب والشدة. وقيل: ﴿الْحَرُورُ﴾ يكون بالليل والنهار، والسَّموم لا يكون إلا في النهار[١].

---

(١) لطائف الإشارات (٣/ ١٩٩ - ٢٠٠)، ابن فورك في "تفسيره" (٢/ ١٦٧)، التيسير في التفسير - (١٢/ ٣٠٤).

(٢٢ -٢٣) - ﴿وَمَا يَسْتَوِى الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: قيل: هي مَثَلُ المؤمنين والكفار، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]؛ أي: كافرًا فهديناه. ويقال: هو مَثَل العلماء والجهَّال. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى الْقُبُورِ ۝ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: يقول: إنك يا محمد ﷺ قد أنذرت الكفار وما أنت بقادرٍ على أن تُسمع الموتى في القبور؛ أي تُدخل الإيمان في قلوب الكفار، بل ذلك من مقدور اللَّه تعالى، ولو شاء اللَّه لهداهم أجمعين ليس إليك إلا الإنذار وقد أنذرت.

(٢٤-٢٥) - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: أي: بالدِّين الذي يحِقُّ اعتقاده ﴿بَشِيرًا﴾ بالجنة لمن آمن ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنار لمن كفر. ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾: أي: وما من أمةٍ قبلَ أمتك ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾: مضى فيها رسول، ما أخلينا أمةً عن رسول. ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾: أهلُ عصرك ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: بالحجج، وقيل: أي: بالمعجزات. وقيل: أي: بالشرائع التي بانت صحتُها وحسنُها في العقول. ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾: أي: الأخبارِ عن الكتب المتقدمة المنزَلة على الأنبياء قبلهم. ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: أي: الكتاب المنزل عليه المنوِّر الموضِّح لِمَا يحتاجون إليه.

(٢٦ - ٢٧) - ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: أستأصلتُ الذين كذبوهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: تغييري عليهم. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: وهذا من محاجَّة المشركين أيضًا، يقول: ألم تشاهد يا محمدُ عجائب صنع اللَّه تعالى فيما خلَق؟، وهذا خطاب له ولأمته معنًى، من ذلك أنه أنزل من

السماء مطرًا. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ﴾: رجوعٌ من المغايبة إلى الإخبار عن نفسه، وهو من تلوين الكلام. ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾: أي: اختلف ألوانها. ثم اختلافُ ألوانها مع اتّفاق الماء والتربة دليلٌ على أن الفاعل بها ذلك هو اللَّه القادر الذي لا يُعجزه شيء. ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾: أي: طرائق، جمع جُدَّة؛ أي: طريقةٍ. ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾: جمع غِرْبيبٍ، وهو الذي لونُه لونُ الغراب، ولذلك قال بعدها: ﴿سُودٌ﴾ لأن الأول دلالةٌ على السواد والثاني إفصاحٌ وتفسير، وهي من صفات الجُدَد، وبيانِ اختلاف ألوانها بالبياض والحمرة والسواد.

(٢٨) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾: أي: ومختلفٌ كذلك ألوانُ الناس والدوابِّ، وهو جمع دابة، وهي في الأصل اسمٌ لكلِّ ما يدبُّ على الأرض، وعند الإطلاق يقع على الخيل والبغال والحمير عند ذكر الركوب، قال: ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم، وقد تقع على الإبل خاصةً على كثرة أصنافها وأجناسها وأنواعها. فمَن كان عالمًا بهذا كلِّه خشي اللَّه تعالى، وهو معنى قوله بعده: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾: وهؤلاء المشركون لا يخشون لجهلهم باللَّه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: منيع لا يُعترَض عليه فيما يفعل بأهل المخالفة ﴿غَفُورٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة، ويغفر ذنوب أهل التوبة[1].

(٢٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾: أي: القرآنَ، وهم العلماء الذين يخشون اللَّه، ويقرؤون كتاب اللَّه، ويتَّعظون بمواعظه، ويَيقون بوعده ووعيده. وقيل: هو التوراة والإنجيل، وهو مدحُ مَن أسلم من أهل الكتاب. ﴿وَأَقَامُوا

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٣٠٨).

﴿الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: معناه: قد أطاعوا اللَّه في الماضي ويطيعونه في المستقبل أيضًا. ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: يجوز أن يكون في حقِّ الإنفاق خاصةً، وقد قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[البقرة: ٢٧١]، ويجوز أن يكون في حق الصلاة أيضًا كذلك، وحاصله: أن الفرائض يُجهر بها والنوافلَ يُخفى بها فيهما جميعًا ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾: هي للحال؛ أي: راجين بها متاجرةَ اللَّه تعالى تجارةً لن تكسدَ، وليسوا قاطعين القول بما يعملون من الطاعات أنهم يثابون عليها؛ لأنهم يخشون ردَّها. ومعنى ﴿لَنْ تَبُورَ﴾: أنهم يربحون فيها؛ لأن السلعة إذا كسَدت على صاحبها لم يَنتفعْ بها.

(٣٠) - ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾: أي: يتلون ويتصدَّقون ويصلُّون وينفقون ليتمِّم اللَّه لهم ما وعدهم من الثواب على الطاعات ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ على الموعود، فقد قال: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ للذنوب الكثيرة ﴿شَكُورٌ﴾ للطاعات اليسيرة، يرضاها ويقبلها ويُثني عليها ويحب صاحبها.

(٣١) - ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: أي: القرآن الذي يتلوه هؤلاء ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾؛ أي: الصدق ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: موافقًا لِمَا قبله من التوراة والإنجيل وسائرِ الكتب في التوحيد والعبادة والإخبار عن الأمور الكائنة.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ﴾: يعلم ما يُضمرون ﴿بَصِيرٌ﴾: يرى ما يُظهرون.

(٣٢) - ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾: أي: ثم نخبركم أنَّا أعطينا الكتاب؛ أي: هذا الكتاب وهو القرآن. ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾: أي: هذه الأمةَ الذين اخترناهم

﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾؛ أي: وهم من خواصِّنا وهم ثلاثُ طبقات: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: وهو الذي يقترف الذنوب غيرَ مستحلٍّ لها ولا جاحدٍ تحريمها. ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾: هو الذي لم يبلغ النهايةَ من الطاعات مستكثِرًا منها، بل يسلك القصد في أعماله، فأتى بالفرائض دون النوافل، وبقليل من النوافل؛ كالمقتصد في النفقة الذي لا يُسرف ولا يقتِّر، أو خلَط عملًا صالحًا وآخَر سيئًا. ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: مُبادِرٌ إلى كلِّها مستكثِرٌ منها مستفرِغٌ وُسْعَه في مواصلتها ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بتيسير اللَّه ذلك عليه لا باستبداده. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾: أي: توفيقُ اللَّه تعالى السابقَ إلى الخيرات بالسَّبق إفضالٌ من اللَّه كبير [(١)].

(٣٣ - ٣٤) - ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: أي: بساتينُ إقامةٍ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾؛ أي: هذه الفرق الثلاث ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ وفي ذلك اللذةُ والزينة، مر تفسيره في سورة الحج.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾: هو حزنُ الحبس في موقف الحساب وقيل: هو حزن الفزع الأكبر، كما قال: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. وقيل: هو حزن الموت، وقيل: هو حزن الأخذ بتقصير الطاعات، والعقوبةِ على ارتكاب الجنايات، ويدلُّ عليه ما بعده: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾؛ أي: غفر الجنايات الكثيرة، وقيل: الطاعات اليسيرة.

(٣٥) - ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾: أي: الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ أي: هذا

---

(١) الوسيط (٣/ ٥٠٥)، والكشف والبيان (٨/ ١٠٩)، ولطائف الإشارات (٣/ ٢٠٥ - ٢٠٦). وجامع البيان (١٩/ ٣٧٥).

بفضله لا باستحقاقنا. ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا﴾: أي: في دار الإقامة ﴿نَصَبٌ﴾؛ أي: تعب. ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: أي: لا يصيبنا فيها إعياء.

(٣٦) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾: هو وعيدُ المخالفين بعد وعد الموافقين. ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾: أي: لا يموتون فيستريحوا، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾: فيستريحوا بعض الراحة، ولا يعارضه. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾: مبالغةٌ في الكافر، وهو الذي يجحد الله أو رسله أو كتبه أو البعث أو شيئًا مما أخبر به النبي ﷺ أنه كائن[(١)].

(٣٧) - ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: أي: يستغيثون في النار بصوتٍ عال، والصراخ: الصوت العالي في الاستغاثة. ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾: هذا بيان صراخهم، يقولون: ردَّنا إلى دار الامتحان نعملِ الطاعات غيرَ الذي كنا نعملُ من المعاصي. ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾: وهذا رد عليهم، ويضمر في أوله: فيقال لهم: أولم نجعلْ لكم من العمر في الدنيا ما يمكِن التذكُّر والاتِّعاظ فيه بالكتب ومقالات الرسل؟، وهذا استفهامٌ بمعنى التقريعِ والتوبيخ. وتقدير قوله: ﴿مَنْ تَذَكَّرَ﴾؛ أي: مَن أراد أن يتذكر. ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: أي: الرسول المنذِر. وقيل: هو إلزام الحجة عليهم بالعقل والسمع، فإن التذكُّر من باب العقل، والإنذارَ من باب السمع. ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾:أي: ليس للكافرين من مؤيد يؤيدهم[(٢)].

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٣٧٢)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٣٢٠).

(٢) المحرر الوجيز (٤/ ٤٤١)، والبسيط (١٨/ ٤٣٢)، وزاد المسير (٦/ ٤٩٤).

(٣٨) - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يعلم أنه لو ردَّكم إلى الدنيا لم تعملوا غيرَ الذي كنتم تعملون ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: خفيَّات القلوب، يعلم أنكم كاذبون في هذا الكلام.

(٣٩) - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾: كما أورثكم الكتاب أورثكم الأرضَ فجعلكم خلفاء لمن تقدَّمكم فيها، فجعل سلطانها لكم، أنعم عليكم بذلك لتشكروا له. ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾؛ أي: فمَضرَّةُ كفرانه النعمة راجعةٌ إليه، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾: أي: بغضًا. ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾: إلا هلاكًا، وقيل: إلا غبنًا بذهاب رؤوس أموالهم.

(٤٠) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾: وهذا من محاجة المشركين أيضًا، يقول: قل يا محمد للمشركين: أخبروني عن الأصنام التي جعلتُموها شركاء لي ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: تدعونهم آلهة، وقيل: تعبدونهم. وقيل: أي: تدعونهم في حوائجكم وتستغيثون بهم. ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾: أي: أعلِموني - وقيل: أشيروا إليَّ عِيانًا - أيَّ شيءٍ خلقوه من الأرض؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾: أم خلقوا شيئًا في السماوات فكان لهم فيها شركةٌ أو نصيب بذلك. ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾: أي: نزلنا عليهم كتابًا فيه تصويب شركهم وأن الأصنام شفعاءُ لهم ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ﴾؛ أي: حجةٍ وبصيرةٍ فلا يمكِنهم أن يَدَعوا شيئًا من ذلك، فإذًا لا حجة لهم عقلًا ولا سمعًا، فالعقل أن يخلقوا كخلقي، والسمع أن ينزل بذلك كتابي، فإذا عُدما لم يكن فعلهم إلا ضلالًا وجهالة. ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ

الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾: أي: ما يَعِدُ، وهو وعدُ الشيطان للكافر كما قال: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠] منَّاهم أن تشفعَ لهم أصنامهم وتقرِّبَهم إلى اللَّه زلفى. وقيل: هم المشركون يقول بعضهم لبعض: إن آلهتنا هذه تنفعنا عند اللَّه.

(٤١) - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾: أي: فإن لم يكن لآلهتهم شركٌ في السماوات والأرض فيستحِقُّوا أن يُعبدوا فاعلموا أني أنا المستحِقُّ لها؛ لأني أنا خالقُها وحافظها، ولولم أمسكها لزالتا. ﴿أَنْ تَزُولَا﴾؛ أي: من أن تزولا. وقيل: أي: لئلا تزولا؛ كقوله: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]؛ أي: لئلا تميد بكم. ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي: ما أمسكها أحدٌ من بعد إمساكه إياهما، وقيل: أي: بعد زوالهما. ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: تعليل بمعنًى اقتضاه قولُه تعالى: ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾؛ أي: ولو زالتا لردَّهما اللَّه تعالى إلى مكانها وأمسكها كما كانتا لمصالح العباد؛ لأنه ﴿كَانَ حَلِيمًا﴾ قادرًا لا يعاجل بالعقوبة ﴿غَفُورًا﴾ ساترًا لذنوب العباد، ماحيًا لها إذا تابوا[١].

(٤٢) - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: أي: وحلف هؤلاء المشركون قبل أن يَبعث اللَّه محمدًا باللَّه أيمانًا بالَغوا في تأكيدها على أنفسهم: لئن جاءهم رسول من اللَّه ينذرهم كما جاء مَن قبلهم من الأمم ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾؛ أي: أشدَّ اتِّباعًا له من أهل الكتاب لأنبيائهم، وذلك أن أهل

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٤٧٦)، وتفسير السمعاني (٤/ ٣٦١)، ومعاني القرآن (٥/ ٤٦١)، والكشف والبيان (٨/ ١١٤).

الكتاب كانوا يُظهرون الفضل لأنفسهم على العرب بالكتاب والنبوة فيهم، فكان العرب يَسوؤهم ذلك لِمَا كانوا عليه من الأَنَفة والحميَّة، فكانوا يتمنون أن يكون منهم رسول. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: وهو محمد ﷺ ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾؛ أي: ما ازدادوا مع مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق.

(٤٣) - ﴿اسْتِكْبَارًا﴾: أي: نفروا عنه ليكون لهم الكبرياءُ والعلوُّ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: في بلادهم ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾؛ أي: وليخدعوا الضعفاء التابعين لهم بالاحتيال، ويصدُّوهم بذلك عن الإيمان ليكونوا أعوانًا لهم كما كانوا يقولون: نحن أكثر أتباعًا وأعزُّ نفرًا. ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾: أي: لا ينزل إلا بهم. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: فما ينتظرون إلا طريقةَ الأولين أن ينزل بهم ما نزل بالأولين حين كذَّبوا أنبياءهم ومكروا بهم. ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾: أي: إن الله تعالى لا يبدل هذه الطريقةَ في الكفار ولا يحوِّلها عنهم، أضاف السنَّة إليهم مرةً وإلى نفسه مرةً لأنها سنَّةُ الله فيهم.

(٤٤) - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: فيعرفوا كيف كان سنَّةُ الله فيهم. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: ليس من صفة الله العجزُ عن شيء من إنزال العذاب بالأعداء وغير ذلك ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾: عالمًا بكل شيء قادرًا على كل شيء.

(٤٥) - ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾: أي: يعاقبهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾؛ أي: من

الكفر والمعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾؛ أي: ظهر الأرض، ولم يتقدم ذكرها لكنه معلوم المراد ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾؛ أي: حيوان يدبُّ على وجه الأرض؛ لأن الناس إذا خلت عنهم الأرض وكان سائر الحيوانات خلقت لهم أهلكوا أيضًا ﴿وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: معلومٍ عنده لكلِّ قوم. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾: وقتهم عذبهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾: عالمًا بهم وبوقت عذابهم(١).

(انتهى تفسير سورة فاطر).

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٥٦٠)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٧٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٦٥)، والكشف والبيان (٨/ ١١٥)، ومعالم التنزيل (٦/ ٤٢٦).

(٣٦) سورة يس مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، سميت هذه السورة يس بمسمى الحرفين الواقعين في أولها في رسم المصحف لأنها انفردت بهما فكانا مميزين لها عن بقية السور، فصار منطوقهما عَلَمًا عليها. وكذلك ورد اسمها عن النبي ﷺ، وهي السورة الحادية والأربعون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة قل أوحي وقبل سورة الفرقان، وهي ثلاث وثمانون آية، وقيل: اثنتان وثمانون آية، والاختلاف في يس أنه آية عند الكوفيين، وكلماتها سبع مئة وخمس وعشرون، وحروفها ألفان وسبع مئة وستة وسبعون.

أغراض هذه السورة:

التحدي بإعجاز القرآن بالحروف المقطعة، وبالقسم بالقرآن تنويها به، وأدمج وصفه بالحكيم إشارة إلى بلوغه أعلى درجات الإحكام. والمقصود من ذلك تحقق رسالة محمد ﷺ وتفضيل الدين الذي جاء به في كتاب منزل من الله لإبلاغ الأمة الغاية السامية وهي استقامة أمورها في الدنيا والفوز في الحياة الأبدية، وأن القرآن داع لإنقاذ العرب الذين لم يسبق مجيء رسول إليهم، لأن عدم سبق الإرسال إليهم تهيئة لنفوسهم لقبول الدين إذ ليس فيها شاغل سابق يعز عليهم فراقه أو يكتفون بما فيه من هدى، ووصف إعراض أكثرهم عن تلقي الإسلام، وتمثيل حالهم الشنيعة، وحرمانهم من الانتفاع بهدي الإسلام وأن الذين اتبعوا دين الإسلام هم أهل

الخشية وهو الدين الموصوف بالصراط المستقيم، وضرب المثل لفريقي المتبعين والمعرضين من أهل القرى بما سبق من حال أهل القرية الذين شابه تكذيبهم الرسل تكذيب قريش، وكيف كان جزاء المعرضين من أهلها في الدنيا وجزاء المتبعين في درجات الآخرة، ثم ضرب المثل بالأعم وهم القرون الذين كذبوا فأهلكوا، والرثاء لحال الناس في إضاعة أسباب الفوز كيف يسرعون إلى تكذيب الرسل، وتخلص إلى الاستدلال على تقريب البعث وإثباته بالاستقلال تارة وبالاستطراد أخرى، مدمجًا في آياته الامتنان بالنعمة التي تتضمنها تلك الآيات، ورامزًا إلى دلالة تلك الآيات والنعم على تفرد خالقها ومنعمها بالوحدانية إيقاظا لهم، ثم تذكيرهم بأعظم حادثة حدثت على المكذبين للرسل والمتمسكين بالأصنام من الذين أرسل إليهم نوح نذيرًا، فهلك من كذب، ونجا من آمن، ثم سيقت دلائل التوحيد المشوبة بالامتنان للتذكير بواجب الشكر على النعم بالتقوى والإحسان وترقب الجزاء، والإقلاع عن الشرك والاستهزاء بالرسول واستعجال وعيد العذاب.

وحذروا من حلوله بغتة حين يفوت التدارك، وذكروا بما عهد الله إليهم مما أودعه في الفطرة من الفطنة، والاستدلال على عداوة الشيطان للإنسان، واتباع دعاة الخير، وسلى الله رسوله ﷺ أن لا يحزنه قولهم وأن له بالله أسوة إذ خلقهم فعطلوا قدرته عن إيجادهم مرة ثانية ولكنهم راجعون إليه فقامت السورة على تقرير أمهات أصول الدين على أبلغ وجه وأتمه من إثبات الرسالة، والوحي، ومعجزة القرآن، وما يعتبر في صفات الأنبياء، وإثبات القدر، وعلم الله، والحشر، والتوحيد، وشكر المنعم، وهذه أصول الطاعة بالاعتقاد والعمل، ومنها تتفرع الشريعة. وإثبات

الجزاء على الخير والشر مع إدماج الأدلة من الآفاق والأنفس بتفنن عجيب[١]، وانتظامُ أول هذه السورة بآخر سورة الملائكة بالكلمتين: أن آخر تلك السورة باسم من أسماء اللَّه وأولَ هذه السورة كذلك، وبالآيتين: أنَّ ختم تلك بقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ ومن كسبهم تكذيب الرسل، وفي أول هذه السورة بيان إرسال الرسول، وبالآيات: أن من أواخر تلك السورة ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وما بعده في تقدير ذلك، وفي أول هذه السورة بيان إرسال النذير، وانتظام السورتين: أنهما في محاجَّة المشركين المنكرين بعثَ الرسل في الدنيا وبعثَ الموتى في العُقبى، وفي ذمهم ووعيدهم، وفي مدح المؤمنين المقرِّين بذلك ومواعيدهم[٢].

(١ -٢) - ﴿يس﴾، قيل: هو اسم من أسماء اللَّه تعالى، وهذا قسمٌ به، وقيل: هو اسم القرآن. وقيل: هو اسم هذه السورة. وقيل: هو من الغيب الذي استأثر الله به فهو أعلم بمراده[٣]. ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ قسم بالقرآن المحكَم فلا يَلحقُه

(٣ - ٤) - ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: خطاب لنبينا محمدﷺ، وقسم على إرساله إلى الخلق. ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: له وجهان: أحدهما: إنك ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. والثاني: أنه صفة لـ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: أنت منهم، دليل الأول قوله: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الزخرف: ٤٣]، ودليل الثاني قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

---

(١) التحرير والتنوير(٢٢/ ٣٤٤).

(٢) البيان في عد آي القرآن للداني (ص: ٢١١)، التيسير في التفسير (١٢/ ٣٣٢).

(٣) جامع البيان (١٩/ ٣٩٨).

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[١].

(٥ - ٦) - ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾: أي: مُنزَل اللَّه العزيزِ المنيعِ المتقِم من أهل معصيته الرحيمِ بأهل طاعته، وقيل المعنى: والقرآنِ المنزلِ تنزيلًا من العزيز الرحيم. ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا﴾: أي: إنك لمرسلٌ ﴿لِتُنْذِرَ﴾؛ أي: لتخوِّف من عذاب اللَّه ﴿قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾: أي: لتنذرهم بالذي أَنذر الرسلُ المتقدِّمون آباءَ هؤلاء. وقيل المعنى: قومًا لم ينذِر آباءَهم أحدٌ من الرسل؛ أي: لم يأتهم رسل؛ كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]، ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾: أي: عن التدبُّر في إنذار الرسل الماضين، وقيل: أي: عن التدبر بالعقول فيما يَلزمُهم من توحيد اللَّه، وفيما جاء به رسولهم هذا.

(٧-٩) - ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾: أي: لقد تحقَّق قول اللَّه على أكثر هؤلاء بموتهم على الكفر ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وهو في قومٍ علِم اللَّه منهم اختيارَ الكفر والإصرارَ عليه، فشاء منهم ذلك وأخبر عنهم بذلك فهُم كذلك. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ بِأَنْ تُضَمّ إِلَيْهَا الْأَيْدِي لِأَنَّ الْغُلّ يَجْمَع الْيَد إِلَى الْعُنُق ﴿فَهِيَ﴾ أَيْ: الْأَيْدِي مَجْمُوعَة، ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جَمْع ذَقَن وَهِيَ مُجْتَمَع اللَّحْيَيْنِ، ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾: رافعون رؤوسهم لَا يَسْتَطِيعُونَ خَفْضهَا وَهَذَا تَمْثِيل وَالْمُرَاد أَنَّهُمْ لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له[٢]. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾: أي: منعناهم الألطافَ فانسدَّت عليهم المسالك فلم

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٣٣٦).

(٢) تفسير الجلالين (١/ ٥٧٩).

يقدروا على النفوذ منها. ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾: أي: أعميناهم وغطَّينا أبصارهم. ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: وهذا من أشدِّ ما يقع به المنعُ من النفوذ، وهو انسدادُ المسالك مع عدم البصر. وقيل: هو مَثَلٌ لتحيُّرهم وتردُّدهم في ضلالتهم.

(١٠ -١١) - ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: هم قومٌ عَلِم اللَّه منهم ذلك. ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾: أي: إنما ينتفع بإنذارك مَن اتَّبع الذكر أي: القرآن، ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ قيل: بالعذاب الغيبِ الذي أخبر به. ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ يا محمد ﴿بِمَغْفِرَةٍ﴾: بأن اللَّه تعالى يغفر له ما سلف في شركه ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾: ثوابٍ خطير في الجنة.

(١٢ -١٤) - ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى﴾: في الآخرة بالبعث للحساب والجزاء ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في الدنيا ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ من الأعمال الصالحة والسيئة. ﴿وَآثَارَهُمْ﴾: ما خلَّفوه مما يضاف إليهم من الأموال والأولاد وسائر الآثار. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾: أي: عدَدْناه وحفِظناه. ﴿فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾: أي: في اللوح المحفوظ (١)، ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾: أمر نبيَّه ﷺ بإنذار هؤلاء المشركين أن ينزل بهم في الدنيا ما نزل بكفار أهل تلك القرية، فقال: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾؛ أي: صِفْ لهم شَبَهًا يمتثِلونه في أمرك وأمرهم ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ ترجمةٌ عن قوله: ﴿مَثَلًا﴾، وهي أنطاكية. ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: رسل اللَّه، وقيل: رسل المسيح. ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾: أي: أرسلنا في الابتداء رسولين. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: أي: أهلُ القرية جحدوهما. ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾: أي: قوَّيناهما

(١) الدر المنثور (٧/ ٤٦)، والبسيط (١٨/ ٤٦٢) وتفسير مقاتل (٣/ ٥٧٥).

برسول ثالث صدَّقهما، ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾: أي: قال الثلاثة لأهل القرية: قد أُرسلنا اللَّه إليكم فصدِّقونا[(١)].

(١٥-١٨) - ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: قال أهل أنطاكية: ما أنتم أيها الثلاثة إلا آدميُّون مثلُنا فمن أين يجب علينا طاعتُكم، أو يجعلُكم اللَّه رسلًا إلينا؟ ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾: أي: وحيًا من السماء. ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾: أي: ما أنتم إلا تكذبون في دعوى الإرسال والإنزال. ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾: ويَشهد لنا على صدق دعوانا، والاستشهادُ باللَّه تأكيدٌ وتحقيقٌ وتقريرٌ في النفوس. ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أي: ليس عندنا من طاعته إلا أن نبلِّغ رسالته إليكم، ولا سلطان لنا على إجباركم على الإيمان، ولا أن نوقع في قلوبكم العلم بصدقنا. ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: أي: تشاءمنا بكم، ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾: أي: لنقتلنكم بالحجارة. ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: غليظٌ شديدٌ وجيع.

(١٩) - ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾: أي: ما تطيَّرتم به من المكروه فذلك شيءٌ ألزمه اللَّه تعالى أعناقَكم وكتبه عليكم، فهو جارٍ لكم وواقع بكم لا من جهتنا. وقال أهل التفسير: الطائر هاهنا: هو العمل والحظُّ من الخير والشر. وقيل: ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾؛ أي: إنما المكروه الواقع بكم بسوء أعمالكم لا مِن جهةِ غيركم. ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾: أي: وعظتم وخوفتم، أفيكون هذا دَأْبَكم لا تتدبرون وعظًا ولا تتفكرون في تنبيه ولا تردُّون قولنا بحجة؟؛ أي: فليس هذا فعلَ العقلاء.

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ١٢٥).

وقيل: معناه: أئن ذكرتم بالله تهدِّدوننا بالرجم والتعذيب. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾: أي: ليس لكم التطيُّرُ لعلمكم بأنَّا صادقون، ولأنكم قوم أسرفتُم على أنفسكم في ارتكاب المعاصي؛ أي: أكثرتم من ذلك وجاوزتُم الحد في قلة النظر لأنفسكم.

(٢٠) - ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾: ثبت أن تلك القرية كانت مدينةً متباينةَ الأطراف. ﴿رَجُلٌ﴾: هو حبيبٌ النجار ﴿يَسْعَى﴾: أي: يعدو. وقيل: يقصد وجه الله بالذبِّ عن رسله، ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: اتبعوا الرسل الكرام الداعين إلى توحيد الله، وإنما قال: ﴿يَاقَوْمِ﴾ تأليفاً لقلوبهم واستمالة لها لقبول النصيحة ﴿اتَّبِعُوا﴾ هؤلاء الذين أرسلهم الله.

(٢١-٢٥) - ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾: أي: على رسالته، ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾: أي: على دينٍ حقٍّ يدعونكم إليه. ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾: أي: وأيُّ شيء يمنعُني من أن أعبد الله الذي هو ابتدأ خلقي؟، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: أنتم للعرض والحساب والجزاء. ﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾: أي: أصنامًا ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾؛ أي: لا يخلصوني، دل أنهم كانوا عبدةَ أصنام. ﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي: إن فعلتُ فعلكم كنتُ ضالًّا بيِّنَ الضلال مثلكم. ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾: أي: فاشهدوا عليَّ بالإيمان أيها الرسل. وقيل ﴿فَاسْمَعُونِ﴾؛ أي: فأطيعون يا قوم.

(٢٦ - ٢٧) - ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾: وهاهنا مضمر؛ أي: فقُتل فقيل له: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، وقوله: ﴿قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾: أي:

بمغفرة اللَّه لي، تمنى أن يعلمَ قومه بأنه غُفر له بإيمانه فيرغبوا في الإيمان. ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ بالجنة[١].

(٢٨) - ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾: أي: ولم يُنزل على قوم هذا الرجل جندًا من السماء لتعذيبهم كما يحتاج الملوك من البشر في الإيقاع بأعدائهم إلى ذلك. ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾؛ أي: وليس من صفاتي الحاجة إلى ذلك.

(٢٩ - ٣٠) - ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: أي: ما كانت العقوبة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾؛ أي: ميتون، خمدت أرواحهم وسكنت أنفاسهم؛ كالنار إذا طَفِئت من الإيقاد. ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾: أي: ندامةً تكون من العباد على أنفسهم إذا صاروا إلى دار الجزاء ورأوا ثواب أهل الطاعة، ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾: أي: ما يأتي العباد رسول ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾؛ أي: يسخرون.

(٣١-٣٢) - ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾: أي: كفارُ قريش ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ على تكذيب الرسل فيعتبروا بهم. ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: أي: قد رأوا أن مَن هلك لا يرجع إلى الدنيا، بل هم قوم مُبقَّون في قبورهم إلى أن يُبعثوا فيحاسَبوا فيجازَوا بأعمالهم. ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾: أي: وما كلٌّ لمَّا جميع؛ أي: إلا جميع لدينا محضَرون، يعني: في موقف حسابنا يوم القيامة محضَرون

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٤٣١)، وروح المعاني (٢٢/ ٢٢٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٥١)، والكشف والبيان (٨/ ١٢٦)، ومعالم التنزيل (٧/ ١٥).

للعرض والجزاء.

(٣٣ - ٣٤) - ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾: أي: ومن العلامات الدالَّات على كمال قدرتنا على إحياء الموتى وغيرِ ذلك: أنَّا نحن نحيي بالماء الذي ينزل من السماء الأرضَ التي قد ماتت فصارت لا نباتَ لها ولا حركة بها. ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾: أي: أخرجنا منها أنواعَ الحب من الأطعمة كالحنطة والشعير والأقوات ﴿فَمِنْهُ﴾؛ أي: من ذلك الحَبِّ ﴿يَأْكُلُونَ﴾ غذاءً لهم. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: أي: في الأرض ﴿جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾وهما أعلى الثمار فخصَّهما بالذكر لذلك. ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾: في الجنات عيونَ الماء؛ لتَحسُنَ مناظرُها وتبلغَ ثمارها(١).

(٣٥) - ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾: ليكون لهم ثمارٌ يأكلونها. ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: قيل: هو نفي؛ أي: ولم تعمله أيديهم، فإن اللّه أخرجها لهم، وقيل: هو بمعنى (الذي)؛ أي: ومِن الذي عملَتْه أيديهم، وهي أصنافُ الأشربة والحلاوات، وقيل: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾؛أي: ما غرسوه من الجنان ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ لم يَغْرِسوه. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: كلمة استبطاءٍ وحثٍّ على الشكر.

(٣٦) - ﴿سُبْحَانَ الَّذِى﴾: أي: تنزيهًا للّه تعالى عمّا لا يليق به من قول الكفار. ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾؛ أي: الأصنافَ والأنواع من كلِّ شيء. ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾: أي: تُخرج من الحب والنخل والأعناب. ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: أي:

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٨١)، والبسيط للواحدي (١٨/ ٤٧٦).

ومن البشر. ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: من أصناف خلقه في البَرِّ والبحر وقُعور الأرض وفي السماوات، وفي ذلك تعريفٌ أنه إذا كان خالقَ الأصناف كلِّها من غير أن يَشْرَكه فيه غيره، وجب تنزيهه عن الشركاء الذين لا يخلقون كخَلْقه، وفيه بيانُ وجوب النظر في علم الأصول، والاستدلالِ بدلائل العقول.

(٣٧) - ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾: أي: ومن علامات قدرتنا وعِلمنا ورحمتنا ما ترونه من مجيء الليل والنهار خلفةً، نسلخ من الليل النهار؛ أي: نزيل منه الضوء الذي يكون بالنهار. ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾: أي: داخلون في الظلمة بمجيء الليل.

(٣٨) - ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾: أي: إلى مستقرٍّ لها، وقيل: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾: لوقتٍ واحدٍ لها لا تَعْدُوه. ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾: أي: مَن تأمَّل أحوال مجيء الليل والنهار ومجاريَ الشمس علم بما يجد من دلائل الحدوث وآثار التدبير أنها مقدَّرة مدبَّرة لمدبِّرٍ عالمٍ عزيز لا يغالَب ولا يُمنع مما يريد إمضاءَه في خليقته.

(٣٩) - ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾: أي: وفي القمر دلالةُ ذلك أيضًا؛ لأنه في مسيره لازم لطريقةٍ واحدة لا تختلف، بل ينزل كلَّ ليلةٍ منزلًا معروفًا فيقطع الفَلَك في ثمانٍ وعشرين ليلةً، ثم يستسِرُّ ثم يَطلع هلالًا، ومنازلُه ثمانية وعشرون نجمًا. ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾: العرجون: العِذْقُ الذي فيه الشماريخ، فإذا تقادم عهدُه حتى ييبس تقوَّس؛ أي: يَدِقُّ القمر في ليلة ثمانٍ وعشرين حتى يصير

كالعرجون المتقادم في الدقة والتقوُّس(١).

(٤٠) - ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾: قيل: أي: خلَقهما الله تعالى على صفةٍ يستحيل إدراك الشمس القمرَ واجتماعُهما ما بقيت الدنيا، فإذا انقضى العالم وقامت القيامة جمع الشمس والقمر. وقيل: أي: لا يصلُح أن تدركَ الشمس القمرَ فيغلبَ ضوؤها ضوءَه، فتذهبَ آية الليل وتصيرَ الأوقات كلُّها نهارًا. ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾: أي: ولا يصلح أن يكون الليل غالبًا للنهار فتكونَ الأوقاتُ كلُّها ليلًا، بل يتعاقبان لمصالح أهل الدنيا. ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: أي: كلُّ واحد من الشمس والقمر والنجوم التي هي مثلُهما يَجرون في الفَلَك بسرعةٍ، وكلُّ واحدٍ مسخَّرٌ مقصورٌ على ما لا يتعدَّاه.

(٤١) - ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: أي: ومن علامات قدرتنا ودلائل وحدانيتنا أنَّا حملنا ذرية هؤلاء المشركين من أهل مكة في سفينة نوح المملوءةِ من الناس ومما يحتاجون إليه، والذرية: الأولاد، وتقديره: ذريةَ أصلهم؛ أي: آدم، وقيل: أراد بالذرية الأسلافَ.

(٤٢-٤٣) - ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾: أي: مثلِ الفلك المشحون وهو سفينةُ نوح. ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾: من السفن في كلِّ زمان ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾: في البحر مع السفينة ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾؛ أي: فلا مُغيث لهم ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾؛ أي: يَخلصون(٢).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٤٤٥)، وجامع البيان (٢٣/ ٢٨٣).

(٢) التيسير في التفسير (١٢/٣٦٣).

(٤٤ -٤٥) - ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾: إلا أن نرحَمهم نحن فنخلِّصَهم. ﴿وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾: ونمتِّعَهم بالبقاء إلى انقضاء أعمارهم. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾: أي: وإذا قيل لهؤلاء المشركين: ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من الآخرة فاعمَلوا لها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من الدنيا اتَّقوها فلا تغترُّوا بها. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: ما سلف قبلكم من عقوبات اللَّه للأمم الخالية أن ينزل بكم مثلُها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من العذاب في الآخرة بعد هلاككم. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: لتُرحموا.

(٤٦ - ٤٧) - ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: ﴿مِنْ﴾ للتأكيد، ومعناه: وما تأتيهم آيةٌ. قيل: هي انشقاق القمر بمكة نصفين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: إن أصحاب رسول اللَّه ﷺ قالوا للمشركين: أعطونا ما زعمتُم من أموالكم أنها للَّه مما ذرأ من الحرث والأنعام، فسألوهم نصيب اللَّه من أموالهم فحرموهم فقالوا: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾: أي: أنُعطي مَن لو يشاء اللَّه أعطاه؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار. ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي: ما أنتم إلا في ضلال بيِّنٍ وظاهر[١].

(٤٨ - ٤٩) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أي: الساعة، قالوا: متى الساعةُ التي تَعِدوننا بها، فقد أتت على آبائنا الدهور الكثيرة فلم تأت؟ فأُجيبوا عن ذلك: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾: أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾؛ أي: ترسَل عليهم فتهلكُهم وهي النفخة الأولى. ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾:

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٥٤٩)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٣٦٥).

أي: في حال اختصامهم.

(٥٠) - ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾. يقول: تأتيهم الساعة وهم يتخاصمون في أمور دنياهم وأسباب معايشهم في الأسواق وغيرها ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾: وهم بحضرتهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ يتمكَّنون من الرجوع إليهم وهم على غيبةٍ منهم؛ أي: لا يُمْهَلون بل يُهلَكون للحال.

(٥١) - ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: أي: نفَخ إسرا فيل في القرن للبعث. ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: أي: القبور، والواحد: جَدَث. ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾: أي: إلى موضع حساب الله يسرعون، والنَّسَلان: العَدْو.

(٥٢) - ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾: أي: مَن أيقظَنا من موضع رُقادنا؛ أي: من نومنا، ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾: وهو البعث للحساب والجزاء ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ في الإخبار عنه[١].

(٥٣ - ٥٤) - ﴿إِنْ كَانَتْ﴾: أي ما كانت إعادتهم وقيل: أي: النفخة. ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: أي: إلا نفخةً واحدةً في الصُّور. ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾: أي: مجتمعون لدينا قد أُحضروا موقفَ الحساب بسرعة لم يتخلَّف منهم أحد. ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾: أي: لا يُنقَص من ثواب طاعته ولا يُحمل عليه معصيةُ غيره. ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: من خيرٍ وشرٍّ.

(٥٥) - ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾: أي: الذين وعدهم الله الجنة على الإيمان والطاعة. ﴿فِي شُغُلٍ﴾: أي: مما فيه أهلُ النار من العذاب، ومما هم فيه من

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٤٥٨).

التقلُّب في النعيم وأنواع الملاذِّ؛ ﴿فَاكِهُونَ﴾ أي: ناعمون[(١)].

(٥٦) - ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾: قيل: نساؤهم اللاتي كن لهم في الدنيا. وقيل: هنَّ الحور العين. وقيل: يجوز أن يكون الكلُّ مرادًا. ﴿فِي ظِلَالٍ﴾: جمع ظُلَّةٍ. وقيل: الظلال: الستار عن وهج الشمس لا حرَّ فيها ولا برد. وقيل: أي: هم خالون بهن لا يقع عليهن أبصار غيرهم، والجمع بينهم وبينهن إتمام لسرورهم. ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾: جمع أريكة. قيل: هي الفُرُش. وقيل: هي الوسائد.

(٥٧- ٥٨) - ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾: أي: ما يتمنَّون. يعني: إذا خلا في نفسه فتفكَّر شيئًا وُضع بين يديه من غير أن ينطق بلسانه، ﴿سَلَامٌ﴾: أي: ولهم سلام؛ أي: تحية. ﴿قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾: أي: خطابًا من اللَّه تعالى بغير واسطة.

(٥٩- ٦٠) - ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾: أي: يقال لهم: تميَّزوا عن أهل الجنة، فإنهم يُجزون على ضدِّ ما تجزون وقيل: هو إخبار عن تمييزهم من أهل الجنة. ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: أي: يقال لهؤلاء المشركين عند إدخالهم النار توبيخًا لهم: ألم أُوْصِ إليكم؟ ألم آمركم على ألسنة رسلي يا أولاد آدم ألَّا تطيعوا الشيطان ولا تعظِّموا أمره ولا تتذلَّلوا له بالانقياد لِمَا يوسوس إليكم من اتِّباع الشهوات وترك الديانات؟ ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ قد أبان لكم عداوته.

(٦١ - ٦٢) - ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾:أي: وحدوني وأطيعوني فإني خالقكم ورازقكم. ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: فإنه طريقٌ سويٌّ مَن سلَكه استقام به إلى رضواني

---

(١) البسيط (١٨/ ٥٠٣)، والكشف والبيان (٨/ ١٣٢)، والنكت والعيون (٥/ ٢٥).

والوصول إلى جِناني. ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾: أي: أغوى أو أهلك منكم خلقًا كثيرًا. ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾: أنه فعَل بهم ذلك فتحذَروا مثلَه.

(٦٣ - ٦٥) - ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها على شرككم ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾؛ أي: ادخلوها ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾؛ أي: بسبب كفركم. ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾: إذا قيل لهم: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠] جحدوا وقالوا: ما عبدناه، فيَختم اللَّه على أفواههم؛ أي: يفعل بأفواههم ما لا يمكِنهم معه أن يتكلَّموا بألسنتهم، وفسر هنا بالإخراس. ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ تخبرُ بما امتدَّت إليه في المعاصي ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ بما خطَوا به إلى الباطل، وهو قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

(٦٦) - ﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾: أي: في الدنيا ﴿لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾؛ أي: على أعين هؤلاء الكفار؛ أي: لأعميناهم ومحَوْنا نورَ أبصارهم. ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾: أي: فبادروا في أول العمَى إلى الطريق ليَسلكوه إلى منازلهم أو مَقْصِدٍ آخر فلم يقدروا على ذلك. ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾: أي: فكيف يبصرون بعدما أعميناهم؟

(٦٧) - ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾: أي: لبدَّلنا خِلقتَهم وقَلَبْنا بِنيَتهم فصيَّرناهم جمادًا. ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾؛ أي: مكانهم، كالمَقام والمَقامة ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ قيل: لأقعدنا أرجلهم فلم يتقدموا ولم يتأخروا.

(٦٨) - ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾: مَن أطلنا عمرَه صيَّرناه إلى حالةِ الهرم التي تشبه حالةَ الصِّبا في ضعفِ العلم والقوة ونقصان الجسم والبِنية. ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنوا.

(٦٩) - ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي﴾: يقول: إن الذي علَّمناه محمدًا مما يتلوه عليكم ويحاجُّكم به ليس بشعرٍ كما يقوله بعضكم. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: أي: ما القرآن إلا ذكر ذكَركم اللَّه به، وقيل: شرفٌ لكم لأنه بلسانكم. ﴿وَقُرْآنٌ﴾: أي: وكتاب يقرأ ﴿مُبِينٌ﴾ مظهر لما تحتاجون إليه من أحكام وغيرها.

(٧٠) - ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾: أي: ليخوِّف مَن كان حيَّ القلب؛ أي: هو الذي يَنتفع به. ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾: أي: وليتحقَّق وعيدُ اللَّه بالعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(١).

(٧١) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: الألف للاستفهام، وهو بمعنى الإثبات، والواو للعطف، ومعناه: أولم يروا مع سائر ما رأوه من آياتنا ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾؟؛ أي: مما تولَّينا خَلْقَه منفردِينَ به لم يشاركنا فيه أحد. ﴿أَنْعَامًا﴾: وإبلًا وبقرًا وغنمًا. ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾: مصرِّفون فيها على ما يشاؤون بالقهر بتسخيرنا إياها لهم، ولولا ذلك لما أطاقوها لقواها وعظم أجسامها.

(٧٢ - ٧٤) - ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾: أي: ليَّنَّاها وسخَّرناها. ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: هو ما يركب ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾: من لحومها وشحومها. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من قوله: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨]، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ [النحل: ٨٠]. ﴿وَمَشَارِبُ﴾: من ألبانها. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: لخالق هذه النعم وباسطِ هذه النعم بالإخلاص والطاعة. ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾: أي وعبد المشركون آلهة من الأحجار رجاء أن يُنصروا بها

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٥٨٤)، وجامع البيان (١٩/ ٤٨٠)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٣٧٩).

وهي صماء بكماء، لا تسمع الدعاء ولا تستجيب للنداء، ﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: أي: يرجون نصرهم؛ أي: منعهم من العذاب.

(٧٥) - ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ أي: آلهتهم: وهو قطع رجائهم منهم. ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾: قيل: أي: والمشركون للأصنام ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ في التعصُّب لها والذبِّ عنها. وقيل: ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ عند الحساب؛ أي: لتشفع لهم، فتكذِّبهم وتتبرَّأ منهم.

(٧٦ - ٧٧) - ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ أي: يا محمد ﷺ لا تحن على تكذيبهم لك، واتهامهم بأنك شاعرٌ أو ساحر، وهذه تسليةٌ للنبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهنا تمَّ الكلام ثم قال تعالى ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: أي: إنَّا نعلم سرَّهم وعلانيَتهم، إضمارَهم وإظهارهم لك، وسنكافيهم على ذلك. ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾: أولم يعلمْ هذا الكافر، وهو أبي بن خلف، وقيل: العاص بن وائل، أنا خلقناه من نطفة أي: منيٍّ إلى أن صار قويًّا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي: شديد الخصومة بيِّنُها في نفي البعث.

(٧٨ - ٨٠) - ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾: بيَّن لنا شبهًا لأمر البعث ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾: نسي أمر خَلْقه كيف كان، وأنه لم يكن كما هو الآن، وإنما كان مَوَاتًا فأُحيي. ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: أي: باليَةٌ. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أي: خلقها وأوجدها، وإذا قدر على إيجادها بداءً قدر على إعادتها. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾: ثم قرن هذا بما هو أبلغ منه في الدلالة على كمال القدرة فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾: أي: الرطب ﴿نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ

تُوقِدُونَ﴾؛ أي: من الشجر ﴿تُوقِدُونَ﴾ ومَن قدر على أن يجعل في الشجر الذي فيه الرطوبةُ نارًا فلا رطوبةُ الشجر تطفئها ولا النار تحرق الشجر، قدر على إحياء الموتى[١]. ثم نبَّههم على ما هو أعظم من هذا فقال:

(٨١ -٨٣) - ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: أي: أمثالَ هؤلاء المنكِرين للبعث بدءًا وإعادةً؛ أي: مَن قدر على الأكبر قدر على الأصغر. ﴿بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: أي: يكونه في أسرع وقت لا يعجزه شيء ولا يتعبه شيء. ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: أي: نزِّهوا اللَّه عما أضافه إليه هؤلاء المشركون فهو الذي بيده ملكوت كلِّ شيء؛ أي: هو مالك كلِّ شيء ومصرِّفه. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيحاسبُكم ويجازيكم على طاعاتكم ومعاصيكم[٢].

(انتهى تفسير سورة يس).

---

(١) تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٤٦)، وجامع البيان (١٩/ ٤٨٦)، وزاد المسير" (٧/ ٤١).

(٢) الكشف والبيان (٢/ ١٤٦)، ومعالم التنزيل (٧/ ٢٩)، والبسيط (١٨/ ٥٢٨)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٣٨٣).

(٣٧) سورة الصافات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورةُ مكِّيَّةٌ، اسمها المشهور المتفق عليه «الصافات». وبذلك سميت في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف كلها، ووجه تسميتها باسم «الصافات» وقوع هذا اللفظ فيها بالمعنى الذي أريد به أنه وصف الملائكة، وهي السادسة والخمسون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الأنعام وقبل سورة لقمان، وهيَ مئةٌ وإحدى وثمانون آيةً، وقيلَ: اثنتان وثمانون، الاختلافُ في آيتين: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾، ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾، وكلماتُها ثماني مائةٍ واثنتان وستُّون كلمةً، وحروفُها ثلاثةُ آلافٍ وثماني مئة وستةٌ وعشرون حرفًا.

أغراضها:

إثبات وحدانية الله تعالى، وسوق دلائل كثيرة على ذلك دلت على انفراده بصنع المخلوقات العظيمة التي لا قبل لغيره بصنعها وهي العوالم السماوية بأجزائها وسكانها ولا قبل لمن على الأرض أن يتطرق في ذلك. وإثبات أن البعث يعقبه الحشر والجزاء ووصف حال المشركين يوم الجزاء ووقوع بعضهم في بعض. ووصف حسن أحوال المؤمنين ونعيمهم. ومذاكرتهم فيما كان يجري بينهم وبين بعض المشركين من أصحابهم في الجاهلية ومحاولتهم صرفهم عن الإسلام. ثم انتقل إلى تنظير دعوة محمد ﷺ قومه بدعوة الرسل من قبله، وكيف نصر الله رسله ورفع شأنهم وبارك عليهم. وأدمج في خلال ذلك شيء من مناقبهم وفضائلهم

وقوتهم في دين الله وما نجاهم الله من الكروب التي حفت بهم. وخاصة منقبة الذبيح، والإشارة إلى أنه إسماعيل. ووصف ما حل بالأمم الذين كذبوهم. ثم الإنحاء على المشركين فساد معتقداتهم في الله ونسبتهم إليه الشركاء، وقولهم: الملائكة بنات الله، وتكذيب الملائكة إياهم على رؤوس الأشهاد. وقولهم في النبي ﷺ والقرآن، وكيف كانوا يودون أن يكون لهم كتاب. ثم وعد الله رسوله بالنصر كدأب المرسلين ودأب المؤمنين السابقين، وأن عذاب الله نازل بالمشركين، وتخلص العاقبة الحسنى للمؤمنين[(١)]، وانتظامُ أوَّلِ هذه السُّورةِ بآخرِ تلكَ السُّورةِ: أنَّه ذكَرَ في ختمِ تلكَ: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وأقسَمَ في أوَّلِ هذه السُّورةِ على أنَّه إلهٌ واحدٌ لا يُشبهُه شيءٌ، وانتظامُ السُّورتين: أنَّهما في مُحاجَّةِ المشركين، وفي إثباتِ الرِّسالةِ والبعثِ يومَ الدِّينِ، والتَّنبيهِ بقصصِ الأوَّلين[(٢)].

(١) - ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ الملائكة تصف نفوسها في العبادة أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به: وهوَ قسَم بالملائكةِ على أنَّ اللَّهَ إلهٌ واحدٌ، وسُمِّيَتْ بها لأنَّهم صافُّون في السَّماواتِ في الصَّلواتِ. وقيل: لأنَّها تصُفُّ أجنِحَتَها في الهواءِ إذا نزلَتْ للوحيِ وغيرِه.

(٢ - ٤) - ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه، وقيل: النَّازِلاتِ بما هو زَجْر للخلْقِ عنِ المعاصي. ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾: القارِئاتِ على الرُّسُلِ ذِكرًا، أيْ: وحْيًا مِن اللَّهِ، وقيل: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ يعني: آياتِ القرآنِ

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ٨٣).

(٢) الكشف والبيان (٨/ ١٣٨).

تتلو ذِكْرَ ما مضى، وذِكْرَ ما نحنُ فيه، وذِكْرَ ما بقِيَ، ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ المقسَمُ عليه، وقيل: إنَّ المشركين قالوا: كيف يقومُ إلهٌ واحدٌ بحوائجِنا ولنا ثلاثُ مئةٍ وستُّون إلهًا لا يقُمْنَ بحوائجِنا؟! فأقسَمَ اللَّهُ على أنَّ إلَهَهمْ وإلَهَ مَن في السَّماواتِ والأرضِ وقاضي حوائجِهم واحدٌ(١).

(٥) - ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾. ثُنِّيَ والسَّماواتُ جمعٌ؛ لأنَّ السَّماواتِ جِنْسٌ والأرضَ جِنْسٌ، فهما جِنْسان. ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾: أي: ومالِكُ مطالعِ الشَّمسِ في كلِّ يومٍ مِن أيَّامِ السَّنَةِ والمُدبِّرُ لها.

(٦) - ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾: هيَ تأنيثُ الأدنى؛ أي: الأقربُ، وهي الَّتي تلِينا وتدنو منَّا. ﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾: أي: بضوئها، أو بالزِّينةِ القائمةِ بالكواكبِ.

(٧) - ﴿وَحِفْظًا﴾: أي: وحَفِظناها حِفْظًا. وقيل: وجعلْناها حِفْظًا، ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾: أي: مُتناهٍ في الفَسادِ والإفسادِ. وقيلَ: أي: مُتجرِّدٍ عن كلِّ خيرٍ؛ كالأمردِ، والشَّجرةِ المَرْداءِ؛ أي: المُتجرِّدةُ مِن الأوراق.

(٨) - ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ﴾: بالتَّشديدِ؛ أي: لا يتسمَّعون، أُدغِمَتِ التَّاءُ في السِّينِ؛ أي: لا يتعرَّضون للسَّماعِ بالإصغاءِ، وبالتَّخفيفِ مِنَ السَّماعِ، ومعناه: لئلَّا يسْمَعوا، ﴿إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾: أي: الملائكةِ، ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾: أي: الشياطين يُرْمَون بالشهب ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾: أيْ: مِن جوانبِ السَّماءِ.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٥٩١)، والكشف والبيان (٨/ ١٣٩)، والنكت والعيون (٦/ ٣٧٠)، والتفسير الكبير (٣٢/ ٣٥٧).

(٩) - ﴿دُحُورًا﴾: أي: طَرْدًا وإبعادًا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: أي: دائمٌ في الآخرة؛ لكُفرِهم وإضلالِهم النَّاسَ وإيهامِهم إيَّاهم أنَّهم يعلمون الغَيْبَ كالأنبياءِ؛ طمَعًا في إفسادِ النُّبُوَّاتِ.

(١٠) - ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾: أي: سلَبَ السَّلْبَةَ، ومعناه: أخذَ شيئًا مِن كلامِهم بسرعةٍ طالبًا للغَفْلةِ. وقيل: هذا الاختطافُ ليس في حقِّ الوحيِ، فقد ذكَرَ أنَّه يحفظُه عنهمْ، لكنَّه في تسمُّعهمْ كلامَ الملائكةِ في أشياءَ أُخَرَ سوى الوحيِ، فإذا أخَذوا شيئًا مِن ذلكَ رُجِموا، فذلكَ قولُه: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾: أي: لحِقَه شهابٌ؛ أي: نجمٌ راجمٌ. ﴿ثَاقِبٌ﴾: أي: مُضيءٌ، وقيل: نافِذٌ.

(١١) - ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: أي: فاسألِ المشركين يا محمَّدُ: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾؛ أي: مِن الأممِ الماضيةِ الَّذين كانوا أشدَّ منكم قوَّةً، وأكثرَ أموالًا وأولادًا، فإنْ أجابوكَ أنَّهم أشدُّ ممَّنْ سلَفَ فقلْ لهم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾: أي: خلَقْنا جميعَهم ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾: أي: لازقٍ باليدِ، والفِعلُ مِن بابِ دخَلَ، يعني: خَلَقَ أصْلَهم منه -وهو آدمُ- ثمَّ خلَقَهم منه، فكيفَ صاروا هم أشدَّ منهم، وكيفَ توهَّموا لشدَّتِهم عند أنفسِهم أنَّهم يُعْجِزونني وأنا خالِقُ جميعِهم، وموجدُهم مِن العدَمِ؟(١).

(١٢) - ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾: خِطابًا للنَّبيِّ ﷺ و﴿بَلْ﴾: لِنَفْيِ ما مضى وإثباتِ ما بعدَه؛ أي: ليست لهم هذه الجُرْأةُ على أنَّهم يتوهَّمون أنَّهم يفوتونني، لكنْ ألِفوا شِرْكَهم، وقلَّدوا أسلافَهم، وأعرَضوا عن التَّدبُّرِ، فهم لذلك على جهلٍ،

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٦٠٣)، وزاد المسير (٤/ ٣٦٤).

وأنت يا محمَّدُ ﷺ تعجَبُ منهم وهم يَسْخَرون منك إذْ تدْعوهم إلى الإيمانِ باللَّهِ وبالرُّسلِ والبعثِ بعدَ الموتِ.

(١٣) - ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾: أي: وإذا وُعِظوا ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾؛ أي: لا يتَّعِظون. وقيل: إذا ذُكِّروا أنَّهم خُلِقوا مِنْ طينٍ لازبٍ. وقيل: أي: ذُكِّروا ما أحلَّ اللَّهُ بالمكذِّبين الماضين، وقولُه: ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾: أي: أعرَضوا عن ذلك فإنَّهم لا يذكُرونها ولا يحفظونها.

(١٤) - ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾: أي: مُعجزةً ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: قيل: أي: يَسْخرون بها. وقيل: أي: يَعدُّونها سُخْرِيَةً، وقيل: أي: يدْعون النَّاسَ إلى السُّخْرِيَةِ بها، يريدُون بذلكَ التَّمويهَ على الضَّعَفَةِ.

(١٥ -١٧) - ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: أي: وما هذا إلا تخييلٌ ظاهرٌ. ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾: أي: رميمًا ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾: يسخرون بهذا أيضًا منكمْ. ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾: الألفُ للاستفهامِ، والواوُ للعطفِ، والمعنى: أوَ آباؤُنا يُبعثون أيضًا؟! وقيلَ: أنحنُ وآباؤُنا نُبْعَثُ؟![١]

(١٨ - ٢٠) - ﴿قُلْ نَعَمْ﴾: تُبْعَثون ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾؛ أي: أذلَّاءُ صاغِرون. ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: قيل: صَيْحةٌ واحدةٌ، وقيل: هيَ النَّفْخةُ الثَّانيةُ، ﴿فَإِذَا هُمْ﴾: أي: مِن قبورِهم ﴿يَنْظُرُونَ﴾: إلى ما يرونه مِن الأهوال. ﴿وَقَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾: أي: يومُ الجزاءِ، وقيل: الحسابُ. وقيل: يومُ القضاءِ. وقيل: أي: يومُ ينفَعُ الدِّينُ الحقُّ.

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١٦٧)، وجامع البيان (١٩/ ٥١٥).

(٢١) - ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: قيل: هو قولُ بعضِهمْ لبعضٍ. وقيل: هو قولُ الملائكةِ لهم: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾. أي: القضاءِ، فإنَّه فصْلُ الخصومةِ. وقيل: هو القضاءُ الحقُّ؛ لأنَّه هو الَّذي ينفُذُ فتنفصِلُ به الخصومةُ، فأمَّا القضاءُ بغيرِ حقٍّ فيردُّ ولا يقعُ به الفصْلُ. وقيلَ: هو يومُ التَّمييزِ بين الفريقين بالطَّريقين(١).

(٢٢ -٢٣) - ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: يُقالُ للملائكةِ: اجمعوا الذين كفروا، ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾: أي: قُرناءَهم من الشياطين، وقيل: أي: أصنافَهم، فإنَّهم على طرقٍ. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾: مِنَ الأصنامِ. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾: أي: فدلُّوهم، وقيل: فادعوهمْ، ﴿إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾: أي: طريقِ جهنَّمَ.

(٢٤ - ٢٥) - ﴿وَقِفُوهُمْ﴾: أيُّها الملائكةُ في موقفِ العَرْضِ والحسابِ. ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾: أي: عن خطاياهم، عن أقوالِهم وأفعالِهم. ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: قيل: هو تفسيرُ قولِه: ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ وهو سؤالُ توبيخٍ وتقريعٍ؛ أي: ما لكم لا ينصُرُ بعضُكم بعضًا؟!(٢)

(٢٦ -٢٧) - ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: أي: لا يقْدِرُ أحدٌ على نصرِ أحدٍ، بلِ الكلُّ مُنقادون لِما يُرادُ بهم. ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾:

---

(١) النكت والعيون (٥/ ٤٢)، وتفسير ابن فورك في (٢/ ٢١٤)، التيسير في التفسير (١٢/ ٤٠٠).

(٢) الكشف والبيان (٨/ ١٤١)، الوسيط (٣/ ٥٢٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٦٨) وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٨)، ومعالم التنزيل (٤/ ٢٩).

أي: يسألُ كلُّ واحدٍ صاحبَه سؤالَ توبيخٍ، يقولُ هذا: لِمَ غرَرْتَني؟ ويقولُ الآخر: لِمَ قبِلْتَ منِّي. وقيل: هذا التَّساؤلُ هاهنا بينَ السَّادةِ والأتباعِ.

(٢٨) - ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ أي: كنتُمْ تمنعوننا عنِ الدِّينِ الحقِّ وعنِ الطَّاعةِ، وتُلَبِّسون ذلك علينا، وقيل: عن الجهة التي كنا نأمنكم منها لحلفكم أنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم، والمعنى أنكم أضللتمونا(١).

(٢٩ - ٣١) - ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾: قال لهمُ السَّادةُ: ما كان ذلك منَّا، بل أنتم لمْ تؤمنوا. ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: أي: تسلُّطٍ بحُجَّةٍ ولا قَهْرٍ. ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾: مُجاوزين حدودَ الشَّرْعِ. ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾: جميعًا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾؛ أي: وعيدُ ربِّنا: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآيةَ [الأعراف: ١٨]. ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ أي: تحقَّقَ علينا أنَّا نذوقُ العذابَ.

(٣٢ - ٣٥) - ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: أي: السَّادةُ والأتباعُ سواءٌ في استحقاقِ العذابِ. ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: وهم مجرمون. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾: أي: يتعظَّمون عن قبولِه ويأنفون منه.

(٣٦ - ٣٧) - ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا﴾: أي: لِمَ نترُكُ عبادةَ أصنامِنا؟! استفهامٌ بمعنى النَّفي. ﴿لِشَاعِرٍ﴾: أي: لقولِ رجلٍ يأتي بكلامٍ منظومٍ. ﴿مَجْنُونٍ﴾: لا يعقِلُ ما يقولُ؛ لأنَّه يخبِرُنا بالبعثِ بعدَ الموتِ وهو لا يعقِلُ، ونحنُ

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٥٨٩)، والكشف والبيان (٨/ ١٤٣)، والبسيط (١٩/ ٣٨)، والنكت والعيون (٥/ ٤٦)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٤).

لا ندعُ دِينَ آبائِنا بقولِ هذا، يعنون محمدًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فردَّ اللَّهُ عليهم ذلك، فقال: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾: أي: ليس بشاعرٍ ولا مجنونٍ، بل هو رسولٌ جاءَ بما يجبُ في العقولِ السَّليمةِ. ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: وحقَّقَ بشاراتِ الأنبياءِ الماضين به، ووافقَ دينَهم وما جاؤوا به مِن توحيدِ اللَّهِ وطاعتِه.

(٣٨ - ٤٠) - ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾: أي: إنَّكم يا أهلَ عصرِ النَّبيِّ المكذِّبين به لتصيرون إلى النارِ، فتذوقون عذابَها الوَجيعَ. ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: مِن الكفرِ والمعاصي. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: أي: الَّذين صفَّاهمُ اللَّهُ تعالى عنِ الشِّركِ والمعاصي، وقيل: هم الَّذينَ أخلَصوا العبادةَ للَّهِ، فلمْ يُشركوا به ولمْ يَعصوه.

(٤١ - ٤٢) - ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾: أي: عطيَّةٌ معلومةٌ يعلمون دوامَها لهم. ﴿فَوَاكِهُ﴾: ترجمةٌ عن قولِه: ﴿رِزْقٌ﴾، وهو ما يؤكل تلذذا لا لحفظ صحة؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد. ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾: أي: بأنواعِ الكراماتِ مع ذلك.

(٤٣ - ٤٥) - ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٤٣ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾: هو نصبٌ على الحالِ، وهو صفةٌ لهم لا لسُرُرِهم، والتَّقابلُ أتمُّ للأنسِ، وأجمَعُ للرُّؤيةِ، وأيسَرُ للتَّحدُّثِ. ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾: لا ينظرُ بعضُهم في قفا بعضٍ. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾: هي القَدَحُ الملْآنُ شرابًا. ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ أي: مِن خمرٍ جاريةٍ في أنهارٍ ظاهرةٍ للعيونِ(١).

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦٧)، والدر المنثور (٥/، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٧٧).

(٤٦ - ٤٧) - ﴿بَيْضَاءَ﴾: صفةٌ لـ (الكأسِ)، وبياضُها بصفاءِ ما فيها.

﴿لَذَّةٍ﴾: أي: لذيذةٍ، والهاءُ للتَّأنيثِ. ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾: أي: لشاربيها، ليست كخمورِ الدُّنيا في كراهةِ الطَّعمِ. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي: لا تغتالُ عقولَهم كخمورِ الدُّنيا؛ أي: لا تَذْهَبُ بها. ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾: بكسرِ الزَّايِ؛ أي: ولا تنفدُ خمورُهم، وبفتحِها؛ أي: لا تُزالُ عقولهم(١).

(٤٨-٥١) - ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾: أي: نساءٌ قد قصَرْنَ أبصارَهنَّ على رؤيةِ أزواجهنَّ، لحُبِّهنَّ إيَّاهم ولعفافِهنَّ وحُسْنِ عِشْرتهنَّ، ﴿عِينٌ﴾: جمعُ عَيْناءَ، وهي الواسعةُ العَينِ، الحسنةُ العَينِ. ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾: أي: مَصون، وقيل: أي: مستورٌ. ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: أي: فأقبَلَ بعضُ أهلِ الجنَّةِ -وهمُ المُخلصون- على بعضٍ يتحدَّثون بما أنعمَ اللَّهُ عليهم مِن حينِ كانوا في الدُّنيا إلى أنْ صاروا إلى الجنَّةِ. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: أي: صاحبٌ مقارِنٌ كافرٌ بالبعثِ.

(٥٢-٥٦) - ﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾: بالبعثِ؟ استفهامٌ بمعنى الإنكارِ. ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: أي: لَمجزيُّون، مِن قولِهم: كما تَدينُ تُدانُ(٢). ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾: يقولُ لأصحابِه: هل أنتم تتطلَّعون معي في النَّارِ لعلَّنا نرى هذا القَرينَ؟، وأُضْمِرَ هاهنا: فقالوا: نعم. ﴿فَاطَّلَعَ﴾: هذا المؤمنُ ﴿فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾؛ أي: في وسَطِ النَّارِ الموقدَةِ. ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ

---

(١) تفسير ابنُ فورك (٢/ ٢١٩)، والنكت والعيون (٥/ ٤٦)، ومجاز القرآن (٢/ ١٦٩).

(٢) الكشف والبيان (٨/ ١٤٤)، والوسيط (٣/ ٥٢٥).

كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾: أي: أقسمُ باللَّهِ لقد كنتَ قاربْتَ أنْ تُهلِكَني بإضلالك. ووجهٌ آخرُ: ما أردتَ إلَّا أنْ تُهلِكَني.

(٥٧ - ٥٩) - ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾: أي: إنعامُه عليَّ بالتَّثبُّتِ على الحقِّ، والعصمةِ عن قبولِ قولِك. ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾: النَّارَ معكَ، وهو كلمةُ شكرٍ. ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: قيل: معناه: أنَّه يقولُ في الجنَّةِ لأصحابِه: أوَ قد أمِنَّا الموتَ بعدَ أنْ أحيانا اللَّهُ مِن الموتةِ الأولى الَّتي كانتْ في الدُّنيا، انتقلْنا منها إلى دارِ الجزاءِ؟، وقولُه: ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى﴾؛ أي: سوى الموتةِ الأولى ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؛ أي: وقد أمِنَّا العذابَ مع تقصيرِنا، فالحمدُ للَّهِ على هذا[١].

(٦٠ - ٦١) - ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾: قيل: هذان الكلامان الأخيران مِن قولِ هذا الرَّجلِ. وقيل: هما مِن كلامِ اللَّهِ تعالى بعدَ تمامِ كلامِ الرَّجلِ. وقيل: تمَّ كلامُ الرَّجلِ عندَ قولِه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ثمَّ قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾، فكلُّ ذلكَ له وجهٌ صحيحٌ[٢].

(٦٢-٦٣) - ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾: أي: أهذا الذي ذكرناه لأهلِ الجنَّةِ خيرٌ أي: أفضلُ ممَّا يعدُّ نُزُلًا للنُّزَّالِ، أم شجرةُ الزَّقُّومِ التي أعددْناها

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ١٤٥)، ومعالم التنزيل (٧/ ٤١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٦).

(٢) التيسير في التفسير (١٢/ ٤١٦).

لأهلِ الشِّركِ؟! ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾: أي: هذه الشَّجرةَ ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾؛ أي: جعلْنا ذِكْرَ كونِ هذه الشَّجرةِ في النَّارِ ممَّا افتُتِنَ الكفَّارُ به في دِينِهم، فقالوا: كيفَ يكونُ في النَّارِ شجرةٌ والنَّارُ تأكلُ الشَّجرَ؟! وقيل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً﴾؛ أي: عذابًا؛ كما قال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]؛ أي: يُعذَّبون، يقولُ: يعذَّبُ الكُفَّارُ بهذا في النَّارِ.

(٦٤-٦٥) - ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾: أي: تنبُتُ في أرضِ جهنَّمَ، ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾، وهو جوابُ قولِهِمْ: الزَّقُّومُ هو التَّمرُ والزُّبْدُ. يقولُ: ليس كذلك، بل هي شجرةٌ ثمرُها في القُبْحِ كرؤوسِ الشَّياطينِ، والشَّيطانُ وإنْ لمْ يرَهُ النَّاسُ فقد علِموا أنَّه في نهايةِ القُبْحِ. وقيلَ: "الشَّياطينُ" الحيَّاتُ هاهنا، ورؤوسُ الحيَّاتِ مُستكرَهةٌ مُستقبَحةٌ.

(٦٦ -٦٧) - ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾: أي: معها، وقيلَ: أي: بعدَها. ﴿لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾: لَمَزْجًا وخَلْطًا مِن ماءٍ حارٍّ قد انتهى حرُّه.

(٦٨) - ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ أي: يُعذَّبون في الجحيمِ، فإذا جاعوا جاؤوا إلى الزَّقُّومِ، فإذا عطِشوا جاؤوا إلى الحميمِ، ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، فيَسألون أنْ يُردُّوا إلى الجحيمِ، فهم كذلكَ يُردُّون في العذابِ[1].

(٦٩ - ٧٠) - ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾: أي: إنَّما صاروا إلى النَّارِ لأنَّهم

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٢٥١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٧).

كانوا وجدوا آباءَهم على ضلالٍ. ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: أي: فهُم بهم يقتدون، وعلى آثارِهم يُسرِعون، وقيل: يستحثُّون مَن خلفَهمْ، ومعنى الآيةِ: يسيرون على آثارِهمْ سِراعًا كأنَّهم يُساقون إليه ويُحثُّون.

(٧١ - ٧٤) - ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: بتقليدِ البعض، وتركِ النَّظَرِ والتَّأمُّلِ. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾: رُسُلًا مخوِّفين. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: الَّذينَ أنذرَهمْ رسلُنا، فلم يخافوا ولم يقبلوا كيف أهلكْناهمْ؟! ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: الَّذين صفَّاهمُ اللَّهُ تعالى عنِ الشِّركِ والمعاصي، وقيل: هم الَّذينَ أخلَصوا العبادةَ للَّهِ، فلمْ يُشركوا به ولمْ يَعصوه[1].

(٧٥ - ٧٦) - ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾: وهذا تفصيلُ المنذِرين والمنذَرين. يقولُ: ولقد دعانا نوحٌ، ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾: فأجبْنا دعاءَه، ونِعْمَ المجيبون نحن. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾: أي: وخلَّصْناه ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾: وأولادَه وأهلَ بيتِه ومَن آمنَ به ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: مِن الغَمِّ الذي كان فيه مِن أذى القوم.

(٧٧ - ٧٨) - ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾: أي: أولادَه هم الذين بقُوا في الأرضِ، فتناسلوا وتوالدوا، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾: أي: وأبقَيْنا عليه ثناءً جميلًا ومدحًا له وانتهاءً إليه في الذينَ أتوا بعدَه، وقيل: في الأنبياءِ، فإنَّه لمْ يُبْعَثْ بعدَه نبيّ إلَّا أُمِرَ بالاقتداءِ به.

(٧٩ - ٨٢) - ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: أبقَيْنا عليه هذا السَّلامَ، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: فنُبقِي لهمُ الثَّناءَ الجميلَ. ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١٧١)، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٨٨).

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: وفيه بيانُ عظمةِ حُسْنِ العبوديَّةِ وصدقِ الإيمانِ، وهو حقيقةُ الإحسانِ. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾: أي: ثمَّ نخبرُكم أنَّا أغرَقْنا بالطُّوفانِ الآخَرين مِن قومِه، وهم الذين لمْ يؤمنوا به.

(٨٣) - ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾: أي: مِن مُتَّبِعيه -يعني: نوحًا- إبراهيمُ الخليلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. يقولُ: إنَّ إبراهيمَ اتَّبَعَ نوحًا في هَدْيِه، وصبَرَ على ما نالَه في نفْسِه وولدِه ومالِه؛ كما تحمَّلَ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أذى قومِه، وفيه تفضيلُ نوحٍ بجعلِ إبراهيمَ مِن أشياعِه، ومدحٌ لإبراهيمَ بحُسْنِ اتِّباعِه(١).

(٨٤ - ٨٥) - ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: أي: خالصٍ له من الشك، وهو في معنى: سالمٍ له، وقيل: سالم عن كلِّ آفةٍ. وقيل: هو السَّالمُ عن الغِلِّ في حقِّ الخَلْق. ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾: و﴿إِذْ﴾ زمانُ وصفِه بالسَّلامةِ، و﴿إِذْ﴾ في الأوَّلِ زمانُ المشايعةِ، وهذا سؤالُ توبيخٍ؛ كقولكَ لِمَن لا ترضى عملَه: ماذا تعملُ؟!.

(٨٦ - ٨٧) - ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ: أتريدون أنْ تتَّخِذوا مِن دونِ اللَّهِ آلهةً؟! أي: أصنامًا إفكًا؛ أي: كذِبًا في تسميتِكم الأصنامَ آلهةً، وهو استفهامٌ على وجهِ الإنكارِ. ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: فما ظنُّكمْ بِمَن هو ربُّ العالمين إذا لقيتموه يومَ القيامة -أي: وافيتُم موقِفَ حسابِه- ماذا يصنَعُ بكم وقد أشركتُم به؟

(٨٨ - ٨٩) - ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾: قيل: كان أهلُ زمانِه أصحابَ

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٨).

نظَرٍ في علمِ النُّجومِ، ويستدلُّون على حوادثِ الأمورِ مِن جهتِها، وكان إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد كلَّمَهم في الأصنامِ أنَّها لا تضرُّ ولا تنفَع، ولا تُبْصِرُ ولا تسمَع، وأنَّها جمادٌ لا تعقِلُ، ونهاهم عن عبادتِها، فلمْ ينجَعْ ذلك فيهم، فأحبَّ أنْ يُرِيَهم ذلك مِن أوضحِ وجهٍ بأنْ يكسِرَها، وكان يحتاجُ في ذلك إلى خلُوِّ موضعٍ يُمكِنُه فيه ذلك، فانتهزَ الفرصةَ، وانتظرَ عيدًا لهم يخرُجون فيه إلى الصَّحراءِ جُمْلةً، فدعَوه يومئذٍ إلى الخروجِ معهم، فاعتَلَّ للتَّخلُّفِ عنهم، وهيَّأَ عُذْرًا يترُكونه له. ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾: أي: فعَلَ ما يفعلُه النَّاظرُ في النُّجومِ في تعرُّفِ أمرٍ يريدُ معرفتَه مِن جهتِها. ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾: أوهمَهم أنَّ النُّجومَ تدلُّ على أنِّي سأسقم غدًا في مَخْرَجي إنْ خرجْتُ، فأنا أتخلَّفُ في منزلي؛ لئلَّا يتزايدَ بي ما يحدُثُ بسببِ الحركةِ، فوقعَ عندهم أنَّه عُذْرٌ.

(٩٠) - ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾: فأعرَضوا عنه مُولِّين الأدبارَ، وكان مرادُه في قولِه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ أي: سأسقمُ سقَمَ الموتِ، فإنَّ العبدَ لا يخلو عنه، أو أرادَ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ للحالِ، فإنَّ الإنسانَ لا يخلو كلَّ ساعةٍ عن ضعفٍ ببدنِه بعارضٍ مِن وجهٍ، وزوالِ الاعتدالِ مِن السَّقَمِ والاعتِلالِ. وقيل: كان عندهم اسمُ السَّقيمِ يقعُ على المطعونِ، وهو الذي به الطَّاعون، وكانوا يتشاءَمون به وينفِرون عنه، فلذلك ولَّوا عنه، وهو أرادَ به ما قلنا، فلمْ يكنْ كذِبًا ولا غُرورًا، بل كان احتيالًا لإظهارِ الحقِّ وإبطالِ الباطلِ، فكانَ عملًا مبرورًا وسَعْيًا مشكورًا(١).

(٩١) - ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ﴾: أي: فمالَ في خُفْيَةٍ إلى أصنامِهم التي كانوا

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٤٢٤).

يسمُّونها آلهةً. ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: قال السُّدِّيُّ: ثمَّ رجَعَ إبراهيمُ إلى بيتِ الأصنامِ، فإذا هي في بهْوٍ عظيمٍ، وإذا هم قد جعلوا طعامًا، فوضعُوه بينَ أيديها وقالوا: إذا كان حين نرجِعُ رجَعْنا وقد برَّكتِ الآلهةُ في طعامِنا فأكلْنا، فلمَّا نظرَ إليهم وإلى ما بينَ أيديهم مِنَ الطَّعامِ قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ وهذا على وجهِ الاستهزاءِ، وهو وإنْ كان خِطابًا للجمادِ، لكنَّه صحيحُ الاعتبارِ؛ لأنَّه تحريكٌ للخاطرِ وبعثٌ على الاستدلالِ، فلمَّا لم تُجِبْه الأصنامُ قال:

(٩٢ - ٩٥) - ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾: والجمعُ بالواوِ والنُّونِ لِمَا أنَّه خاطبَها خطابَ مَن يعقِلُ. ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾: قيل: أي: باليدِ اليُمنى؛ لأنَّها أقوى على العملِ مِن اليُسرى. وقيلَ: أي: بالقوَّةِ. ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾: ﴿يُزِفُّونَ﴾ بضمِّ الياءِ من الإزفافِ، وهو الإسراعُ؛ أي: فأقبلَ القومُ إليه يُسرعون حينَ سمِعوا أنَّه فعلَ بأصنامِهم ذلك. ﴿يَزِفُّونَ﴾ بفتحِ الياءِ مِن الزَّفيفِ، والزَّفيفُ: الإسراعُ. ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾: قال هذا بعدَ مُحاوراتٍ كانت بينهم ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾[الأنبياء: ٥٩] إلى قولِه: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾[الأنبياء: ٦٦]. وقال ها هنا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾: نحْتُ الخشَبةِ: بَرْيُها. يقولُ: أتعبدون أصنامًا تعمَلونها أنتم، وتترُكون عبادةَ اللَّهِ الَّذي خلقَكم وأوجدَكم؟!(١).

(٩٦ - ٩٨) - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾: أي: مِن الأصنامِ، ويقعُ

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٤)، والسبعة (١/ ٥٤٨)، والتيسير (١/ ١٨٦)، والكامل في القراءات (١/ ٦٢٧).

أيضًا على الأعمالِ، ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾: لَمَّا لزِمَتْهمُ الحُجَّةُ وعجَزوا عن مُحاجَّتِه صاروا إلى قصْدِ هلاكِه، مُعاندين في مُخالفتِه، فتشاوروا فيما بينهم، فاتَّفقَ رأيُهم على أنْ يَبنوا له بُنْيانًا يملؤونه حطبًا، فيُضْرِمونه فيُلْقونه فيه. ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾: أي: النَّارِ الموقدةِ. ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾: أي: قصَدوا أنْ يكيدوا به كما كادَ هو بأصنامِهم. ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾: أي: أعليناهُ عليهم بالظَّفَرِ والنَّجاةِ مِن قصدِهم، فجعَلْنا النَّارَ عليه برْدًا وسلامًا.

(٩٩) - ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾: أي: وقال إبراهيمُ حينَ خلَّصَه اللَّهُ مِن النَّارِ: إنِّي مهاجرٌ مِن بلدِ قومي ومِن مولِدي إلى حيثُ أتمكَّنُ مِن عبادةِ ربِّي. ﴿سَيَهْدِينِ﴾: أي: إلى الصَّوابِ فيما نويتُه، فيُبَلِّغُني إلى حيثُ أصِلُ فيه إلى ما أريدُ. وقيل: سيُرشِدُني إلى مقصدي.

(١٠٠ - ١٠١) - ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: سألَ اللَّهَ أنْ يرزُقَه ولدًا صالحًا يستأنِسُ به في غُرْبتِه وينفرِجُ به عن كربتِه، وتقديرُه: هبْ لي صالحًا مِنَ الصَّالحين؛ أي: ولدًا صالحًا يصلُحُ لِمَا صلَحَ له، فيصبِرُ على البلاءِ كصبرِه، ويقومُ في الذَّبِّ عن دينِ اللَّهِ كقيامِه، فاستجابَ اللَّهُ له، فوهَبَ له ولدًا كذلك: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾: أي: بولدٍ ذكَرٍ يكونُ حليمًا إذا كبَرَ؛ أي: لا يعجَلُ في الأمورِ، ويتحمَّلُ المشاقَّ[1].

(١٠٢) - ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾: أي: فبشَّرْناه بولدٍ صالحٍ ورزقناه ذلك، فلمَّا بلَغ الولدُ المبلغَ الذي يسعى معه في أموره ويُعينه على أشغاله التي يستعين الآباء

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٤٢٨).

فيها بأبنائهم، وذلك وقتُ اغتباطِ الآباء بالأبناء، وقيل: أي: لمَّا بلَغ في كونه مع إبراهيم أنْ يسعى للّه في العبادات والطَّاعات، وذلك بأنْ أدركَ وصار مكلَّفًا، ﴿قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ﴾: أي: رأيتُ فيه ﴿أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾: أي: بالأمر، ولا يحتملُ غير ذلك. ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾: وهو مِن الرَّأي؛ أي: كيف رأيُك فيه: الإمضاءُ أو التَّوقُّفُ؟ وهذا امتحانٌ منه للولد وتعرُّفٌ بحاله أنَّه هل يُجيبه بالسَّمع والطَّاعة، فيتحقَّق عنده أنَّه وهب له صالحًا، ويُقيم أمر اللَّه فيه بمعاونته، وإنْ أجابه بغير ذلك أمضاه أيضًا على كُرْهٍ منه. ﴿قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾: أي: افعلْ ما أنتَ يا أبتِ مأمورٌ به الآن. ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾: أي: سأصبِرُ على الذَّبح بتوفيق اللَّه وعونه[١].

(١٠٣) - ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾: قيل: أي: انقادا لأمر اللَّه. ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: أي: وصرَعه على الجبين؛ أي: جانب الجبهة، ولها جنبتان يكتنِفانها، وكان هذا إضجاعًا على الجنب كإضجاع الشَّاة للذَّبح، وقال المفسرون: صرَعه على جبهته؛ لئلَّا يراه حين يذبحه، ولئلَّا ينظر الابن إلى أبيه وهو يذبحه، فيورثَ ذلك رقَّةً أو خِيفةً فيخلَّ بالطَّاعة.

(١٠٤ - ١٠٧) - ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾: ومعناه: ناديناه، جوابًا لقوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾، ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾: أي: حقَّقْتَ ما أمرناك به في المنام مِن تسليم الولد للذبح. ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: نوفِّقُ للإحسان مَن نوى الإحسان، وأحسنَ النِّيَّةَ وأخلصَها وصحَّحها، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾:

---

(١) معالم التنزيل (١/ ٢٢٩)، والكشاف (٤/ ٥٤).

أي: الاختبارُ الظَّاهرُ لإظهارِ ما علِمَ اللَّه على ما عَلِم اللَّه، ويُستعمل البلاء في المكروه والمحبوب؛ أي: المحنةِ والنِّعمة، ويصلُح هذا لكل واحد منهما؛ أي: قولُنا لك: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ وإسقاطُ حقيقة الذبح عنك نعمةٌ، وأمرُنا إياك بذبح ولدك مِحْنةٌ ﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾: أي: الولدَ ﴿بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: ما يُذبح مكانه، وهو عظيمٌ في هيئته، وعظيمٌ في خطَره ورِفعته؛ لأنَّه كان يَرعى في الجنة أربعين عامًا(١).

(١٠٨-١١٣) - ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾: أي: على إبراهيم ثناءً حسنًا ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾: في الأنبياء بعده. وقيل: في الأمم بعده. ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾: هو على ما فسَّر في قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكرَّرَ قوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ في حق إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لاختلاف الإحسانَين والجزاءَين، ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: قيل: وجزيناه على صبره في حقِّ إسماعيل أنْ بشَّرناه بولد آخر، وهو إسحاقُ، ﴿نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ كالولد الأول. ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾: أي: على إبراهيم ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾: ولدِه؛ أي: أدَمْنا عليهما البركاتِ، وكثَّرنا نَسْلَهما. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾: لما ذكَرَ البركة عليهما -ومنها كثرةُ نسلِهما- وظاهرُه للثناء بها، ذكَرَ أنَّ من ذُرِّيتهما محسنًا فله جزاء المحسنين، ومسيئًا فله جزاء المسيئين، وأنه يُميِّزُ بينهما، وإنْ كانا من نسلِهما يُعرِّفُ عباده أنَّ الجزاء لا يُستَحقُّ بصلاح الآباء،

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٠)، والكشف والبيان (٥/ ٢٠١)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٩٢)، والدر المصون (٩/ ٣٢٤)، وجامع البيان (١٩/ ٥٩٠) وتفسير الخازن (٤/ ٢٣)، وتأويلات أهل السنة (٨/ ٥٧٨).

وإنما يُستَحقُّ بالأعمال الحسنة.

(١١٤ -١١٦) - ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾: أي: تفضَّلْنا عليهما بإيتاء النبوة والرسالة وغير ذلك مما يكثُر، ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾: أي: بني إسرائيل ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾؛ أي: الغمِّ الذي يأخذ بالنَّفْس مِن الاستعباد من فرعون وقومه وسائر المِحَن. ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾: أي: موسى وهارون وقومهما على فرعون وقومه ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾: بالحُجَّة والقوة ووجوه النُّصْرة.

(١١٧ - ١٢٢) - ﴿وَآتَيْنَاهُمَا﴾: أي: موسى وهارون ﴿الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾؛ أي: البيِّنَ الظاهر الواضح، وهو التوراة. ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: أرشَدْناهما إلى الدين الحق، ثم أمَرْناهما بدعاء الناس إليه. ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾: أبقينا عليهما ثناءً حسناً. ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾: وقد فسِّرْ في ذِكْر نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١٢٣ - ١٢٥) - ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾: أي: ألا تخافون اللّه؟! استفهامٌ بمعنى الأمر. ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾: البَعْلُ: الرَّبُّ في لغة أهل اليمن، يقال: هذا بَعْلُ هذا الثوب؛ أي: ربُّه، وقيل: هو اسمُ صنمٍ لهم، وبلاد هؤلاء كانت (بَعْلَبَكَّ) بنواحي الشام. وقيل: إنَّ البَعْل كانت امرأةً يعبدونها. ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾: أي: وتتركون عبادة اللّه الذي هو أحسن المُقَدِّرين والمصوِّرين، ولا خالقَ إلا اللّه؟! والخَلْقُ حقيقةً هو الاختراع، ويُستعمل في التقدير، والمراد به هاهنا ذلك.

(١٢٦- ١٢٨) - ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: أي: استحقُّوا إحضارَ عذاب النار. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: استثنى الذين أخلصوا العبادة للَّه، والذين أخلصهم اللَّه بالإيمان منهم، وبيَّنَ أنهم لا يحضُرون العذاب.

(١٢٩- ١٣٢) - ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: مر تفسيره. ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾: مر تفسيره، إلياسُ هو إدريسُ، وقيل: هو إلياس بن قيسبن فِنْحاص بن العَيْزار بن هارون بن عمران[(١)].

(١٣٣ - ١٣٨) - ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب. ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾: أي: أهلكناهم. ﴿وَإِنَّكُمْ﴾: يا مَعْشَر العرب ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على بلادهم ﴿مُصْبِحِينَ﴾: نصبٌ على الحال؛ أي: داخلين في وقت الصباح. ﴿وَبِاللَّيْلِ﴾: أي: وتمرُّون عليهم بالليل أيضًا، فكانت مدائنُ قوم لوط في أرض العرب، وكانوا يسافرون ويتكرَّرُ مرورهم عليها بالليل والنهار، وهو داعٍ إلى الاعتبار. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفليس لكم عقول تتأمَّلون بها أنَّهم ماذا فعلوا وماذا فعلنا بهم كذلك، فتتَّقوا مثلَ فعلهم لئلَّا تُجازَوا مثلَ جزائهم؟.

(١٣٩ - ١٤٠) - ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ

---

(١) جامع البيان (٩/ ٣٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٣٦)، والكشف والبيان (٨/ ١٥٨)، ومعالم التنزيل (٧/ ٥٢)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٤٤٢).

﴿الْمَشْحُونِ﴾: الإِباق: الفرارُ إلى حيث لا يهتدي إليه الطلاب؛ أي: خرج من بين قومه حين كذَّبوه من غير علمِ قومِه بخروجه. وقيل: فرَّ بدينه إلى حيث يَسْلَم. وقيل: خرج خائفًا على نفْسه منهم. ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: أي: السفينةِ المملوءة.

(١٤١ - ١٤٣) - ﴿فَسَاهَمَ﴾: أي: قارَعَ بإلقاء السِّهام. ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾: أي: مِن الذين خرجت عليهم القُرْعة. ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾: أي: فألقى نفْسه في البحر لوقوع القُرْعة عليه، فابتلعه السمك. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: أي: آتٍ بما يُلام عليه، وهو الخروج قبل أنْ يُؤمر به. ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: قيل: أي: مِن المصلِّين قبل ذلك، وكان كثير الصلاة. وقيل: أي: المنزِّهين اللّهَ بكلمة التسبيح، وكان كثير الذكر للّه تعالى والتسبيح.

(١٤٤ - ١٤٥) - ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ﴾؛ أي: بقِيَ في بطن الحوت ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: يومِ تُبعَثُ الخلائق، وهو يومُ القيامة؛ أي: لبقِيَ فيه حتى يُحشَرَ يومئذ من بطن الحوت، وسائرُ الناس من القبور. وفيه دليلٌ على أنَّ إخلاص العمل في الرَّخاء سببُ خَلاص العبد حالةَ البلاء. ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾: أي: ألقيناه، يعني: أخرجناه من بطن الحوت وألقيناه ﴿بِالْعَرَاءِ﴾؛ أي: الفضاء، وهو الصحراء الخالية عن البِناء والأشجار وما يُظِلّ، مِن التَّعَرِّي. ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: أي: سقيمُ البدن، قد رقَّ بدنه وضعُفَ ولطُفَ، وصار لا يطيق حرَّ الشمس وهُبوب الريح[1].

(١٤٦) - ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾: قال أهل اللغة: هو كل

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٦٢٩)، والكشف والبيان (٨/ ١٧٠)، البسيط (١٩/ ١٠٩).

شجرة ليس لها ساقٌ، ولها ورق عريض. وقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومجاهد وسعيد بن جُبير: هو القَرْع، هو مأخوذ من: قطَنَ بالمكان؛ أي: أقام به، وهي إقامةُ زوال، لا إقامة رسوخ. وقيل: القَرْع أسرع الأشجار نباتًا وامتدادًا وارتفاعًا في السماء في مدة لطيفة، ويقرُب الوصول إلى الانتفاع بها أكلًا واستظلالًا[١].

(١٤٧-١٤٨) - ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أي: بل يزيدون، وقيل: هو إبهامٌ من اللَّه تعالى على السامعين، وتقديرُه: أرسلناه إلى أحد هذين العددين، وقيل: هو تشكيك المخاطَبين. ﴿فَآمَنُوا﴾ به بعد مفارقته إياهم ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾: إلى انقضاء آجالهم.

(١٤٩) - ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾: أعاد الكلام إلى مُحاجَّة المشركين في وصفهم اللَّهَ تعالى باتخاذ البنات. يقول: فاسأل هؤلاء المشركين عن قولهم: إنَّ الملائكة بنات اللَّه، وإنهم يعبدونهم لهذا السبب تقرُّبًا به إلى اللَّه: ما حُجَّتهم من العقل أو السمع؟ أفي مُقتضى العقل أنْ يكون للَّه البناتُ وللمشركين البنون، فيكونَ لكم أفضلُ نوعَيِ الأولاد وللَّه أَدْوَنُهما؟!

(١٥٠ - ١٥٢) - ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾: أي: أيدَّعون أنهم شهدوا خَلْقَنا الملائكةَ؛ أي: حضروه فرأوا أنا خلقْناهم إناثًا؟! ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: والإِفْكُ: الكلام المصروف عن

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣١٤)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١٧٥)، وتأويلات أهل السنة (٨/ ٥٨٩)، والكشاف (٤/ ٦٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٠٤).

الحق إلى الباطل.

(١٥٣ -١٥٦) - ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾: يعني: أتقولون أنَّه اختار البنات على البنين مع نُقْصانهن رضًا بالأخسِّ، فما حُجَّتكم على ذلك؟ ﴿مَا لَكُمْ﴾: وهو استفهام في معنى التوبيخ؛ أي: وماذا يحمِلُكم على هذا القول بغير حُجَّة؟! ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: كذلك أيضًا. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أي: أفلا تتذكَّرون ما في عقولكم؟! أفلا تتَّعِظون بمواعظ ربكم؟! ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾: أي: حُجَّةٌ ظاهرة مِن كتاب.

(١٥٧) - ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾: أي: الكتابِ الذي أُنزِل عليكم وفيه حُجَّة ذلك. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في هذه الدَّعوى، فإذا بطَلت الدِّلالة بالعقل أو المشاهدة أو السمع سقَط ذلك وبطَل.

(١٥٨) - ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾: قيل: قالوا: إنَّ أمهات الملائكةِ بناتُ سَرَواتِ الجن؛ أي: ساداتِهم، فقد جعلوا اللّهَ أبًا، والجنَّ أمهاتٍ، والملائكةَ بناتٍ، وهو نسَبٌ. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾: وهُمُ الجنُّ. ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: أي: يحضُرون الحساب يوم القيامة،

(١٥٩ -١٦٣) - ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: نزَّه نفْسَه عن قولهم هذا.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: استثنى المؤمنين المخلَصين من المحضَرين العذابَ.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾

أي: فإنكم أيها القائلون بهذا القول والذي تعبدونه من الأصنام ما أنتم على عبادة الأوثان بمُضِلِّين إلا مَن قُدِّرَ عليه أنه يَصْلى الجحيم.

(١٦٤ - ١٦٦) - ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾: أي: وتقول الملائكة الذين جعلتُموهم بنات اللَّه تعالى: وما منا إلَّا له مقام معلوم في السماء للعبادة، لا يتقدَّمُه ولا يتأخَّرُ عنه، فنحن عَبيده لا بناته. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾: للخدمة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾: المنزِّهون اللَّه عما لا يليق به من الصفة[1].

(١٦٧ - ١٧٠) - ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾: أي: ولقد كان هؤلاء المشركون يقولون قبل أنْ يُبعثَ إليهم محمد ﷺ: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: كتابًا مِن الرسل الأولين؛ أي: لو أُرسِلَ إلينا رسول، وأُنزِلَ علينا كتاب. ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: مؤمنين مخلِصين غيرَ مشركين. ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾: أي: فقد جاءهم الذِّكْر -وهو القرآن- فجحَدوه. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: عن قريب ما يحلُّ بهم من العذاب؛ أي: فلا يَضِقْ صدرُك يا محمد ﷺ بكفرهم وإيذائهم.

(١٧١ - ١٧٤) - ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾: أي: لقد تقدَّم وعدُنا ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾: أي: سبَق للأنبياء قولُنا لهم ذلك، وكذلك يكون لك يا محمد ﷺ. ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: يا محمد، أعرِض عن مُكافأتهم ﴿حَتَّى حِينٍ﴾: وهو نزول الأمر بالقتال.

(١٧٥) - ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: أي: فانتظِرْ ما ينزل بهم، وقيل: أي: أبصِرْهم حين ينزل بهم العذاب، ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: عن قريب يَرون ذلك. وقيل: أي: كُنْ على بصيرة من عذابهم ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: يصيرون على بصيرة

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٦٤٨)، وتأويلات أهل السنة (٨/ ٥٩٣)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٣١٥)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٤٥٥).

من ذلك. وقيل: على بصيرة من أمرِكَ، ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: حين لا ينفعهم.

(١٧٦ - ١٧٩) - ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: قَبْل حينِه، وهو توبيخ. ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾: أي: العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾؛ أي: بعرَصَتهم، وهو نزول بهم. ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾: نزل بهم ما يسوؤُهم، وكانت عادتُهم مفاجأةَ الأعداء صباحًا، فقيل هاهنا كذلك مجازًا. ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: قيل: التَّكرار للتأكيد والتقرير. وقيل: الأول حين القتالِ وإبصارِ عذاب الدنيا، والثاني للآخرة.

(١٨٠ - ١٨٢) - ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾: أي: تنزيهًا لربك يا محمد عمَّا وصفَه به المشركون مِن الأولاد والشُّرَكاء. ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي: له العزَّةُ بذاته، فلا حاجةَ له إلى التَّعزُّز بالأولاد، وقيل: أي: مالكُ العِزَّة التي تكون للعباد مِن الظَّفَر والنُّصْرة وغير ذلك، فمنه التمسِ العزَّةَ. ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: تحيَّةٌ مِن اللَّه عليهم. وقيل: أي: وأمان لهم أنْ يُنصَرَ عليهم أعداؤهم في الدنيا، أو ينالَهم عذاب في العُقْبى. ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: هو المُستحِقُّ للثناء والحمد(١).

(انتهى تفسير سورة الصافات).

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ١٧٤)، والوسيط (٣/ ٥٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٤)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٤٥٩).

(٣٨) سورة ص مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكِّيَّةٌ، سميت في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة والآثار عن السلف «سورة صاد» كما ينطق باسم حرف الصاد تسمية لها بأول كلمة منها، وهي السورة الثامنة والثلاثون في عداد نزول السور نزلت بعد سورة القمر وقبل سورة الأعراف، وهي ثمانٍ وثمانون آية، وقيل: ستٌّ وثمانون، وقيل: خمس وثمانون. الاختلاف في قوله: ﴿ذِى الذِّكْرِ﴾. وقوله: ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾، وقوله: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾، وكلماتُها: سبعُ مئة وثلاثٌ وثلاثون، وحروفُها: ألفان وتسعُ مئة وأربعةٌ وتسعون.

أغراضها:

توبيخ المشركين على تكذيبهم الرسول ﷺ وتكبرهم عن قبول ما أرسل به، وتهديدهم بمثل ما حل بالأمم المكذبة قبلهم وأنهم إنما كذبوه لأنه جاء بتوحيد الله تعالى؛ ولأنه اختص بالرسالة من دونهم. وتسلية الرسول ﷺ عن تكذيبهم وأن يقتدي بالرسل من قبله داود وأيوب وغيرهم وما جوزوا عن صبرهم، واستطراد الثناء على داود وسليمان وأيوب، وأتبع ذكر أنبياء آخرين لمناسبة سنذكرها. وإثبات البعث لحكمة جزاء العالمين بأعمالهم من خير أو شر. وجزاء المؤمنين المتقين وضده من جزاء الطاغين والذين أضلوهم وقبحوا لهم الإسلام والمسلمين. ووصف أحوالهم يوم القيامة، وذكر أول غواية حصلت وأصل كل ضلالة وهي غواية

الشيطان في قصة السجود لآدم، وقد جاءت فاتحتها مناسبة لجميع أغراضها إذ ابتدئت بالقسم بالقرآن الذي كذب به المشركون، وجاء المقسم عليه أن الذين كفروا في عزة وشقاق وكل ما ذكر فيها من أحوال المكذبين سببه اعتزازهم وشقاقهم، ومن أحوال المؤمنين سببه ضد ذلك، مع ما في الافتتاح بالقسم من التشويق إلى ما بعده فكانت فاتحتها مستكملة خصائص حسن الابتداء(١). وانتظام أوَّلِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه ختَمَ تلك باسمه رب العالمين، وفتح هذه باسمه الصَّادق، وانتظام السورتين: أنهما في ذِكْر المشركين ومُحاجَّتهم ووَعْظهم وتنبيههم، وتسليةٌ للنبي وبشارتُه بحُسْن العاقبة بما ذُكِر مِن قصص المرسلين والأمم الماضين(٢).

(١) - ﴿ص﴾ قيل: هو قسَمٌ باسم من أسمائه تعالى، وقيل: هو قسَمٌ بحرف من حروف المعجم، والراجح أنه مما استأثر الله بعلمه فالله أعلم بمراده، ﴿وَالْقُرْآنِ﴾: هو قسَم ﴿ذِى الذِّكْرِ﴾: أي: الوعظِ، وقيل؛ أي: ذِكْر ما يُحتاج إليه. وقيل: الذِّكْرُ الشَّرفُ. وقيل: العِلْم. وقيل: ذِكْر أسماء اللَّه تعالى وصفاته(٣).

(٢) - ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ﴾ من أهل مكة بل في تعزُّزٍ عند أنفسهم عن طلَبِ الحقِّ؛ أي: ترفُّع وتكبُّر. ﴿وَشِقَاقٍ﴾: أي: ومُشاقَّةٍ لمحمد ﷺ، وهي المعاداةُ والمخالفة، وكلمةُ ﴿بَلِ﴾ تدلُّ عليه؛ لأنَّها لنفي ما مضى ذِكْرُه، وإثباتِ ما ذُكِر بعده.

---

(١) التحرير والتنوير(١٢/٢٠٣).

(٢) الكشف والبيان (٨/ ١٧٥)، والوسيط (٣/ ٥٣٧)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٤٦٢).

(٣) جامع البيان (٢٠/ ٥ - ٧).

(٣) - ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا﴾: أي: بالاستغاثة وطلَب التوبة. ﴿وَلَاتَ﴾: أي: وليس، وهو في لغة أهل اليمن. ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾: أي: وقتَ مَفَرٍّ، وقد ناصَ ينوصُ نَوْصًا؛ أي: فرَّ وراغَ، والمعنى: وليس الوقت وقت فرار، وقيل: معناه: كم أهلَكْنا قبل مشركي العرب من القرون الخالية بتكذيبهم، فلم يَقْدِروا على دفع الهلاك عن أنفسهم، ولمَّا أخذهم العذاب رفعوا أصواتهم بالاستغاثة والتوبة وطلبًا للخَلاص، فلم ينفعْهم ذلك؛ لأنَّه كان حالةَ البَأْس[(١)].

(٤) - ﴿وَعَجِبُوا﴾: أي: أظهرَ هؤلاء المشركون العَجَب. ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: أي: مِن أنْ جاءهم رجلٌ منهم يُنذرهم عذاب اللَّه. ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾: أي: خادِعٌ بكلامه المُمَوَّه، كذَّابٌ في دعوى الرسالة.

(٥) - ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾: أي: أحَكَمَ أنَّ الآلهة التي تُعبد إنما يَستحقُّ منها العبادةَ إلهٌ واحد، وهو الذي يذكُر أنه أرسله وأنزل عليه كتابه؟. ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾: أي: عَجيب؛ وقيل: هو نهاية العَجَب.

(٦) - ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾: أي: ذهب أشراف هؤلاء الكفار مِن عند النبي ﷺ. ﴿أَنِ امْشُوا﴾: أي: قائلين بعضهم لبعض: أي: امضوا على ما كنتم عليه، ولا تُقيموا على استماع كلام محمد ﷺ. ﴿وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾: أي: واحبسوا أنفسكم على عبادة آلهتكم التي كنتم أنتم وآباؤكم على عبادتها، فإنها تستحقُّ ذلك. ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾: أي: إنَّ كلام محمد ﷺ هذا لَشيء يُراد به

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٧)، وجامع البيان (٢٠/ ١٣)، ومعالم التنزيل (٧/ ٧١).

جرُّكم إلى الانقياد له لِيتحكَّمَ في أنفسكم وأموالكم وأولادكم وأهاليكم بما يشاء، وهو كلام يُذْكَر على الإبهام للتَّحذير.

(٧) - ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِى الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾: أي: إنَّ قوله: (لا إله إلا اللَّه) ما سمعنا به في أديان قومنا التي هي المِلَّةُ المتأخِّرة عن الملل المتقدِّمة، وقيل: الملة الآخرة: ملةُ قريشٍ، وقيل: الملة الآخرة: النصرانيَّة وهي ملة عيسى. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾: أي: ما هذا إلا ابتداعٌ كَذِبٌ[١].

(٨) - ﴿أَءُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾: أي: القرآنُ، استفهام بمعنى الإنكار. أي: كيف خُصَّ به دونَنا؟!

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْ ذِكْرِى﴾ أي: وحيي وهو القرآن حيث كذبوا الجائي به، والمعنى: ليس ردُّهم قولَكَ لإنكارهم كونَكَ صادقًا في سائر كلامك، لكنْ يشكُّون فيما أنزلتُه عليكَ مِن الذِّكر: هل هو مِن عندي؟ إنكارًا لاختصاصي إيَّاكَ بالرسالة فيما أنزلتُه عليكَ مِن الذِّكْر. ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ ولو ذاقوه لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ. وقيل: أي: وقد رأوا مع ذلك إمْهالي لهم إياهم، وتأخيري العذاب عنهم، فظنوا أنَّ ذلك لرضايَ بشِرْكهم.

(٩) - ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾: أي: أعندَ هؤلاء المشركين خزائنُ رحمةِ اللَّه، فيقسِمون منها ما يشاؤون على مَن يشاؤون حتى يُعْطوا النبوَّةَ مَن يريدون؟! أي: فليس لهم ذلك، بل هو للَّه يُعطيها مَن يشاء.

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٢١)، وتأويلات أهل السنة (٨/ ٦٠٧)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٤٦٨).

(١٠) - ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: أمْ يدَّعون أنَّ مُلْكَ السماوات والأرض وما بينهما مِن الهواء لهم، فهم قادِرون على إنزال ما يُريدون مِن الوحي إلى مَن يريدون أنْ تكونَ النبوة له، وعلى المنع مِن نزول الوحي على مَن لا يُريدون، حتى يمنعوا ملائكتي مِن النزول بالوحي على محمد ﷺ؟! فإن كانوا يدعونه: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾: أي: فليَصْعدوا إلى السماء مِن أبوابها وطرُقِها الموصِلة إليها، فليمنحوا مِن نزول الوحي على محمد ﷺ، وإذ لا يُمكنهم أنْ يدَّعوا ذلك وهي لي، كان لي أنْ أُنزلَه على مَن أشاءُ.

(١١) - ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: قيل: أي: لو كان هؤلاء يُطيقون الصُّعودَ إليها لكانوا جُنْدًا مهزومين هنالك؛ أي: في موضع الارتقاء، فكيف وهم لا يُطيقون الارتقاء إليها؟!، وقيل: أي: هم مهزومون مِن الأحزاب، فكيف يرتقون في الأسباب؟! وقولُه تعالى: ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: قيل: أي: مِن قبائل شتَّى تجَمَّعوا على مُعاداتك، وقيل: أي كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك وأولئك قد قهروا وأهلكوا فكذا نهلك هؤلاء[١].

(١٢) - ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ رسولَهم نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَعَادٌ﴾ هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾: أي: كانت له أوتاد يعذِّبُ بها، وكان يأمر حتى تُمَدَّ رجلا الرجل إلى ساريتين ويداه إلى ساريتين ثم يعذِّبُه.

(١٣ - ١٤) - ﴿وَثَمُودُ﴾: أي: كذَّبَتْ صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾:

---

(١) تفسير الجلالين(١/٥٩٩)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٤٧٣).

أي: كذَّبوا لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: أي: قومُ شعيب كذَّبوا شعيبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، والأيكة: الشجر الكثيف الملتف بعضه ببعضٍ. ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾: أي: تحزَّبوا على أنبيائهم؛ أي: تجمَّعوا على تكذيبهم وإيذائهم. ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: أي: ما كلٌّ ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾؛ أي: فوجَبَ عليهم عقابي، وأهلكتُهم بما مرَّ ذِكْرُه في قصصهم، فكذلك أفعل بمُكذِّبيك يا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١٥) - ﴿وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاءِ﴾: أي: وما ينتظرُ هؤلاء المشركون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾؛ أي: عذابًا يفجؤُهم فيستأصلُهم؛ يُقالُ: صاح بهم الزَّمان؛ أي: هلكوا، ﴿مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾: أي: ما للصَّيْحة مِن إفاقة؛ أي: رجوعٍ إلى الدنيا(١).

(١٦) - ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾: أي: استعجلوا العذاب؛ كما ذكَرَ ذلك عنهم في آيات. والقِطُّ: الصَّحيفة، وهي صحيفة الأعمال التي يُعطاها الناس يوم القيامة عن أيمانهم وشمائلهم؛ أي: عجِّل لنا هذا إنْ كان صدقًا، وقيل: القِطُّ: النَّصيب، مِن القَطِّ؛ وهو القَطْع، وهو ما قُطِعَ مِن الكُلِّ فجُعِل لصاحبه، فكأنهم قالوا: عجِّلْ لنا نصيبَنا مِن العذاب مِن النار إنْ كان الأمر على ما تقول، وقيل: أرادوا: عجِّلْ لنا نصيبَنا مِن الجنة والثوابِ الذي تعِدُنا على الإيمان لنؤمنَ بكَ، ونحن نريده في الدنيا لا في الآخرة، يستهزؤون بذلك(٢).

(١٧) - ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: أي: مِن قولهم: ﴿هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾،

---

(١) التفسير الكبير (٢٦/ ٣٧٢)، وجامع البيان (٢٠/ ٣٥) والنكت والعيون (٥/ ٨٢)، ومعالم التنزيل (٧/ ٧٤)، ومجاز القرآن" لأبي عبيدة (٢/ ١٧٩).

(٢) الكشف والبيان (٨/ ١٨٢)، والوسيط (٣/ ٥٤٣)، والتيسير في التفسير (٤٧٦/١٢).

وقولهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾، وقولِهم: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ وغيرِ ذلك، فإنا نجعل لكَ العاقبة الجميلة، ولهم المغبَّةَ الوَبيلة، كما كان ذلك للأنبياء المتقدِّمين ومكذِّبيهم، وبيَّن قصصَهم، يقول: فاصبِرْ على أذاهم، ولا تجزَعْ منه، وأَقبِلْ على الإنذار وإيراد البراهين، ﴿واذكُرْ عَبْدَنا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾: أي: القوة في أمرِنا، والصبر على الدعاء إلينا، فاقتَدِ به.﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: أي: رجَّاعٌ إلى طاعتنا وطلَبِ مرضاتنا.

(١٨-١٩) - ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ أي: بتسبيحه: ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾: أي: في طرَفي النهار. والعَشِيُّ: وقت العصر إلى الليل، والإشراقُ: وقت إضاءة الشمس، وقد شرَقَتْ؛ أي: طلَعَتْ، وأشرَقَتْ؛ أي: أضاءَتْ. وقيل: العَشِيُّ: وقت صلاة العصر، والإشراقُ: وقت صلاة الضحى. ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾: عَطْفٌ على قوله ﴿الْجِبَالَ﴾، وحشرُها: جَمْعُها إليه حتى تحضُرَه، وتسبِّحَ معه، وتسمعَ تسبيحه، وحشرُها يجوز أنْ يكون مِن الملائكة، أو مِن كبارها لصغارها، وقد كان اللَّه تعالى جعل كبارها مُنقادةً له ومُطيعةً لأمره، ﴿كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾: أي: كلٌّ مِن الطير له مُطيعٌ راجع إلى طاعته[١].

(٢٠) - ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾: أي: قوَّيْنا سُلْطانه بنصرنا له ودَفْعنا عنه. قيل: بكثرة الرجال. وقيل: بصَنْعة الدُّروع. ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾: قيل: أي: النبوة. وقيل: العِلْمَ بالشَّرْع. وقيل: إحكامَ الأمور. وقيل: وضعَ كلِّ شيء مَوْضِعَه. ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾: أي: أسباب القضاء بين الخُصوم، وقال عبد اللَّه بن مسعود

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ١٨٣)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٤٧٨).

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: هو القضاء بين العباد، وكان لا يتتعتع في قضائه، ويفصِل على الوجه الحقِّ بين المتخاصمين[١].

(٢١) - ﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾: كلمة تُستعمل للتنبيه على جَلالة القصَّةِ؛ لتكون داعيةً إلى الإصغاء إليها والاعتبار بها؛ لأنَّها في المعنى تقريرٌ للمُخاطب بأنَّه لم يسمعْها، وفي اعترافه بذلك إقرارٌ منه أنه مُحتاج إلى سماعها، فيقول له حينئذ: فاسمَعْها، فقد كان كذا وكذا. ﴿نَبَأُ الْخَصْمِ﴾؛ أي: خبرُ الخُصوم، ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾؛ أي: علَوْهُ وتسلَّقُوه؛ لأنَّه كان مُحتجِبًا عن الخصوم، مُتفرِّغًا للعبادة، مُتخلِّيًا لها، فنزَلوا إليه مِن عالٍ، والمِحْرابُ: موضعُ صلاته. وقيل: كان غُرْفةً.

(٢٢) - ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ﴾: أي: حين دخلوا عليه بالتَّسوُّر. ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾: أي: خاف مِن دخولهم عليه بغير إذنٍ، ومن غير الباب، ومع قيام الحُجَّاب، أو ظنَّ أنهم لُصوص مُكابرون، أو أنهم ملائكة جاؤوا لأمر عظيم.

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾: فإنَّا لن ندخُلَ لريبة، لكنْ لوقوع خُصومة خشِينا وقوعَ الخلَلِ في التأخير في تلافيها، وعلِمْنا رِضاكَ بإصلاح ما فيها، فتفرَّغَ داود لهم. فقالوا: ﴿خَصْمَانِ﴾: أي: نحن خصْمان. ﴿بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾: أي: تعدَّى وظلَمَ. ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾: أي: لا تُباعِدْ عن الحق، وقيل: أي: لا تجُرْ. وقيل: أي: لا تُسْرِفْ. والشَّطَطُ: مُجاوزة القَدْر في كل شيء. ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾: أي: وأَرْشِدْنا في قَطْع خصومتنا إلى قَصد السبيل.

---

(١) لطائف الإشارات (٣/ ٢٤٩)، والكشف والبيان (٨/ ١٨٤)، ومعالم التنزيل (٤/ ٥٨)، وجامع البيان (٢٠/ ٤٩ - ٥٠).

(٢٣) - ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ يعني: صاحبي وصديقي ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾: هي الأنثى مِن الضَّأْن ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾؛ أي: أعطِنيها واجعَلْها كِفْلي؛ أي: نَصيبي. وقيل: أي: ضُمَّها إليَّ واجعلني كافِلَها. ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾: أي: غلَبَني بعزِّ سُلْطانه، وشهِدَ له الشُّهودُ بذلك(١).

(٢٤-٢٥) - ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾: أي: مَضْمومةً إلى نعاجه. وقيل: أقرَّ خصمُه بذلك، فلذلك قال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾: إذ معناه: إنْ كان الأمر كما تقولُ فلقد ظلَمَكَ. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ﴾: هو جَمْع خليط، وهو الذي يكون له مع الآخَرِ خُلْطةٌ؛ أي: اختلاط بشِرْكة أو مُعاملة أخرى. ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: أي: يطلب الفَضْل لنفْسِه ويظلم. ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: فإنهم لا يَبْغون. ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾: ﴿مَا﴾ زائدةٌ مؤكِّدةٌ؛ أي: هم قليل. ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾: أي: علِمَ داود بالدليل أنَّا امتحَنَّاه فلمْ يصبِرْ على المِحْنَة حتى صار إلى خِلاف ما هو به أولى. ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾: زلَّته ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾؛ أي: سقَطَ على وجهه لله ﴿وَأَنَابَ﴾: أي: رجع إلى الله ممَّا وقَعَ فيه. ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾؛ أي: زيادة خير في الدنيا، وقيل: القُرْبة في المنزلة يوم القيامة. ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: أي: وحسن مَرْجِعٍ في الآخرة، وهو الجنة(٢).

(٢٦) - ﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾: أي: صيَّرْناك في

---

(١) تأويلات أهل السنة (٨/ ٦١٥).

(٢) جامع البيان (٢٠/ ٦٤ - ٦٦)، والكشف والبيان (٨/ ١٨٦)، ومعالم التنزيل (٧/ ٧٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٧/ ٦٠)، والكشاف (٤/ ٨١)، والتفسير الكبير (٢٦/ ٣٧٩).

الأرض حاكمًا بين العِباد، وخلَفًا عمَّن كان قبلك فيها مِن الأنبياء. ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾: أي: فامنَع المتنازِعين بعضَهم مِن بعض بما أمَرَ اللَّه تعالى به مِن ذلك، فإنه الحقُّ؛ أي: الذي يحِقُّ أنْ تَعْمَلَ به. ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾: أي: هواكَ المخالِفَ لأمر اللَّه. ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يعدِلَ بك الهوى واتِّباعُه عن الطريق المُفضي بسالكه إلى رِضوان اللَّه. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: أي: لهم ذلك يوم القيامة: ﴿بِمَا نَسُوا﴾: أي: تركوا سلوكَ سبيل اللَّه، وهذا النِّسيان هو التَّناسي والتَّغافُل. ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ الذي فيه حُكْمُ اللَّه بين عباده بالحق، فحكَموا في الدنيا بغير الحقِّ.

(٢٧) - ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾: هو تذكير عن نسيان يوم الحساب. يقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مِن المكلَّفين لأُهملَهم، فلا آمرَهم ولا أنهاهم، بل خلَقْتُهم لِأمتحنَهم وأُكلِّفَهم، وإذا كلَّفتُهم ميَّزْتُ بين مُحْسِنهم ومُسيئهم بالثواب والعقاب، وذلك يوم الحساب. ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: ظنُّ خَلْقِ السماء والأرض وما بينهما باطلًا هو ظنُّ الكفار ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ أي: الكافر عقوبته النار له فيها عذاب موجعٌ.

(٢٨) - ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: هو استفهام بمعنى النفي، وهو تحقيق معنى الامتحان، والتَّمييز بين أهل الإساءة والإحسان. وقولُه تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾: أي: كالعُصاة الذين يَفْجُرون؛ أي: يَميلون عن الحق إلى الباطل.

(٢٩ - ٣٠) - ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾: أي: هذا كتاب أنزلناه إليك مبارك. ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾: أي: الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمُفسدون والمُتَّقون والفُجَّار؛ أي: ليتفكَّروا بعقولهم ما فيه مِن العلامات الدالَّة على الحق والباطل. ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أي: وليتَّعظوا بعِظاته، ويتذكَّروا بذِكْره، فإنه القرآن ذو الذِّكْر. ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ﴾: أي: رزَقْناه ولدًا اسمه سليمان. ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾: أي: سليمانُ نِعْمَ العبدُ. ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: إذ كان رجَّاعًا إلينا في أموره، مُستغفِرًا[١].

(٣١) - ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾: أي: آخرَ النهار، وهو وقتُ العصر. ﴿الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾: عُرِضَتْ عليه الخيلُ لينظُرَ إليها؛ إظهارًا منه الحُبَّ للجهاد، والحِرْصَ عليه، والحثَّ للناس على الاقتداء به في ارتباطها. ﴿الصَّافِنَاتُ﴾: الخيول القائمةُ على ثلاث قوائمَ وقد أقامَتْ قائمةً على طرَف الحافر مِن يد أو رجل، الصَّافِن في كلام العرب: الواقف مِن الخيل وغيرِها، ﴿الْجِيَادُ﴾: جمع جَواد، وهو الذي يُجيدُ السَّيْر، ويتَّسِع في العَدْوِ، وهما وَصْفان: أحدُهما: حُسْنُ هيأتها في وقوفها. والثاني: جودة سَيرها حال ركضها[٢].

(٣٢) - ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾: أي: آثرْتُ؛ ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾: أي: حُبِّي للخير أي: الخَيْل، وقيل: أي: حُبَّ المال. ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾: أي: على ذِكْر ربي،

---

(١) بحر العلوم (٣/ ١٦٥)، وتفسير مقاتل (٣/ ٦٤٣)، تفسير السمعاني (٤/ ٤٣٨)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٤٩٤).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٣٧٩)، وتأويلات أهل السنة (٨/ ٦٢٦)، والكشاف (٤/ ٩١).

وأراد بقوله: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾: صلاةَ العصر ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾: أي: توارَتِ الشمس بما حجَبها عن الأبصار، ولم يَسْبِقْ ذِكْرُها، لكنْ نعرف أنها المراد لأنه ذكَرَ العَشِيَّ، ولا شيءَ يتوارى حينئذ غيرُها.

(٣٣) - ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾: أي: الصَّافناتِ الجِياد. ﴿فَطَفِقَ﴾: أي: أخذَ وابتدأَ ﴿مَسْحًا﴾؛ أي: يمسَحُ مَسْحًا؛ أي: يقْطَع، يقال: مسح علاوته؛ أي: ضرب عنقه، وجمهور المفسرين: على أنَّه القَطْعُ. ﴿بِالسُّوقِ﴾: وهي جمع الساق. ﴿وَالْأَعْنَاقِ﴾: جمع العُنُق؛ أي: جعل يُعَرْقِبُ سُوقَها ويقطَعُ أعناقها[(١)].

(٣٤) - ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾: أي: اختبرناه كما اختبرنا آباءه، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾: هو بيان تلك الفتنة. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: هو إلى اللَّه؛ أي: رجع إليه كما رجع أبوه وأناب واستغفر اللَّه تعالى، فغفَرَ اللَّه له، فسأله المُلْك الذي لا ينبغي لأحد مِن بعده فأعطاه، كما جعل أباه خليفةً في الناس، ووعدَه الزُّلفى وحُسْنَ مآب. قيل: إنه كان لسليمان مئة امرأة، فقال: لأطوفَنَّ الليلة على نسائي، فتحمِلُ كل واحدة منهن غلامًا يُقاتل في سبيل اللَّه، ولم يستَثْنِ، فما حمَلَتْ منهن إلا واحدةٌ ولدت شِقَّ غلام، وقيل: ولدًا ميتًا، فجيء به وهو على كرسيه، فوُضِعَ في حِجْره، فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾. وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو استثنى لولَدتْ كلُّ واحدة منهن غلامًا يقاتلون في سبيل اللَّه تعالى فرسانًا

---

(١) العين (٣/ ١٥٦)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١٨٣)، والوسيط" (٣/ ٥٥٢)، وزاد المسير (٧/ ١٣١)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٤٩٩).

أجمعين»[(١)]، فكانت فتنتُه هذه، وعتابُه لترك الاستثناء[(٢)].

(٣٥) - ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ أي: لا يكون لأحدٍ سواي: أي: أراد أنْ يكون مُلْكه على هذا الوجه آيةً لنبوته يَبِينُ بها عن غيره مِن ملوك الأرض في عصره. وقيل: أراد به أنْ يكون علامةً لقَبول توبته. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾: أي: المعروفُ بكثرة الهِبات.

(٣٦) - ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾: أي: ذلَّلناها له ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾؛ أي: سهلةً ليِّنة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾؛ أي: حيث أراد سليمان مِن البلاد والمواضع.

(٣٧ - ٣٨) - ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾: عطف على الأول؛ أي: وسخَّرنا له الشياطين. ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾: ترجمة عنه؛ أي: فسخَّرْناهم له، فبعضهم كانوا يبنون له الأبنية العظيمة المرتفعة البديعة، وبعضهم يستخرجون له مِن البحار الجواهرَ واللآلئَ والحُلِيَّ الثمينة، وكان سليمان أول مَن استخرج اللؤلؤ مِن البحر ﴿وَآخَرِينَ﴾: أي: مِن الشياطين ﴿مُقَرَّنِينَ﴾؛ أي: مُقيَّدين، مِن القِران، والتشديد للتكثير والتكرير. ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: أي: الأغلال، والواحد: صَفَد، بفتح الفاء.

(٣٩) - ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾: فلما أعطيناه هذا كلَّه، قلنا له: هذا عطاؤنا لك. ﴿فَامْنُنْ﴾: أي: أَعْطِ منه ما شئتَ ومَن شئتَ. ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾: أي امنَعْ منه ما شئتَ ومَن شئتَ. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: بغير تَبِعَةٍ عليكَ فيه، ولا سؤالٍ عنكَ: لِمَ

---

(١) رواه البخاري (٦٣٤٧)، (٧٤٦٩)، ومسلم (١٦٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: "لو كان سليمان استثنى لحملت كل امرأة منهن، فولدت فارسا يقاتل في سبيل الله".

(٢) الكشف والبيان (٨/ ٢٠٧)، والنكت والعيون (٥/ ٩٧).

أعطيتَ؟ ولِمَ أمسكتَ(١)؟

(٤٠ -٤١) - ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: كما كان لأبيه داود.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾: أي: دعا ربه؛ أي: اذكر عبدنا أيوب كما ذكرتَ داود وسليمان إذ قال في دعائه وندائه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾: أي: أصابني ﴿بِنُصْبٍ﴾؛ أي: نَصَب، وهو التَّعَب، وقيل: أي: أذًى وقيل: أي: مرض.

﴿وَعَذَابٍ﴾: قيل: أي: شديد. وقيل: أي: عَناء.

(٤٢) - ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾: أي: فاستجبنا له، وقلنا له: اركض برجلكَ؛ أي: اضرب بها وحرِّكْها في مكانكَ. ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: أي: فضرب برجله الأرض، فنبعت عَين فيها ماء بارد ليغتسل به ويشربه، فزال ما كان به مِن ضُرٍّ حين اغتسل به وشربه.

(٤٣) - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أي أحيا الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾: أي: نعمة منا أي: فعلتُ به ذلك رحمةً مني عليه. ﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أي: وتذكيرًا للعقلاء ليصبروا كما صبر، فيُؤجَروا كما أُجِر(٢).

(٤٤) - ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾: أي: وقلنا له؛ أي: في تكفير يمينه على ضرب امرأته. قيل: كانت امرأته تأتيه كلَّ يوم بشيء معلوم، فأتته يومًا بأكثرَ مِن المعهود، فخاف عليها سوءًا، فحلف ليضربنَّها مئة سُوط. ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾:

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ٤٢)، والتفسير الكبير (٣٢/ ٢٢٠)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١٨٣).

(٢) البسيط (١٥/ ١٥٠)، وزاد المسير (٣/ ٢٠٧)، وجامع البيان (١٦/ ٣٦٧).

قيل: هو قَبْضة قُضْبانٍ يجمعها أصل واحد وقيل: هو الحُزْمة مِن الكَلأ والرَّيحان. ﴿فَاضْرِب بِهِ﴾: أي: امرأتك ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾؛ أي: في يمينك، خفَّفَ عنها لعدم جِنايتها، وأبرَّه فيما حلف لحُسْن نيته فيما حلف. ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾: أثبت له صفة الصبر مع قوله ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾؛ لأنه لم يكن على وجه الشكوى، ولأنه قال ذلك مع الله لا مع غيره، ولأنه كان مَرَّةً، ولأنه كان شكرًا لله على ما أهَّلَه له. وقيل: الصَّبر: استعذاب البلاء دون استصعابه. وقيل: هو التَّلَذُّذ بالبلاء. ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾: لم يشغله البلاء عن المُبْلي، وسليمان نِعْم العبد لم يشغله العطاء عن المُعْطي. ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: أي: رَجَّاع إلى الله[١].

(٤٥) - ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي﴾ أي: أصحاب القوة في العبادة، وهي جمع يد، وبها يقع البطش والقوة. ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾: جمع بصَر، وهو بصر القلب، وبه يقع الاستبصار والمشاهدة، وهذا وصف لهم بالقوة في العمل، والكمالِ في العِلْم.

(٤٦ - ٤٧) - ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾: أي: إنَّا اختصَصْناهم واستخلصناهم بخاصيَّةٍ، وهي تذكيرُ الناس بيوم القيامة؛ لإرسالنا إياهم دُعاةً للخَلْق. ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ﴾: المختارين ﴿الْأَخْيَارِ﴾؛ أي: الأفاضل.

(٤٨) - ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾: إنَّ الْيَسَعَ وذا الكِفْل كانا ابنَيْ عم، وكان الْيَسَعُ في أربع مئة مِن الأنبياء في زمانِ ملكٍ

---

(١) الوسيط (٣/ ٥٥٨)، والنكت والعيون (٥/ ١٠٣)، والعين للخليل (٤/ ٣٦٣).

غَشوم، فقتل الملِكُ منهم ثلاث مئة، وبقي ذو الكِفْل ومئة منهم، فكفِلَهم وجعل يُطعمهم ويَسقيهم، وخبَّأهم حتى أُفْلِتوا، فمِن ذلك سُمِّيَ: ذا الكفل، وأنَّ الْيَسَعَ كان آمن بإلياس، ولما ذهب إلياس نُبِّئَ الْيَسَعُ في بني إسرائيل. وقيل: لمَّا مات أيوبُ أرسل اللَّه ابنَه بِشْرَ بن أيوب نبيًّا، وسماه: ذا الكِفْل، وأمرَه بالدعاء إلى توحيده، وكان نبيًّا بالشام عمَّرَه اللَّه خمسًا وسبعين سنة، ثم مات، فأرسل اللَّه تعالى بعده شُعيبًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1].

(٤٩ - ٥٠) - ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾: هذا الذي تلَوْناه عليكم مِن قصص الأنبياء ذِكْرٌ؛ أي: وَعْظٌ، فتذكَّروا به. ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي: للمُتذكِّرين به، وقيل: لكل المؤمنين على العموم لا للأنبياء الذين ذكرتُهم على الخصوص. ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾: أي: مرجعٍ. ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾: التَّفْتيحُ: تكثير الفتح، وذلك لِذِكْر الأبواب؛ أي: إذا أتوها فتحوا أبوابها لدخولهم؛ كما قال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

(٥١ - ٥٢) - ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾: نصب على الحال؛ أي: يتَّكِئون على الأرائك فيها. ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾: للأكل ﴿وَشَرَابٍ﴾: للشُّرْب. و﴿يَدْعُونَ﴾: أي: يحكُمون. وقيل: يطلبون. وقيل: ينادون. وقيل: يتمنَّون بقلوبهم، فيأتيهم من غير لَبْثٍ ولا كُلْفة. ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: نساء قد قَصَرْنَ أبصارهن عليهم. ﴿أَتْرَابٌ﴾: لِدَاتٌ على سِنٍّ واحدة، متساوياتُ في الحسن والجمال، وذلك أنفى للغَيْرة عنهن؛ لأن النَّفْس تتوق إليهن على السواء.

---

(١) الكشاف (٣/ ١٣١)، وتفسير مقاتل (٣/ ٦٤٨)، والتيسير في التفسير (١٢/ ٥١٤).

(٥٣ -٥٦) - ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾: أُجازيهم به يوم أُحاسِبُ الخَلْق، فأُجازيهم على أعمالهم. ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا﴾: أي: عطاؤنا الذي لا ينقطع ﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾؛ أي: فناءٍ. ﴿هَذَا﴾: أي: هذا لهؤلاء، أو: هذا كما وصفنا. ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾: أي: وإن للمُتمرِّدين لأسوأَ مرجع ﴿جَهَنَّمَ﴾: ترجمة عنه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾؛ أي: فبئس الفراش المُعَدُّ لهم، بخلاف ما ذُكِرَ للمتقين مِن حسن المآب والجنة المفتَّحة الأبواب.

(٥٧) - ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾ أي: هذا نزُلهم فليذوقوه. ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾: الحميمُ: الماء الحارُّ الذي تناهى حرُّه، قال: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. وأما الغَسَّاق: هو ما يَسيل من بين جلده ولحمه. وقيل: هو الزَّمْهَرير الذي يحرق ببَرْده كما تحرق النار وقيل: هو القَيْح الذي يَسيل منهم يجتمع فيُسْقونه، وقيل: عَين في جهنم يسيل إليها سُمُّ كلِّ ذات حُمَة مِن حية وعقرب(١).

(٥٨) - ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾: أي: ضُروب أُخَرُ، وقيل: أي: وعذابٌ آخَرُ مِن شكله؛ أي: شِبْهه، و(الشَّكْل) بالفتح: ما يُشاكل الشيءَ، وبالكسر الدَّلُّ، ﴿أَزْوَاجٌ﴾: أي: ضُروب وألوان، وهي الضَّريع والغِسْلين والصَّديد والزَّقُّوم.

(٥٩) - ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾: أي: يقال لهم: هذا فَوْج؛ أي: انظروا إلى أفواج أمم الكفار الذين أضلَلْتُموهم، فإنهم مُقْتَحِمون النَّارَ معكم، لم يُمْكِنْكم نصرتهم ودفعُ العذاب عنهم. ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾: أي: يقول الأوَّلون

(١) جامع البيان (٢٠/ ١٢٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٩١٠٠)، والكشف والبيان (٨/ ٢١٣)، وتفسير ابن فورك (٢/ ٢٩٧).

للمُقتحِمين: لا مرحبًا بهم. ﴿إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ﴾: أي: داخلوها؛ أي: هم مثلُنا، فلا فرحَ برؤيتهم، ولا فرجَ بمعونتهم.

(٦٠ - ٦١) - ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾: أي: بل أنتم الذين لا نفرح بالاجتماع معهم. ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾: أي: أنتم حملتمونا على الكفر بالدعوة والتَّزْيين حتى أوردتُمونا هذه الموارد. ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾: أي: موضعُ الاستقرار، ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾: أي: مَن كان سببًا لهذا بدعوته. ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾: أي: مُضاعَفًا بكفره ودعوته إيانا إليه. ﴿فِي النَّارِ﴾: أي: في نار جهنم.

(٦٢) - ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾: أي: يقول هؤلاء: ما لنا؛ أي: ما السبب في أنَّا لا نرى معنا في هذا الموضع رجالًا كُنَّا في دار الدنيا ﴿نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ لتَرْكِهم دينَنا إلى دينٍ كان باطلا عندنا؟! وقيل: ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾؛ أي: مِن الأرذال والسَّفِلة.

(٦٣) - ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾: أي: كنا اتَّخذناهم سخريًّا. مَن كسر السين جعله مِن الهُزْء؛ أي: نسخر بهم، ومَن ضمَّها جعلها من السُّخْرة، وهي التَّسَخُّر والاستذلال والاستعمال. ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ على هذا يكون فيه إضمار ألف الاستفهام، ثم عطف الثاني عليه بـ ﴿أَمْ﴾، وتقديرُه: أَأُدْخِلوا غير هذا المدخل أم زاغت عنهم الأبصار؟ أي: أبصارنا، فلا نراهم وهم معنا هاهنا(١).

(٦٤ - ٦٥) - ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾: أي: هو كما أُخْبِرتموه،

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٤٥١)، وجامع البيان (٢٠/ ١٣٦)، والكشف والبيان (٨/ ٢١٥)، ومعالم التنزيل (٧/ ١٠٠).

وليس بباطل أنهم يتخاصمون على هذا الوجه، على ما ذكر عنهم ذلك في آيات: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨] الآيات، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦] الآيات، ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ الآية [العنكبوت: ٢٥]. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾: أي: مُخَوِّف بهذا اليومِ وبهذا العذاب، وقيل: بالقرآن، ورسولٌ داعٍ إلى الحق. ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾: فأدعوكم إلى توحيده وعبادته.

(٦٦ - ٦٧) - ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾: قيل: أي: القرآن الذي أُنذركم به، والنَّبَأُ: الخَبَرُ. فأمْرُ الساعة أمْرٌ عظيم؛ لِما فيه مِن النعيم المؤبَّد لقوم، والعذابِ المخلَّد لقوم.

(٦٨ - ٦٩) - ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾: أي: عن النبأ ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: هو إقامة البُرْهان على دعوى الرسالة، يقول: ما كان لي مِن عِلْم باختصام الملائكة في أمر آدم، وهو ما ذُكِرَ في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] الآيات، وإنما علِمْتُ بإعلام الله تعالى، فدلَّ ذلك على رسالتي إذ علِمْتم أني لم أُسافرْ ولم أُخالطْ مَن يخبرني به ممَّن قد علِمَه، وإنما علِمْتُه بوحي الله تعالى إليَّ.

(٧٠ - ٧٢) - ﴿إِنْ يُوحَى إِلَيَّ﴾: أي: ما يوحى إليَّ ﴿إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: أي: هذا الكلام يُوحى إليَّ. وقيل: أي: ما يوحى إليَّ القرآنُ وسائر وجوه الوحي إلا لأني نذير مبين؛ أي: رسول مبين. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾: أي: يختصمون حين قال ربك يا محمد للملائكة: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾: وهو

آدم. ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: أي: هيَّأْتُه الهيئةَ التي لا يبقى بعدها إلا نفخُ الروح فيه. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى﴾: أي: أدخلْتُ فيه روحًا أنا خلقْتُه له. ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾: أي: فخُرُّوا على وجوهكم ساجدين له سجدةَ التَّحيَّة.

(٧٣ - ٧٥) - ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ﴾: أي: تعظَّمَ عن السجود له. ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: أي: وصار من الكافرين بإباء الأمر. ﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: هو سؤال تَقْريع وتَوْبيخ؛ أي: لِمَن انفردتُ بإيجاده، وصوَّرْتُه بلا واسطة. ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾: بقطع الألف، استفهامٌ بمعنى الإنكار ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾؛ أي: أتكبَّرْتَ للحال أم كنتَ مِن المتكبِّرين قبل هذا؟! وقيل: أي: أم صرتَ مِن الطالبين العُلُوَّ؟![(١)].

(٧٦ - ٧٨) - ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾: لها نورٌ ﴿وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾: له ظُلْمةٌ، ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾: أي: مِن الجنة. وقيل: مِن السماء. وقيل: مِن صورتِك بالمسخ. ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: أي: متى همَمْتَ بالعَود إلى السماء رُجِمْتَ بالشُّهُب؛ أي: رُميتَ بها وطُردتَ عن السماء. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾: أي: قد أوجبتُ على الملائكة والبشر أنْ يلعنوكَ إلى يوم القيامة، ثم أُدخِلُكَ النار تحقيقًا لهذا اللعن. وفيه إخبار أنه يبقى على الكفر إلى يوم القيامة.

(٧٩ - ٨٣) - ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾: أي: فأَمْهِلْني ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾: مِن كمال شَقاوته سؤالُ إنظاره، فإنه تزداد عقوبته بزيادة أوزاره، فأجابه اللَّه تعالى فإنه بلسانه سأل تمام شَقاوته. ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: خاف الموت، فسأل النَّظِرة إلى يوم

---

(١) التيسير في التفسير (١٢/ ٥٢٦).

القيامة. ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾: وهو فَناء الدنيا.
﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي: لأُضِلَّنَّ بني آدم بالوسوسة. ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾: فإنه لا يعمل فيهم إغوائي.

(٨٤) - ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾: ومَن رفع الأول فمعناه: فأنا الحقُّ، أو هو مبتدأ، ومعناه: فالحقُّ بأني أملأُ جهنم منكَ ومِن مُتَّبعيك، ومَن نصب فعلى القسم؛ كقولك: "فحقًا"، والثاني نُصِبَ بوقوع القول عليه: وأقول الحق.

(٨٥ -٨٦) - ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾: من بني آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾. وقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: أي: على الإنذار وتبليغ القرآن، فيقع عندكم أني مُسْتَأْكِل. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾: أي: مِمَّن يتكلَّفُ إظهار خلاف الإضمار، بل أنا على ما عرفتُموني به مِن الصدق والأمانة ومحاسن الأخلاق، ولو كان تكلُّفًا مني لظهر على تطاول الزمان خلافُه، وذلك دليل صدقي في دعوى رسالتي. وقيل: وما أنا مِن المتكلِّفين في القرآن كما يقولون: إنه يختلِقُه، بل هو وحي من اللَّه إليَّ، وما أنا بقائل ما لا عِلْم لي به.

(٨٧ - ٨٨) - ﴿إِنْ هُوَ﴾: أي: وما هو، يعني: القرآن. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾: ختَمَ السورة بما بدأها به، فإنه قال: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾: أي: بعد ورود الأمر بالقتال. وقيل: بعد الموت بتحقيق العذاب(١).

(انتهى تفسير سورة ص).

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ٢١٥)، وتفسير ابن فورك (٢/ ٢٩٩).

(٣٩) سورة الزمر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكِّيَّةٌ إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة في وَحْشِيِّ ابن حَرْب: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، سميت «سورة الزمر» من عهد النبي ﷺ، وإنما سميت سورة الزمر لوقوع هذا اللفظ فيها دون غيرها من سور القرآن، وتسمى أيضًا: «سورة الغرف»، ووجه أنها ذكر فيها لفظ الغرف، أي بهذه الصيغة، وآياتُها: خمس وسبعون. وقيل: ثلاث. وقيل: اثنتان، الاختلافُ في سبع آيات: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾، ﴿مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ﴿مِنْ هَادٍ﴾، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، وكلماتُها: ألف ومئة وتسع وستون، وحروفُها: أربعة آلاف وسبع مئة وثلاثة وسبعون، وهي السورة التاسعة والخمسون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة سبأ وقبل سورة غافر.

أغراضها:

ابتدئت هذه السورة بما هو كالمقدمة للمقصود، وذلك بالتنويه بشأن القرآن؛ لأن القرآن جامع لأغراضها، وأغراضها كثيرة تحوم حول إثبات تفرد الله تعالى بالإلهية وإبطال الشرك فيها. وإبطال تعلللات المشركين لإشراكهم وأكاذيبهم. ونفي ضرب من ضروب الإشراك وهو زعمهم أن لله ولدًا. والاستدلال على وحدانية الله في الإلهية بدلائل تفرده بإيجاد العوالم العلوية والسفلية، وبتدبير نظامها

وما تحتوي عليه مما لا ينكر المشركون انفراده به والخلق العجيب في أطوار تكون الإنسان والحيوان. والاستدلال عليهم بدليل من فعلهم وهو التجاؤهم إلى الله عند ما يصيبهم الضر. والدعوة إلى التدبر فيما يلقى إليهم من القرآن الذي هو أحسن القول. وتنبيههم على كفرانهم شكر النعمة. والمقابلة بين حالهم وبين حال المؤمنين المخلصين لله. وأن دين التوحيد هو الذي جاءت به الرسل من قبل. والتحذير من أن يحل بالمشركين ما حل بأهل الشرك من الأمم الماضية. وإعلام المشركين بأنهم وشركاءهم لا يعبأ بهم عند الله وعند رسوله ﷺ فالله غني عن عبادتهم، ورسوله لا يخشاهم ولا يخاف أصنامهم لأن الله كفاه إياهم جميعًا. وإثبات البعث والجزاء لتجزى كل نفس بما كسبت. وتمثيل البعث بإحياء الأرض بعد موتها. وضرب لهم مثله بالنوم والإفاقة بعده وأنه يوم الفصل بين المؤمنين والمشركين. وتمثيل حال المؤمنين وحال المشركين في الحياتين الحياة الدنيا والحياة الآخرة. ودعاء المشركين للإقلاع عن الإسراف على أنفسهم، ودعاء المؤمنين للثبات على التقوى ومفارقة دار الكفر. وختمت بوصف حال يوم الحساب. وتخلل ذلك كله وعيد ووعد، وأمثال، وترهيب وترغيب، ووعظ وإيماء بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] الآية، إلى أن شأن المؤمنين أنهم أهل علم وأن المشركين أهل جهالة، وذلك تنويه برفعة العلم ومذمة الجهل(١).

وانتظامُ أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أَنَّها في ذِكْر القرآن، وانتظامُ السورتين: أَنَّها في مُحاجَّة المشركين، ووعد المؤمنين، ووعيد الكافرين(٢).

---

(١) التحرير والتنوير(٢٣/٣١٣).

(٢) التيسير في التفسير (١٣/ ٩).

(١ - ٢) - ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: أي: إنزال القرآن شيئًا فشيئًا على محمد ﷺ ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾؛ أي: في انتقامه ﴿الْحَكِيمِ﴾؛ أي: في أحكامه، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿الْكِتَابَ﴾؛ أي: القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: ببيان الحق؛ أي: وبما يحِقُّ الأخذ به، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾: أي: وحِّدْه وأَطِعْه ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾؛ أي: مُصفيًّا له الاعتقاد والعمل.

(٣) - ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾: أي: المُسْتحِقُّ للطاعة الخالصة التي لا يشوبُها شرك هو اللَّه تعالى، إذ هو الخالق الرازق المالك المنفرد بالألوهية، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: أي: والمشركون الذين اتَّخذوا مِن دون اللَّه أصنامًا يتوَلَّوْنهم ويجعلونهم يلُونهم بالحفظ والإحاطة، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾: أي: يقولون: ما نعبد هؤلاء الأصنام ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾: بالشفاعة لنا إليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: أي: إنَّ اللَّه عالم بهذا القول منهم، وسيرجعون إليه فيحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون، بأنْ يُمَيِّزَ بين المُحِقِّ منهم والمُبْطِل بالثواب والعقاب[١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾: أي: لا يُرشد إلى الحقِّ، ولا يخلُق صفة الاهتداء ﴿مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ على اللَّه أو على رسوله ﴿كَفَّارٌ﴾: كافر باللَّه ما دام مُصِرًّا على ذلك.

(٤) - ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: لو جاز واحتمل أنْ يتَّخِذ اللَّه ولدًا -على ما يتوهَّمون- لاختار مما يشاء مَن شاء، لا على ما تختارون أنتم وتشاؤون أنَّ الملائكة بنات اللَّه؛ إذ العُرْفُ في الخَلْق أنَّ مَن اتَّخذ

(١) لطائف الإشارات (٣/ ٢٦٧).

لنفسه شيئًا إنما يتَّخذ مِن أعز الأشياء وأرفعها وأعظمها قَدْرًا، وأنتم تختارون البنين على البنات، فكيف اختار هو البنات على البنين[١]؟!، ﴿سُبْحَانَهُ﴾: أي: تنزيهًا لله تعالى عن هذا ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾: الذي لا إله غيره ﴿الْقَهَّارُ﴾: أي: القهار عبادَه دائم باقٍ واحد، فلا يجوز ذلك عليه.

(٥) - ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: أي: بالحق الذي له على الخَلْق، وقيل: ﴿بِالْحَقِّ﴾: أي: للحق، وهو البعث؛ لأن الخَلْق للفناء عبَثٌ، ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾: أي: يلفُّه، أي: يُدْخِل نُقْصان الليل في زيادة النهار[٢]، ﴿وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾: أي: يُدْخل نُقْصان النهار في زيادة الليل؛ كقولهم: "الحَوْر بعد الكَوْر"؛ أي: النُّقْصان بعد الزيادة، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: أي: ذلَّلَها وجعلها يجريان ويَطْلعان ويَغْرُبان لمنافع العباد، ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي: كلُّ واحد مِن الشمس والقمر يجري في الفُلْك إلى أنْ تنقضيَ الدنيا للأجل المسمى عنده، فيَنتقِض هذا النَّظْم حينئذ، ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا يُمنع ممَّا يُجريه على المُسيء ﴿الْغَفَّارُ﴾: لِمَن تاب وأناب بعد الإساءة.

(٦) - ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: وهو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: وهي حوَّاء، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾: أي: وخلق لمنافعكم مِن البهائم ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾: وهي الإبل، والبقر، والغنم، والمَعْز، والأزواجُ: الأصناف، والزوجان: ذكر وأنثى، كلُّ فردٍ زوجٌ، وهي المذكورة في قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٨/ ٦٥٦).

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١٨٨).

أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾[الأنعام: ١٤٣]، ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾[الأنعام: ١٤٤]، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾: أي: تقديرًا بعد تقدير، وتارةً بعد تارة، ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾: قال أكثر المفسرين: هي ظُلْمة المَشيمة، وظُلْمةُ الرَّحِم، وظُلْمةُ البطن يُصوِّرُ اللَّه الخَلْق فيها، لا يخفى عليه ذلك كما لا يخفى على مَن أراد تصوير شيء لو كان في شيء يستره، نبَّهَ على أنه بصير بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، ولا يَسحَر شيئًا عنه شيءٌ، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾: أي: كيف ومِن أين ينصرفون عن تدبُّر هذه الآيات، وعن إخلاص العبادة للَّه إلى الشرك به وإلى عبادة ما سواه؟.

(٧) - ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾: أي: إنْ تجحدوا نِعَم اللَّه، وتتركوا الشكر له عليها؛ فإنه لا يضرُّه كفركم؛ إذ لم يأمْركم بالشكر لنَفْعٍ يجرُّه إلى نفْسه، وضُرٍّ يدفعه عن نفْسه، بل هو غني عنكم وعن عبادتكم، ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾: وهو وإنْ كان غنيًّا عنكم، فإنه لا يرضى أنْ يفعل العباد الكفر، فإنه قبيح في نفسه، ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾: أي: الشكرَ، فإنه حسَنٌ في نفْسه، فيقبله منكم ويُثيبكم عليه. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: أي: ولا تحمل نفْسٌ حاملةٌ حِمْلَ نفْسٍ أخرى، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾: أي: ثم في القيامة إلى جزاء ربكم رجوعُكم، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: فيُخبركم بأعمالكم، ويُجازيكم عليها، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: بخَفِيَّات القلوب[١].

(٨) - ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾: أي: وإذا نال أحدًا

---

(١) جامع البيان (٢٠/ ١٦٩).(٢)، والعين (٥/ ٢٩٢).

مِن هؤلاء المشركين بلاءٌ وشِدَّةٌ في أبدانهم وأموالهم وأسبابهم، فزِعَ إلى الدعاء والتضرُّع إلى اللَّه تعالى، راجعًا إليه دون الأصنام الذي اتخذوها أولياء؛ لعِلْمه الضروري أنَّ الصنم لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يجرُّ ولا يدفع، ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ﴾: أي: ملَّكَه وأعطاه ﴿نِعْمَةً مِنْهُ﴾: وهي خلاف الضُّرِّ الذي كان مسَّه مِن الصحة والعافية والثَّرْوة والأُلْفة، ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: ترَكَ الدعاء الذي كان يدعو به من قبل نَيْلِ هذه النعمة تَرْكَ الناسي للشيء الذي لا يخطرُ بباله، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾: أي: قل يا محمد لهذا الكافر: إنَّ تمتُّعَكَ بكفركَ في الدنيا مِن نَيْل الرياسة والأغراض الدنيوية قليلٌ زائلٌ، ثم إنك صائرٌ إلى النار، باقٍ فيها خالدٌ مُخلَّدٌ.

(٩) - ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَابِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: ليس مَن هو مصلِّي أوقاتِ ليلِه في أوله وأوسطه وآخره، مواظبٌ على الصلوات لربه، يقوم في صلاته إعظامًا، ويسجد تارةً تذلُّلًا، ويخاف الحساب في الآخرة لإيمانه بالبعث، ويرجو رحمة ربه، فيتردَّدُ بين الخوف والرجاء، كمَن ليس هكذا، بل هو مشرك يتَّخذ مِن دون اللَّه أندادًا، ويكفر نعمة ربه، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: وهو للنفي أيضًا، فكذا الأول، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، فإذا لم يستوِ العالم وغيرُ العالم لم يستوِ الخاشي وغيرُ الخاشي، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ

﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أي: إنما ينتفع بهذه المواعظ والأمثال مَن كان له عقل، فيتدبَّرُ به[١].

(١٠) - ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾: أي: ﴿قُلْ﴾ محمد ﷺ عني: ﴿يَاعِبَادِ﴾؛ أي: خواصِّي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾، فأطيعوه ولا تعصوه، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنةٌ في الآخرة، وهي الجنة، ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾؛ أي: أرض الجنة؛ كما قال: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، واسم الأرض يقع عليها، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾[الزمر: ٧٤]، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ على الإحسان في الدنيا ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: ثوابًا لا يدخل في حساب الخَلْق لكثرته.

(١١ - ١٢) - ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾: أي: قل يا محمد للكفار -بعدما قلتَ للمسلمين-: أمرَني اللَّه أنْ أعبدَه مُخلصًا له الطاعة والانقياد، بخلافِ ما أنتم عليه، وأمرَني أنْ أسبق الأمة إلى الإسلام، لا أنتظر به إسلام أحد منهم؛ ليكونَ لي شرَف السَّبْق، وثوابُ الكل بسبب السَّبْق، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: أُمِرتُ أنْ أعبد اللَّه تعالى، وأُمِرْتُ بذلك لأنْ أكون أول المسلمين، فأنالَ شرف ذلك وثوابه.

(١٣ - ١٥) - ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي: عظيم الأحوال، كثير الأهوال، ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾: كما أمرني به،

(١) الكشف والبيان (٨/ ٢٢٤)، وتفسير السمعاني (٤/ ٤٦١)، ومعالم التنزيل (٧/ ١١٠).

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾: وهذا أمرُ تهديدٍ؛ أي: اختاروا لأنفسكم ما شئتُم، فقد اخترتُ لنفْسي ما أمرَني به ربي، ودليلُ أنه للتهديد: ما سبَقَ مِن ذِكْر العذاب العظيم على خلاف هذا الأمر، وكذا ما ذُكِر بعده مِن الخُسْر، ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: الذين عبدوا غيرَ اللَّه هم الهالكون، أهلكوا أنفسهم وأهليهم، ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾: أي: الظاهر الواضح.

(١٦) - ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾: أي: كهيئة الظُّلَل المبنيَّة فوقهم، ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾: أي: تُحيط بهم نار جهنم مِن كل الجهات، وهو كقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[العنكبوت: ٥٥]، وكقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[الأعراف: ٤١][(١)]، ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾: يعني: بما ذكَرَ مِن عذاب النار، ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾: حذَّرَهم النار، ثم حذَّرَهم نفْسه، فهو المعذِّب بالنار مَن عذَّبه بها.

(١٧ -١٨) - ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾: أي: مَن أخلص العبادة للَّه، وتباعَد عن عبادة الشياطين، ومن طاعتهم في الإشراك به، وكان منهم على جانب لا يُلاقيهم، هذا حقيقة الاجتناب؛ كالانحراف الذي حقيقتُه أنْ يكون على حَرْف، والاعتراض الذي حقيقته أن يكون على عُرْض، ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾: أي: وأقبلوا إلى اللَّه بطاعتهم وعبادتهم مُخلصين له الدِّين، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾: أي: بالجِنان، بدلٌ عمَّا لأولئك الخاسرين مِن النار، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾: قيل: عمومُه يتناول كلَّ قول؛ أي: قولَ اللَّه، وقولَ رسوله، وقولَ مَن

---

(١) جامع البيان (٢٠/ ١٨١)، والنكت والعيون (٥/ ١١٩).

سلَف مِن المؤمنين والكفار، ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾: أي: أحسَنَه عاقبةً، وهو طاعة اللَّه تعالى، ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾: أي: اهتدَوا بهُداه، ﴿وَأُولَـٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أي: المُنتفعون بعقولهم(١).

(١٩-٢٠) - ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾: أي: وعيدُ اللَّه به بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: فعبَدَ الطاغوت، واتخذ مِن دون اللَّه أولياء، ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾: أي: تُخَلِّص منها، ﴿لَـٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾: أي: في الجنة، على مُقابلةِ ما قال لأهل النار قبله، وهو قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾، وقولُه تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ﴾: أي: وعدًا حقًا مِن اللَّه ذلك ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾؛ أي: الوعد في الفريقين جميعًا(٢).

(٢١) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: أي: مطرًا، ﴿فَسَلَكَهُ﴾: أي: أدخلَه ﴿يَنَابِيعَ﴾؛ أي: عيونًا وأنهارًا ينبع الماء منها؛ أي: يفور، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: فصارت فيها، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ﴾: أي: بالماء ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾: قيل: أي: أصنافه؛ كقولك: هذا لون مِن الثياب، ولون مِن الطعام، يعني: مِن حِنْطة وشعير وأَرُزٍّ وغير ذلك مِن الحُبوب، وقيل: هي الألوان حقيقة، فإنَّ الزرع مختلِف ألوانه، فإنَّ لون الأَرُزِّ غيرُ لون الحِنْطة، ونحو ذلك، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ثم ييْبَس هذا الزرع ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ أي: مُتناثرًا مُتساقطًا مُتكسِّرًا، ﴿إِنَّ فِي

(١) الكشف والبيان (١/ ٨٩)، ومعالم التنزيل (١/ ٦٧)، والتيسير في التفسير (١٣/ ٢٤).
(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٤١٨).

﴿ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أي: فيما ذكَرْنا مِن إحياء الأرض بعد موتها دِلالةً على إحياء الخَلْق بعد موتهم، وهذا وعد مِن اللَّه تعالى لا يُخْلِفُه.

(٢٢) - ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾: أي: أَفمَن فتح اللَّه قلبه فاتَّسعَ للتدبر والعلم والإيمان ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ﴾؛ أي: على هداية ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾: فهو يمضي على استبصارٍ في طريق الحقِّ؛ أي: هو أفضل وأهدى سبيلًا، أَمْ مَن هو مُخالف له ممن قد قسا قلبه عن ذكر اللَّه تعالى، فهو مُتحيِّرٌ مُتردِّدٌ في الظلمات ليس بخارج منها؟!، ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: والقاسي القلب: هو الذي أَلِفَ الكفر والإعراضَ عن استماع ذِكْر اللَّه، فرانَ على قلبه سوءُ كَسْبه، فقسا قلبه؛ أي: صلُبَ، فصار كالشيء المُصْمَت الذي لا يتخلَّله شيء، ولا ينفُذُ إليه شيء، ﴿مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: هو ما ذكَرَ اللَّه ورسو له مِن الترغيب والترهيب وضَرْب الأمثال، ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي: غِواية ظاهرة[١].

(٢٣) - ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾: أي: أوحى إلى محمد ﷺ لِيُلَيِّنَ القلوب القاسية بذكر اللَّه، وليُطَيِّبَ قلوب الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه ﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾؛ أي: أحسنَ ما يُتَحَدَّثُ به؛ لأنَّه مُشتمل على مصالح أمور الدين والدنيا، ﴿كِتَابًا﴾: أي: كلامًا مجموعًا يُكتب، وقيل: كتابًا مِن اللَّه تعالى إلى عباده[٢]. ﴿مُتَشَابِهًا﴾: أي: يُشبه بعضه بعضًا، فلا يختلف ولا يتناقض، ﴿مَثَانِيَ﴾: أي: ثنَّى فيه الأنباءَ والقصص والآياتِ المُكرَّرة في الوعد والوعيد

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ٢٢٩)، والوسيط (٣/ ٥٧٧).

(٢) لطائف الإشارات (٣/ ٢٧٧).

للتقرير والتأكيد، ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: أي: تنقبِض، وقيل: هو اليَبَس والخُشونة، وذلك عند الخوف بوعيده، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾: وذلك عند الرجاء بوعده، ومعنى ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾؛ أي: تَلين وتطمئنُّ إلى ذكر اللَّه، ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾: أي: ذلك القرآن إرشاد للخَلْق مِن اللَّه، ﴿يَهْدِي بِهِ﴾: أي: يخلُق فعلَ الاهتداء بسبب القرآن، ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾: وهو مَن علِمَ منه اختيار الاهتداء، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾: أي: مَن يخلُقْ فيه صفة الضلال ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: إلى الحق[١].

(٢٤) - ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: أفمَن يُلقى في النار يوم القيامة مغلولَ اليد لا يُمكنه أنْ يَتوقى العذاب إلا بوجهه، والوجه لا يُتوقَّى به، فهو إذًا لا يَتوقى العذاب الذي يُلقى فيه، فيحرِقُ بدنه كله، ولا يمكنه أنْ يرُدَّه عن وجهه الذي هو أعز شيء وأجلُّه في بدنه، أفهذا كمَن يدخل الجنة ويتنعَّم بها؟!، ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾: أي: لهذه الطَّبَقة مِن الظالمين: ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؛ أي: جزاء ذلك، وهو الذي أنتم فيه.

(٢٥ -٢٦) - ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: كذَّبَ الأممُ الذين مِن قَبْل هؤلاء المشركين رسلَهم، ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أي: مِن حيث لم يكونوا يعلمون أنْ يأتيَهم منه، وفي وقت لم يتوهَّموا نزولَه بهم فيه، ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾: أي: الفَضيحة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وقوله: ﴿وَلَعَذَابُ

---

(١) جامع البيان (٢٠/ ١٩٢)، ومعالم التنزيل (٣/ ٦٥)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٨٣).

﴿الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: مِن عذاب الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لو كان عند هؤلاء المشركين مِن العلم ما يتدبَّرون به ويعلمون لصدَّقوا بهذا الوعيد ولآمنوا به، لكنهم لا يتدبرونه، فلا يعلموه.

(٢٧ -٢٨) - ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: أي: ولقد وصَفْنا في هذا القرآن مِن كلِّ ما بالناس إليه حاجةٌ في أمور دينهم ومصالح دنياهم مثلًا، وهذا العموم كما في قوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ أي: مِن شيء يُحتاج إليه في الدِّين، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: لِيتَّعظوا به. ﴿قُرْآنًا﴾: أي: أنزلناه أو جعلناه، ﴿عَرَبِيًّا﴾ أي: بلسان العرب ليفهموه ويعلموا حُسْن نَظْمه وصواب معانيه؛ لأنَّه بلسانهم، ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: أي: لا يوجد فيه اختلاف ولا خطأ يخرُج به عن الحكمة والصحة لفظًا ومعنًى، وفي ذلك ما يدل على أنه مِن عند اللَّه تعالى، فوجب التذكُّر به، ولزِم تقوى اللَّه في أنْ يوقِع بهم ما توعَّدَهم به مِن العذاب.

(٢٩) - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: أي: وصَفَ اللَّه شبَهًا للمشركين والموحِّدين، ولم يقل: مثلين، وإنْ ذكَر بعده رجلين؛ لأن ذِكْرهما جملةً مثَلٌ واحد، وهو كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، ثم وصَفَ المثَل فقال: ﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾: أي: رجلًا يخدِم جماعةً هم في خدمته لهم شُركاءُ مُتعاسرون مُتشاحُّون، كل واحد منهم يحب أنْ ينفرد به، ولا يُعجبه خِدمتُه لغيره، ولا إشراكه مَن سواه في طاعته وتعظيمه، ثم ضرَبَ مثَل المُخْلِص الموحِّد، فقال: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾: أي: رجلًا قد خلَصَ لرجل، فصار له بحيث لا يَشوب

بخدمته خدمةَ غيره، ولا يوجِّه أمله إلى سواه، فقد تكامل حقُّه عليه، واجتمعت محبته وخدمته وعبوديته كلها له، ففي العقول السليمة أنَّ هذا المخدوم قد لزمه ذِمامُه، ووجب عليه حقُّه، وأنَّ هذا الخادم يفوز بكلِّ ما يؤمِّله مِن خدمته، خصوصًا إذا كان المخدوم كريمًا واسعًا لحقوق خدَمه، مع ما يُريح هذا الخادم مِن مُؤْنة كثرة التَّعَب في الخدمة، وتشعُّبِ الفكر في إرضائهم، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: أي: هل يستوي هذان الرجلان في الوصف؟! وكلُّ مَن تدبر بعقله علِمَ أنَّ المنفرد بالخدمة أحسنُ حالًا وأحمدُ عاقبةً مِن الذي يخدم جماعة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: على إيضاح الحُجَّة، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: لا يستعملون عقولهم في النَّظر في الدلائل ليعلموا، وقيل: أي: لا ينتفعون بعلومهم (١).

(٣٠ - ٣١) - ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾: أي: إنَّك يا محمد تموت ويموت هؤلاء المشركون؛ لأنَّ آجال الجميع مُنقضيةٌ مُنقطعة، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: أي: ثم يُحييكم اللَّه ويَبعثكم للحساب والجزاء والفَصْل بين المختلفين، فيختصم أهل الحق وأهل الباطل بحضرة الملائكة والمرسلين والصِّدِّيقين، ويَفْصِل اللَّه الخُصومة بينهم بالتمييز بين الفريقين (٢).

(٣٢) - ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾: فزعم أنَّ له شُركاء وأولادًا ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾؛ أي: بالقرآن لَمَّا جاءه، فهؤلاء فريق، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾: استفهام بمعنى التَّقْرير، وهو جزاء هؤلاء الفريق،

---

(١) لطائف الإشارات (٣/ ٢٨٠).

(٢) الوسيط (٣/ ٥٨٠) التيسير في التفسير (١٣/ ٣٧).

﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾: قيل: أي: بالصدق في اعتقاده ودينه فأخلَصَ لله ووحَّدَه، ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾: أي: حقَّقَ ذلك الصدق بالطاعة، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: لم يظلموا أنفسهم كما ظلَم الأولون.

(٣٤-٣٥) - ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: أي: ما يشتهونه في الجِنان التي أعدَّها لهم مِن أنواع النِّعَم، ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾: في اعتقادهم وأعمالهم، ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا﴾: أي: يجزيهم هذا الجزاءَ ليكون كفارة - أي: سِتارةً - لِمَا سلَف منهم حالَ كفرهم، ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بطاعتهم في الإسلام.

(٣٦) - ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾: أي: أليس الله كافيًا عبدَه ورسولَه المصطفى أنْ يضُروه، أو يصلوا إليه بمكروه؟!، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: أي: الأصنام، وقيل: كانوا يُخوِّفونه بكثرة جموعهم، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: أي: هؤلاء الذين يُخوِّفونك قد أضلَّهم الله؛ لعِلْمه باختيارهم الضلالة[(١)].

(٣٧ - ٣٨) - ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾: كالنبيِّ والمؤمنين، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى انْتِقَامٍ﴾: استفهام بمعنى التقرير، وهو وعد للنبي ﷺ أنه مُنتقم له مِن أعدائه، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: فكيف يطمعون في خوفك مِن آلهتهم التي هي مخلوقة لله تعالى وأنت رسولُ مَن خَلَقها وخَلَق السماوات والأرض؟!، ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: تدْعونه آلهةً، وقيل: أي: تعبدونه، ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: أي: بسوء

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٢٢٦)، والكشف والبيان (٨/ ٢٣٥)، ومعالم التنزيل (٧/ ١١٩).

وبلاءٍ ومكروه مما تُخوِّفونني به ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ أي: هل تستطيع هذه الأصنام أن تدفع عني ذلك السوء والضُّرَّ؟ ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾: أي: بنعمة ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾؛ أي: هل هنَّ قادراتٌ أن تمنع عني هذه الرحمة؟ ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: الله كافيني فلا ألتفت إلى غيره، عليه وحده يعتمد المعتمدون، والغرضُ الاحتجاجُ على المشركين في عبادة ما لا يضرُّ ولا ينفع، وإقامة البرهان على الوحدانية(١).

(٣٩ - ٤٠) - ﴿قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾: أي اثْبُتوا على ما أنتم عليه بما اخترتُموه لأنفسكم، ﴿عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: أي: منازلكم، وقيل: على رَسْمكم وعادتكم، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: أي: ثابت على ما أنا عليه مما قد اخترتُه لنفْسي، ينتظر كلٌّ منا ما يَؤول إليه أمره ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٩ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾؛ أي: يفضَحُه ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾؛ أي: يحِقُّ عليه ويجب عليه ﴿عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾؛ أي: دائم(٢).

(٤١) - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾: أي: ببيان الحق، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾: أي: فنَفْعُه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي: ضرَرُه عليه، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: أي: بمُسَلَّط على إكراههم على الإسلام، فإنه ليس ذلك بيدكَ، وإنما عليك البلاغ، وهو كقوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾

---

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٧٤).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١١٣٠٨) وجامع البيان (١٢/ ٥٥٨)، والكشف والبيان (٤/ ١٩٣)، والوسيط (٨/ ٤٥٠).

[الغاشية: ٢٢].

(٤٢) - ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾: أي: يقبِضُها ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾؛ أي: ويقبِضُ الأنفس التي لم تمُتْ ﴿فِي مَنَامِهَا﴾؛ أي: حالَ نومها، ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾: فلا يرسلها في أبدانها، ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى﴾: أي: الأنفسَ الأخرى في أجسادها، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي: الموت، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: أي: لَعلامات دالَّة على قدرة اللَّه على البعث بعد الموت.

(٤٣) - ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾: وهذه في مُحاجَّة المشركين، و﴿أَمِ﴾ بمعنى ألفِ الاستفهام، أو أُضمِر كلامٌ فيه ألفُ الاستفهام، ثم عُطف هذا عليه بـ ﴿أَمِ﴾، وتقديرُه: أفلا يتفكرون فيعلموا وحدانية اللَّه تعالى فلا يُشركوا به الأصنام، أم اتخذوها شُفعاء؟، ثم أبطل ذلك بقوله: ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: أي: أتشفعُ لهم وهي لا تملك شيئًا، ولا تعقل، ولا تسمع؟، فلا يشفع مَن لا يعقل ولا يملك.

(٤٤) - ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: عرِّفْهم أنَّ الشفاعة إنما يملكها مَن يملك السماوات والأرض، أي: كلها للَّه تعالى؛ أي: لا يُقْدِم عليها أحد إلا بإذنه، وأنتم معاشرَ المشركين مُقِرُّون بذلك، فإياه فأفرِدوا بالعبادة، ودَعوا الإشراك به، وأخلِصوا له، فإنه لا تنفع عنده الشفاعة لِمَن أشرك به، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: أي: إلى جزائه تَصيرون، وهذا ترغيب وترهيب.

(٤٥) - ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿بِالْآخِرَةِ﴾: أي: وإذا ذُكِر عندهم التوحيد ووجوبُه، وعرفوا أنَّ اللَّه واحد لا شريك له، اشمأزَّتْ قلوبهم؛ أي: انقبضت واعترَتها الوَحْشة، فصاروا إلى النِّفار عن التدبر لانقباضها وضِيقها، وقيل: كفرت واستكبرت، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: أي: وإذا ذُكِر ما يعبدونه مِن دون اللَّه ظهَرَ في وجوههم البِشْرُ، وهو أثَر السُّرور.

(٤٦) - ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: يا خالقَ السماوات والأرض، ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي: يا عالمَ السرِّ والعلانية، ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: أي: قد علِمْتَ حالي وحالَ قومي هؤلاء، وإني قد بلَّغْتُهم واجتهدتُّ في النُّصْح لهم، وأوضحتُ بينهم دلائلك، فأعرضوا واشمأزُّوا، فاحْكُمْ بيني وبينهم، فإنكَ أنتَ تحكم بين جميع عبادكَ فيما كانوا فيه يختلفون مِن أديانهم[1].

(٤٧) - ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: كفروا، فوضعوا العبادة غيرَ موضعها، وظلموا أنفسهم بذلك، ونقصوها حقَّها، ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: مِن الأموال ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾: وعلِموا أنَّ الفدية تُغني عنه ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: ليتخلَّصوا منه، ولكنَّ الفدية لا تُغني، كما أنَّ الشفاعة لا تُغني، ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾: أي: وظهر لهم مِن أمر اللَّه ما لم يكونوا يظنونه ولا يَعُدُّونه في جملة ما يجري عليهم؛ لأنَّهم كانوا مُنكِرين لهذا اليوم.

(٤٨) - ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: أي: وظهرت لهم يوم القيامة

(١) الوسيط (٣/ ٥٨٤) جامع البيان (٢٠/ ٢١٩)، وبحر العلوم (٣/ ١٨٠).

أعمالهم السيئة مِن أمور الكفر، وقيل: معناه: بدا لهم جزاء ذلك، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: فنزل بهم عذابُ استهزائِهم في الدنيا بآيات اللَّه وأنبيائه، وقيل: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أي: أحاط بهم.

(٤٩) - ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾: معناه: إذا نال المشركَ بلاءٌ في بدنه وأمرٌ كان يخافه دعانا؛ أي: التجأَ إلينا، وأخلصَ الاستغاثة بنا، ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾: أي: ملَّكْناه وموَّلْناه ووسَّعْنا عليه، ﴿نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: أي: لِفَضْلي، وقيل: أي: لم ير ذلك مِن عندنا، ولم يعُدَّه مِن عطائنا، ويقول: إنها أُعطيتُه على علمٍ علِمَه اللَّه مني، فأعطاني ما أعطاني لاستحقاقي ذلك بفضلي، ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾: أي: عَطِيَّةٌ مِن اللَّه امتحنه بالشكر له عليها، والاستعانة على إقامة الدين بها، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: لا عِلْمَ لهم ولا تمييز لهم، يقولون ذلك بجهل، ولو تدبروا لعلموا أن اللَّه تعالى لو أراد لسلَبَهم قوة الاكتساب، فلم يُمكِنْهم جمع شيء، ولو أراد أتلفَها، ولعلموا أن كثيرًا ممن يُخالفهم في دينهم أوتوا أكثر منهم، وأنَّ كثيرًا مِن الناس أكثرُ اجتهادًا منهم في الاكتساب ولا شيء لهم[(١)].

(٥٠ - ٥١) - ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: هذه المقالةَ بهذه الجهالة، ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: أي: فما نفعَهم شيئًا ما جمعوه مِن الأموال، وظنوا ذلك لفَضْل فيهم، وأنه يعصِمهم مِن عذاب اللَّه تعالى، وما دَفع العذابَ عنهم، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: أي: فنالَهم جزاءُ سيئاتِ أموالهم التي كسبوها، وتلك السيئات هي ما استعانوا به في إماتة دِين اللَّه، وأنفقوه في

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ٢٤٠)، ومعالم التنزيل (٧/ ١٢٤)، والكشاف (٤/ ١٣٣).

معاصي اللَّه، وقوَّوا بها أعداء اللَّه، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: كما أصاب الأولين ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: أي: بفائتين.

(٥٢) - ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: أي: يُوسِّع ﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يُضيِّق، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: فيما ذكرناه علاماتٌ لِمَن كان همُّه التصديقَ بالحق على أنَّ التفاوُت في النِّعَم مِن عند اللَّه مِن غير علةٍ بفضل أو اجتهاد في كَسْب.

(٥٣) - ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين عني: ﴿يَاعِبَادِيَ﴾؛ أي: يا خَلْقًا أنا مالكُهم، أُصرِّفهم في حُكْمي كيف أشاء ﴿الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ فجاوَزوا حدود ما أُمروا به، وتعدَّوا إلى ما نُهوا عنه، واستكثروا في ذلك، وانهمكوا فيه، وركِبوا العظائم منهم؛ لأن الإسراف يشتمل على ذلك كله، ولا إسرافَ أشنَعُ مِن الكفر باللَّه، ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾؛ أي: لا يحمِلنَّكم إسرافُكم على أنفسكم على أنْ تظنُّوا أنَّ رحمة اللَّه تَضيق عنكم، حتى لو تُبْتُم لم تُقبل توبتكم، ولم يزُلِ الوعيد عنكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾؛ أي: يسترُها كلَّها على العباد إذا تابوا منها كفرًا كان أو ما دونه، فرحمتُه واسعةٌ، فلا تقنطوا منها، وهذا تأكيد، فكأنه قال: أغفِرُ ولا أترك، وأعفو ولا أُبقي[(١)].

(٥٤) - ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾: أي: ارجعوا بالانقطاع إليه بالعبادة، وذِكْرُ الربِّ على معنى التنبيه على وجوب الإنابة إليه؛ إذ كان هو المالكَ والمدبِّرَ والمُربِّيَ، فهو الأحقُّ بالانقطاع إليه بالعبادة والتعظيم مِن جماد لا يضُرُّ ولا ينفع، ﴿وَأَسْلِمُوا

---

(١) الوسيط (٣/ ٥٨٦)، والكشاف (٤/ ١٣٥).

﴿لَهُ﴾: أي: انقادوا له، واجعلوا أنفسكم سالمةً له؛ أي: خالصةً مُسْلِمةً إليه لا ممنوعة، مسالِمَةً له لا مُنازِعة، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾: في الدنيا والآخرة بعد الموت، ﴿ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾: أي: وإذا أتاكم العذاب لم ينصُرْكم ناصر، ولم يمنعْكم مِن عذاب الله مانع.

(٥٥) - ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي: اتَّبعوا طاعة الله فيما أَمر ونهى مِن أصل الإيمان وفروعه، فإنه أحسن ما أنزل الله في الكتاب؛ لموافقتها دلائلَ العقول، ولحُسْن عاقبتها، والثوابِ الجزيل عليها، ويُقابلها الكفر والمعاصي؛ لقُبْحها في دلائل العقول، ولسوء عاقبتها، والعذابِ الأليم عليها، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: أي: فجأةً مِن حيث لا عِلْمَ لكم أنه يجيئكم[(١)].

(٥٦-٥٧) - ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾: أي: لئلَّا تقولَ نفس؛ كما في قوله: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]؛ أي: لئلَّا تميدَ بكم، ﴿يَا حَسْرَتَا﴾: كلمةُ تأسُّفٍ وتلهُّفٍ، ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾: ﴿مَا﴾ مع الفعل مصدرٌ؛ أي: على تفريطي، وهو التقصير، ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾: أي: في ذات الله، ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾: أي: في لعِبٍ مِن أمري في الدنيا وباطلٍ، وقيل: أي: مع تفريطي في أمر الله كنتُ أسخَرُ ممَّن لا يُفرِّط في أمر الله. ﴿أَوْ تَقُولَ﴾ أي: وأن لا تقول نفس أخرى: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ أي: للحق، فوفقني للرشاد ﴿لَكُنْتُ مِنَ

---

(١) جامع البيان (٢٠/ ٢٢٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٣)، والكشاف" (٤/ ١٣٥)، ولطائف الإشارات للقشيري (٣/ ٢٨٧)، التيسير في التفسير (١٣/ ٥٧).

﴿الْمُتَّقِينَ﴾ أي: لكنت ممن اتقاه بطاعته واتباع رضاه.

(٥٨-٥٩) - ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾: أي: رَجْعةً إلى الدنيا، ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: وهذه مقالاتٌ ذكرَت أنَّ الكافر يقول ذلك يوم القيامة، ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: ﴿بَلَى﴾ لرَدِّ ما قبلها، وإثباتِ ما بعدها، أي: بلى، بيَّنَتْ لكَ الآياتُ الهدايةَ مِن الغِواية، والحقَّ مِن الباطل، والخيرَ مِن الشر، والصدقَ مِن الكذب، ومكَّنْتَ مِن اختيار الهداية على الغواية، والحقِّ على الباطل، والصدقِ على الكذب، لكنْ تركْتَ ذلك وضيَّعْتَ واستخفَفْتَ به واشتغَلْتَ بضده، فإنما جاء التضييع مِن قِبَلِكَ (١).

(٦٠) - ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾: وكذِبُهم على اللّه بوصفه بما لا يليق به، وسوادُ الوجوه قد يكون قبل دخول النار علامةً لهم، وقد يكون في النار بتغيير النار، وقد يكون عبارةً عن الخَيْبة والذِّلَّة والفضيحة، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: استفهام بمعنى التقرير؛ أي: هذا جزاء وقَعَ لهم باستحقاقهم، يُقيمون فيها خالدين.

(٦١) - ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: أي: ويُنجِّي اللّه المتقين بتقواهم الشرك والمعاصي، أو بطاعاتهم، ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: المفازةُ: سبب الفوز والمفازةُ على التوحيد: يُراد بها التقوى، وعلى الجمع: يُراد بها الطاعات، ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾: أي: المكروه وما يسوؤهم، أي: يُحزنهم، وهو كقوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: بفَوْتِ محبوبٍ، وحاصلُه: لا

(١) تأويلات أهل السنة (٨/ ٦٩٧)، التيسير في التفسير (١٣/ ٦١).

يُصيبهم مكروه، ولا يفوتهم محبوب.

(٦٢ -٦٣) - ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: هو مُنشئ الأشياء كلِّها، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: أي: وهو القائم على كلِّ شيء بحفظه وتصريفه على ما يجب، وهو في معنى القيوم والقائم على كل شيء، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: وهو المالك لمفاتيح خزائن السماوات والأرض، يحفظُها ويفتح على عباده منها ما يشاء، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: قيل: المغبونون، وقيل: الهالكون، وغَبْنُهُم: ذهابُ عبادتهم الأصنامَ هَدرًا لا نَفْعَ له، وهلاكُهم: عقوبتُهم في النار عليها.

(٦٤) - ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾: أي: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يَستميلونك بالإطماع في الأموال والنساء والرِّياسة والسَّناء إلى ما هُم فيه: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ الذي هو خالقُ كل شيء، وهو على كلِّ شيء وكيل، له مقاليد السماوات والأرض ﴿تَأْمُرُونِّي﴾ أنْ أعبُدَ؟!، وهذا توبيخٌ وتقريعٌ، وقطعٌ للأطماع، وإنكارٌ عليهم، وتجهيلٌ لهم، أي: فما أنا بفاعل ذلك، فإنكم جاهلون بموضع اختيار العبادة؛ إذ لا يجوز أنْ يُعْبَد ما لا يسمع ولا يُبصر ولا ينفع ولا يَضُرُّ، ﴿أَعْبُدُ الْجَاهِلُونَ﴾: هم الكفار[١].

(٦٥) - ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي: مِن الأنبياء ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ أي: ولقد أُوحي إليك لئن أشركْتَ -إلى آخره- وإلى الذين مِن قبلك، وقيل: أُوحي إليك وإلى كل واحد مِن الأنبياء: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ

---

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٣٩١)، و"بحر العلوم (٣/ ١٩٣)، التيسير في التفسير -(١٣/ ٦٦).

﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾؛ أي: كلُّهم مأمورون بالتوحيد والإخلاص، منهيُّون عن الكفر والإشراك، ودينُ الكل في هذا واحد، وهذا مما لا يجوز عليه النَّسْخ والتبديل، ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾: أي: لَيَبطُلَنَّ ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: تفسيرُه وتقديرُه؛ لأنَّ عملَه إذا بطَلَ أثرُه وفات ثمرُه بقِيَ عناؤُه وخُسْرُه[١].

(٦٦-٦٧) - ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾: أي: فاعْبُده ووحِّدْه ولا تُشرِكْ به غيرَه، ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: فإنه المُنعم بالحقيقة، وشكرُ المنعم واجب بتعظيمه وإخلاص العبادة له، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: قيل: أي: وما عظَّموا اللّه حقَّ تعظيمه، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: مع أنه قادر على قَبْض الأرض كلها بسعَتها وطُولها وعَرْضها وعِظَم جُرْمها، وعلى تبديلها، وعلى طَيِّ السماوات بأَسْرها، ومَن قَدِر على ذلك كلِّه قَدِر على إحياء الموتى، ولم يَجُزْ عليه غيرُ الحكمة والصواب، -سبحانه وتعالى-.

(٦٨) - ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: أي: وقد كان نُفِخ في الصُّور قبل قَبض الأرض وطَيِّ السماوات، ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: فمات[٢]. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هم حملة العرش، وقيل: الحُور العِين، والغِلْمان، والوِلْدان، وخزَنة الجنة في الجنة، وخزنة النار في النار، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾: أي: في الصُّور نَفْخة أخرى، وهي نَفْخة البعث، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾: يعني: فإذا الأموات قِيام مِن قبورهم وهُم ينظرون، وقيل: هو الانتظار؛ أي: ينتظرون بماذا

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١٩١)، التيسير في التفسير (١٣/ ٦٧).

(٢) تأويلات أهل السنة (٨/ ٧٠٤)، وجامع البيان (٢٠/ ٢٥٤).

يُؤمرون؟، وأين يُحشرون؟، وبماذا يُعاملون؟.

(٦٩ - ٧٠) - ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾: أي: أضاءت أرض القيامة ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾؛ أي: بعَدْل ربها وقضائه بالحق بين عباده، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: أي: ووُضِعَت الكتب في أيدي الناس ليقرؤوها، وهي صحائف الأعمال المكتوبة عليهم، ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾: أي: وأُحْضِر موقفَ الحساب النبيون لِيُسألوا عما أجابتهم به أممُهم، و﴿الشُّهَدَاءِ﴾: هم المؤمنون يشهدون على الكفار، وقيل: هُم الملائكة، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، أي: ملَكٌ يسوقه إلى الموقف، ويشهد عليه بما عمل، وهُم الحَفَظة، وقيل: هُم الشُّهداء في سبيل الله، ويجوز أنْ يكون الجميع مُرادًا به، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: وتفسيرُه ما قال بعده: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾؛ أي: مِن خير وشر، فلا يُزاد في شرٍّ، ولا يُنقَصُ مِن خير، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: أي: واللَّهُ أعلمُ بما كانوا يعملون مِن غير كتاب ولا شاهد.

(٧١) - ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: وهذا تفصيلُ ما أُجمِلَ في قوله: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾، والسَّوْقُ: الحَثُّ على السَّير، والزُّمَرُ: الجماعات، والواحدة: زُمْرة، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: وهي سبعة، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: أي: حفَظةُ جهنم، وهم الملائكة الموكَّلون بتعذيب أهلها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: وهذا توبيخ وتقريع، وفيه زيادةُ إيلامٍ وتوجيع، يقولون: أوَ ليس قد جاءكم مِن عند الله رسُلٌ آدميُّون مثلُكم، تعرفونهم وتألفونهم، وتعرفون شفقتهم

عليكم، وصيانتهم فيما بين يديكم، فقرَؤوا عليكم كتابَ ربكم الذي كان علمًا على درَكِ الحق، وأنذروكم ما تَلْقَونه في يومكم هذا، وخوَّفوكم المصير إليه؟!، ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾: أي: قد أتَوْنا وأنذرُونا ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: تحقَّقَ وعيدُ اللَّه، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: أي: على مَن كفر به منا ومِن سائر أهل جهنم.

(٧٢) - ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: أي: فتقول لهم الخزَنة: فادخلوا إذًا أبوابَ جهنم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لاستحقاقكم ذلك بكُفركم على ما قُسِمَ لكم مِن درَكاتها، فهي مَثْواكم، وبئس المَثْوى، وهو قولُه: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: الذين لم ينقادوا لرُسُل اللَّه، فلم يؤمنوا.

(٧٣) - ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾: أي: ويُسرَعُ بالمؤمنين أيضًا إلى الجنة، وبيَّنَ اختلافهما في هذه الحالة في آية أخرى، فقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥ - ٨٦]، فالمتَّقون يجيئون إليها مُكْرَمين رُكْبانًا، والمجرمون يُدَعُّون إليها دعًّا، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: أي: حتى إذا جاؤوها وقد فُتِحَت أبوابها، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: أي: حفَظة الجنة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ يتلقَّوْنهم بتحيَّةٍ مِن عند اللَّه، وقيل: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: سلامةٌ لكم مِن كلِّ مكروه، ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾: أي: كنتم في الدنيا طيِّبين غير خبيثين؛ أي: مؤمنين مُطيعين غير كافرين عاصين، أي: صلُحتم لهذه الدار بذلك الطِّيب، فأنتم فيها مقيمون إقامة دائمة.

(٧٤) - ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾: بإدخال الجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا

﴿الْأَرْضَ﴾: أي: أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾: لِسَعتها وكثرتها نتمكَّن منها ونتقلَّبُ فيها حيث نشاء، لا نُمنَع مِن ذلك، ولا يضيقُ عنا ذلك، ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾: بالطاعة.

(٧٥) - ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ﴾: أي: ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد يوم القيامة عند فَصْل القضاء ﴿الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ﴾؛ أي: مُحْدِقين بالجوانب، وقد حفَّ به القومُ: إذا صاروا في حِفافه؛ أي: جانبه مِن حول العرش، ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾: ﴿مِنْ﴾ صِلةٌ زائدةٌ؛ كقولك: جئتُ مِن قَبْل فلان؛ أي: قَبْله، والعرشُ يحضُرُ عَرَصَةَ القيامة، قال اللَّه تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يُنزِّهون اللَّه تعالى ويحمدونه، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾: أي: بين الخَلْق، ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: ويقول أهل الموقِف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقيل: يقولُه أهل الجنة إذا دخلوها؛ كما قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠][(١)].

(انتهى تفسير سورة الزمر).

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٤١٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٦٢ - ٣٦٣)، ولطائف الإشارات (٣/ ٢٩٣)، والتيسير في التفسير (١٣/ ٧٨)، وجامع البيان (٢٠/ ٢٧٣)، والكشف والبيان (٨/ ٢٦٠)، التيسير في التفسير (١٣/ ٧٩).

(٤٠) سورة غافر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، وردت تسمية هذه السورة في السنة «حم المؤمن»، وبذلك اشتهرت في مصاحف المشرق، ووجه التسمية أنها ذكرت فيها قصة مؤمن آل فرعون ولم تذكر في سورة أخرى بوجه صريح، وتسمى أيضًا «سورة الطول» لقوله تعالى في أولها: ﴿ذِى الطَّوْلِ﴾ [غَافِر: ٣] وقد تنوسي هذا الاسم، وتسمى سورة غافر لذكر وصفه تعالى: ﴿غافِرِ الذَّنْبِ﴾ [غافر: ٣] في أولها. وبهذا الاسم اشتهرت في مصاحف المغرب، وهذه السورة جعلت الستين في عداد ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة الزمر وقبل سورة فصلت، وهي خمس وثمانون آيةً، وقيل: أربع، وكلماتُها: ألف ومئتان وسبع عشرة، وحروفُها: خمسة آلاف وسبعة.

أغراض هذه السورة:

تضمنت هذه السورة أغراضًا من أصول الدعوة إلى الإيمان، فابتدئت بما يقتضي تحدي المعاندين في صدق القرآن كما اقتضاه الحرفان المقطعان في فاتحتها، وأجري على اسم الله تعالى من صفاته ما فيه تعريض بدعوتهم إلى الإقلاع عما هم فيه، فكانت فاتحة السورة مثل ديباجة الخطبة مشيرة إلى الغرض من تنزيل هذه السورة. وعقب ذلك بأن دلائل تنزيل هذا الكتاب من الله بينة لا يجحدها إلا الكافرون من الاعتراف بها حسدًا، وأن جدالهم تشغيب وقد تكرر ذكر المجادلين في آيات الله خمس مرات في هذه السورة، وتمثيل حالهم بحال الأمم التي كذبت رسل الله بذكرهم إجمالًا، ثم التنبيه على

آثار استئصالهم وضرب المثل بقوم فرعون. وموعظة مؤمن آل فرعون قومه بمواعظ تشبه دعوة محمد ﷺ قومه والتنبيه على دلائل تفرد الله تعالى بالإلهية إجمالًا. وإبطال عبادة ما يعبدون من دون الله. والتذكير بنعم الله على الناس ليشكره الذين أعرضوا عن شكره. والاستدلال على إمكان البعث. وإنذارهم بما يلقون من هوله وما يترقبهم من العذاب، وتوعدهم بأن لا نصير لهم يومئذ وبأن كبراءهم يتبرؤون منهم. وتثبيت الله رسوله ﷺ بتحقيق نصر هذا الدين في حياته وبعد وفاته. وتخلل ذلك الثناء على المؤمنين ووصف كرامتهم وثناء الملائكة عليهم(١).

وورد في فضل هذه السورة الحديث الذي رواه أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأَ حم المؤمنِ إلى إِلَيْهِ المصيرُ وآيةَ الكُرْسِيِّ، حينَ يُصْبِحُ حُفِظَ بهما حتَّى يُمْسِيَ ومَنْ قرأهما حينَ يُمْسِيَ حُفِظَ بهما حتى يُصْبِحَ»(٢)، وانتظامُ خَتْمِ تلك السورة وافتتاحِ هذه السورة: أنهما في ذِكْر أسماء اللَّه تعالى، وانتظامُ السورتين: أنهما في ذِكْر المشركين، والاحتجاج عليهم في إبطال شِرْكهم، وفي إثبات البعث والحساب، وفيهما الترغيبُ والترهيبُ، وتسليةُ النبي ﷺ والمؤمنين.

(١) - ﴿حم﴾ من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وقيل: هي اسم القرآن، وقيل: هذا قسَمٌ أقسمَ اللَّه بحِلْمه ومُلْكه أنْ لا يُعذِّبَ أحدًا عاد إليه بقول: لا إله إلا اللَّه، مُخلِصًا مِن قلبه، وقيل: الحواميم أسماء اللَّه تعالى(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم: (٢٨٧٩).

(٢) التحرير والتنوير(٢٤/٧٨).

(٣) النكت والعيون (٥/ ١٤١)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٣٩)، وجامع البيان (٢٠/ ٢٧٥)، والكشف والبيان (٨/ ٢٦٣).

(٢) - ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾: أي: مُنزَّلٌ مِن اللَّه العزيز العليم؛ أي: المنيع سلطانُه عن أنْ يتقوَّلَ عليه مُتَقَوِّل، العليم بمَن صدَّقَ به وكذَّبَ، وهي تبرئةٌ للنبي ﷺ، وتهديدٌ للمشركين، وبِشارةٌ للمؤمنين.

(٣) - ﴿غَافِرِ الذَّنبِ﴾ أي: للظالمين، ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾: التَّوْبُ مصدر كالتوبة، وهي الرجوع إلى اللَّه عن المعصية، وقيل: التَّوْبُ: جمع التوبة، ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾: لِمَن يُصِرُّ ولا يتوب، ﴿ذِى الطَّوْلِ﴾: أي: ذي الفَضْل على كلِّ عباده بالخَلْق والرِّزْق والبَيان وكلِّ وجوه الإحسان، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: أي: إلى جزائه رجوعُ الخَلْق[1].

(٤) - ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: ما يُخاصِمُ في كتاب اللَّه الذي هو تنزيلُ الكتاب مِن اللَّه العزيز العليم لِيدفعَه بالأباطيل، فيقول مرَّةً: هو سِحْر، ومرَّةً: هو قول الكَهَنة، ومرَّةً: هو أساطير الأولين، ومرَّةً: يُعَلِّمُه بشَر، وأشباه ذلك إلَّا الذين كفروا نِعَمَ اللَّه مِن سلامة البُنْية وتمام العقل، فلا يُقابلونه بالشكر، ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾: أي: فلا تغترَّنَّ بإمهالي إياهم سالِمين في أموالهم وأبدانهم، يتصرَّفون في البلاد كيف يشاؤون للتِّجارات والمَعاش، فتتوهَّمَ أنَّ ذلك لخفاء أحوالهم عليَّ أو لِرضايَ بكفرهم، فإني وإنْ أمهلتُهم سآخذُهم وأنتقِمُ لكَ منهم، كما فعلتُ بأشكالهم مِن الأولين[2].

---

(١) الكشف والبيان(٨/ ٢٦٤)، ومعالم التنزيل (٤/ ١٠٤).

(٢) النكت والعيون (٥/ ١٤٢)، والدر المنثور" (٧/ ٢٧٢)، وجامع البيان (٢٠/ ٢٧٨)، ولطائف الإشارات (٣/ ٢٩٥).

(٥) - ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾: أي: نبيَّهم ﴿وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ﴾: أي: والأمم المُتحزِّبة على الكفر؛ أي: المجتمِعة؛ كقوم عاد وثمود وغيرهم، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾: أي: وعزَمَتْ ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: وقيل: لِيحبِسوه وليُعذِّبوه. وقيل: ليقتلوه، ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾: أي: خاصموا رسلهم بما لا حقيقةَ له، وبما لا فائدةَ فيه، ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾: أي: لِيُبطلوا به الحق، ويُزيلوه عن موضعه، وهو ما يَحِقُّ اعتقادُه واستعمالُه، وما له ثَباتٌ في العقول، ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾: بالعذاب المستأصِل ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾: أليس كان فظيعًا في الذِّكْر، واقعًا موقع الاعتبار لأولي الفِكْر؟! فأنا أفعلُ بقومكَ كذلك إنْ أصرُّوا على خِلافكَ وإيذائك.

(٦) - ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: أي: وجبَ وتحقَّقَ وعيدُ ربك ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: على هؤلاء الذين كفروا بك بمِثْل ذلك العذاب المستأصِل الذي كان لَمن قبلهم، ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: أي: لأنهم أصحاب النار كأولئك.

(٧) - ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾: أي: الملائكةُ الذين يحملونه ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾؛ أي: والملائكةُ الذين هم حول العرش يطوفون به ويُعظِّمونه ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: يُنزِّهونه عما يُضِيف إليه هؤلاء المشركون المجادلون، فيحمَدونه بمحامده، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: أي: ويُصدِّقون به مُخْلِصين في ذلك، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: يسألون اللّهَ لهم المغفرة: ﴿رَبَّنَا﴾؛ أي: يقولون: يا ربَّنا ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾؛ أي: ما مِن شيء إلَّا وقد نالَه رحمتُكَ، وأحاط

به عِلْمُكَ، ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾: أي: عن الشرك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾؛ أي: الإسلامَ، فهو الطريق المؤدِّي إلى رِضْوان اللَّه ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾؛ أي: واحفظهم[1].

(٨) - ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: أي: إقامة ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾: أي: في القرآن، ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: أي: وأَتِمْ سرورهم بأنْ تجمَعَ بينهم وبين آبائهم ونسائهم وأولادهم، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: أي: المَنيعُ بسلطانكَ، فلا يُعترَضُ عليك فيما تُؤتيه عبادَكَ، ﴿الْحَكِيمُ﴾: المُصيبُ في أفعالكَ وأقوالكَ.

(٩) - ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾: أي: واصرِفْ عنهم العقوباتِ والمكارهَ التي تسوء صاحبَها، ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: بدؤوا بوصف اللَّه تعالى بالرَّحمة، وختَموا بذلك؛ ليُعلِموا أنَّ الأدب في الدعاء هو البدايةُ بالثناء والختمُ به، وأنَّ كل ذلك برحمة اللَّه.

(١٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾: أي: تُناديهم الملائكة يوم القيامة إذا دخلوا النار فمقَتوها؛ أي: أبغَضوها أشدَّ بُغْضةٍ، فيقولون لهم: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ وهو لام قسَمٍ؛ أي: بُغْضُ اللَّه تعالى لكم على كفركم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: في النار، وقيل: أي: بُغْض اللَّه لكم في الدنيا حالةَ الكفر أكبرُ مِن بُغْض بعضكم لبعض الآن ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ في الدنيا.

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٢٧٣)، وتفسير مقاتل (٣/ ٧٠٥)، النكت والعيون (٥/ ١٤٣)، والتيسير في التفسير (١٣/ ٩٠)

(١١) - ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾: كانوا مُنكِرين البعثَ بعد الموت، فاعترفوا به، وقالوا: أمتَّنا مرَّتين، وأحيَيْتَنا مرَّتين، وهي: أنَّ إحدى الموتتَين هي التي تنقضي فيها آجالُهم، ثم يُحييهم في القبر، ثم يُميتهم، ثم يُحييهم للبعث يوم القيامة، فهما موتتان وحياتان، ويدل هذا على عذاب القبر، ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾: في إنكار البعث بعد الموت ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾؛ أي: فهل يَجعَلُ اللَّه لنا سبيلًا إلى الخروج مِن النار، والرجوعِ، وقيل: أي: فهل لنا بتوبتنا خروجٌ مِن النار، ودخولٌ في الجنة(١)؟.

(١٢) - ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾: أي: لا تُجابون إلى الخروج، ويُقال لهم: ذلك الخُلودُ في النار بأنكم كنتم إذا دُعِيَ اللَّهُ وحده جحدتُم وحدانيَّةَ اللَّه تعالى، ﴿وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾: أي: فإذا أُضيفَ إلى اللَّه الشُّرَكاءُ قلتُم: إنه الحقُّ، وصدَّقْتُم قائله، فكان هذا دينكم في دار الدنيا، وهي دار العمَل، فأما اليوم فأنتم في دار الجزاء ﴿فَالْحُكْمُ﴾ فيه ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى ﴿الْعَلِيِّ﴾: وهو الذي يتعالى عن الشُّرَكاء ﴿الْكَبِيرِ﴾: وهو الذي كل شيء يتصرَّفُ على حُكْمه، وهو لا يتصرَّفُ على حُكْم أحد، فالحُكْمُ له.

(١٣) - ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: أي: علاماتِه الدالَّة على وحدانيته لإقامة الأديان، ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾: لإقامة الأبدان، وبها يُتمكَّنُ مِن التأمُّل في البرهان، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾: أي: وقد جعلتُ لكم عقولًا تُعرِّفُكم هذه الدلائلَ لِمَن تفكَّرَ وتذكَّرَ، وما يتذكَّرُ إلا مَن يرجع إلى اللَّه؛ أي: يتدبَّر

---

(١) جامع البيان (١/ ٤٤٣)، وتأويلات أهل السنة (٩/ ١٠)، النكت والعيون (٥/ ١٤٦).

بعقله، فيُدرك الآيات، ويعلم أنَّ اللَّه واحد لا شريك له، فيرجع إليه وحده.

(١٤ - ١٥) - ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: أي: الطاعة والانقياد والعبادة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: أي: وإنْ كرِهَه مَن خالف هذا مِن الجُهَّال الذين لا يتذكَّرون، ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾: أي: هو عالي الصفات، وقيل: أي: هو رافعُ درجاتِ عباده المُطيعين له على حسب مساعيهم، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾: أي: ذو المُلْك والسُّلْطان، وقيل: مالك السَّريرِ الأعظم الذي هو فوق السماوات، ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾: أي: يُنزِّلُ الوحي.، وقيل: أي: يُنزِّلُ جبريل، ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: أي: بأمره، ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: فيختاره للرسالة، ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾: أي: لِيُخوِّفَ هذا المبعوثُ بالرسالة الخَلْقَ بيوم القيامة الذي هو يوم اجتماع أهل السماوات وأهل الأرض، واجتماع الأوَّلِين والآخِرين، ويوم يَلقى الإنسانُ عملَه وجزاء عمله، ويَلقى ملائكة البِشارة وملائكة العذاب.

(١٦) - ﴿يَوْمَ هُمْ﴾: أي: الخَلْقُ ﴿بَارِزُونَ﴾: أي: خارجون مِن قبورهم، ظاهرون لا يسترُهم شيء؛ لأن الأرض يومئذ قاعٌ صَفْصَفٌ، لا عِوَجَ فيه ولا أَمْتَ. والبُروز: الخروج، ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾: ممَّا عمِلوه على كثرتهم، ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾: أي: فيُنادى فيهم ذلك اليوم: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؟ فيُجيب العبادُ كلُّهم مؤمنهم وكافرهم: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾: لزوال الشُّكوك عنهم، ووقوع الضرورة بهم إلى المعرفة بوحدانيَّته.

(١٧ - ١٨) - ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا، فلا يشغله

حساب عن حساب جَلَّجَلَالُهُ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾: أي: يوم القيامة التي هي قريبة، وقد أزِفَ أُزوفًا؛ أي: قرُبَ، وجعلَها قريبةً؛ لأنَّها آتية لا محالةَ ولو بعد حِينٍ، ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾: أي: الحلاقم؛ أي: ينتهي إليها لغلَبَة الخوف، ﴿كَاظِمِينَ﴾: أي: ساكتين على امتلائهم مِن الغَمِّ، نصبٌ على الحال، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: أي: قريب ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾؛ أي: ولا شافع يُجاب[١].

(١٩) - ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾: أي: يعلم يوم القيامة ما كان منهم مِن خيانة الأعين وإخفاء الصُّدور، وخائنةُ الأعين: هي ما ينظر إليه الإنسان مُسارَقةً مِن حيث يرى مَن حضرَه أنه ليس بناظر إليه، وأصلُ الخيانة: الإخفاء لِمَا لا يحب الخائن إظهارَه.

(٢٠) - ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾: يُجازي العباد على العمل والنَّظْرة والفِكْرة في الخير والشر ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾؛ أي: والذين يعبدونهم مِن دون اللَّه لا يَقْدِرون أنْ يَقْضوا بشيء، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: أي: إنما يقوم بالجزاء على الأعمال مَن لا يخفى عليه شيء مِن المرئيَّات والمسموعات، واللَّهُ تعالى سامعٌ كلَّ مسموع، ومُبْصِرٌ كلَّ مُبْصَر، فهو القائم بذلك، والأصنام ليست لها هذه الصفة، فليس لها هذا الاستحقاق.

(٢١) - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وهذا استفهام بمعنى الإثبات؛ أي: قد ساروا في الأرض، ثم خوَّفَهم عقوبة الدنيا بعد أنْ خوَّفهم عقوبة العُقْبى، فقال:

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ٢٧٠)، وتفسير السمعاني (٥/ ١١)، ومعالم التنزيل (٧/ ١٤٣)، وجامع البيان (٢٠/ ٢٩٦).

﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: وذلك أنهم كانوا يمرُّون بديار عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم في جِوار بلادهم، وكان شأن بعضهم معلومًا عندهم عِيانًا وخَبَرًا، ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: في أبدانهم، وعلى أعدائهم بعُدَّتِهم، ﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: قيل: أي: وأكثرَ آثارًا مِن الأبنية ونحوها ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي: عاقبَهم وأهلكَهم، ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾: أي: ولم يكن لهم شيء مِن الأشياء يَقيهم عذاب اللَّه، وهو معنى ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنْ وَاقٍ﴾، أي: فهؤلاء المشركون الذين هُم دونهم، فهم أولى ألا يقِيَهم شيء.

(٢٢) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا﴾: هذا العذاب الذي أحلَّه اللَّه بهم؛ لأنَّهم كذَّبوا الرسل، وجحَدوا الآيات ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ﴾: عزيزٌ قادرٌ على كل شيء ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: إذا عاقب.

(٢٣ - ٢٤) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾: أي: بالعلامات الدالَّة على صدقه، وهي المعجزات، ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: قيل: هي المعجزات أيضًا، ووُصِفَت المعجزات بوصفين: أحدهما: أنها ظاهرات، والثاني: أنها قاهرات، وقيل: الآيات: آيات التوراة، والسلطان المبين: المُعجزة ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾، خصَّهم بالذِّكْر؛ لأن فرعون كان مِلِكَهم، وهامانَ وزيرَه، وقارونَ صاحبَ الأموال والكنوز، وكان موسى مبعوثًا إلى كل القوم، لكنهم مُدبِّرو أمورِهم، فكان خطابُهم خطابَهم، ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ﴾: أي: هو ساحر، موَّهوا بذلك على قومهم حين أتى بالمعجزات لئلَّا يتَّبِعوه، وقالوا أيضًا: ﴿كَذَّابٌ﴾: للتَّنفير، يَعْنون: في دعوى الرسالة والدعاء إلى التوحيد.

(٢٥) - ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾: وهو التوحيد الذي يحِقُّ أنْ يُعتقَدَ، وقيل: ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بالصدق فيما أَخبرَ عنه، وقيل: أي: بالمعجزة، ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾: لئلا يعتضِدوا بمَن ينشَأُ مِن ذُكْران أولادهم، ﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾: أي ة واستَبْقُوا بناتهم؛ إذ لا يقع بهن اعتِضادٌ، ولأنَّا ننتفِعُ بخدمتهن، وكان هذا قتلًا واستحياءً غيرَ الأول الذي كان قبل مجيء موسى، ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: أي: فأبطلَ اللَّه كيدَهم، وما كيد الكافرين إلا في بُطْلان؛ أي: لم يحصل غرضهم بما دَبَّروا، بل حاق ذلك بهم ودُمِّروا.

(٢٦) - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾: أي: همَّ بقتل بموسى، فمنعَه مَن منعَه مِن ذلك، فقال: دعوني أُمْضِ رأيي في موسى بقتله، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾؛ أي: وليفعل ما يقول، فإنه لا حقيقةَ له، وأنا الرب الأعلى، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: إنْ لم أقتُلْه أنْ يكثُرَ مُستَجِيبوه بسِحْره وتمويهه، فيَغلبَ دينُه على دينكم، ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾: أي: وأخاف تبديل الدِّين، ووقوع الاختلاف بين الناس، وهو الفساد، وقيل: هو فساد القلوبِ، وقطعِ الأرحام.

(٢٧) - ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾: أي: ولمَّا سمع موسى قولَ فرعون هذا أو بلَغَه منه ذلك قال لقوم فرعون: إني استعذْتُ باللَّه الذي هو ربي وربكم، لا كما تقولون: إن فرعون ربكم، ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾: وفرعون كذلك، فأعوذ باللَّه منه، ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ استعاذة منه، ومِن آلِهِ، ومِن كل عدوٍّ يكون في وقته أو بعده، وفيه بيانُ أنَّ الواجب على العبد أنْ

يستعيذَ باللَّه مِن كلِّ عدوٍّ، ويستعينَ به في دَرْك كل مَرْجُوٍّ[١].

(٢٨) - ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾: اسمه حبيب، وقيل: سمعان، وقيل: هو خربيل، وكان خازنَ فرعون مئة سنة، ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: قيل: مِن أهل بيته، وقيل: ابن عمه، فأما قوله: ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، فهو مؤخَّر، معناه: يكتُمُ إيمانه مِن آل فرعون، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾: أي: بأنْ يقول، وهذا القول لا يُوجب القتل، ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي: بالحُجَج والمعجزات، ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾: أي: وَبالُ كذِبه، قيل: أي: يُقتل إذا تبيَّنَ كذِبُه، فأما قبل التَّبيُّن فلا تقتلوه، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾: قيل: أي: كلُ الذي يعِدُكم، وقيل: ﴿يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾: في الدنيا، وكمالُه في الآخرة، وهذا تخويفٌ لهم بالعاجل، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾: يتَّصِل بقوله: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾؛ أي: يتبيَّنُ كذِبُه بالامتحان، إنَّ اللَّه لا يهدي إلى الصواب مَن هو مُسْرِفٌ مُتَعَدٍّ لحدوده بالافتراء عليه والكذبِ فيما يُضيفه إليه[٢].

(٢٩) - ﴿يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا﴾: أي: أنتم اليوم ملوك هذه البلاد، لكم الغلَبَةُ على أهلها، تُصَرِّفونهم على ما تريدون، ويُطيعونكم فيما تأمرونهم، فهل فيكم وفيمَن تملكونهم مِن الناس مانعٌ مِن عذاب اللَّه إنْ جاءنا؟! أي: إنْ كان موسى صادقًا، فأصابنا ما وعدَنا، وهو قولُه: ﴿مِنْ

---

(١) النكت والعيون (٥/ ١٥٢)، وجامع البيان (٢٠/ ٣١١)، والبسيط (١٧/ ٣٦٣).

(٢) بحر العلوم (٢/ ١٢٧)، والكشف والبيان (٨/ ٢٧٣)، وجامع البيان (٢٠/ ٣١١)

﴿بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾: أي: فإذا لم يكن لكم ناصر، فلا معنى للتعرُّض لِمَا لا يُمكننا دَفْعُه، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾: أي: ما أُبَصِّرُكم صوابَ قَتْلِ موسى إلا وهو صوابٌ عندي في رأيي، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾: وهو ما أقول مِن قَتْل موسى، وكَذَبَ عدوُّ اللَّه، فإنه لم يختَرْ لهم ما يختارُ لنفسه، فإنه اختار لنفسِه أنْ يكون معبودًا لهم، واختار لهم أنْ يكونوا عابدين له، وهداهم سبيلَ الضلال دون سبيل الرَّشاد.

(٣٠ - ٣١) - ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾: أي: يومًا ينزِلُ عليكم فيه العذابُ المستأصِل بتكذيبكم رسولَه، مثل يوم الكفار الذين تحزَّبوا على الأنبياء وتجمَّعوا عليهم بالتكذيب، ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾: أي: مِثْلَ سُنَّة اللَّه في هؤلاء بإنزال العذاب عليهم لَمَّا كذَّبوا رسلَه، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: مِثْلَ قوم لوطٍ وقوم شعيبٍ والأُمَم بعدهم، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾: أي: وما يريد اللَّه أنْ يظلِمَ عباده، فيُعذِّبهم بغير ذنب، وهذه الآية في عذاب الدنيا.

(٣٢-٣٣) - ﴿وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾: أي: وأخاف عليكم -إنْ أصررتُم على الكفر ومتُّم عليه- عذابَ يوم الآخرة، و﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾: يوم التَّنادي، وهو مِن النِّداء، وحُذِفَت الياء تخفيفًا، ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ قيل: يوم تلتمِسون الفِرارَ مما تُعاينون مِن العذاب، فلا تجدون مِن عذاب اللَّه مانعًا ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: قيل: مَن يُضلِلْه عن الدِّين

فلا مُرْشِدَ له إليه[١].

(٣٤) - ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي: وقال هذا المؤمن: ولقد أتاكم يوسفُ النَّبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن قَبْلِ موسى بالبينات؛ أي: بالآيات مِن عند اللَّه الدالَّة على أنَّ دِين بني إسرائيل هو الحقُّ دون دين القِبْط، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾: أي: فبَقِيَ أسلافُكم طُولَ مدةِ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في شك مما جاء به، يتوهَّمون أنَّ ذلك ليس مِن عند اللَّه، مع علمهم بقُصور قوى البشر عنه؛ لعَجْزهم عن الإتيان بمثله، ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾: أي: فلما مات يوسف ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾؛ أي: مَن يدَّعي الرسالة؛ لأنَّه لا يأتي أحدٌ بمِثْل ما أتى به يوسفُ، ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾: أي: يَخْذُلُ مَن أسرف وارتاب، ولا يوفِّقُه إذا علِمَ منه اختيار الضلالة ولُزومَ الجَهالة[٢].

(٣٥) - ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾: أي: بغير حُجَّةٍ أتتْهم مِن عند اللَّه تعالى، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: مَن كان كذلك فهو مُبْغَضٌ عند اللَّه وعند المؤمنين أشدَّ بُغض، ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾: أي: كما فعَلَ بهؤلاء المجادلين يَفعلُ بقلبِ كلِّ مُتعظِّمٍ مُتَرَفِّعٍ لا ينقاد للحق، والطَّبْع: هو الخَتْم على القلب بالإضلال، وهو مِن اللَّه تعالى في حق مَن علِمَ منه اختياره، وعلى الكفر إصرارَه[٣].

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٧٣)، والكشف والبيان (٨/ ٢٧٥)، وجامع البيان (٢٠/ ٣١٦).

(٢) زاد المسير (٧/ ٢٢١)، والتيسير في التفسير (١٣/ ١١٤).

(٣) تفسير السمعاني (٥/ ١٩)، المحرر الوجيز (٤/ ٥٥٩).

(٣٦ - ٣٧) - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾: أي: بِناءً عاليًا طويلًا على هيئة القَصر؛ أي: قال فرعون -حين حاجَّه خربيل بهذه المحاجَّة، وخاف على القوم اتِّباعَه، وأراد تلبيس الأمر على الضَّعَفة- لوزيره هامان: ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا﴾: أي: قصرًا عاليًا، ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾: ترجمة عنه؛ أي: أبوابَ السماء وطرُقَها الموصِلةَ إليها، ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾: أي: فأنظر إليه نظرَ مُشْرِفٍ عليه توَهُّمًا منه -أوْ إيهامًا- أنه جسم تحويه الأماكن، حتى تكونُ بعض الأماكن فوقه، تعالى اللّه عن ذلك علوًا كبيرًا، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾: أي: وإني لأتيقَّنُ بكون موسى كاذبًا فيما يدَّعيه، ولكنْ أفعل هذا لإزالة الشُّبهة عمن لا يتيقَّنُ تيقُّني، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي: وكالذي ذكَرْناه ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ﴾: في الشرك والتكذيب والجدال في آيات اللّه، ﴿وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾: بضم الصاد؛ أي: مُنِعَ، وبفتحها؛ أي: أعرَضَ، والسَّبيلُ: هو الطريق الحق إذا أُطلِق؛ لأنَّه ما يُفْضي بسالكه إلى المقصود، فما لا يُفْضي بسالكه إلى الصواب فليس بسبيل، ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾: قيل: في بُطلان. وقيل: في خَسار. وقيل: في هلاك. وقيل: في ضلال.

(٣٨ - ٣٩) - ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾: أي: قال ذلك هذا الذي آمنَ مِن آل فرعون، ﴿يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾: أي: لا يغُرَّنكم ما أنتم فيه مِن المُلْك في الدنيا، والظُّهور في الأرض، فيَشغلكم ذلك عن تدبر آيات اللّه، فإن اللّه تعالى خلَقَ الدنيا دار نُقْلة يُتمتَّع بها قليلًا ثم تنقضي، ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾: أي: استقرت الجنة بأهلها والنار بأهلها، وقيل:

أي: الدنيا لا ثباتَ لها، والآخرةُ دار الثبوت والخلود، مَن استقرَّ أمرُه فيها على شيء خُلِّدَ فيه ودام له(١).

(٤٠) - ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾: أي: بالسيئة، وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: بلا تقديرٍ عليهم ولا تقتير.

(٤١ -٤٢) - ﴿وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾أي: ما لي أدعوكم إلى الإيمان الموصل إلى الجنان، وتدعونني إلى الكفر الموصل إلى النار؟ والاستفهام للتعجب كأنه يقول: أنا أتعجب من حالكم هذه، أدعوكم إلى النجاة والخير، وتدعونني إلى النار والشر؟ ثم وضَّح ذلك بقوله: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾:أي تدعونني للكفر بالله، وأن أعبد ما ليس لي علمٌ بربوبيته، وما ليس بإلهٍ كفرعون ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾: أي: إلى دين الله ﴿الْعَزِيزِ﴾: المنيع الذي لا يُغالَب إذا عاقب الكفار ﴿الْغَفَّارِ﴾: الذي يغفر للمؤمنين بالتوبة والاستغفار(٢).

(٤٣) - ﴿لَا جَرَمَ﴾: كلمة تحقيق، ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾: إلى عبادته مِن دون الله، ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾: أي: لا يُنتفع بها في الدنيا ولا في الآخرة، فوجودها كعدمها، وقيل: أي: الصَّنم لا يستجيب لأحد في الدنيا ولا

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٢٥٠)، ومعالم التنزيل (٦/ ٢٠٨).والتيسير في التفسير (١٣/١١٩).

(٢) صفوة التفاسير(٣/٩٥)، وجامع البيان (٢٠/ ٣٣٠)، والدر المنثور" (٧/ ٢٨٩).

في الآخرة، ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾: أي: مَرْجِعَنا إلى جزائه، ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾: المُجاوزين حدودَ الشرع بتكذيب الأنبياء، والجدال في آيات اللَّه، ودعاءِ الناس إلى عبادة غير اللَّه، ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: الدائمون فيها.

(٤٤) - ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾: إذا رُدِدْنا إلى اللَّه. وقيل: في الدنيا، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾: أي: أُسَلِّمُ أموري كلَّها إلى اللَّه الآن، إني توكَّلْتُ عليه، وقطعتُ الرَّجاء عمن دونه، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: بما يُظهرونه وما يُضمرونه.

(٤٥) - ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾: أي: حفِظَه اللَّه تعالى عن مكاره مَكْرِ فرعون وقومه، فلم ينفُذْ عزمُهم في قتل أبناء الذين آمنوا معه واسترقاقِ بناتهم، وظاهرُه يدلُّ على أنهم لم يَقْدِروا على قتل هذا المؤمن. ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾: أي: نزل وأحاط بأشياع فرعون مع فرعون مكروهُ عذابِ اللَّه تعالى وشِدَّتُه، وما يَسوءُ منه[(١)].

(٤٦) - ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: أي: تُعرَضُ أرواحُهم على النار، ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: قَدْرَ الغُدُوِّ وقَدْرَ العَشِيِّ في الدنيا، وهذا في القبر، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾: أي: يُقال للملائكة: أَدْخِلوا فرعونَ وآلَه أشدَّ العذاب، ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾: أي: أغلظَه وأشقَّه، وإنما استحقوا ذلك لشِدَّة عِنادهم ومُكابرتهم بعد ظهور الآيات الحِسِّيَّة، وزوال الشُّبَه بالكُلِّيَّة[(٢)].

---

(١) جامع البيان (٢٠/ ٣٣٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٧٦).

(٢) تفسير السمعاني (٥/ ٢٣)، البحر المحيط (١٨/ ٤٣٢)، والنكت والعيون (٥/ ١٥٩)، بحر العلوم (٣/ ٢٠٨).

(٤٧) - ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾: أي: يُقال لآل فرعون ذلك يوم القيامة، وحين يتخاصم أهل النار فيها، ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: جمعُ تابع؛ كالخَدَمِ: جمعُ خادم، أي: كنَّا أتباعًا لكم فيما دعوتُمونا إليه مِن الشرك وتكذيب الأنبياء لاستضعافِكم إيانا، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾: أي: مُتحمِّلون عنا مِقْدارًا مِن النار التي نحن فيها، فيلحقَنا تخفيفٌ مِن جِهتكم؛ إذ لا أحدَ أحقُّ بالتحمُّل عنا منكم؛ لأنكم كنتم سببَ دخولنا النارَ بقولكم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، والغَناءُ: الكفايةُ.

(٤٨ - ٤٩) - ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾: أي: إنَّا مجموعون جميعًا في النار بحُكْم اللَّه، لا يَجري لنا على أنفسنا ولا عليكم حُكْمٌ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾: أي: إذا يئسوا مِن كُبرائهم طلَبوا الفَرَجَ مِن عند خزَنَة جهنم؛ ظنًّا منهم أنهم يرِقُّون لهم لِمَا يرون مِن قِلَّة صبرهم وشدة جزَعِهم، وقالوا لهم: سَلُوا ربكم أنْ يُخفِّفَ عنا؛ أي: يُزيلَ العذاب عنا مقدارَ يومٍ مِن أيام الدنيا لنستريحَ في مقدار هذه المدة.

(٥٠) - ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى﴾: اعترفوا بمجيئهم، وزاد في آية أخرى: ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الملك: ٩]، ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾: أي: فادْعوا أنتم إذًا، فقد لزِمَتكم الحُجَّة، ووقَعَ الإعذار، وحقَّتْ كلمة العذاب، ولا تبديلَ لكلمات اللَّه، ولن ندعوَ

لكم؛ إذ لا سبيلَ لنا إلى الشفاعة إلا بإذن اللَّه، واللَّهُ لا يأذَن لنا بالدعاء لكم، فادعوا أنتم لأنفسكم، ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: أي: وما دعاء الكافرين لأنفسهم في الآخرة بتخفيف العذاب عنهم إلا في بُطْلانٍ ومَيْلٍ عن الصواب، ﴿فَادْعُوا﴾: ليس بأمرٍ حقيقةً، لكن معناه: إنْ دعوتم لنْ ينفعَكم، وهو كقوله: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦].

(٥١) - ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: ذَكَرَ نَصْرَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومؤمنِ آلِ فرعون على فرعون وآله، وأخبرَ أنه ينصر أيضًا جميعَ رسُلِه، وجميعَ المؤمنين، والنَّصْرُ: المَعونةُ على العدو بالاستعلاء عليه، ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾: وهو جَمْع شهيد؛ كشريف وأشراف، قيل: هم الملائكة، وقيل: هم الأنبياء، وقيل: هم أهل الموقف، شهِدوه قائمين لرب العالمين، ونصرتُهم يومئذ للمؤمنين بالتمييز بين المُحِقِّ والمُبْطل والوليِّ والعدوِّ بالثواب والعقاب(١).

(٥٢ - ٥٣) - ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾: لأنها باطلة، ولأنه لا يُؤذَنُ لهم فيعتذرون ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: وهي جهنم، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾: وهو مِن النُّصْرة؛ أي: الرُّشْد في كل أموره، ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾: أي: التوراةَ، وجعلناهم يتوارثونها، فتنتقِلُ مِن سلَف إلى خلَف.

(٥٤ - ٥٥) - ﴿هُدًى﴾: يهتدون به في أديانهم ﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أي: ويتذكَّرون به وَعْدَ اللَّه ووعيدَه، ﴿فَاصْبِرْ﴾: يا محمَّدُ على الدعاء للدِّين، وعلى

---

(١) جامع البيان (٢٠/ ٣٤٧)، وتفسير مجاهد (١/ ٣٨٦)، وبحر العلوم (٢/ ١٤٤)، والكشف والبيان (٥/ ١٦٣).

أذى المشركين، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: بنَصْرِ الأنبياء والمؤمنين، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾: أي: وإنْ خطَرَ بقلبك مِن وَسْواس الشيطان استبطاءُ النَّصْر لتأخُّره عنكَ، فاستغفِرِ اللَّه تعالى مِن ذلك، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾: أي: ودُمْ على التسبيح للَّه في الصلوات وخارج الصلوات بالغَدَوات والعَشَايا، فتنقطِعَ وساوس الشيطان عنكَ، والعَشِيُّ: مِن زوال الشمس إلى الليل، والإبكار: مِن طلوع الفجر؛ أي: إلى طلوع الشمس.

(٥٦) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾: أي: إنَّ هؤلاء المشركين الذين يُخاصِمون في آيات اللَّه بالتكذيب والرَّدِّ بغير حُجَّة عندهم جاءتْهم مِن عند اللَّه في عَقْل أو كتاب، ليس جدالُهم لأمرٍ وضَحَ عندهم يُجادلون لذلك، بل للحسَد والتَّعَظُّم الذي في صدورهم مِن التكبُّر عن الانقياد للحق، وما هُم ببالغي هذا الكِبْر الذي في صدورهم، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: أي: فاستعذ مِن شرِّهم باللَّه، إنه هو السميع بما يقولون، والبصير بما يعملون.

(٥٧) - ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾: أي: إنَّ المشركين مُقِرُّون بأن اللَّه خلَقَ السماوات والأرض على كِبَرِهما وعِظَمِهما والعجائب التي فيهما، وذلك أعظم شأنًا مِن خَلْق الناس، فكيف وصفوني بالقُدْرة على خَلْقهما وعجَّزُوني عن القُدْرة على خَلْق الناس بعد موتهم؟!، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يتدبَّرون، ولا يستدلُّون بالآيات فيعلموا ذلك.

(٥٨) - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

﴿وَلَا الْمُسِيءُ﴾: أي: مَن عمِيَ عن رؤية الآيات والاستدلالِ بها ومَن أبصرَها فاستدلَّ بها، ولا يستوي الذين آمنوا والذين كفروا. والمسيءُ: هو الكافر؛ لأنَّ المؤمن مُحْسِنٌ، وقيل: معناه: ولا يُساوي المؤمنُ الكافرَ، ولا الكافرُ المؤمنَ، ﴿قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: لا تتذكَّرون أصلًا، وهو كقولك: فلانٌ قليلُ الحياء؛ أي: لا حياءَ له.

(٥٩) - ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾: أي: إنَّ القيامة لَقائمة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: أي: لا شكَّ في إتيانها، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: لا يُصدِّقون بكونها، وفيها تمييزٌ بين هذين الفريقين.

(٦٠) - ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: أي: اعبُدوني؛ كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[الأعراف: ١٩٤]، ويدلُّ عليه قوله: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، وقيل: وحِّدوني، وقيل: هو نفْسُ الدعاء، ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: في سؤال المغفرة؛ لأن الإيمان طلَبُ المغفرة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: أي: يتعظَّمون عن توحيدي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾: للخُلود فيها ﴿دَاخِرِينَ﴾: صاغرين، هذا على الأول[(١)].

(٦١) - ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: هي مِن الآيات التي تدلُّ على وحدانية اللَّه تعالى، ذكرَها بعد الأمر بالتوحيد، وهو مِن النِّعَم التي يجب الشكر عليها، فحثَّ على الشكر بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله فلا يؤمنون.

---

(١) الدر المنثور" (٧/ ٣٠١) والوسيط (٤/ ١٩)، والكشاف (٤/ ١٧٥) وبحر العلوم (٣/ ٢١١)، وتفسير مقاتل (٣/ ٦٩٣)، والنكت والعيون(٤/ ٤٦١).

(٦٢-٦٣) - ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: الذي خلَقَ الليل والنهار لكم هو مُربِّيكم ومُصْلِحُ أموركم، ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا يستحِقُّ العبادةَ غيرُه، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: أي: فمِن أين تُصْرَفون عن توحيده؟! ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: أي: كما انصرفتم عن الحقِّ مع وضوحه، صُرِفَ مَن قبلكم مِن الأمم الجاحدة عن ذلك، ولم يكن ذلك لقُصور الأدلة، بل لِمَا في صدورهم مِن الكِبْر الذي ليسوا ببالغيه.

(٦٤) - ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾: أي: مُستقَرًّا ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾؛ أي: مَبْنيَّةً مرفوعةً فوقكم لمصالحكم وحوائجكم، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: أي: الأغذيةِ الشَّهيَّة مِن الأطعمة والأشربة، ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: جلَّ اللَّهُ، ودامَتْ بركاتُه، وتتابعتْ خيراتُه، وهو حَقٌّ على وصفه به.

(٦٥) - ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾: الذي لا يموت أبدًا بحياةٍ أزَليَّةٍ، ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾: أي: فاعبُدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾؛ أي: العبادة والطاعة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: المُستحِقُّ للحمد هو.

(٦٦) - ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: قل يا محمَّدُ للمشركين: نهاني اللَّهُ تعالى أنْ أعبُدَ الأصنام التي تعبدونها مِن دون اللَّه لما جاءتني الدَّلائل الواضحة على وحدانيَّة اللَّه تعالى، وأمرني أنْ أنقادَ لأمره، وأُخْلِصَ له في عبادتي، وأُسْلِمَ إليه نفْسي وأموري؛ إذ هو ربُّ العالمين، فلن أوافقَكم على ما تدعونني إليه.

(٦٧) - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي من مني يمنى، ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي: من دم غليظ، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾: أي: أطفالًا، ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾: أي: ثم يُرَبِّيكم لتبلغوا تَمامَ القوة، فتَصْلُحوا للتكليف والتعبُّد، ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾: ثم يُدرِجُكم إلى أنْ تصيروا شيوخًا، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾: أي: يُقبَضُ بالموت ﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: قَبْلَ الشَّيْخُوخة، وقبل بلوغ الأشُدِّ، وقبل الخروج مِن بطن أمه طفلًا، ﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى﴾ أي: ولِيَبْلُغَ كل منكم أجلًا قد سماه اللّه تعالى له، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي: ولِتَعْقِلوا ذلك، وتستعملوا عقولكم في معرفة ذلك، والعملِ بها خلقتكم لذلك.

(٦٨ - ٦٩) - ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾: أي: قدَّرَ شيئًا وأراد كونه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾؛ أي: كوَّنه سريعًا، فهو المُستحِقُّ للعبادة، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾: أي: كيف ومن أين يُعدَلُ بهم عن الحق؟! أي: فهل يُصْرَفون إلى شيء أوضحَ دلالةً وأحسنَ عاقبةً منه؟!

(٧٠ - ٧٢) - ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ أي: بالقرآن ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾: من التوحيد والبعث وهم كفار مكة، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾: أي: فسيعلمون بُطْلانَ ما هم فيه وسُوءَ عاقبته إذا أُدخِلوا النارَ، وغُلَّتْ أيديهم إلى أعناقهم، وجُعِلَتْ فيها السلاسِل، ﴿يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ﴾: أي: تجرُّهم خزنة جهنم في الماء الذي تناهى حَرُّه، ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: أي: يُطْرَحون فيها، فيكونون وُقودًا لها.

(٧٣ - ٧٤) - ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾:

يُوَبَّخون في هذه الحالة زيادةً في إيلامهم: أين الأصنامُ التي كنتم تُشركون باللَّه رَجاءَ شفاعتهم؟! ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾: أي: هلَكوا وضاعوا، ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾: أي: ما كنا نعبد شيئًا ينبغي أنْ يُعْبَدَ ويُدعى ويُرجى، بل كنا نرجو النَّفْع مما لا نَفْعَ فيه، وهو اعترافٌ منهم بأنهم لم يكونوا على شيء، وليس بإنكارٍ لعبادة الأصنام، بل اعترافٌ أنه لم يكن شيئًا يُعتبَر، ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾: أي: كما أضلَّ هؤلاء المُجادلين يُضِلُّ سائر الكافرين الذين علِمَ منهم اختيار الضلالة عن الدِّين.

(٧٥ - ٧٦) - ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: أي: ذلك العذاب إنما نالَكم بسبب إظهاركم في الدنيا السُّرورَ بالشرك وبالباطل، ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: أي: بِمَرَحِكم؛ أي: بَطَرِكم وخُيَلائكم وتِيهِكم، ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: أي: يُقال لهم يوم القيامة: اُدْخُلوا أبواب جهنم؛ أي: يدخُل كلُّ فريق البابَ الذي جُعِلَ له، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: أي: في جهنم، ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: الذين تعظَّموا عن قبول الحق، وجادلوا بالباطل(١).

(٧٧) - ﴿فَاصْبِرْ﴾: يا محمَّدُ، على أذى الكفار وجِدالهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: بنَصْرِ الرسل والمؤمنين في الدنيا والآخرة، ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: أي: أنتقِمُ لكَ منهم في الدنيا، وإنْ توفَّيْتُكَ قَبْل ذلك فإليَّ مَرْجِعُهم في الآخرة، فأُعذِّبُهم فيها وأُظْهِرُكَ عليهم به.

(٧٨) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم

(١) التيسير في التفسير (١٣/ ١٤٠).

﴿مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾: روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس، وإنَّ كلَّهم قد أتوا أُمَمَهم بآياتٍ أجراها اللَّه على أيديهم حُجَجًا لهم على صدقهم، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: فلم يكن مِن أولئك الرسل أحدٌ أتى قومه بآية مِن قِبَل نفْسه، بل إنما أتى بما آتاه اللَّه وأجراه على يده، فكذا أنتَ مع قومك إنما تأتيهم بالآيات مِن عند اللَّه، ولا معنى لجدالهم إياكَ في الآيات التي تأتي بها أنْ يقولوا: هي سِحْرٌ، وهي كذا، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: قيل: أي: جاء بما تسألونه اقتراحًا، ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾: بينكَ وبينهم؛ أي: كان ذلك فَصْلًا لا بَقِيَّةَ بعده، إنْ كذَّبوا به استُؤْصِلوا؛ لأنَّهم مُبْطِلون، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾: أي ظهر القضاء والخسران للناس وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

(٧٩ - ٨٠) - ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: أي: بعضها، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: غير الركوب والأكل؛ مِن صُوفٍ ووَبَرٍ وشَعْرٍ وجِلْدٍ ولَبَنٍ ونحو ذلك، ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾: مِن قَطْعِ المسافات البعيدة؛ كما قال: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ﴾ [النحل: ٧]، ﴿وَعَلَيْهَا﴾: في البَرِّ، ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

(٨١ - ٨٢) - ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: أي: هذه الأشياءَ وغيرَها، ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾: مِن هذه الآيات، الاستفهامُ بمعنى التَّوْبيخ. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

أي: فما نفَعَهم ولا دَفَعَ عنهم العذابَ كَسْبُهم الأموالَ والرِّجالَ، ونَصْبُهم الآثارَ مِن القُصور والبُيوت والحُصون في الجبال وغيرها(١).

(٨٣) - ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: أي: أُعجِبوا بما كان عندهم مِن تقليد آبائهم في الشرك، وقالوا في معجزات الأنبياء: هي تخاييل، وذلك جهلٌ في الحقيقة توهَّموه عِلْمًا، وتمسَّكوا به مُغْتَبِطين بذلك. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: يعني: ونزَلَ بهم ما كانوا يستهزئون به مِن العذاب الذي كان يتوعَّدُهم به، وقيل: أي: نزَلَ بهم ضَرَرُ استهزائِهم بالرسل والآيات.

(٨٤ - ٨٥) - ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: أي: عذابَنا وقيل: ﴿لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: أي: العذابَ في القبر، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾: أي: تبرَّأْنا مِن الشرك، وقيل: أي: مِن الأوثان التي أشركناها باللّه، ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: أي: فكان حُكْمي فيهم ألَّا ينتفعوا بالإيمان حالةَ البَأْس؛ لأنَّه حالَ زَوالِ الغَيْب، وفواتِ الاختيار، وتحقُّقِ الاضطرار، ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾: أي: كَسُنَّةِ اللّه تعالى في الكفار الذين مضَوا قبلهم أنَّ إيمانهم حالةَ البَأْس لم ينفعْهم، ولم يقبَلْه اللّه تعالى منهم، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾: أي: وخسر في ذلك الوقت الكافرون بربهم، الجاحدون لتوحيد خالقهم(٢).

(انتهى تفسير سورة غافر).

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٦٢٩)، التيسير في التفسير (١٣/ ١٤٣).

(٢) صفوة التفاسير(٣/ ١٠٤)، وتفسير مقاتل (٣/ ٧٢٣)، وبحر العلوم (٣/ ٢١٦)، وجامع البيان (٢٠/ ٣٧٤)، والتيسير في التفسير (١٣/ ١٤٥).

(٤١) سورة فصلت مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكِّيَّةٌ، تسمى حم السجدة بإضافة حم إلى السجدة؛ لأنها تميزت عن السور المفتتحة بحروف حم بأن فيها سجدة من سجود القرآن، وسميت هذه السورة في كثير من التفاسير سورة فصلت. واشتهرت تسميتها في تونس والمغرب سورة فصلت، وتسمى سورة المصابيح، وتسمى سورة الأقوات، نزلت بعد سورة غافر وقبل سورة الزخرف، وعدت الحادية والستين في ترتيب نزول السور، وهي أربعٌ وخمسون آيةً، وكلماتُها: سبعُ مئة وأربعٌ وتسعون، وحروفُها: ثلاثةُ آلاف ومئتان وخمسةٌ وثمانون.

أغراضها:

التنويه بالقرآن والإشارة إلى عجزهم عن معارضته. وذكر هديه، وأنه معصوم من أن يتطرقه الباطل، وتأييده بما أنزل إلى الرسل من قبل الإسلام. وتلقي المشركين له بالإعراض وصم الآذان. وإبطال مطاعن المشركين فيه وتذكيرهم بأن القرآن نزل بلغتهم فلا عذر لهم أصلًا في عدم انتفاعهم بهديه. وزجر المشركين وتوبيخهم على كفرهم بخالق السماوات والأرض مع بيان ما في خلقها من الدلائل على تفرده بالإلهية. وإنذارهم بما حل بالأمم المكذبة من عذاب الدنيا ووعيدهم بعذاب الآخرة وشهادة سمعهم وأبصارهم وأجسادهم عليهم وتحذيرهم من القرناء المزينين لهم الكفر من الشياطين والناس وأنهم سيندمون يوم القيامة على

اتباعهم في الدنيا، وقوبل ذلك بها للموحدين من الكرامة عند الله.

وأمر النبي ﷺ بدفعهم بالتي هي أحسن وبالصبر على جفوتهم وأن يستعيذ بالله من الشيطان. وذكرت دلائل تفرد الله بخلق المخلوقات العظيمة كالشمس والقمر. ودلائل إمكان البعث وأنه واقع لا محالة ولا يعلم وقته إلا الله تعالى. وتثبيت النبي ﷺ والمؤمنين بتأييد الله إياهم بتنزل الملائكة بالوحي، وبالبشارة للمؤمنين. وتخلل ذلك أمثال مختلفة في ابتداء خلق العوالم وعبر في تقلبات أهل الشرك والتنويه بإيتاء الزكاة(١). وانتظامُ أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه ذُكِرَ في آخر تلك السورة خُسْرانُ الكافرين، وذُكِرَ في أول هذه السورة سببُ خُسْرانهم، وهو الإعراض عن تفهُّمِ الكتاب المبين، وانتظامُ السورتين: أنهما في ذِكْر المؤمنين ومواعيدهم، والكفار ووَعيدهم.

(١ - ٣) - ﴿حم﴾: مر تفسير، ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: أي: هذه السورة مُنَزَّلةٌ مِن اللَّه تعالى، ﴿كِتَابٌ﴾: أي: هو كتاب ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾؛ أي: بُيِّنَتْ، وقيل: أي: جُعِلَتْ فُصولًا في معانٍ مُنْقَسِمةٍ؛ مِن الأمر والنَّهي، والوَعْد والوَعيد، والحلال والحرام، ونحو ذلك، وقيل: أي: فُرِّقَتْ في النُّزول، فلم تَنْزِلْ جُمْلةً؛ تثبيتًا في القلوب، وتمكينًا مِن تدبُّرها بالعقول، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: أي: مُنَزَّلًا بلسان العرب، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: لسانَ العرب، أو يُتَرْجَمُ لهم؛ أي: التَّفْصيل لهم.

(٤) - ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: فيه بشارةُ المُطيعين، وإنذارُ العاصين، ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾: عن قبوله وتدبُّره مع تفْصيله وعلمهم بوجوه فَهْمِه،

(١) التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٢٩).

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: أي: يَنفِرون عن سماعه، وقيل: أي: لا يَقْبَلون، وقيل: أي: لا يُطيعون.

(٥) - ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ أي: في أَغْطِيَةٍ، جَمْع: كِنان، ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾: أي: صَمَمٌ، وقَرَه اللَّهُ؛ أي: أصَمَّه، ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: فلا نُبْصِرُك، وقيل: أي: ساتِرٌ مِن جهة اختلاف الدِّين والتَّباين في العبادة، فلا تَطْمَعَنَّ في استماعنا منكَ، ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾: أي: فاعمل عمَلَكَ، فإنا نعمَلُ عملَنا، قالوا ذلك لِيُؤَيِّسُوه عن إيمانهم به واتباعهم له.

(٦ - ٧) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: أي: فلا تدْعُ لذلك دُعاءهم، وقل لهم: إني بشر مثلُكم مُناسبٌ لكم في الخِلْقَة، وذلك مما يُوجب الإشفاقَ، كأنه قال: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أُريدُ الخير بكم، ولستُ أدَّعِي أني ملَكٌ أو ملِكٌ لِتنفِروا مني لِتَعَظُّمي عليكم، يوحي إليَّ اللَّهُ -الذي تُقِرُّون أنه خالقُكم- أنَّه إله واحد لا شريك له، ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾: أي: وجِّهوا وجوهكم بالعبادة والدعاء والمسألة والإخلاص إليه، ولا تَعدِلوا عنه إلى غيره، وهو كقولك: استقِمْ إلى منزلك؛ أي: لا تُعرِّجْ في طريقك على شيء غيرِ القَصْد والمُضِيِّ إليه، ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾: أي: سَلُوه أنْ يغفِرَ لكم ما سلف مِن ذنوبكم، ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: أي: لا يَقْبلونها، وقيل: أي: لا يُعْطُون مِن أنفسهم الطَّهارةَ؛ فإن الزكاة هي الطهارةُ، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: أي: جاحدون.

(٨-٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي:

غيرُ مَقْطوع، وقيل: غيرُ مَنْقوص، وهو ثواب الآخرة، ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ﴾: استفهام بمعنى التَّوْبيخ؛ أي: أتُنْكِرون وحدانية اللَّه تعالى وقد خلَقَ الأرض؟!، أو: أتُنْكِرون قُدْرة اللَّه على البعث وقد خلَقَ اللَّه الأرض على سَعَتِها وبُعْدِ أطرافها؟!، ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ قيل: مِن أيام الدنيا، وقيل: مِن أيام الآخرة، كلُّ يوم ألفُ سنة، ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾: أي: أَشْباهًا وأَشْكالًا، وهي الأصنام، ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: الذي خلَقَ الأرض في يومين هو مالِكُ الخَلْق ومُرَبِّيهم ومُصْلِحُهم[(١)].

(١٠) - ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾: أي: جبالًا ثوابتَ لاستقرارها، ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾: قيل: في الرَّواسي بالمياه والأشجار والثِّمار والذهب والفضة وما يكون في الجبال، وقيل: في الأرض بنباتها وأشجارها، وما يَخْرُجُ منها مِن الأغذية والمعادن وغيرها، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي: أرزاقَها، ومعناه: الأرزاقَ التي فيها، أو: أرزاقَ أهلِها، ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾: أي: في يومين آخرين مع اليومين الأوَّلَين، كان نَصْبُ الرَّاسِيات وتقديرُ الأقوات وإتمامُ العِمارات في يومين بعد خَلْق الأرض في يومين، ﴿سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ أي: مُستَوِياتٍ، وقيل: استوَتْ استواءً للسائلين.

(١١) - ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد، هو مَجازٌ عن إيجاد اللَّه تعالى السماءَ على ما أراد، مِن قول العرب: فعَلَ فلان كذا ثم استوى إلى عمَلٍ كذا، يُريدون به أنه أكملَ الأول، ثم ابتدأ الثاني، فقرَّرَ اللَّه تعالى هذا في أفهام الخَلْق أنه

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٢)، ومعاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٠٤)، والكشف والبيان (٨/ ٢٨٦)، ومعالم التنزيل (٧/ ١٦٤).

أكملَ خَلْق الأرض ثم رتَّبَ عليه خَلْق السماء، ولا يُفْهَم منه ما يُفْهَمُ مِن ترتيب فعل البشر أنَّ الأول ينقضي ثم الثاني يأتي؛ لأنَّ فِعْل الله تعالى أزَليٌّ أبَدِيٌّ، ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ أي: بخار مرتفع، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ طائعتين أو مكرهتين، ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ بمن فينا.

(١٢) - ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾: أي: فأتمَّ خَلْقَهُنَّ سَبعًا طِباقًا بعضُها فوق بعضها في يومين بعد تلك الأيام الأربعة، فتمَّ في ستة أيام، ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي: فعَلَ فيها ما أرادَه مِن مَلَك وغيره، وقيل: أي: خلَقَ فيها شمسَها وقمرَها ونجومَها وصلاحَها، ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾: أي: التي تدنو مِن أهل الأرض، ﴿بِمَصَابِيحَ﴾: أي: بسُرُجٍ، وهي النجوم، ﴿وَحِفْظًا﴾: أي: وحفِظْناها عن السُّقوط، وقيل: عن استراق السمع بالرُّجوم، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾: أي: ما ذُكِرَ مِن خَلْق السموات والأرضين وغير ذلك تقديرٌ منه على ما عَلِمَ فيه اتِّصالَه بمصالح عباده ومنافعهم، أمضاه على ما أرادَ؛ لأنه عزيز مَنيع لا يُغالَبُ ولا يُنازَعُ، عليمٌ بالعواقب ومَقادير الأمور وحوائج الخَلْق(١).

(١٣) - ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ﴾: أي: فإنْ تولَّوا عن التوحيد مع قيام هذه الأيام فقل يا محمد: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ﴾؛ أي: خوَّفْتُكم ﴿صَاعِقَةً﴾؛ أي: عذابًا مُهْلِكًا هائِلًا يُزيلُ العقول قبل زُهوق الرُّوح، ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾: أي: مِثْلَ عذابٍ على هذه الصفة حَلَّ بعاد وثمود.

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٤٧)، وجامع البيان (٢٠/ ٣٩٣).

(١٤) - ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ﴾: أي: جاء عادًا هودٌ النَّبيُّ، وثمودَ صالحٌ النبيُّ، عليهما السلام، وكلُّ رسول يُخبر بسائر الرسل، فمجيئُه مجيءُ الرسل معنًى، ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: الرسل المبعوثون في آبائهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: الذين بعد أولئك الرسل، وقيل: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي: مُنذِرين بعذاب الدنيا والآخرة، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾: أي: إذ جاءتهم الرسل بألا تعبدوا إلا اللَّه تعالى وحده لا شريك له، ولا تشركوا به شيئًا، ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾: أي: لو أراد اللَّه تعالى أنْ يُرسلَ رسولًا إلى عباده لأَنزلَ عليهم الملائكة رسلًا مِن عنده؛ إذ هم سُكَّان السماوات التي منها يَنزل الوحيُ، دون أنْ يجعلَهم مِن أهل الأرض، فإنا لهذا جاحدون لِمَا ادَّعيتم مِن الرسالة، وهذا جهل منهم بمواقع الحكمة.

(١٥) - ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: أي: فتعظَّموا على نبيهم، وأفسدوا في بلادهم بغيرِ أنْ حُقَّ لهم ذلك، ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أقوى منا في الأجسام والعدد، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أي: أوَلمْ يعلموا عِلْمًا يقوم مَقامَ العِيان أنَّ اللَّه هو أوسعُ منهم قُدْرةً؛ لأنه قادرٌ على كل شيء بقُدْرة نفْسِه، وهم قادرون على بعض الأشياء بإِقْدار اللَّه تعالى إياهم، ولو شاء لَسَلَبهم ذلك؟ وهو استفهام بمعنى التوبيخ، ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي: بالمعجزات ينكرون.

(١٦) - ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: أي: باردةً مُهْلِكةً ببَرْدِها، ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾: أي: مشؤومات، ونُحوسَتُها: دوامُ تلك الريح فيها على حالة

واحدة لا تفترُّ، ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾: أي: الفضيحة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾: أي: أشدُّ فضيحةً ﴿وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾: أي: لا يُدْفَعُ عنهم عذابُ الآخرة(١).

(١٧) - ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾: أي: فبيَّنَّا لهم الرُّشْد ودلائله، ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾: أي: فآثروا الضلال على الرَّشاد، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: أي: فنزَلَ بهم العذاب المُهْلِكُ المُهين بكَسْبهم، وهو شركُهم ومعاصيهم.

(١٨ - ١٩) - ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: الكفرَ والمعاصيَ، ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ أي: واذكُرْ يومَ يُجْمَعُ أعداءُ اللَّه، وهم هؤلاء وسائرُ الكفار، ويُساقون إلى النار، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُدْفَعون.

(٢٠) - ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾: أي: النار ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾؛ أي: آذانُهم، ووحَّدَ لأنه مصدر، ﴿وَأَبْصَارُهُمْ﴾: أي: عيونُهم ﴿وَجُلُودُهُمْ﴾؛ أي: التي على سائر الأعضاء بسائر المعاصي، وقيل: هي كناية عن الفُرُوج؛ أي: تشهد فروجُهم بزِناهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بهذه الأعضاء، وذلك إذا جحَدوا بألسنتهم وقالوا: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨].

(٢١) - ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا﴾: أي: الجُلود ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾؛ أي: بالشهادة عليكم ﴿الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ أي: كلَّ شيءٍ ناطقٍ،

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٢٢١)، والكشف والبيان (٨/ ٢٨٩)، والتيسير في التفسير (١٣/

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: نُطْفةً ثم عَلَقةً ثم مُضْغةً ثم كذا وكذا حتى صِرْتُم ناسًا ناطقين، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: أي: ثم أنتم الآن راجعون إلى حُكْمه لا امتناعَ لكم منه، فمَن قدِرَ على هذا كلِّه قدِرَ على إنطاقنا.

(٢٢) - ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾: قيل: هو خطابُ اللَّهِ لهم حينئذٍ، والمعنى: ما كنتم لِتستتروا فتعملوا بغير مَشْهَد مِن جوارحكم؛ أي: هذا مما لا يُمكن، تستَّرْتُم عن الناس ولم يمكنْكُمُ التستُّرُ عن الجوارح، فهي شهودٌ عليكم لا يُمكنكم تكذيبها، ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ﴾: كانت طائفةٌ مِن الكفار بلَغَ جهلُهم أنْ ظنُّوا أنَّ اللَّه يعلم بعض الأمور ويخفَى عليه بعضُها، ﴿كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: كلَّ ما تعملون، وقيل: معناه: ولكنْ عمِلْتُم الذنوب عمَلَ مَن ظنَّ أنَّ اللَّه لا يعلم ما يَعمل.

(٢٣ - ٢٤) - ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾: أي: أهلككم؛ يعني: سهَّلَ عليكم المعاصي فعمِلْتُموها وهلَكْتُم بها، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: ويجوز أنْ يكون نفْسُ الظنِّ هو المُهْلِكَ، فإنَّ ظنَّه أنَّ اللَّه لا يعلم ما عمِلَه كفرٌ منه، وهو مُهْلِكٌ، ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ أي: على العذاب، ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ أي: مأوى لهم، ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾ يطلبوا العتبى أي: الرضا ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ أي: المرضيين.

(٢٥) - ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾: أي: قدَّرْنا. وقيل: هيَّأْنا. وقيل: سلَّطْنا. وقيل: أبدَلْنا، ﴿قُرَنَاءَ﴾: جَمْعُ قرين، وهم مِن الشياطين، ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ﴾: أي: زيَّنوا لهم

ارتكابَ المعاصي والملاذِّ المحظورة، فهوَّنوا عليهم أمرَ الآخرة والحساب والجزاء، ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا؛ لأنَّها حاضِرةٌ لهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الآخرة؛ لأنَّها مِن بَعد هذا تأتيهم، ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾:أي: بالعذاب، ﴿فِي أُمَمٍ﴾: أي: مع أُمَمٍ ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾: أي: عَمَّهم جميعًا في العقاب؛ لعُمومهم في الارتكاب، فهم جميعًا خاسرون، ترَكوا قُرناءَ الخير وهم الدُّعاة إلى الحق والدِّين، فعُوقبوا بالقُرَناء مِن الشياطين وذلك هو الخُسْران المُبين(١).

(٢٦) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾: وذكَرَ بعد قَبائح أولئكَ قبائحَ مُشركي عصرِ النبي ﷺ فقال: وقال مُشْركو قريش: لا تُصْغوا إلى ما يقرؤُه عليكم محمد مِن الكتاب الذي يزعُمُ أنه مُنَزَّلٌ عليه مِن ربه، ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾: أي: ائتوا فيه باللَّغْو مِن الكلام -وهو الباطل الذي ليس له معنًى مُفيدٌ- لِيختلِطَ عليه ما يقرأ، فلا يتمكَّنُ مِن قراءته، ولا يتمكَّنُ أصحابُه مِن سماعه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾: أي: لِتغلِبوه على القراءة فيَترُكَ، أو يتشوَّشَ عليه فيعجِزَ، أو يخفى على السامع فلا يظهر.

(٢٧- ٢٨) - ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾: قيل: في الدنيا، وكان ذلك يومَ بدر، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: في الآخرة، فقد حبِطَ ما كان في صُورة الحسنات، وبقِيَت السيئات، ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾: أي: ذلك الجزاءُ جزاءُ الكفار الذين هم أعداءُ اللَّه، ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٧٤١)، والكشف والبيان (٨/ ٢٩٣)، ولطائف الإشارات (٣/ ٣٢٦)، والتيسير في التفسير (١٣/ ١٧١).

يعني لهؤلاء المشركين بالله في النار دار الخلد يعني دار المكث واللبث، إلى غير نهاية ولا أمد، والدار التي أخبر جلّ ثناؤه أنها لهم في النار هي النار، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: في الدنيا، وهي آيات القرآن التي لغَوا فيها.

(٢٩) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: ويقول هؤلاء الكفار إذا صاروا في النار: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ أي: كانا سببًا لضلالنا حتى وقعْنا في هذا العذاب لذلك، ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾: أي: في الدَّرْكِ الأسفلِ مِن النار الذي أهلُه أشدُّ عذابًا[١].

(٣٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: أي: نطَقوا بالتوحيد، ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: أي: أخلَصوا الإقرارَ لله بالرُّبوبية، ولم يعدِلوا عنه إلى غيره، ولا استبدَلوا به دِينًا سواه، ولا عملوا ما يخرجُ به عنه، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: أي: عند الموت بالبشارة مُترادِفين، ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾: أي: بألَّا تخافوا؛ أي: ينزلون بهذه البشارة: لا تخافوا ما بين أيديكم مِن هَوْل المَطْلِع، والمُسائلةِ في القبر، والأَفْزاعِ يوم القيامة، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: أي: ولا تهتمُّوا، فلا يفوتكم ما أُمِّلْتُم، وقيل: لا تخافوا ما أنتم قادمون عليه، فلن تروا مَكْروهًا، ولا تحزنوا على ما خلَّفْتُموه مِن أهلٍ وولدٍ، فإنَّ الله يخلُفكم عليهم بخير، ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾: في الدنيا، فإنكم ستَصيرون إليها.

(٣١) - ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: نحفَظُ الأعمال، وقيل:

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٧٤١)، معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٦٢)، ومعاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٠٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ١٣).

ملائكةُ قَبْضِ الأرواح يقولون لهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾: أي: الآن إلى أنْ تخرُجوا مِن الدنيا نُعينُكم ونُقوِّيكم، وندفعُ الشيطانَ عنكم، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾: أي: في الجنة، ﴿مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾: ما تنزِعُ إليه شهواتُكم مِن الطَّيِّبات والملاذِّ، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: أي: ما دعوتُم به؛ أي: ما التمستُموه، وقيل: أي: ما أضفتُموه إلى أنفسكم، وقيل: أي: ما تمنَّيْتُموه بدَلًا عما خلَّفْتُم في الدنيا مِن القليل المُنْقَطِع الفاني[1].

(٣٢ - ٣٣) - ﴿نُزُلًا﴾: أي: رِزْقًا أقامَه اللّه تعالى لكم لإنزالِكم الجنةَ، ﴿مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾: أي: ممَّن غفَرَ لكم ورحِمكم، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي، أي: لا أحد أحسن قولًا وهو تعجيب مِن المشركين الذين لغَوا في قراءة النبي ﷺ وهو يدعو إلى توحيد الله تعالى ويعملُ صالحًا، ويقولُ: ﴿إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: كيف يجوزُ لكم مَعاشِرَ قريشٍ مع ادِّعائِكم رَجاحةَ العُقول أنْ تتواصَوا باللَّغْو في قراءة النبي ﷺ؟! وأيُّ قولٍ أحسَنُ مِن قوله؟! وأيُّ قائلٍ أحسنُ قولًا منه وهو يدعو إلى اللّه تعالى ولا تُهْمَةَ فيه؟! فإنه يعملُ بما يقول، ويُظهِرُ دينَ الإسلام الذي هو دينُ أبيكم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣٤) - ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾: أي: لا يستوي ما أنتَ عليه يا محمد مِن التوحيد والاستقامة والدعاء إلى اللّه تعالى، وما عليه المشركون مِن الشِّرْك باللّه، والصَّدِّ عن سبيل اللّه، والتَّواصي بتَرْك الاستماع لكلام اللّه تعالى،

---

(١) لطائف الإشارات (٣/ ٣٢٧ - ٣٢٨)، التيسير في التفسير (جـ ١٣/ ١٧٨).

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي: ادفَعْ بحقِّكَ باطِلَهم، وبحِلْمِكَ سفهَهم، ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: أي: فإذا استعملْتَ هذا لانَتْ لكَ جوانبُ أعدائِكَ المشركين، ومالتْ قلوبُهم إليكَ بالمودَّة، فأقبَلوا على ما تدعوهم إليه، واستمعوا له، ورُجِيَ بذلك أنْ يستجيبوا لكَ، ويصيرَ مَن يُعاديكَ منهم بالكُفْر بإسلامه كالوليِّ القَريب(١).

(٣٥) - ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾: أي: وما يُعطى هذه الخَصْلةَ، وهي دَفْعُ السيئة بالحسنة، وما يُوَفَّقُ لتلَقِّيها؛ أي: قبولِها واستقبالِها وأخْذِها، وقيل: أي: الموعظة، وقيل: أي: الكلمة، ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: ووطَّنوا أنفسَهم على الصبر للَّه على المكاره، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: أي: ذو نصيبٍ وافرٍ مِن العقل والعلم.

(٣٦) - ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾: أي: وإنْ يُخطِرِ الشيطانُ بقلبكَ وسوسةً، ويصدَّكَ بها عن تلَقِّي هذه الموعظة ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: يسمعُ استعاذتَكَ، ويَعلمُ إرادةَ الشيطان استزلالَكَ، ويَعلمُ ما يربطُ به جأشَكَ، والنَّزْغُ: الإفسادُ.

(٣٧) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: أي: العلاماتِ الدَّالَّةِ على وحدانيَّته، ﴿اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾: خلَقَها لمنافع خَلْقِه ومصالحِ عِبادِه، ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾: فإنهما مخلوقان، ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾: أي: خلَقَ النَّهارَ واللَّيلَ والشَّمسَ والقمرَ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: لأنَّ شرطَ عبادةِ اللَّه

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ٢٩٧)، وتفسير السمعاني (٥/ ٥١)، وزاد المسير (٤/ ٥٢).

تعالى ألَّا نسجدَ لِمَن دونه، فمَن عبَدَ معه غيرَه لم يكن له عابدًا.

(٣٨) - ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾: أي: هؤلاء المشركون عن إخلاص العبادة للّه، فليس ذلك بمُقَلِّلٍ عددَ مَن يُخْلِص للّه العبادةَ، ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: أي: الملائكةُ الذين هم سُكَّان السماوات، ومُقرَّبون عند اللّه بالدَّرَجات والكرامات، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: أي: يُنَزِّهونه، وقيل: يسجدون ويسبحون فيه، وقيل: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: أي: يُصَلُّون، وفيها السجودُ وغيرُه، ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾: أي: لا يمَلُّون ولا يفتُرون، وهم أكثرُ عددًا ممَّن في الأرض، فلا يُخْطِرَنَّ الشيطانُ بقلبك أنَّ في الموحدين للّه قِلَّةً[١].

(٣٩) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: أي: ومن علاماته الدَّالَّة على كمال قُدْرته، ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ أي: مَيِّتَةً، وقيل: أي: ذَليلةً، وأصلُ الخشوعِ: السُّكونُ والخُضوعُ ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾: أي: تحرَّكَتْ بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾؛ أي: ازدادتْ وانتفخَتْ بنُمُوِّ النبات في جَوْفها إلى أنْ يخرُجَ منها بانصداعها عنه.

﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾: لا فَرْقَ بين الموتين والحَياتين في التدبُّر، ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: مِن هذا وغيره.

(٤٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: أي: إنَّ الذين يَميلون عن الحق في آياتنا، ويكفُرون بالقرآن، ويزعُمون أنه ليس مِن عند اللّه، وأنَّ محمدًا تَقَوَّلَه على اللّه، وأنه أساطيرُ الأولين، ويُعرِضون عن تدبُّره، ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾: بل نعلَمُ

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٧٤٣)، وبحر العلوم (٣/ ٢٢٧)، والنكت والعيون (٥/ ١٨٢)، ومعالم التنزيل (٧/ ١٧٤).

بهم، فنُجازيهم على وَفْقِ أعمالِهم، وهو تهديدٌ بليغٌ، ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: فلا يخفون علينا وقد أعدَدْنا لهم الجزاءَ، وهو إلقاؤُهم في النار، أفهؤلاء خيرٌ أم مَن لم يُلْحِدْ في آياتنا، فيأتي آمنًا يوم القيامة مِن هذا؟!، وهذا استفهامٌ بمعنى التَّوْبيخ؛ لأنَّ جوابَه: بل مَن يأتي آمنًا يوم القيامة، فكان هذا تقريرًا لهم على قُبْحِ أعمالِهم، ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾: أي: فلْيختَرِ امرؤٌ لنفْسِه ما شاء مِن هذين، وهما الوُقوعُ في النار، والأمنُ منها، وليعمَلْ ما يراه، فإنه إنْ عمِلَ بعمَلِ أهلِ النار أُلقِيَ فيها، وإنْ عمِلَ غيرَ ذلك أَمِنَها، وهي كلمةُ زَجْرٍ وتهديدٍ، وعُرِفَ بما بعده وما قَبْلَه أنه زَجْرٌ لا أَمْرٌ، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيَجزي كلَّ عاملٍ جزاءَ عمَلِه(١).

(٤١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: أي: بالقرآن؛ لأنَّ فيه ذِكْرَ جميع ما يُحتاجُ إليه، هلَكوا به وشَقُوا، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾: أي: لا يَقْدِرُ أحدٌ مِن العِبَاد بمِثْلِه، وقيل: أي: كريمٌ، مِن حَقِّه أنْ يُعَزَّ وأنْ يُجَلَّ، فلا يُلْغى فيه ولا يُعْرَضَ عنه ولا يُلْحَدَ في آياته.

(٤٢) - ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: لا يقع فيه الكذِبُ مِن أخبار ما كان، ولا مِن أخبار ما يكون، بل هو الحُجَّةُ إلى قيام الساعة، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾ أي: هو مُنزَلٌ مِن ربٍّ حكيمٍ مُصيبٍ في أقواله وأفعاله، ﴿حَمِيدٍ﴾: محمودٍ بكل صفاته، مُستَحِقٍّ لحَمْدِ خَلْقِه(٢).

---

(١) لطائف الإشارات (٣/ ٣٣٣ - ٣٣٤)، والتيسير في التفسير (١٣/ ١٨٩).

(٢) الكشف والبيان (٨/ ٢٩٨)، والوسيط (٤/ ٣٨)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٩).

(٤٣) - ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي: كفرَ المشركون بهذا الكتاب، وألحَدوا في آياته، ونسَبُوكَ إلى افترائه، ولكنْ ما قالوا لكَ إلا وقد قالت الأممُ السَّالفةُ لأنبيائهم كذلك، فاصبِرْ كما صبَروا تَظْفَرْ كما ظَفِروا، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: للمؤمنين، ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: للكافرين.

(٤٤) - ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا﴾: أي: لو أنزَلْنا هذا الذِّكْرَ قرآنًا؛ أي: كتابًا يُقرأ ﴿أَعْجَمِيًّا﴾؛ أي: بلُغةٍ غيرِ فَصيحةٍ مِن لُغات الأعاجم، ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾: أي: لقالَ هؤلاء المشركون: هلَّا بُيِّنَتْ آياتُه باللغة الفَصيحة، فيتحقَّقَ لنا فَهْمُها، ويقرُبَ مِن قلوبنا وعقولنا الوقوفُ على المراد بها، ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾: أي: فكيف يكون هذا أنْ يكون كتابٌ أعجميٌّ ورسولٌ عربيٌّ وإنما أُرْسِلَ بالكِتاب ليكون بيانًا لقومه وآيةً له على صِدْق دعواه؟!، كيف يكون آيةً على قوم وهو شيءٌ لا يعرِفونه ولا يقِفون على جنسه لِيمتحِنوا قُواهم في مُعارضته، حتى إذا عجِزوا علِموا أنه سماويٌّ خارجٌ عن قوى البشر؟!، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾: أي: مُرْشِدٌ مِن الضلالة ﴿وَشِفَاءٌ﴾ أي: شافٍ مِن الجَهالة، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: أي: ثِقلٌ وصَمَمٌ عن سماعه وفَهْمه، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾: أي: عمًى لقلوبهم لتركِهم تدبُّرَه، ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: أي: هم كمن يُنادى مِن مسافةٍ بعيدةٍ، فينقطعُ صوتُ المُنادي عنه فلا يسمعُه[1].

(٤٥) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: أي: التوراةَ، كما آتيناكَ القرآنَ، ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾: أي: اختلَفوا في كتابه، فقالوا: سِحْرٌ، ونحوَ ذلك؛ كما اختلَفَ

(١) جامع البيان (٢٠/ ٤٥١)، وبحر العلوم (٣/ ٢٣١)، والتيسير في التفسير ١٣/ ١٩٤).

المشركون عليكَ في كتابكَ، فقالوا ما قالوا، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: وليس تأخيري العذابَ عنهم لعَجْزٍ، ولا لتَسْويةٍ بين المُحِقِّ والمُبْطِلِ، ولا لإهمالِ الفريقين، ولكنْ سبَقَ قولي أنِّي لا أُعاجِلُ هذه الأمةَ بالعذاب المستأصِل؛ لِعِلْمِي بمَن يخرُجُ مِن المؤمنين مِن أصلابهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾: أي: وإنَّ الكفار لا يكفُرون به لتيقُّنِهم ببُطْلانه، لكن يشُكُّون فيه لتَرْكِهم التأمُّلَ في الدلائل، ﴿مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٍ للرِّيبَة؛ أي: التُّهْمة.

(٤٦) - ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾: أي: فلنفْسِه نَفْعُه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾: أي: فعليها ضرَرُ إساءتِه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: أي: لا يُعَذِّبُ أحدًا بغير ذنب، ولا يُنْقِصُ أحدًا ثوابَ طاعتِه، ولا يزيدُ في العذاب على معصيته.

(٤٧) - ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: أي: لا يَعْلَمُ متى تقوم الساعةُ غيرُه، وكلُّ عبدٍ سُئِلَ عنها ردَّ عِلْمَها إليه؛ كما قال لنبيه: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾: جَمْعُ: كُمٍّ، وهو غِلافُ الثَّمَر، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾: أي: كلُّ ذلك بعِلْم اللَّه وتقديره، يجري ذلك كلُّه على عِلمِه وقُدْرته، وكذلك الساعةُ، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾: أي: وفي هذا اليوم يُخاطِبُ اللَّه هؤلاء، فيقول: أين الذين كنتم تُشْرِكونهم بي، ويقولون: هؤلاء شفعاؤُنا، وإنما نعبُدهم ليُقَرِّبونا إلى اللَّه زُلْفى، ﴿قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾: قيل: أي: يقول المشركون: نُؤْذِنُكَ -أي: نُعلِمُكَ- ما مِنَّا مِن أحدٍ يشهَدُ بأنَّ لك شَريكًا، أو بأنه كان لكَ شريكٌ.

(٤٨ -٤٩) - ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: أي: بطَلَ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾؛

أي: في الدنيا، ﴿وَظَنُّوا﴾: أي: علِموا وأيقَنوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾: أي: مَعْدِلٍ مِن النار، ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾: أي: لا يمَلُّ هذا المشركُ الجاحدُ بالقيامة مِن مسألة اللَّه الذي هو مُقِرٌّ بأنه خالقُه ورازقُه السَّعَةَ في المال، والسَّلامةَ في النَّفْس، والظَّفَرَ بكل محبوب، ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: أي: نالَه المكروه، ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾: أي: يَيْأَسُ مِن زوال ما به، ويظُنُّ أنْ يدومَ عليه، ويقنَطُ مِن رحمة اللَّه[١].

(٥٠) - ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾: أي: نِعْمةً، ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾: أي: شِدَّةٍ أصابَتْه، ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾: أي: أنا أهلُه ومُسْتَحِقُّه، وقيل: أي: بسببِ خيرٍ عندي، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾: أي: وما أحسَبُ القيامةَ كائنةً، ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾: أي: ولئن كان ما يقول محمد وأصحابُه حقًّا مِن قيام الساعة، ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾: يعني: الجنَّةَ وكلَّ حالةٍ حسنةٍ، ولا يُعذِّبُني اللَّه؛ لأنَّه إنما يُعَذِّبُ مَن يَهونُ عليه، لا مَن يَكْرُمُ عليه، وأنا كريم عليه، فقد أكرمَني بالنِّعَم في الدنيا، ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾: وأُجازيهم عليه، فيعلمون أنَّ الساعةَ قائمةٌ، وأنَّ الحُسْنى لغيرهم، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شديدٍ دائمٍ.

(٥١) - ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾: أي: على هذا الكافر، ﴿أَعْرَضَ﴾: أي: عن ذِكْرِنا والتدبُّرِ في آياتنا، ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾: أي: بعُدَ وولَّى جانِبَه، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾: أي: فهو ذو دُعاءٍ كثيرٍ.

(٥٢) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: أي: قل يا محمد: إنْ كان ما يُخبِرُ به محمد مِن الوَعْد والوَعيد

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٢٣٢)، والهداية (١٠/ ٦٥٤٤).

صِدْقًا مِن عند اللَّه ثم كذَّبْتُموه في ذلك، كنتم مُشاقِّين للَّه؛ أي: مُعادِين له مُخالِفين، ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: أي: خِلافٍ بعيدٍ عن الوِفاق، ومُعاداةٍ بعيدةٍ عن الموالاة، استفهامٌ بمعنى النفي.

(٥٣-٥٤) - ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾ آياتِ وحدانيَّتِنا، ﴿فِي الْآفَاقِ﴾: مِن سَيْرِ النُّجوم وجَرَيان الشمس والقمر بحُسْنِ التَّدبير، وكذلك ما في الأرض، ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾: من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾؛ أي: يظهَرَ لهم البيانُ الذي ينقطِعُ به العُذْرُ، ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾؛ أي: أنَّ اللَّهَ هو المعبودُ الحقُّ الذي لا شريكَ له، وأنَّ البعثَ حقٌّ لا شُبْهَةَ فيه، فإنَّ مَن قدِرَ على ذلك قدِرَ على إحياء الموتى، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: أي: شاهدٌ، ويشهد أنَّ القرآنَ مِن عند اللَّه، وأنَّكَ رسولُه، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾: أي: شَكٍّ ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: مِن مَجيء القيامة، وحسابِ اللَّهِ الخَلْقَ، والجزاءِ، ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ علمًا وقدرة فيجازيهم بكفرهم[١].

(انتهى تفسير سورة فصلت).

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٧٤٨)، وبحر العلوم (٣/ ٢٣٣)، والنكت والعيون (٥/ ١٨٨)، وتأويلات أهل السنة (٩/ ٩٧)، وجامع البيان (٢٠/ ٤٦١) والوسيط (٤/ ٤٠)، وتفسير الجلالين(١/ ٦٣٧).

(٤٢) سورة الشورى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكِّيَّةٌ، اشتهرت تسميتها عند السلف حم عسق، وكذلك سميت في عدة من كتب التفسير وكثير من المصاحف، وتسمى «سورة الشورى»، وبذلك سميت في كثير من المصاحف والتفاسير، وتسمى «سورة عسق» بدون لفظ حم لقصد الاختصار، نزلت بعد سورة الكهف وقبل سورة إبراهيم وعدت التاسعة والستين في ترتيب نزول السور، وهي ثلاثٌ وخمسون آيةً، وكلماتُها: ثماني مئةٍ وستون، وحروفُها: ثلاثةُ آلافٍ وأربعُ مئةٍ وأربعون.

أغراض هذه السورة:

أول أغراضها الإشارة إلى تحدي الطاعنين في أن القرآن وحي من الله بأن يأتوا بكلام مثله، فهذا التحدي لا تخلو عنه السور المفتتحة بالحروف الهجائية المقطعة، واستدل الله على المعاندين بأن الوحي إلى محمد ﷺ ما هو إلا كالوحي إلى الرسل من قبله لينذر أهل مكة ومن حولها بيوم الحساب. وأن الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض لا تعارض قدرته ولا يشك في حكمته، وقد خضعت له العوالم العليا ومن فيها وهو فاطر المخلوقات فهو يجتبي من يشاء لرسالته فلا بدع أن يشرع للأمة المحمدية من الدين مثل ما شرع لمن قبله من الرسل، وما أرسل الله الرسل إلا من البشر يوحي إليهم فلم يسبق أن أرسل ملائكة لمخاطبة عموم الناس مباشرة، وأن المشركين بالله لا حجة لهم إلا تقليد أئمة الكفر الذين شرعوا لهم

الإشراك وألقوا إليهم الشبهات. وحذرهم يوم الجزاء واقتراب الساعة وما سيلقى المشركون يوم الحساب من العذاب مع إدماج التعريض بالترغيب فيما سيلقاه المؤمنون من الكرامة، وأنهم لو تدبروا لعلموا أن النبي ﷺ لا يأتي عن الله من تلقاء نفسه لأن الله لا يقره على أن يقول عليه ما لم يقله. وذكرت دلائل الوحدانية وما هو من تلك الآيات نعمة على الناس مثل دليل السير في البحر وما أوتيه الناس من نعم الدنيا. وتسلية الرسول ﷺ بأن الله هو متولي جزاء المكذبين وما على الرسول ﷺ من حسابهم من شيء فما عليه إلا الاستمرار على دعوتهم إلى الحق القويم. ونبههم إلى أنه لا يبتغي منهم جزاء على نصحه لهم وإنما يبتغي أن يراعوا أواصر القرابة بينه وبينهم. وذكرهم نعم الله عليهم، وحذرهم من التسبب في قطعها بسوء أعمالهم، وحرضهم على السعي في أسباب الفوز في الآخرة والمبادرة إلى ذلك قبل الفوات، فقد فاز المؤمنون المتوكلون، ونوه بجلالة أعمالهم وتجنبهم التعرض لغضب الله عليهم. وتخلل ذلك تنبيه على آيات كثيرة من آيات انفراده تعالى بالخلق والتصرف المقتضي انفراده بالإلهية إبطالًا للشرك. وختمها بتجدد المعجزة الأمية بأن الرسول ﷺ جاءهم بهدى عظيم من الدين وقد علموا أنه لم يكن ممن تصدى لذلك في سابق عمره وذلك أكبر دليل على أن ما جاء به أمر قد أوحي إليه به فعليهم أن يهتدوا بهديه فمن اهتدى بهديه فقد وافق مراد الله. وختم ذلك بكلمة جامعة تتضمن التفويض إلى الله وانتظار حكمه[(١)] وهي كلمة: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/٢٥).

وانتظامُ أوَّلِ هذه السُّورة بآخر تلك السُّورة: أنَّ خَتْمَ تلك السُّورة باسم مِن أسماء اللَّه تعالى، وكذلك افتتاحُ هذه السُّورة، وانتظامُ السُّورتين: أنهما في ذِكْر الكفار وشِرْكِهم، وإقامةِ الدَّلائل على جهلهم، وإبطالِ قولهم، وما يتَّصِلُ بوعيدهم ووعيدِ غيرِهم.

(١ - ٢) - ﴿حم ① عسق﴾: اللَّه أَعْلَم بِمُرَادِهِ بِهِ، وقيل هذه الحروف الخمسة اسمُ هذه السُّورة، وقيل غير هذا من الأقاويل التي لا تستند إلى دليل معتبر.

(٣-٤) - ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي: كالذي أوحَى إليكَ في هذه السورة يُوحِي إليكَ في سائر السُّوَر، وكذلك أوحى إلى الأنبياء المُتقدِّمين، ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يحتاجُ إلى شريك يتعزَّزُ به، ﴿الْحَكِيمُ﴾: المُصيبُ في أقواله وأفعاله، المُحْكِمُ دلائلَه، المُتْقِنُ خَلْقَه، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: مِلْكًا ومُلْكًا، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾: المُمْتَنِعُ بعُلُوِّه أنْ يُغالَبَ، ﴿الْعَظِيمُ﴾: الجليلُ سُلْطانُه أنْ يُعارَضَ.

(٥) - ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾: بتاء التأنيث، ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ مِن التَّفَطُّر، وهو التَّشَقُّق، و(يَنْفَطِرْن) بالنون مِن الانفطار، وهو الانشقاق، والمعنى: تكاد السماوات تتشقَّقْنَ لِعظمة اللَّه وهَيْبَته، وقيل: معناه: تُقارِبُ السماوات أنْ تتشقَّقْنَ فوق الأرَضين، ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾: أي: مِن أعلى سماءٍ منها، فلا تبقى سماءٌ إلا وقد سقَطَتْ على الأخرى كالسَّقْفِ فوق السَّقْف؛ خَشْيةً للَّه لو كُنَّ يَعْقِلْنَ، وإجلالًا له، وانقطاعًا إليه بالرَّهْبة والرَّغْبة، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يُنزِّهونه ويحمَدونه بمَحامِده، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: مِن

المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لهم، وقيل: يستغفرون لكلِّ مَن في الأرض، يسألون تَرْكَ مُعاجلَتِهم بالعذاب؛ لِأجْل مَن فيها مِن أهل الإيمان[١].

(٦) - ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: أي: أصنامًا يتولَّونها، ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي: يحفَظُ عليهم أعمالَهم وأقوالَهم وعقائدَهم، ويُوفِّيهم يوم القيامة، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: أي: بمُسَلَّطٍ عليهم تُدخِلُهم في الإيمان جَبْرًا، ولا بمَنْصوب عليهم بحفظ أعمالهم ومُجازاتهم عليها شَرًّا، إنما عليك البلاغُ فبَلِّغْ، ولا تضِقْ بنُفورهم صَدْرًا.

(٧) - ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: بلسانِ قومِكَ؛ كما أرسَلْنا كلَّ رسول بلسان قومه، ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾: لِتُخوِّفَ أهلَ مكَّةَ التي هي أصْلُ كلِّ بَلْدةٍ، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: مِن بلاد العرب؛ لِيكونوا أعوانًا لكَ على غيرهم، وقيل: سُمِّيَتْ أمَّ القرى لأنها أجلُّها شَأْنًا؛ لِكون الكعبةِ فيها، ومناسكِ الحجِّ، ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾: أي: ولِتُخَوِّفَ بيوم القيامة الذي هو يومُ جَمْعِ الخلائق مِن الأوَّلين والآخِرين للحساب والجزاء، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي: لا شَكَّ في كونه ومجيئه، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾: أي: وإذا جُمِعوا ليوم الحساب، فمنهم فريقٌ يدخُلون الجنة، وهم الذين خافوا بتخويفِكَ فآمَنوا، ومنهم فريقٌ يدخُلون النار، وهم الذين لم يُجيبوكَ وكذَّبوكَ.

(٨) - ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: مُجتَمعين على الإيمان، مُسْتَحِقِّين للجِنان، ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: أي: يهدي مَن عَلِمَ منه

---

(١) التيسير في التفسير (١٣/ ٢١٢).

اختيارَ الهُدى، فيُدخلُه بذلك في الجنة، ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: أي: والواضعون الأمرَ غيرَ موضعِه، والظالمون أنفسَهم الذين علِمَ منهم اختيارَ الضَّلالِ، يُضِلُّهم ويجعلُهم بذلك مِن أهل النار، فما لهم أحدٌ يتولَّى أمورَهم فيُعينَهم، ولا مَن ينصرُهم فيدفعَ العذابَ عنهم.

(٩) - ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾: أي: هل اتَّخذوا عند أنفسهم أولياءَ مِن دونه يمنعونهم مِن عذاب اللَّه؟! وليس كذلك، فاللَّهُ هو الوليُّ يومئذٍ لا ولايةَ لغيره، ﴿وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى﴾: يومَ القيامة للحساب والجزاء، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: مِن التَّنعيم والتَّعْذيب وغيرِ ذلك.

(١٠) - ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: اليومَ مِن أَمْرِ الدِّين يا معاشرَ المسلمين والمشركين، ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾: يومَ الدِّين، فإنه يَفْصِلُ بالجزاء بين المختلِفين، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾: أي: قل يا محمد ﷺ: هذا الموصوف بهذه الصِّفاتِ ربِّي، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: أي: اعتمدتُّ في أموري كلِّها، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أي: أرجِعُ في أحوالي كلِّها.

(١١) - ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: ذلكم اللَّهُ ربي خالِقُ السماواتِ والأرضِ مُبْتدِئًا مِن غير شيء، ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أي: زوجاتٍ مِن الإنس، ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾: أي: ذُكورًا وإناثًا لتتناسلَ فتبقى، فيقومَ بها مصالحُ الخَلْقِ مِن الحَرْث والحَمْل والرُّكوب في الأَسْفار، والضَّرْب في الأمصار لمُخْتَلَف الأقطار، ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾: أي: يخلُقُكم مِن هذه الأزواج نَسْلًا بعد نَسْلٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: أي: ليس مِثْلَه شيءٌ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: كلَّ

المسموعات بسَمْعٍ أزَليٍّ، لا بجارحةٍ، ﴿الْبَصِيرُ﴾: بكل المُبْصَراتِ ببَصَرٍ أزَليٍّ، لا بجارحةٍ(١).

(١٢) - ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: بيده مفاتيحُ الأرزاقِ التي تَنْزِلُ مِن السماء مِن المطر وغيرِه، وما يخْرُجُ مِن الأرض مِن النبات، وهو المالكُ كلَّ ذلك، وهو عنده كالشيء المَخْزون، ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: أي: يُوَسِّعُ على مَن يشاء مِن عباده، ويُضَيِّقُ على مَن يشاء، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: مِن المصالح والعَواقب وغيرِ ذلك.

(١٣) - ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾: أي: شرَعَ اللّهُ لكم مِن الدِّين ما شرَعَ لقوم نوح وقوم إبراهيم وموسى وعيسى، ووصَّاهم بلُزومه وإلزامِه قومَهم، وهو الذي أوحى إليكَ ووصَّاكَ به، وجُمْلتُه الثَّباتُ على الطاعة للّه تعالى بالإخلاص، وبالانقياد له، والعملِ بما أمَرَ به، والتَّآلُفِ على هذا، وتَرْكِ التَّفَرُّقِ فيه، ومعنى ﴿شَرَعَ﴾: بيَّنَ المَسْلَكَ، وفتَحَ الطريق إلى مرضاته، و﴿الدِّينِ﴾: هو الطاعة والانقياد، وإقامةُ الدِّين: الدَّوامُ عليه بإحياء شروطه وحدوده، وقيل: هو تقويمُه، وهو التوحيد والإخلاص، وتخصيصُ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى هاهنا بالذِّكْر؛ لِمَا أنهم أصحابُ الشرائع، ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾؛ أي: شَقَّ عليهم دعاؤُك يا محمد إلى التوحيدِ، وتَرْكِ ما هم فيه مِن

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٧٦٤)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٩١)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٩٥).

الشِّرْك، ﴿اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يضمُّه ويُقرِّبُه إلى كنَفِه، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾، يُقْبِل إلَى طاعته.

(١٤) - ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: أي: وما كان تَفرُّقُ هؤلاء المشركين -وقيل: يعني: أهلَ الكتابِ- في الدِّين لِقُصور البيان وخَفاء الحق، فقد جاءهم البيانُ وحصَلَ به العلمُ، لكنهم حسَدوا محمدًا ﷺ وتطاولوا، فلم يُتابعوه ولم يُصَدِّقوه، فاستحقُّوا به العذابَ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي: ولولا ما سبَقَ مِن حُكْمِه بتوقيت عذابهم بأجلٍ مُسمًّى، وهو قد يكون في الدنيا، وقد يكون يوم القيامة، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: قيل: بالتمييز بين المُحِقِّ والمُبْطِلِ بالثواب والعقاب، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: أي: مِن بعد نوح وإبراهيم وقومهما، ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾: أي: ممَّا وصَّيْنا به نوحًا وإبراهيمَ، ﴿مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٍ في الرِّيبة؛ أي: التُّهمة[(١)].

(١٥) - ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾: أي: فإلى ما شرَعه اللَّه لكم فادْعُ الخَلْقَ، ﴿وَاسْتَقِمْ﴾: أنتَ عليه ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي: كما أمرك الله ﷻ، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: أي: ولا تنظُرْ إلى خِلافِ مَن خالفَ ذلك بهواه مِن أهل الكتاب والعرب، ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾: على الأنبياء قبْلي وعليَّ؛ لأنَّ كله مِن عند اللَّه، وكلَّه حقٌّ، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾: أي: لأنْ أعدِلَ: أي: أُسَوِّيَ بين شريفكم ووَضِيعكم، فلا أُحابيَ أحدًا، ولا أَخُصَّ البعضَ بأمرٍ أو نهيٍ، فإنَّ

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٢٣٩)، وجامع البيان (٢٠/ ٤٨٢)، النكت والعيون (٥/ ١٩٧)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٩).

الدَّعوةَ واحدةٌ، والدِّينَ واحدٌ، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: ونحن كلُّنا عبيدُه، ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾: أي: يُؤاخَذُ كلٌّ منا بعمَل نفْسِه دون عمَلِ غيرِه، ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾: أي: لا مُحاجَّةَ؛ أي: لم تبقَ خُصومةٌ بَعْد ظُهور الحق، فالحُجَّةُ لنا عليكم لِظُهورها، وليست بيننا بالاشتباه والالتباس، ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾: في القيامة ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: أي: إلى جزائِه المَرْجِعُ.

(١٦) - ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾: أي: يُخاصِمون في دين الله، قيل: هم أهل الكتاب؛ كانوا يقولون: دينُنا أقدَمُ، ونحن أولادُ الأنبياء، وقيل: هم المشركون، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾: أي: يُحاجُّون مَن استجابَ لله، فدخَل في الإسلام، ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾: أي: شُبْهَتُهم باطلةٌ، سمَّاها حُجَّةً لِزَعْمِهم أنها حُجَّةٌ، والدَّاحِضَةُ: المُزالَةُ الزَّائِلة، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: فإنه يُبيِّنُ بُطْلانَها، ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: في الدنيا والآخرة.

(١٧) - ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾: أي: اللهُ هو الذي أنزلَ هذه الكتبَ كلَّها بالحق؛ أي: ببيان ما يجِبُ على الناس في دينهم، وأنزل الميزان؛ أي: العَدْلَ، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾: وهي يومُ الوَزْنِ، والجزاءُ على العَدْلِ والجَوْرِ في هذا الوَزْن.

(١٨) - ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أي: يقولون متى تأتي ظنًا منهم أنها غير آتية، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾: أي: خائفون؛ لِعِلْمِهم بما يكون فيها مِن الحساب، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾: أي: الصِّدْقُ الذي لا كَذِبَ فيه، والقضاءُ يقع فيها بالحق الذي لا باطلَ فيه، ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾:

أي: يُجادلون فيها ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الرَّشاد[١].

(١٩) - ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾: أي: رحيمٌ بهم، حسَنُ النَّظَرِ لهم، ﴿بِعِبَادِهِ﴾: أي: بعباده المؤمنين، ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: يُكَثِّرُ له الرِّزْقَ، ويُوَسِّعُ عليه في دنياه، ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾: القادرُ على أنْ يرزُقَ مَن يشاء ما يشاء، ﴿الْعَزِيزُ﴾: المنيعُ فلا يُغالَبُ فيما يُؤتيه عبادَه وفيما يمنعُهم[٢].

(٢٠) - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾: أي: مَن طلَبَ بما رزقناه مِن المال ووسَّعْنا عليه في الحال حَرْثًا لآخرته؛ أي: تقديمَ ما يجعلُه ذُخْرًا ليوم الجزاء، فيُؤدِّي حقوقَ اللَّه تعالى مِن ماله، فإنا نُعطيه زيادةً على ما أعطاه مِن ماله، بأنْ نُضاعِفَ له نفقتَه بالواحدة عشرًا إلى سبع مئة وأكثر، كأنَّه حرَثَ شيئًا وحرَثَ له غيرُه أشياءَ زائدةً عليه، ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: أي: ومَن كان طلَبُه بما رُزِقَ مِن المال رياءَ الناس، والمُكاثرةَ به، والتَّوَسُّعَ في الملاذِّ المحظورة، فإنما نُؤْتِه منها؛ أي: لا نحرِمُه الرزقَ أصلًا، بل نُعطِيه ما قدَّرْناه له ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾، أي: لا نَصيبَ له في الآخرة.

(٢١) - ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾: أي: ألهؤلاء المشركين شركاءُ -أي: آلهةٌ- شرَعوا لهم الشرك الذي لم يأذنِ اللَّهُ تعالى به؟!، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: ولولا القولُ السابق مِن اللَّه الذي قطَعَ الحُكْمَ به -وهو صِدْقٌ لا تبديلَ له ولا رجوع عنه- أنه لا ينزِلُ بهم العذاب

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٧٦٨)، والكشف والبيان (٨/ ٣٠٨)، والوسيط (٤/ ٤٨).

(٢) الكشف والبيان (٨/ ٣٠٨)، ومعالم التنزيل (٤/ ١٤٢).

الذي استحقُّوه بشركهم إلا في الآخرة لَقُضِيَ بينهم به في الدنيا، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: أي: المشركين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة، وإنْ أُخِّرَ عنهم في الدنيا.

(٢٢) - ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾: في الآخرة ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾؛ أي: نازِلٌ بهم، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾: أي: في الرِّياض التي تحُفُّ بها البساتينُ، وذلك أحسَنُ ما يكون وأجْمَعُه للنُّزْهة؛ لأنَّه يجمَعُ الثِّمار والزَّهْر والرَّياحين، فيحصُلُ لصاحبه غِذاءُ البَدَن بالطُّعْم، وغِذاءُ الرُّوح بطِيب الرائحة، ونُزْهَةُ العَينِ بألوان الزَّهر، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: في الجنة، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾: مِن اللَّه تعالى لهم؛ إذ آتاهم على العملِ القليلِ المُنقطِعِ الجزاءَ الكثيرَ الدائمَ(١).

(٢٣) - ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾: أي: ذلك الفَضْلُ الكبيرُ وما تقدَّمَ ذِكْرُه يُبَشِّرُ اللَّهُ به عباده، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: لِيتَعجَّلوا السُّرورَ به، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: قيل: على الدِّين، وقيل: على الكتاب، وقيل: على الفَضْل الكبير، وقيل: على التَّبْليغ، ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾: أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضًا فإن له في كل بطن من قريش قرابة، ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾: أي: يكتسِبْ فِعْلَة جميلةً مَوَدَّةً في القُربى أو غيرَ ذلك، ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾: التَّضعيفُ في الثواب عشرًا، وسبعَ مئةٍ، وبغير حساب، وقيل: التوفيقُ لمِثْلِها أو أكثرَ منها، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: للذُّنوب الكثيرة ﴿شَكُورٌ﴾:

(١) تأويلات أهل السنة (٩/ ١٢٠)، التيسير في التفسير (١٣/ ٢٣٣).

للأعمال اليَسيرة(١).

(٢٤) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: أَيَقْبلون ما تُبَلِّغُه إليهم ولا تسألُ عليه أجرًا، أم يقولون: إن محمدًا اختلَقَ على اللَّه زُورًا بدعواه أنَّ ما يتلُوه هو مِمَّا أنزلَ اللَّهُ عليه؟!، ﴿فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾: أي: يُنَسِّيكَ القرآن، فلا تُبَلِّغُه، فلا يُكذِّبونكَ، ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾: أي: يُذْهِبُ اللَّهُ الباطلَ ويُزيلُه، فلا يدَعُه يَفتري، ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾: أي: ويُبيِّنُ حقيقةَ الحقِّ وصِحَّتَه بوحيه إلى أنبيائه، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: بضمائر القلوب.

(٢٥) - ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾: هي عامَّةٌ للمؤمن والكافر، والوليِّ والعَدُوِّ، ومَن تاب منهم قَبِلَ اللَّهُ توبتَه ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾أي: المُتَابِ عَنْهَا، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾أي: ويعلمُ الصادقَ في التوبة فمنه يَقْبَلُ، والكاذبَ فيها فلا يقبَلُها منه(٢).

(٢٦) - ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي: ويستجيب اللَّهُ منهم؛ أي: يقبَلُ طاعاتِهم، وقيل: أي: يستجيبُ دعاءَهم، ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: بالإضعاف، وقيل: هي رؤيةُ اللَّهِ؛ كما قال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]، ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: في النار.

(٢٧-٢٨) - ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي:

---

(١) الكشاف (٤/ ٢١٩)، وجامع البيان (٢٠/ ٤٩٧)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٩٨)، وتفسير الجلالين(١/٦٤٢)

(٢) زاد المسير (٤/ ٦٥) والوسيط (٤/ ٥٣).

لتَظالموا، وقيل: أي: لطَغَوا. ﴿وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾: أي: بمِقْدار ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ﴾: عالِمٌ بمصالحهم ﴿بَصِيرٌ﴾: بأعمالهم، ﴿وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾: أي: المطرَ بعد يأس الناس عنه لتأخُّرِ نزوله، ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾: أي: يعُمُّ خَلْقَه بنعمته التي تكون مِن الغيث، فمَن قَدِرَ على ذلك فهو قادر على أنْ يعُمَّ جميعَ عبادِه بسَعَة الرزق، فليس تضييقُه على بعض لِعَجْزه، وكيف يَعْجِزُ عن ذلك مَن قَدِرَ على خَلْق السماوات والأرض وما بينهما ومَن فيهما مِن الخَلْق؟!، ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾: أي: يلي أمورَ خَلْقِه بما يعلَمُ ذلك صلاحًا لِمَن أراد به الصلاح، ﴿الْحَمِيدُ﴾: أي: الذي يستحِقُّ الحمدَ على كل حال، وأنْ يُستسلَمَ له بالرضا كيف ما صرَّفَ بهم الأحوال مِن الإكثار والإقلال(١).

(٢٩) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: ومِن علامات قُدْرَته على كل شيء خَلْقُها، ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾: أي: نشَرَ وفرَّقَ ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: أي: حيوانٍ يَدِبُّ؛ أي: يتحرَّكُ بالحياة مِن الملائكة والجن والإنس والبَهائم والحَشَرات، ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾: في القيامة ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾: أي: قادر.

(٣٠) - ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾: أي: بَلِيَّةٍ ونُقْصانٍ في مال أو أهل أو ولد أو قريب أو صديق، ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: أي: بشُؤْمِ ذنوبكم، وأضاف الكَسْبَ إلى اليد لأنَّ أكثرَ أعمالِ الخَلْق بالأيدي، ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾: فلا يُعاقِبُ عليه في الدنيا.

(٣١ - ٣٢) - ﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾: يا مَعْشَرَ الكفار ﴿بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾؛

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٢٤٤)، وجامع البيان (٢٠/ ٥٠٩)، والوسيط (٤/ ٥٤).

أي: بفائتين أَخْذَ اللّهِ، فليس تأخيرُ العذابِ عنكم لقوَّتِكم، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾: يتولَّى عَوْنكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: يدفعُ العذابَ عنكم إذا أنزله بكم، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ﴾: أي: ومِن العلامات الدالَّةِ على قُدْرة اللّه تعالى على بَسْطِ الرزق وكلِّ شيءٍ، السُّفُنُ الجاريةُ في البحر، جَمْعُ جاريةٍ، وهي السفينة، ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾: قيل: كالجبال، وقيل: كلُّ مُرْتفِعٍ عند العرب فهو علَمٌ.

(٣٣) - ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾: أي: فيَبْقَينَ واقفاتٍ على ظَهْره؛ أي: ظَهْرِ البحر، والرُّكودُ: السُّكونُ والوقوفُ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: قيل: لكلِّ مؤمنٍ مُستكْمِلٍ في خِصال الإيمان؛ لأنَّ مَرْجِعَ كلِّها إلى الصبر والشكر، وخصَّه بإضافة الآيات إليه لأنه هو المُنتفِعُ بها[١].

(٣٤-٣٥) - ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾: أي: يُهْلِكْهُنَّ في البحر بذُنوبهم، ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾: أي: لا يُهْلِكُ بعضَهم بالغرَق فَضْلًا منه، ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: أي: وسيَعْلَمُ المشركون المُجادلون في آيات اللّه ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: أي: مَعْدِلٍ عما أنزلَ اللّهُ تعالى، فيُخْلِصون للّه العبادةَ، ويَمحَضون له الطاعةَ.

(٣٦) - ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾: أي: أُعطِيتُم مِن سَعَةٍ في الرزق ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: شيءٌ قليلٌ يُتَمتَّعُ به في الدنيا قليلًا ثم يزولُ، فما ينبغي له أنْ يُوثَقَ به ويُطْمَأَنَّ إليه، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾: مِن نعيم الآخرة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ مِن نعيم الدنيا، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: ذلك للمؤمنين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ أي:

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ٣٢١)، ومعالم التنزيل (٧/ ١٩٦).

يُفَوِّضون الأمورَ إليه، ويَرْضَون بما قسَمَ لهم مِن الرزق.

(٣٧) - ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾: أي: وذلك النَّعيم أيضًا للذين يَتَوَقَّوْنَ عن الذنوب الكثيرة والأعمال الفاحشة، ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: أي: وإذا غضِبوا بإيذاء أحَدٍ إياهم غفَروا لِمَن أغضَبَهم، وكظَموا غَيْظَهم، وزيادةُ ﴿هُمْ﴾ في هذا الفعل إشارةٌ إلى أنهم يَعْفُون عنهم مِن عند أنفسهم مِن غير أنْ يحمِلَهم عليه شَفيعٌ أو سائلٌ.

(٣٨) - ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾: وهذا مِن صفاتهم أيضًا؛ أي: أطاعوا اللّهَ فيما أمرَهم به، وأجابوا إلى ما دَعاهم إليه، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: أداموا الصلاة في أوقاتها بشُروطها، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾: أي: يتآلفون على نَصر الدِّين وإحياء الحقِّ، فيَتَّفِقون على التَّشاوُر في الأمور لِيَقعَ إمضاؤُها على اتِّفاقهم، فلا يختلفون ولا يتنازعون، وهو يرجِعُ إلى الآيات المتقدِّمة التي فيها الأمرُ بالتآلُفِ والنَّهيُ عن التَّفَرُّقِ، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: في وُجوه الحقِّ فَرْضًا ونَفْلًا.

(٣٩) - ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾: قيل: إذا نالَهُمُ البَغْيُ مِن الكفار ينتصِرون بالجهاد، وقيل: هو الأمرُ بالمعروف، والنَّهْيُ عن المنكر، وإقامةُ الحدود، والتَّعزيرُ على الجاني، وهو إقامةُ الدِّين كما أمَرَ بها في الآيات المُتقدِّمة.

(٤٠) - ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾: أي: وما جرى بينكم مَعاشِرَ المسلمين في عُدْوان بعضِكم على بعض في شيءٍ مِن نفْسٍ أو مال، فله أنْ يَجْزِيَه بمِثْلِ ذلك لا يَزيدُ عليها، وقيل: معناه: مَن ساءَكم بجِناية في نفْسٍ أو مالٍ فسُوؤُوه بمِثْله اقتصاصًا. ﴿فَمَنْ عَفَا﴾: أي: ترَكَ الانتصارَ والمُجازاةَ، ﴿وَأَصْلَحَ﴾: أي: سألَ

اللَّهَ تعالى أنْ يرضى عن الجاني كما رضِيَ هو، فإنه بجِنايته آذى اللَّهَ تعالى وآذى المؤمنَ، فإذا رضِيَ المؤمنُ بقِيَ حقُّ اللَّهِ تعالى، فإذا شفَعَ له عن صِدْقٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فصلَحَتْ حالَتُه، ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾: أي: فثوابُ ذلك عند اللَّه تعالى، وقد وعَدَ بذلك وعدًا مُؤكَّدًا، فهو يَنالُه لا محالةَ، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: أي: البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه.

(٤١ -٤٢) - ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾: أي: انتصَفَ بعد وُقوعِ الظُّلْم عليه، ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾: أي: مؤاخذة، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾: أي: على المشركين الذين يَظْلِمون الناسَ بإخراجهم وأَخْذِ أموالِهم، ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بمَنْعِ المسلمين عن إخلاص العبادة للَّه، ومُجاوزة الحَدِّ في الفساد، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدنيا والآخرة،

(٤٣) - ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾: أي: على ما نالَه مِن الظُّلْم مِن جِهَة أخيه المسلم ﴿وَغَفَرَ﴾ لِظالِمِه ذنبَه، ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: أي: مما ينبغي أنْ يُوجِبَه العاقلُ على نفْسِه، ولا يترَخَّصَ في تَرْكِه[١].

(٤٤) - ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي: ومَن يُغْوِهِ اللَّهُ ويَخْلُقْ فيه فعلَ الضلال لعلمه باختياره ذلك، فليس له مَن يَلِي إرشادَه ومَعونَته ومَنْعَ العذابِ عنه، ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: أي: يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾: يتمنَّون الرَّجْعةَ إلى الدنيا، ويقولون: هل لنا

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٣١٤)، وتأويلات أهل السنة (٨/ ٣٠٧)، والتيسير في التفسير (٢٥١).

سبيلٌ إلى ذلك ووصولٌ، فنؤمنَ ولا نُشركَ، ونُطيعَ ولا نَعصِيَ.

(٤٥) - ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: أي: على النار، ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾: أي: ساكتين مُنكَسِرين مِن الخِزْيِ والهَوان، ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: أي: ذليلٍ، وقيل: أي: لا يرفعون أبصارَهم للنَّظَر رفعًا تامًا؛ لأنَّهم ناكِسو رؤوسهم، وعلى هذه الوجوه تكاد عيونُهم تخفى، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: الخُسْرانُ في الحقيقة لهؤلاء الذين حُرِمُوا منافعَ أنفسِهم وأهليهم، أو أهلَكوها وأهاليَهم بالإغواء، أو حُرِموا الحُورَ العِينَ بترك الإيمان، يقولون ذلك بطريق الشكر على حالة أنفسهم، ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾: أي: إن المشركين في عذاب مقيم؛ أي: دائم[1].

(٤٦ - ٤٧) - ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ﴾: أي: لهؤلاء الكفار ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: يتولَّون معونتَهم، ويدفعون عنهم العذابَ، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾: أي: وصولٍ إلى الخلاص، ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾: أي: أجيبوه إلى ما دعاكم، وهو الإيمان، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي: قبل أنْ يأتِيَ مِن اللَّه يومٌ لا مَدْفَعَ له، وهو يوم القيامة، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ﴾: أي: حِصْنٍ ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾؛ أي: قُدْرةٍ على تغيير، وقيل: أي: ما يجدون مَن يُنْكِرُ ما نزَلَ بهم؛ أي: يستنكِرُه؛ لأنَّ الخلائقَ علِموا أنه نزَلَ ذلك بهم عن استحقاق.

(٤٨) - ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾: فلم يستجيبوا ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾؛

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٧٧٢)، والبسيط (١٩/ ٤٩٦).

أي: حافظًا لأعمالهم حتى تكون أنت المُحاسِبَ لهم بها، وقيل: أي: مُوَكَّلًا بهم لا تُفارِقُهم دون أنْ يؤمنوا، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾: أي: ما عليك إلا تبليغُ الرسالة، ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾: أي: إنَّا إذا أنعَمْنا على الكافر بَطِرَ بالنِّعْمة وطغى وتكبَّرَ عن الانقياد للحق، وقدَّرَ أنَّ النِّعْمة إنما جاءته لفَضْلٍ له واستحقاقٍ منه، فلم يشكرْ للَّه تعالى، واستعانَ بنعمته على معصيته، وإذا أصابَتْه بَلِيَّةٌ ترَكَ الصَّبرَ والتَّسليمَ للَّه، وسخِطَ قضاءَ اللَّهِ، فكفرَ به وبنعمته.

(٤٩) - ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ومَن ملَكَ ذلك لم يَعْجِزْ عن مُعاجَلةِ الكافر بالعقوبة، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾: أي: بناتٍ، ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾: أي: البنين.

(٥٠) - ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾: أو يقْرِنُ لهم بنين وبناتٍ، ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾: أي: لا يُولَدُ له ولدٌ ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾: بذات الصدور؛ أي: بكلِّ شيء، ﴿قَدِيرٌ﴾: على كلِّ شيء، فكان إعطاءُ الأموالِ والأولادِ والأملاكِ والأَشْياع مِن اللَّه تعالى لِمَن شاء كما شاء.

(٥١) - ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾: أي: إيماءً وإشارةً يقع العلمُ بذلك؛ كالإلهام في القلب، والرُّؤيا في المنام، ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: أي: يسمع كلامًا مِن اللَّه تعالى؛ كما سمِعَ موسى مِن وراء حِجاب، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾: أي: أو أنْ يُرسِلَ ملكًا بالوحي إليه؛ كما أرسَلَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محمد ﷺ، ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾: أي: فيُبَلِّغَ بإذن اللَّه ما يشاء، ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾: أي:

قاهرٌ فلا يُمانَعُ، مُصيبٌ في أقواله وأفعاله فلا يُعارَضُ [(١)].

(٥٢-٥٣) - ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾: أي: كما أوحينا إلى سائر الأنبياء أوحينا إليك قرآنًا هو حياةٌ مِن موتِ الجَهْل، وقيل: أي: أنزلنا إليكَ جبريلَ، وهو الرُّوحُ الأمينُ، ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾؛ أي: بأمرنا، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ أي: القرآن، ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي شرائعه ومعالمه، ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾: أي: جعَلْنا الوحيَ، وقيل: أي: الكتابَ، ﴿نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾: أي: نُعطِيه صِفةَ الاهتداء، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: أي: تُرشِدُ إلى دين الإسلام، وهو الطريق المستقيم المُفضِي بسالكه إلى مرضاة اللَّه تعالى، ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ملكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾: أي: ترجعُ إليه في الدنيا والآخرة [(٢)].

(انتهى تفسير سورة الشورى).

---

(١) معالم التنزيل (٦/ ٢٥٤)، والتيسير في التفسير (١٣/ ٢٥٧).

(٢) الكشف والبيان (٨/ ٣٢٦)، والوسيط (٤/ ٦١)، وتفسير السمعاني (٥/ ٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥١٥)، والدر المنثور (٦/ ٤٢٨).

(٤٣) سورة الزخرف مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكِّيَّةٌ، سميت سورة الزخرف وكذلك ووجه التسمية أن كلمة ﴿وَزُخْرُفًا﴾ [٣٥] وقعت فيها ولم تقع في غيرها من سور القرآن فعرفوها بهذه الكلمة، وهي معدودة السورة الثانية والستين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة فصلت وقبل سورة الدخان، وهي ثمان وثمانون آيةً، وكلماتُها: ثماني مئة وثلاثون، وحروفُها: ثلاثة آلاف وخمس مئة وعشرون.

أغراضها:

أعظم ما اشتملت عليه هذه السورة من الأغراض: التحدي بإعجاز القرآن لأنه آية صدق الرسول ﷺ فيما جاء به والتنويه به عدة مرات وأنه أوحى الله به لتذكيرهم وتكرير تذكيرهم وإن أعرضوا كما أعرض من قبلهم عن رسلهم. وإذ قد كان باعثهم على الطعن في القرآن تعلقهم بعبادة الأصنام التي نهاهم القرآن عنها كان من أهم أغراض السورة، التعجيب من حالهم إذ جمعوا بين الاعتراف بأن الله خالقهم والمنعم عليهم وخالق المخلوقات كلها وبين اتخاذهم آلهة يعبدونها شركاء لله، حتى إذا انتقض أساس عنادهم اتضح لهم ولغيرهم باطلهم. وجعلوا بنات لله مع اعتقادهم أن البنات أحط قدرًا من الذكور فجمعوا بذلك بين الإشراك والتنقيص. وإبطال عبادة كل ما دون الله على تفاوت درجات المعبودين في الشرف فإنهم سواء في عدم الإلهية للألوهية ولبنوة الله تعالى. وعرج على إبطال حججهم

ومعاذيرهم، وسفه تخيلاتهم وترهاتهم. وذكرهم بأحوال الأمم السابقين مع رسلهم، وأنذرهم بمثل عواقبهم، وحذرهم من الاغترار بإمهال الله وخص بالذكر رسالة إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام. وخص إبراهيم بأنه جعل كلمة التوحيد باقية في جمع من عقبه وتوعد المشركين وأنذرهم بعذاب الآخرة بعد البعث الذي كان إنكارهم وقوعه من مغذيات كفرهم وإعراضهم لاعتقادهم أنهم في مأمن بعد الموت. وقد رتبت هذه الأغراض وتفاريعها على نسج بديع وأسلوب رائع في التقديم والتأخير والأصالة والاستطراد على حسب دواعي المناسبات التي اقتضتها البلاغة، وتجديد نشاط السامع لقبول ما يلقى إليه. وتخلل في خلاله من الحجج والأمثال، والقوارع والترغيب والترهيب شيء عجيب، مع دحض شبه المعاندين بأفانين الإقناع بانحطاط ملة كفرهم وعسف معوج سلوكهم. وأدمج في خلال ذلك ما في دلائل الوحدانية من النعم على الناس والإنذار والتبشير. وقد جرت آيات هذه السورة على أسلوب نسبة الكلام إلى الله تعالى عدا ما قامت القرينة على الإسناد إلى غيره[1]. وانتظامُ أوَّلِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّ خَتْمَ تلك السورة بِذِكْرِ وَحْيِ القرآن، وأنَّ اللَّهَ يهدي به، والرَّسولَ يدعو إليه، وأولَّ هذه السورة في صفة القرآن والقَسَمِ به، وذِكْرِ أُمِّ الكتاب الذي كان القرآن مكتوبًا فيه، وانتظامُ السورتين: أنَّهما في مُخاطبات المشركين ومُحاجَّتهم وترغيبِهم وترهيبِهم، وتسليةِ الرسول الأمين، وتثبيت المؤمنين.

(١ - ٤) - ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾: أي: القرآن

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/١٥٩).

المُظْهِر طَرِيق الْهُدَى وَمَا يُحْتَاج إِلَيْهِ مِنْ الشَّرِيعَة، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: أي: أنزَلْناه بلُغَتِكم معاشرَ العربِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لِتَعقلوه وتفهَموه وتنتفعوا به، ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾: أي: اللَّوحِ المحفوظِ الذي نسَخُ منه الكتبَ، فهو كالأصل لها، ﴿لَدَيْنَا﴾: أي: محفوظٌ عندنا، ﴿لَعَلِيٌّ﴾: أي: عالي القَدْرِ، رفيعُ الشَّأنِ، ﴿حَكِيمٌ﴾: أي: مُحكَمٌ لا اختلافَ فيه، ولا تناقُض، ولا ناسِخَ له، ولا مُعارِض.

(٥) - ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ﴾: أي: أنُمْسِكُ عنكم إنزالَ القرآن، والتَّذكيرَ بالوعد والوعيد ﴿صَفْحًا﴾؛ أي: إعراضًا عن تنبيهكم؟! ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾: بأنْ كنتُم قومًا مُفرِطين في الجهالة، مُجاوِزين الحدَّ في الضلالة[1]؟!

(٦ - ٧) - ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ﴾: أي: وما كان يأتيهم مِن نبيٍّ، ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: كَاسْتِهْزَاءِ قَوْمك بِك وَهَذَا تَسْلِيَة لَهُ ﷺ.

(٨) - ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾: أي: أهلَكْنا مَن كان أقوى مِن هؤلاء المشركين في أبدانهم، وأكثرَ منهم في أتباعهم وأنصارهم، ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: خبَرُ ما نزَلَ بالأولين مِن وقائعِ اللَّهِ تعالى، أي: فليس هؤلاء إلا كأولئك في استحقاق العِقاب.

(٩ - ١٠) - ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾: أي: هؤلاء المُشركين المُسرفين: ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾؛ أي: اللَّهُ المَنيعُ بسُلْطانه فلا

(١) لطائف الإشارات (٣/ ٣٦١)، التيسير في التفسير (١٣/ ٢٦٦).

يُغالَبُ، العليمُ بكل شيء، ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾: أي: موضِعَ قرارٍ، وقيل: مَوْضِعًا مُمَهَّدًا كمَهْد الصَّبِيِّ، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: أي: طُرُقًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: مِن بلد إلى بلد، وقيل: تستدِلُّون بها، فتهتدون إلى الرُّشْد والإسلام.

(١١ -١٢) - ﴿وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: أي: المطر، ﴿بِقَدَرٍ﴾: أي: على قَدْرِ حاجةِ الخَلْق إليه، ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾: أي: فأحيَينا، ﴿بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾: أي: يابسةً مُقْفِرةً مِن النبات، ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: مِن قُبوركم حين تُعادُون أحياءً بعد موتكم، ﴿وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾: يحتملُ أنه أراد به أصنافَ النبات، ويحتملُ أنه أراد به أصنافَ كلِّ الأشياء، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ﴾: أي: السُّفُن ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾؛ أي: الإبلِ وغيرِها ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ في الأسفارِ، والضَّرْبِ في الأمصار؛ لِقضاء الأَوْطار.

(١٣ -١٤) - ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾: أي: لِتَركبوا مُسْتَوِين، ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾: بقُلوبكم، ﴿إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾: أي: إذا ركبتم مستوين، ﴿وَتَقُولُوا﴾: أي: بألسنتكم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾: أي: ذلَّلَهُ وليَّنه لنا، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾: أي: مُطيقِين، ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾: أي: لَراجعون إلى جزائه[١].

(١٥ -١٦) - ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾: أي: ومِن جَهْلِهم أنَّهم مع اعترافِهم أنَّه خالقُ السماوات والأرض يجعلون له مِن خَلْقِه ولَدًا؛ لأنَّ الولدَ جزءٌ مِن الوالد، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾: أي: إنَّ الكافرَ باللَّه الجاهلَ به كفورٌ

(١) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥١٣)، التيسير في التفسير (١٣/ ٢٦٩).

نِعَمِه، ظاهِرُ الكُفْران، مُجاهِرٌ بالشرك، ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾: استفهامٌ بمعنى الإنكار والتَّوبيخ، والمعنى: أتقولون أنَّ اللَّه ولَدَ ولَدًا أم اتَّخَذَ مِن خَلْقِه بناتٍ؟!

﴿وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ﴾: أي: خصَّكم.

(١٧ - ١٨) - ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾: أي: بقِيَ في كلِّ يومه مُتغيِّرَ اللَّونِ، ظاهِرًا عليه أثرُ المُساءةِ والكآبة، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: أي: مَمْلوءٌ غمًّا وغيْظًا، ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ﴾: بضم الياء وتشديد الشين؛ أي: يُرَبَّى، ﴿فِي الْحِلْيَةِ﴾؛ أي: في الزِّينة؛ أي: يُنَفَّقُ مما يُحَلَّى به مِن الذهب والفضة واللُّؤْلُؤ، ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾: أي: المُخاصَمة، ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾: أي: للكلام على وَجْهٍ تقومُ به حُجَّتُه.

(١٩) - ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾: أي: ومن جَهْلِهم أيضًا أنهم جعلوا ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ أي: حضروا، وهو استفهامٌ بمعنى النَّفْيِ، ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾: أي: على الملائكة بالزُّورِ ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾: عنها، فلا يَجِدون مَخْرَجًا عنها، فيُعاقَبون.

(٢٠ - ٢١) - ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾: ادَّعَوا أنَّ اللَّهَ أمرَهم بعبادة الملائكة، وقالوا: لو شاء ألَّا نعبُدَها لنهانا عنها، فإذْ لم يَنْهَنا عنها فقد أمَرَنا بها، وقيل: معناه: لو شاء اللَّه ألَّا نعبُدَهم لمنَعَنا عن عبادتها مَنْعَ قَهْرٍ واضطرارٍ، وإذا لم يفعلْ ذلك فقد أباحَ لنا. ﴿مَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: أي: يَكْذِبون؛ أي: هذا القولُ منهم ليس لهم عليه حُجَّةٌ، وهو جَهْلٌ منهم وكَذِبٌ، ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾ أي القرآن بعبادة غير الله، ﴿فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾:

أي: لم يقع ذلك(١).

(٢٢-٢٣) - ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾: أي: طريقةٍ. وقيل: مِلَّةٍ. وقيل: دِينٍ، يعني: لم يقولوا هذا القولَ عن مُشاهدةٍ، ولا حُجَّةٍ عقليَّةٍ، ولا حُجَّةٍ سمعيَّةٍ، بل تقليدًا لآبائهم الضالين، ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾: راشدون، ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾: أي: في بَلْدةٍ مِن رسول، ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: أي: جبابرتُها ومُتنعِّمُوها مِثْلَ هذا القول، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾: أي: مُتَّبِعون؛ أي: التَّقليدُ لأهل الجهل أمرٌ مُتقادِمٌ(٢).

(٢٤) - ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾: أي: قل يا محمد لهؤلاء المُقَلِّدين: أرأيتم لو جئتُكم بما هو أرشدُ وأقومُ طريقةً مما وجدتُم عليه آباءَكم، وبانَ لكم ذلك، أتُقِيمون على تقليدكم أم تترُكُونه بهذا الاهتداء؟ ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾: هذا تمامُ كلامِ الكفار.

(٢٥-٢٦) - ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: عاقَبْناهم بما استحقُّوه على إصرارهم، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ وأنذِرْ قومَكَ مِثْلَه لِيَرْتَدعوا، ﴿وَإِذْ قَالَ﴾: أي: واذكُرْ إذ قال ﴿إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: بَريءٌ مِن أصنامكم(٣).

(٢٧-٢٨) - ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾: أي: الذي خلَقَني، ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾:

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٦٤٩).

(٢) التيسير في التفسير (١٣/ ٢٧٦).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٧٩٢)، النكت والعيون (٥/ ٢٢١)، والتيسير في التفسير (١٣/ ٢٧٧).

أي: سيُثَبِّتني على الرُّشْد، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ﴾: أي: جعَلَ إبراهيمُ كلمةَ التوحيدِ باقيةً في ولَدِه وولَدِ ولَدِه، فتوارثوا البراءةَ عن الأصنام، والتَّديُّنَ بالإسلام، وتواصَوا به، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي: لِيَرجِعَ المشركون مِن قومهم إلى طاعة ربهم مِن كفرهم وشركهم.

(٢٩ - ٣٠) - ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾:أي: بل أمهلتُ هؤلاء المشركين، ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾: أي: لم أعاجلهم بالعقوبة، ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: أي: القرآن، أو الحق، أو الإسلام، ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾: أي: مظهر لهم الأحكام الشرعية، وهو النبي محمد ﷺ، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ﴾: أي: ولـمَّا جاءَهم القرآنُ قالوا باهِتين: ﴿هَذَا سِحْرٌ﴾، وقالوا مُعانِدين ومُكابِرين: ﴿وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾.

(٣١) - ﴿وَقَالُوا﴾: مُتَحَكِّمين بالباطل: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾: أي: على رجلٍ عظيمِ الرِّياسة بالمال والأتباع مِن هاتين البلْدتينِ: مكَّةَ والطَّائفِ، أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف، والمعنى: كيف خُصَّ محمَّدٌ بهذه الفضيلة التي تُوجِبُ انقيادَ العُظماءِ له مع فَقْره وضَعْفِ حاله في أسباب الدنيا[(١)].

(٣٢) - ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾: أي: النُّبُوَّة، استفهامٌ بمعنى الإنكار والتوبيخ، ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: نحن قسَمْنا أرزاقَهم فيما بينهم وهو أدنى مِن الرسالة، فلم أترُكِ اختيارَها إليهم، فكيف يكون لهم اختيارُ ما هو أفضلُ وأعظم من ذلك، وهو الرسالة؟!، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ

---

(١) جامع البيان (٢٠/ ٥٨٠)، والكشف والبيان (٨/ ٣٣٢)، والنكت والعيون (٥/ ٢٢٣).

﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: فجعَلْنا منهم مالِكًا ومملوكًا، ورئيسًا ومَرْؤوسًا، وصاحِبَ صَنْعَةٍ رئيسةٍ رفيعةٍ وصاحِبَ صنعةٍ خَسيسةٍ، ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾: أي: لِينتفِعَ كلُّ طبَقةٍ منهم بالطَّبَقة الأخرى بأنْ يستعملَه فيما يَحتاجُ إليه بما يتعلَّقُ بصنعته، وينتفِعَ العاملُ بما يأخذُه مِن أجره، فيتعيَّشَ كلُّ واحدٍ منهما بصاحبه، ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: أي: النبوةُ خيرٌ مِن الأموال المجموعة في الدنيا، وقيل: الجنة.

(٣٣) - ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: أي: ولولا أنْ يرغَبَ الناسُ في الكفر إذا رأوا الكفار في سَعَةٍ، ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ﴾: أي: يكفُرُ بنا ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾: أي: لجَعَلْنا لبيوت مَن يكفُرُ بالرحمن، ﴿سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ بفتح السين وتسكين القاف، وهو سماءُ البيتِ، ﴿وَمَعَارِجَ﴾: أي: مراقِيَ ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾: أي: يَعْلُونَ على السُّقوف[1].

(٣٤ - ٣٥) - ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾: أي: وجعَلْنا لبيوتهم أبوابًا مِن فضة ﴿وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾ جمع سرير، وهي من فضة أيضًا، ﴿وَزُخْرُفًا﴾: قيل: ذهبًا، وقيل: زينةً. أي: وجعَلَ لهم تَزْيِيناتٍ تُزَيَّنُ بها البيوتُ مِن الذهب والفضة، وقيل: أي: ثِيابًا وفُرُشًا تُزَيَّنُ بها البيوتُ، ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: وما كلُّ ذلك إلَّا متاعُ الحياة الدنيا، ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: وهو ترغيبٌ في العُقْبى، وترهيبٌ في الدنيا[2].

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٢٥٧)، وجامع البيان (٢٠/ ٥٨٧)، وتفسير الجلالين (١/ ٦٥٠).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤١٢)، معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٠٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٠٣).

(٣٦) - ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾: أي: يُعْرِض عن القرآن، ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾: أي: نُهَيِّئْ، وقيل: أي: نُسَلِّطْ، وقيل: أي: نُقَدِّرْ شيطانًا يُزِلُّه ويُضِلُّه، ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾: فهو معه في الدنيا والآخرة.

(٣٧ - ٣٨) - ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: أي: وإنَّ الشياطين يَصْرِفون المعرضين عن الذِّكْر وعن السبيل المستقيم بالخُدَع، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾: أي: يظنون أنفسهم أنهم على هدىً[1]، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾: هذا المعرض يومَ القيامة، وشيطانه وأدخلا النار، ﴿قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾: أي: قال هذا المعرض: ليتني لم أكنْ صَحِبْتُكَ ولا عرَفْتُكَ، ولا كانت بيني وبينك وُصْلَةٌ ولا تقاربٌ، حتى كنا في التَّباعد كأنَّ أحدَنا بالمشرق والآخرَ بالمغرب، لا يلتقيان ولا يتقاربان، وقيل: هما مَشْرِقُ الشتاء، ومَشْرِقُ الصيف، ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾: كنتَ لي في الدنيا، أضلَلْتَني عن السبيل، وأَوْرَدتَني ونفْسَكَ عذابَ الجحيم.

(٣٩ - ٤٠) - ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ﴾ أيها المعرضون ندمكم وتمنيكم، ﴿الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي: تبين لكم ظلمكم بإشراكِكم في الدنيا، ﴿أَنَّكُمْ﴾، مع قرنائكم فِي﴿الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: أي: مجتمعون[2]، ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: استفهام بمعنى النَّفْي؛ يعني: إنَّكَ يا محمد لستَ بقادرٍ

---

(١) جامع البيان(٢٠/ ٥٩٦)، والنكت والعيون (٥/ ٢٢٥)، وتفسير السمعاني (٥/ ١٠٢)، والبسيط (٢٠/ ٤٣)، وبحر العلوم (٣/ ٢٥٨)، ومعالم التنزيل(٧/ ٢١٣).

(٢) تفسير الجلالين(١/ ٦٥٠)، ولطائف الإشارات (٣/ ٣٦٨).

على أنْ تُسْمِعَ مَن أصمَمْناه، وتُبْصِرَ مَن أعميناه، وتُرْشِدَ مَن أغويناه، آيَسَه عن إيمان قومٍ علِمَ أنهم لا يُؤمنون أبدًا؛ لأنهم في ضلال بين وظاهر.

(٤١ -٤٢) - ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ أي: إنْ ذهَبْنا بكَ عن الدنيا، فإنا ننتقِمُ لكَ ممَّنْ آذاكَ وأساءَ إليكَ وجَفاكَ، ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْنَاهُمْ﴾: أي: عاقَبْناهم في حياتكَ، ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾: قادرون على ذلك وعلى كل شيء.

(٤٣ - ٤٤) - ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾: أي: فتمسَّكْ بالقرآن الذي أُنْزِلَ عليك، والتزِمْ أحكامَه، وادْعُ الناسَ إلى اتِّباعه، ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: أي: طريقٍ سَوِيٍّ يُفْضي بكَ إلى رضا اللَّه وثوابه، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾: أي: وإنَّ هذا القرآنَ لشَرَفٌ لكَ ولقومكَ؛ إذ هو بلسانهم، ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾: عن شكره.

(٤٥) - ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾: أي: لستَ تَدْعوهم إلى دينٍ ابتدَعْتَه، بل به أرسَلْنا رسلَنا، فإنْ لم يُصَدِّقوكَ فاستَشْهِدْ بعلماء أمم الأنبياء مِن أهل الكتاب، فإنهم مع مُخالفتِهم إياكَ يَشْهدون لكَ على أنبيائهم بالموافقة في الدعاء إلى عبادة اللَّه وحدَه وخَلْعِ الأنداد، سوى مَن يشهَدُ على ذلك مِن مُؤمنيهم بكَ. وكان استشهادُ النبي ﷺ بهؤلاء حُجَّةً على المشركين؛ لأنَّهم كانوا يرجِعون إليهم، ويعتمدون على قولهم، فإذا سألهم وقالوا: لم يجعَلِ اللَّهُ تعالى للخَلْق آلهةً يعبدونهم، لزِمَتْهم الحُجَّةُ، ثم السؤالُ يكون لرَفْعِ الإشكال، ولم يكن رسولُ اللَّه ﷺ يشُكُّ في ذلك، وإنما الخِطابُ له والمرادُ

غيرُه[١].

(٤٦ -٤٧) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: أرسَلْناه كما أرسلناكَ، فكذَّبوه كما كذَّبوكَ، فجُعِلَتِ العاقبةُ له، وإنا نجعلُها لكَ، وانتقَمْنا له منهم، ونحن ننتقِمُ مِن هؤلاء لكَ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾: أي: بالمُعجزات مِن عندنا، ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾: استهزاءً وإيهاءً لأتباعهم أنَّ ذلك تمويهٌ.

(٤٨) - ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: أي: وما أَريناهم؛ أي: وما كنا نُريهم مِن معجزةٍ إلَّا هي أعظمُ مِن صاحبَتِها في نَقْضِ العادة، وأكبرُ في الأُعْجُوبة، وأَبْلَغُ في لُزوم الحُجَّة، ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:أي: عن الكفر[٢].

(٤٩) - ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ﴾ أي: يا أيُّها العالِمُ، والساحرُ عندهم مَن بلَغَ في العِلْم نهايتَه، ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: أي: سَلْ لنا ربكَ كَشْفَ العذابِ، ﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾: قيل: هو قسَمٌ؛ أي: بحقِّ ما أرسلَكَ به، وقيل: أي: بما وعدَكَ به مِن إجابة الدَّعْوة، ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾: أي: إنْ أُجِيبَ لنا اهتدَيْنا بالإيمان بكَ[٣].

(٥٠ -٥١) - ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾: أي:

---

(١) التيسير في التفسير (١٣/ ٢٨٩).

(٢) الكشف والبيان (٨/ ٣٣٧)، وجامع البيان (٢٠/ ٦٠٥)، وتأويلات أهل السنة (٩/ ١٧٠)، وبحر العلوم (٣/ ٢٥٩).

(٣) زاد المسير (٤/ ٨٠)، وجامع البيان (٢٠/ ٦١٥).

ينقُضُون عهدَهم بالإيمان؛ أي: كانوا قالوا له: نؤمنُ بكَ، فلم يُؤمنوا، ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ﴾: قيل: خطَبَ، وقيل: نادى في الناس بالاجتماع، فلما اجتمَعوا عنده، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقْرير، أي: إنَّ لي مُلْك مصرَ، أملِكُ أهلَها وأُصَرِّفُهم على ما أشاءُ مِن حُكْمي، وهذه الأنهار -أي: نيلُ مصرَ وسائرُ الأنهار المُتَشَعِّبَة منه- تجري مِن تحتي، فمصرُ على عِظَمِها كالبُسْتان لي، أفلا ترون ما ذكرتُه لكم؟! فكيف تنحرِفون عني إلى موسى وهو لا يملِكُ شيئًا؟!

(٥٢) - ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾: قيل: أي: بل أنا خيرٌ، وقيل: تقديرُه: أهذا خيرٌ أم أنا خيرٌ مِن هذا؟! ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: أم تُبْصِرون وتعلَمون أني خيرٌ مِن هذا؟! يعني: موسى، ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾ أي: ضعيفٌ، وقيل: فقيرٌ، وقيل: يَمْتَهِنُ نفْسَه في حوائجه، ليس له مَن يَكْفِيه، ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: أي: لا يُبِينُ عن نفْسِه ما يُريدُ بكلامه.

(٥٣) - ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾: أي: فهلَّا ألقى إليه ربُّه أساورةً مِن ذهب، ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: أو هلَّا ضَمَّ إليه ملائكةً، فيكونون معه مُتَتابِعِين؛ كالمِلك يضُمُّ إلى رسوله أتباعًا يتكثَّرُ بهم ويتجمَّلُ، ويُصَرِّفُهم في أوامره ونواهيه.

(٥٤) - ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾: أي: عمِلَ هذا التَّمْويه في قومه فأطاعوه، والاستخفافُ: الحَمْلُ على الخِفَّة؛ أي: حَمَلَهم بتَمْويهِه على أنْ خَفُّوا لأمره غيرَ مُسْتَثْقِلين له، ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾؛ أي: في تكذيب موسى ومُخالفته، وجَمْعِ الجُموع

لِمحاربته، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: خارِجين عن طاعة اللَّه تعالى، مُتَمَرِّدين عليه مُجاهِرين بمعاصيه.

(٥٥ -٥٦) - ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾: أي: أغضَبونا بهذا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾؛ أي: عاقَبْناهم ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ في البحر، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾: مُتَقَدِّمين إلى النار، ﴿وَمَثَلًا﴾: أي: عِبْرَةً، ﴿لِلْآخِرِينَ﴾أي: سلَفًا للآخِرين إذا ماتوا، ومَثَلًا لهم قَبْلَ أنْ يموتوا[1].

(٥٧) - ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ أي: جعل ﴿ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أي: ولمَّا ذُكر عيسى ابن مريم في القرآن وضُرب المثلُ بالآلهة التي عُبدت من دون الله إذا مشركو قريش يضجون وترتفع أصواتُهم بالصياح وذلك حِين نَزَلَ قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[الأنبياء:٩٨] فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ رَضِينَا أَنْ تَكُون آلِهتنَا مَعَ عِيسَى لِأَنَّهُ عُبِدَ مِنْ دُون الله ﴿إِذَا قَوْمك﴾أَيْ الْمُشْرِكُونَ ﴿مِنْهُ﴾ مِنْ الْمَثَل ﴿يَصِدُّونَ﴾يَضْحَكُونَ فَرَحًا بِمَا سَمِعُوا[2].

(٥٨) - ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾: أي: الملائكةُ الذين نعبُدهم ﴿أَمْ هُوَ﴾: يَعْنون عيسى ابنَ مريمَ عَلَيْهِ‌السَّلَامُ، وهو استفهامٌ بمعنى التَّقْرير منهم، ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾: أي: لم يضرِبوا لكَ هذا المَثَلَ إلا إظهارًا للغلَبة في المُجادلة دون طلَبِ الحقِّ بالمُباحثة، وليسوا بأهل الجدَلِ في هذا وحدَه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾:

---

(١) معالم التنزيل (٧/ ٢١٦)، والمحرر الوجيز (٥/ ٩٥).

(٢) تفسير الجلالين(١/٦٥٣)، وتفسير مقاتل (٣/ ٧٩٨)، وأسباب النزول للواحدي (١/ ٣٧٦).

مُجادِلون في كل شيء.

(٥٩ - ٦٠) - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾: أي: ما عيسى إلَّا عبدٌ أكرَمْناه بالنُّبوَّةِ، ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي: عِبْرةً وآيةً يُتَمَثَّلُ بها في الاستدلال على قُدْرة اللَّه تعالى، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أي: بدَلَكم، ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾: يخلُفُونكم.

(٦١ - ٦٢) - ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾: قيل: إنَّ محمدًا يُعْلَمُ به قيامُ الساعة؛ لأنَّه نبيُّ آخرِ الزَّمان، وقيل: إن عيسى إذا نزل من السماء يعلم به قيامُ الساعةِ، ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: أي: لا تَشُكُّنَّ في قيام الساعة، ﴿وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: يعني: الإسلامَ، ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾: أي: عن الحقِّ بإيراد هذه الشُّبَه، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهِرُ العَداوة.

(٦٣ - ٦٤) - ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى﴾: بني إسرائيلَ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: قيل: أي: بالمُعْجِزات، كما قال: الآية ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ﴾ الآية [آل عمران: ٤٩]، وقيل: أي: بأحكام الإنجيل، ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾: أي: بوَضْعِ الأمور مَواضِعَها ﴿ولأبين لكم﴾: وجئتكم لأُبيِّنَ لكم ﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: قيل: كانوا يختلفون في أمور الدنيا والدِّين، فقال: أُبَيِّنُ لكم أمورَ الدِّين، وهي بعضُ تلك الأمورِ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: أي: وحِّدُوه وأطيعُوه، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: أي: طريق واضح.

(٦٥ - ٦٧) - ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾: في عِيسَى أَهُوَ الله أو ابن اللَّه

أَوْ ثَالِث ثَلَاثَة؟، ﴿فَوَيْلٌ﴾: كَلِمَة عَذَاب ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كَفَرُوا بِمَا قَالُوهُ فِي عِيسَى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾أي: مُؤْلِم، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾: أي: ما ينتظِرُ هؤلاء الأحزابُ إلا القيامةَ أنْ تأتيَهم بَغْتةً؛ أي: فُجاءةً، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: فيَقْضي بينهم فيما اختلَفوا فيه، ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أي: أعداءٌ يتبَرَّأُ بعضُهم مِن بعض، ويلعَنُ بعضُهم بعضًا، وهم المُتَحَزِّبون على الباطل، ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾: أي: إلا الذين تخالُّوا على تقوى اللَّه، وإظهارِ دين اللَّه.

(٦٨ - ٧٠) - ﴿يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾: أي: يقولُ اللَّهُ تعالى هذا للمتقين، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾: أي: صدَّقوا بالقرآن، وكانوا مُسْتَسْلِمين للَّه تعالى، مُنْقادِين للَّه، مُسْلِمين أنفسَهم لحُكْمِه، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾: لِيَجْتَمِعَ شَمْلُكم ﴿تُحْبَرُونَ﴾: أي: تُسَرُّون وتكرمون.

(٧١) - ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾: أي: قِصاعٍ، جَمْعُ: صَحْفَةٍ، ﴿وَأَكْوَابٍ﴾: أي: أَبارِيقَ لا عُرَى لها، واحدُها: كُوبٌ، وفي الصِّحافِ الأطعمةُ، وفي الأكوابِ الأشربةُ، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾: قرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾أي: تلذذًا، ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾أي: نظرًا، ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا تموتون فيها، ولا تُخْرَجون منها[١].

(٧٢ - ٧٦) - ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ

---

(١) التيسير في التفسير (١٣/ ٣٠٣)، وتفسير الجلالين (١/ ٦٥٤).

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: هذا كلُّه لأولياء اللَّه تعالى، ثم ذكَرَ حالَ الأعداءِ، فقال: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾: أي: المشركين الذين اكتَسَبوا سَخَطَ اللَّهِ تعالى ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: أي: لا يُخَفَّفُ عنهم ذلك العذابُ ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾: أي: في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾: أي: آيسون، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾: أنفسَهم بإيرادها مَوْرِدَ الهلاكِ والخَسَارِ.

(٧٧ - ٧٨) - ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: أي: ولما أَيِسُوا مِن فُتور العذاب عنهم نادوا مالكًا، وهو خازنُ النارِ، وقالوا: لِيُمِتْنا ربُّكَ، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾: أي: إنكم في العذاب أبدًا لابِثون، يُجيبُهم بهذا بعد ألف سنةٍ، ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾: أي: لقد أورَدْنا عليكم الحُجَجَ، فأخبَرْناكم بما أنتم صائرون إليه يوم القيامة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾: مُسْتَثْقِلون للنَّظَرِ والتأمُّلِ فيها، هذا وصفُ أكثرِهم، والباقون مُقَلِّدون لهم[(١)].

(٧٩ - ٨٠) - ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: أي: أبرَمَ هؤلاء الذين هُم للحق كارهون أَمْرًا يُقَدِّرون به أنهم يَكيدون الحقَّ فيُبْطِلونه بالجدَل، فإنا مُبْرِمون أَمْرَنا في إبطال كيدهم لإظهار الحق، أم أبرَموا تدبيرًا في ردِّ ما نريدُ إنزالَه بهم مِن العذاب؟! فإنا مُبْرِمون أمرَنا في إنزاله بهم على وجهٍ لا يُمكنُهم رَدُّه، والإبرامُ: الإِحْكامُ، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾: ﴿سِرَّهُمْ﴾: هو ما أسَرُّوه في أنفسهم مِن تدبير ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: وهو ما تشاوروا فيه فيما بينهم مما يُخْفُونه عن غيرهم، ﴿بَلَى﴾: أي: ليس كما يتوهَّمون، بل نسمَعُ كلَّ ذلك ونعلَمُه، ﴿وَرُسُلُنَا﴾:

---

(١) الوسيط (٤/ ٨١) غرائب التفسير للكرماني (٢/ ١٠٦٧).

أي: الحفَظَةُ ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾: ما يكون منهم.

(٨١) - ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾، المعنى: إنْ كان للرحمن ولدٌ على زعمكم، فأنا أول الآنِفين مِن هذا الكلام أنْ يُقال: إنَّ للَّه ولدًا على زعمكم(١).

(٨٢ - ٨٣) - ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي: تنزيهًا للَّه تعالى مِن قول هؤلاء، ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: أي: فدَعْهم -يا محمد- وخَوْضَهم في الباطل، ولَعِبَهم في الدِّين بالجدال بما لا حقيقةَ له، واشتغالَهم بالدنيا التي هي لعِبٌ، حتى يجيئوا يوم القيامة فيَلْقَوا ما يوعدون فيه.

(٨٤ - ٨٥) - ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾: أي: وهو المُسْتحِقُّ للعِبادة في السماء، لا مُسْتَحِقَّ لها في السماء غيرُه، ولا أحدَ يستحقُّ صفةَ الإلهيَّةِ سواه، فلا ولدَ له في السماء ولا شريكَ، وهو في الأرض إلهٌ، ولا ولدَ له في الأرض ولا شريك له، وهو إبطالُ قولِ القائلين بأنَّ الملائكةَ في السماء بناتُه، والمسيحَ في الأرض ابنُه، وإبطالُ قولِ عبَدَةِ الشمس والقمر والنجوم، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: في أقواله وأفعاله ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما كان، وما يكون، وما لم يكن، ﴿وَتَبَارَكَ﴾ أي: وتعظم، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: هذه صفات كلها تتنافى مع إثبات ولد لله كعيسى.

(٨٦) - ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ

(١) بحر العلوم (٣/ ٢٦٥)، وجامع البيان (٢٠/ ٦٥٦) والكشف والبيان (٨/ ٣٤٦).

﴿بِالْحَقِّ﴾: أي: هؤلاء يعبُدون الشياطينَ والجنَّ، ويقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ولا شفاعةَ إلا لِمَن شهِدَ بالحق بكلمة التوحيد، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي: يعتقدون ذلك عن عِلْمٍ.

(٨٧ - ٨٩) - ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: أي: ولئن سألْتَ هؤلاء المشركين: مَن خلَقَهم؟ لأقروا أنَّ اللَّهَ تعالى خلَقَهم، لا الملائكةَ ولا الأصنامَ، ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: أي: فكيف ومن أين يُصْرَفون عن التوحيد مع هذا الإقرار؟!، ﴿وَقِيلِهِ يَارَبِّ﴾: أي: وعنده عِلْمُ قيلِه، وقيل: على إضمار الفعل؛ أي: وقال الرسولُ قِيلَه: يا رب، ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: شكا إلى اللَّه تعالى تَرْكَهم الإيمانَ، فقال اللَّهُ له: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾: أي: فأعرِضْ عن مُؤاخذتهم بسُوء أفعالِهم، ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾: أي: سلامة لكم عن قتالي إلى أنْ أومَرَ به، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: عاقبةَ أمرِهم[1].

(انتهى تفسير سورة الزخرف).

---

(١) التيسير في التفسير ١٣/ ٣١١).

(٤٤) سورة الدخان مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه سورةٌ مكِّيَّةٌ، سميت في المصاحف وفي كتب السنة سورة الدخان، ووجه تسميتها بالدخان وقوع لفظ الدخان فيها المراد به آية من آيات الله أيد الله بها رسوله ﷺ فلذلك سميت به اهتماما بشأنه، وهي السورة الثالثة والستون في عد نزول السور في قول جابر بن زيد، نزلت بعد سورة الزخرف وقبل سورة الجاثية في مكانها هذا، وهي تسعٌ وخمسون آيةً. وقيل: سبعٌ وخمسون، والاختلافُ في: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾، ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾، ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾، وكلماتُها: ثلاثُ مئةٍ وستٌّ وأربعون، وحروفُها: ألفٌ وأربعُ مئةٍ وتسعةٌ وثلاثون.

أغراضها:

أشبه افتتاح هذه السورة فاتحة سورة الزخرف من التنويه بشأن القرآن وشرفه وشرف وقت ابتداء نزوله ليكون ذلك مؤذنًا أنه من عند الله ودالًا على رسالة محمد ﷺ، وليتخلص منه إلى أن المعرضين عن تدبر القرآن ألهاهم الاستهزاء واللمز عن التدبر فحق عليهم دعاء الرسول بعذاب الجوع، إيقاظًا لبصائرهم بالأدلة الحسية حين لم تنجع فيهم الدلائل العقلية، ليعلموا أن إجابة الله دعاء رسوله ﷺ دليل على أنه أرسله ليبلغ عنه مراده. فأنذرهم بعذاب يحل بهم علاوة على ما دعا به الرسول ﷺ تأييدًا من الله له بما هو زائد على مطلبه. وضرب لهم مثلًا بأمم أمثالهم عصوا رسل الله إليهم فحل بهم من العقاب ما من شأنه أن يكون عظة لهؤلاء،

تفصيلًا بقوم فرعون مع موسى ومؤمني قومه، ودون التفصيل بقوم تبع، وإجمالًا وتعميمًا بالذين من قبل هؤلاء.

وإذ كان إنكار البعث وإحالته من أكبر الأسباب التي أغرتهم على إهمال التدبر في مراد الله تعالى انتقل الكلام إلى إثباته والتعريف بما يعقبه من عقوبة المعاندين ومثوبة المؤمنين ترهيبًا وترغيبًا. وأدمج فيها فضل الليلة التي أنزل فيها القرآن، أي ابتدئ إنزاله وهي ليلة القدر. وأدمج في خلال ذلك ما جرت إليه المناسبات من دلائل الوحدانية وتأييد الله من آمنوا بالرسل، ومن إثبات البعث. وختمت بالشد على قلب الرسول ﷺ بانتظار النصر وانتظار الكافرين القهر(١).

وانتظامُ أوَّلِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّ قوله: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ وعيدٌ، و﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أيضًا وعيدٌ وتهديدٌ، وانتظامُ السورتين: أنَّهما في مُحاجَّةِ المشركين ووعيدِهم، ومَدْحِ المؤمنين ومَواعيدهم.

(١ - ٣) - ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده، ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: الْقُرْآنِ ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ الْمُظْهِرِ الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾: أي: أنزَلْنا هذا الكتابَ ﴿فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾: هي ليلةُ القَدْرِ، وهي أعظم الليالي قَدْرًا، وخيرٌ مِن ألفِ شهر نصًّا، وفيها نزولُ الخيرات والبركات، وتَضاعُفُ أجورِ الطاعات، وقضاءُ الحاجات، ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾: أي: مُخَوِّفين بالكتابِ والرسولِ الخَلْقَ بالعذاب؛ رَدْعًا عن الكفر والمعصية، وشَوْقًا إلى الإيمان والطاعة(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٧٥).

(٢) جامع البيان (٢١/ ٥ - ٦)، وزاد المسير (٤/ ٨٧).

(٤-٧) - ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾: أي: في هذه الليلة يُبَيَّنُ ويُفَصَّلُ ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: مُحْكَمٍ في قِسْمة الآجال والأرزاق والأحوال المُتَصَرِّفة بالخَلْق، ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾: أي: يُفرَقُ بأمرٍ منا، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: قيل: أي: الملائكةَ في تلك الليلة إلى الأرض؛ للسلام على المؤمنين، ولإيصال الكرامات إلى المُسْتَحِقِّين، ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: إنما نُرسِلُهم رحمةً منا للخَلْق، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: أي: السَّامعُ أقوالَهم، العالِمُ ضمائرَهم وأحوالَهم، ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾: أي: فوحِّدُوه بأنه ربُّ السماوات والأرض، فإنَّ الإيقانَ بذلك يُوجِبُ الإيمانَ.

(٨ - ١٠) - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: أي: يُحييهم بعد أنْ كانوا أمواتًا، ثم يُميتهم عند انقضاء آجالهم، وإذا قَدِرَ على هذا قَدِرَ على إحيائهم وبَعْثهم بعد موتهم، ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: المالكُ والمُصَرِّفُ والمُدَبِّرُ للكل، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾: أي: ليسو بمُوقنين، بل هُم مُقَلِّدون شاكُّون، ﴿يَلْعَبُونَ﴾: في دينهم، يَدينون بما لا دليلَ على صِحَّته، ولا يتأمَّلون في عاقبته؛ كالصَّبيِّ يلعبُ فيفعل ما لا يَدري كيف عاقبتُه، ولعلَّه يُؤَدِّيه إلى مكروه، ﴿فَارْتَقِبْ﴾: أي: فانتظِرْ يا محمد نزولَ هذا العذابِ، فإنه كائن، ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ الدُّخانُ: الظُّلْمةُ التي كانت تغشى أبصارَ المشركين مِن قريش لشدَّةِ الجوع حين دعا عليهم النبي ﷺ، فقال: "اللّهم اجعلْ سِنينَ كسِنِي يوسف"(١).

(١١-١٢) - ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾: أي: يَلْبَسُهم ويَعُمُّهم، ﴿هَذَا عَذَابٌ

(١) رواه البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨).

﴿أَلِيمٌ﴾: أي: قرُبَ منكم هذا العذابُ الوجيعُ؛ كما يُقالُ: هذا الشتاء؛ أي: قرُبَ مجيئُه، ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ﴾: أي: يقول هؤلاء عند نزول العذاب: يا ربَّنا اكشِفْ عنا، ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: أي: نُؤمِنُ إنْ كشَفْتَه عنا، وقيل: أي: نحن مُصَدِّقون في الحال أنَّكَ القادرُ على كَشْفِه، وعلى كَشْفِ كلِّ شيء، ولا يكشِفُ مِثْلَه إلا أنتَ.

(١٣-١٦) - ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾: أي: مِن أين لهم أنْ يتذَكَّروا؟! وكيف يتذكَّرون ولم يتذكَّروا بالرسول الذي جاءَهم؟! وهو قولُه: ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾: أي: محمد ﷺ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: أي: أَعْرَضوا عن تصديقه ومُتابعته، ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾: علَّمَتْه الشياطينُ ما يقول أنه قرآنٌ مُنَزَّلٌ مِن اللَّه تعالى؛ كما تعلِّمُ الكَهَنَةَ، ﴿مَجْنُونٌ﴾: لا عَقْلَ له، فإذا لم يتَّعِظوا بالقرآن، وبما كان مِن رسول اللَّه تعالى مِن البَيان والبُرْهان، فكيف بالدُّخان[1]؟!، ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾: أي: بعضَ هذا العذابِ نمتَحِنُهم بالشكر والوفاء بالعَهْد، أو: نكشِفُه مدةً قليلةً، ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾: أي: تَعودون إلى الكفر الذي كنتم فيه، ثم قال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ أي: يوم نأخُذُكم الأَخْذَةَ العُظْمى؛ أي: بعذابٍ هو أكبرُ مِن الأول.

(١٧-٢٠) - ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: أي: امتَحَنَّا بالإيمان والطاعة قَبْلَ هؤلاء المشركين قومَ فرعونَ، ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾: على اللَّه، قد اصطفاه لرسالته، ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾: أي: بأنْ أدُّوا؛ أي: أرسِلوا بني إسرائيل، فإنهم عبادُ اللَّهِ لا عبادُكم، فلا تستعبِدوهم، ولا تُسَخِّروهم، ولا تَمْتَهِنُوهم

---

(١) التيسير في التفسير (١٣/ ٣٢١).

في الأعمال الخَسيسة، وقيل: أدُّوا حقَّ اللَّهِ يا عبادَ اللَّهِ، نصبٌ على النداء، ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: مُؤتَمَنٌ غيرُ مُتَّهمٍ في النُّصح لكم، ﴿وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾: أي: لا تترفَّعوا عن طاعة اللَّه، وطاعةِ مَن ألزَمَكُم طاعتَه، ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: أي: حُجَّةٍ بيِّنةٍ على ما أدَّعِيه، ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾: أي: تقتُلوني بالحجارة، وكانوا اعتادوا ذلك فيمَن أرادوا إهلاكَه، وقيل: أي: تشتِموني.

(٢١ - ٢٣) - ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾: أي: إنْ لم تُصَدِّقوني فيما أقولُ ففارِقوني وكونوا بمَعْزِلٍ مني إلى أنْ يحكُمَ اللَّهُ بيننا، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾: أي: مُشرِكون مُصِرُّون على الكفر، لم يُرْسِلوا بني إسرائيل، وعلَوا على اللَّه، ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾: أي: فدعا ربَّه بالنُّصْرة والنَّجاة، فأجَبْنا دعاءَه، وقلنا له: اذهبْ ببني إسرائيل الذين آمنوا بكَ ليلًا، ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾: أي: يتَّبِعُكم فرعونُ وقومُه، فاجعلوا ذلك ليلًا؛ لِيكونَ أَهْوَلَ عليهم، وأشغلَ عن الاستعداد، وأبطأَ للَّحاقِ[1].

(٢٤-٢٩) - ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي: ساكنًا، وقيل: الرَّهْوُ: الواسعُ المُنفَرِجُ؛ أي: اترُكْه كذلك، ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ فاطمأن بذلك فأغرقوا، ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾: أي: ففعَلَ، ودخلَ البحرَ فرعونُ وقومُه، فأُغرِقوا، وترَكوا بساتينَ كثيرةً فيها أشجارٌ مُظِلَّةٌ وعيونٌ نابِعةٌ بالمياه، ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ أي: مجلس حسن وقيل: محافل الاجتماعاتِ للتدبُّرِ في الأمور

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٣٢)، والمحرر الوجيز (٥/ ٧١).

والتَّشاوُرِ فيها، وهو كقوله: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾: أي: تَنَعُّمٍ في عيش كانوا يتقلَّبُون فيه لاعِبين لاهِين، ﴿كَذَلِكَ﴾: أي: كذلك كان أمرُهم، ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾: هم بنو إسرائيلَ؛ أي: نقَلْناها إليهم بعدَهم نَقْلَ الميراثِ، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء، وكان الكبيرُ في العرب إذا مات قالوا: بكَتْ له السماءُ والأرضُ، يَعْنون به أنَّ المصيبة به عمَّتِ الخَلْقَ، فبكى له الكلُّ؛ أي: لو جازَ أنْ يوجدَ مِن السماء والأرض بُكاءٌ على ميِّتٍ لَوُجِدَ منهما عليه، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾: أي: مُمْهَلِين بعد حُلول وقتِ هلاكِهم(١).

(٣٠ - ٣١) - ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ﴾: وهو استعبادُ فرعونَ وقومِه إياهم، واستعمالُهم في الأعمال الخَسيسة، وذَبْحُ الأبناءِ، واسترقاقُ البناتِ، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا﴾: أي: مُتَغَلِّبًا قاهرًا للعباد، ﴿مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: أي: المُجاوزين حدودَ اللَّهِ، المُفْرِطين في معاصيه.

(٣٢) - ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾: أي: بني إسرائيلَ، ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾: أي: على عِلْمِنا بصلاحهم لذلك، وقيامِهم بشكره، ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي: على عالَمِي زمانِهم، بأنْ جعَلْنا فيهم الكتابَ والحِكْمةَ والنبوةَ والمُلْكَ، وقيل: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾؛ أي: على عِلْمٍ آتيناهم وأحوَجْنا إليهم غيرَهم.

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٠٨)، والنكت والعيون" (٥/ ٢٥٠)، والتيسير في التفسير (١٣/ ٣٢٧).

(٣٣ - ٣٥) - ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾: أي: أعطينا بني إسرائيلَ مِن العلاماتِ الدالَّةِ على إنعامي عليهم، مِثْلَ فلَقِ البحر، وتَظْليلِ الغَمام، وإنزالِ المنِّ والسَّلْوى ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾؛ أي: ما يُعْلَمُ به إنعامي عليهم ظاهرًا، ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾: أي: إنَّ هؤلاء المشركين ﴿لَيَقُولُونَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾؛ أي: لا موتَ سوى موتتِنا الواحدةِ التي يموتُها الناس، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾: أي: بمبعوثين بعدها[١].

(٣٦-٣٧) - ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾: أي: فادْعوا ربَّكم يُحْيِهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنَّ بَعْدَ الموتِ حياةً؛ لِنَعرِفَ ذلك بالمشاهدة، ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: ليس قُرَيشٌ بأقوى وأكثرَ عُدَّةً مِن قوم تُبَّعٍ والمُتقدِّمين، وقد أهلَكْناهم بجُرْمِهم، وهؤلاء مُجرمون أيضًا، فنفعلُ بهم كذلك، وتُبَّعٌ: مَلِكُ اليَمَنِ، وإنما ذُكِرَ قومُ تُبَّعٍ؛ لأنَّهم أقربُ إلى أهل مكة في الهلاك مِن غيرهم، وسُمِّيَ تُبَّعًا لكَثْرة أتباعِه، وتُبَّعٌ ليس باسم الملِكِ خاصًّا، بل هو اسمٌ لملِكِ اليمن؛ ككِسْرى لفارسَ، وقَيْصَرَ للرُّوم، والنَّجاشيِّ للحَبَشة، والخاقان للتُّرْك[٢].

(٣٨-٣٩) - ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾: أي: عابِثين لغير شيء، ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: قيل: أي: بأمرٍ هو حَقٌّ، وقيل: أي:

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ٣٥٣)، والوسيط (٤/ ٩٠)، ومعالم التنزيل (٧/ ٢٣٢).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٤٢)، والبسيط (٢٠/ ١١٥)، مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٠٩).

للحقِّ، وهو ما يتصرَّفُ في عباده، فهو حقٌّ، وقيل: أي: للعِبْرة، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا ينتفعون بعلومهم، وقيل: أي: لا يتأمَّلون فيَعْلَموا، وقيل: أكثرُهم مُقَلِّدون بغير علم، وأقلُّهم عالِمون مُعانِدون.

(٤٠-٤٢) - ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي: إنَّ يومَ القيامة وقتُ جَمْعِ كلِّ هؤلاء للحِساب والجزاء، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا﴾: أي: لا ينفَعُ قريبًا قريبٌ، ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾: أي: لا يُمْنَعون مِن عذاب اللَّه تعالى، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾: أي: إلَّا المؤمنون الذين رَحِمَهم اللَّهُ، فإنهم يَشفعون للمُذنبين، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾: أي: المنيع فلا يُغالَبُ إذا أنزَلَ العذابَ بأعدائه، الرحيمُ فلا يَمْنَعُ رحمتَه مِن أوليائه.

(٤٣-٤٦) - ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾: أي: الكافرِ المُرْتكِب للمَآثم، ﴿كَالْمُهْلِ﴾: هو ما يُذابُ بالنار؛ كالفضة والرَّصاص ونحوِهما، وسُمِّيَ به لأنَّهُ يُمْهَلُ في النار حتى يذوبَ، ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾: أي: الماءِ الحارِّ الذي انتهى حَرُّه، أي: الزَّقُّومُ يَغْلي في بطن الكافر غَلَيانَ الماءِ الحارِّ بالنار.

(٤٧) - ﴿خُذُوهُ﴾: أي: يُقال للزَّبانية: خُذوه ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾: قيل: سُوقُوه وادْفَعُوه، والعَتْلُ: زَعْزَعَةُ البدنِ بالجَفاء والغِلْظة للإهانة، ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: أي: وسَطِها.

(٤٨-٤٩) - ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾: فالحَميمُ يأخذُ جميعَ خارجِ بدَنِه، والزَّقُّومُ جميعَ باطِنِه، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾: يقولون له: ذُقْ هذا العذابَ، فما دفعَ العذابَ عنك عِزُّكَ في نفْسِكَ، وكرَمُكَ على قومك،

وقيل: معناه: إنَّكَ أنتَ المُتَعَزِّزُ المُتكَرِّمُ[١].

(٥٠-٥١) - ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾: أي: تشكُّون فيه، وقيل: أي: تُجادلون في دَفْعه، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾: ذكَرَ حالَ المؤمنين بعد ذِكْرِ حالِ الكافرين؛ أي: إنَّ الذين اتَّقَوا الشركَ والمعاصيَ في مقام، ﴿أَمِينٍ﴾: ذي أَمْنٍ يَأمنون فيه الخوفَ والحُزْنَ والآفةَ والعِلَّةَ والمكارهَ.

(٥٢ - ٥٤) - ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي: بساتينِ نُزْهَةٍ، وعُيونٍ جاريةٍ، ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: مما رَقَّ مِن الدِّيباج وما غلُظَ منه ظِهارةً وبِطانةً، لُبْسًا وافتراشًا، ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾: أي: مُتواجِهين في المجالس، وهو أتَمُّ للأُنْس، ﴿كَذَلِكَ﴾: أي: كذا يكون أمْرُهم في الجنة، ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾: أي: نَقْرنُهم، ﴿بِحُورٍ﴾: جَمْعُ حَوْراء، وهي الشديدةُ سَوادِ العينِ والشَّديدةُ بياضِها، ﴿عِينٍ﴾: جَمْعُ عَيْناء، وهي الواسعةُ العَين.

(٥٥ - ٥٦) - ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾: أي: يتحَكَّمُون في الجنة، ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾: ويأمُرون بإحْضارها، ﴿آمِنِينَ﴾: أي: مِن انقطاعها، وقيل: أي: مِن أنْ ينالَهم بأَكْلِها أذًى أو مكروهٌ، وقيل: ﴿آمِنِينَ﴾ مِن كل خَوْفٍ، وقيل: ﴿آمِنِينَ﴾ مِن عذاب أهل النار، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾: أي: في الجنة ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾: قيل: أي: سِوى المَوْتَةِ التي كانت في الدنيا عند انقضاءِ آجالِهم، ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾: أي: حَفِظَهم عما فيه أهلُ النار مِن العذاب[٢].

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٢٧٣)، وجامع البيان (٢١/ ٥٥)، التيسير في التفسير (١٣/ ٣٣٦).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٤٤).

(٥٧ - ٥٩) - ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: تَفَضُّلًا عليهم مِن غير استحقاقٍ لأحدٍ، فإنَّ العبدَ لا يستحِقُّ على اللَّه شيئًا، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: أي: الظَّفَرُ العظيمُ بكل محبوبٍ، والخَلاصُ العظيمُ مِن كل مكروهٍ. ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾: أي: يَسَّرْناهُ على لسانك، فتقرَؤُه مِن غير كتابةٍ ولا نظَرٍ في مكتوبٍ، وقيل: أي: أنزَلْناهُ مُيَسَّرًا بلسانكَ ولسانِ قومكَ، وهو العربيَّةُ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: لِيَتَذَكَّروا ويَتَّعِظوا به ويفهموا معانِيَه، ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾: أي: فانتظِرْ ما وعَدْناكَ مِن النَّصْرِ والظَّفَرِ والعُلُوِّ في الدنيا والآخرة، فإنهم مُنْتَظِرون ما أَوْعَدْناهم به مِن العذاب في الدنيا والآخرة؛ أي: صائرون إلى ذلك وإنْ لم يعتقِدوه فيَنتظِروه[١].

(انتهى تفسير سورة الدخان).

(١) التيسير في التفسير (١٣/ ٣٤٣).

(٤٥) سورة الجاثية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هي سورة مَكِّيَّةٌ، سميت هذه السورة في كثير من المصاحف سورة الجاثية، وتسمى حم الجاثية لوقوع لفظ جاثية فيها ولم يقع في موضع آخر من القرآن، وتسمى سورة شريعة لوقوع لفظ شريعة فيها ولم يقع في موضع آخر من القرآن. وتسمى سورة الدهر لوقوع لفظ الدهر فيها ولم يقع في ذوات حم الأخر، وهي السورة الرابعة والستون في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة الدخان وقبل الأحقاف وآياتها سبعٌ وثلاثون، وكلماتُها: أربعُ مئةٍ وثمانٍ وثمانون، وحروفُها: ألفان واثنان وثلاثون.

أغراضها:

الابتداء بالتحدي بإعجاز القرآن وأنه جاء بالحق، وإثبات انفراد الله تعالى بالإلهية بدلائل ما في السماوات والأرض من آثار خلقه وقدرته في جواهر الموجودات وأعراضها وإدماج ما فيها مع ذلك من نعم يحق على الناس شكرها لا كفرها. ووعيد الذين كذبوا على الله والتزموا الآثام بالإصرار على الكفر والإعراض عن النظر في آيات القرآن والاستهزاء بها. والتنديد على المشركين إذ اتخذوا آلهة على حسب أهوائهم وإذ جحدوا البعث، وتهديدهم بالخسران يوم البعث، ووصف أهوال ذلك، وما أعد فيه من العذاب للمشركين ومن رحمة للمؤمنين. ودعاء المسلمين للإعراض عن إساءة الكفار لهم والوعد بأن الله

سيخزي المشركين. ووصف بعض أحوال يوم الجزاء. ونظر الذين أهملوا النظر في آيات الله مع تبيانها وخالفوا على رسولهم ﷺ فيما فيه صلاحهم بحال بني إسرائيل في اختلافهم في كتابهم بعد أن جاءهم العلم وبعد أن اتبعوه فما ظنك بمن خالف آيات الله من أول وهلة تحذيرًا لهم من أن يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل من تسليط الأمم عليهم وذلك تحذير بليغ. وذلك تثبيت للرسول ﷺ بأن شأن شرعه مع قومه كشأن شريعة موسى لا تسلم من مخالف، وأن ذلك لا يقدح فيها ولا في الذي جاء بها، وأن لا يعبأ بالمعاندين ولا بكثرتهم إذ لا وزن لهم عند الله[١]، وانتظامُ افتتاحِ هذه باختتام تلك: أنها في ذِكْرِ القرآن، وانتظامُ السورتين: أنهما في ذِكْرِ أهل الكفر وأهل الإيمان.

(١ - ٢) - ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: القرآن، ﴿الْعَزِيزِ﴾: المنيعِ بجلاله ﴿الْحَكِيمِ﴾: المُصيبِ في أقواله وأفعاله.

(٣ - ٥) - ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهما، ﴿لَآيَاتٍ﴾ دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: الصادقين، ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خلق كل منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن صار إنسانًا، ﴿وَمَا يَبُثُّ﴾؛ أي: وفيما يبُثُّ؛ أي: يُفَرِّقُ وينشُرُ في الأرض، ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي: كل ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: بالبعث، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: أي: وفي اختلافِ الليل والنهار، ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ أي: من مطر؛ لأنه سبب الرزق ﴿فأحيا به الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٢٤).

﴿وَتَصْرِيف الرِّيَاح﴾ تَقْلِيبهَا مَرَّة جَنُوبًا وَمَرَّة شِمَالًا وَبَارِدَة وَحَارَّة ﴿آيَات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدَّلِيل فَيُؤْمِنُونَ، والذين يعقلون: هم الذين يستعملون عقولَهم في تدبُّر ما يُدْعَون إليه مِن الحقِّ.

(٦ - ٧) - ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾: أي: هذه الآياتُ هي آياتُ اللَّهِ ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: أي: نُوحِيها إليكَ، وقيل: أي: يَتْلوها عليكَ جبريلُ بأمرِنا، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: إنْ لم تُؤمنوا بهذا القرآن، فبأيِّ حديثٍ بعدَ توحيدِ اللَّه تعالى وبعدَ القرآنِ تُصَدِّقون، ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: أي: وعيدٌ بشِدَّةِ عذابٍ لكلِّ كذَّابٍ مُرْتَكِبٍ للمآثِم(١).

(٨) - ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ﴾: أي: يسمَعُ القرآنَ يُقرأُ عليه ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾؛ أي: يدومُ على جَهْلِه وضَلالِه مُتعَظِّمًا عن الانقياد لِمَن جاءَ بها؛ بسبَبِ أموالِه وأتباعِه، ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾: أي: الآياتِ، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: فأَخْبِرْه بأنَّ له عذابًا وَجيعًا في الدنيا والآخرة.

(٩ - ١٠) - ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾: أي: وإذا سمِعَ مِن آياتِ القرآن شيئًا فعَلِمَه وحَفِظَه سخِرَ منه، وصوَّرَ ذلك عند أتباعه بصُورة الباطل، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: ذو إهانة، ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾: أي: أمامِهم، والاسمُ للخَلْفِ والقُدَّام جميعًا؛ لأنه اسمٌ لِمَا وراءَكَ، وهو يَشْمَلُهما، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾: أي: ولا ينفعُهم ما كسَبوا في الدنيا مِن مالٍ وولدٍ، ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾: أي: ولا ما عبَدوه في الدنيا مِن الأصنام ووالَوْها

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٦٦١).

ورجَوا نُصْرَتَها مِن دون اللَّه، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في جهنم[١].

(١١) - ﴿هَذَا هُدًى﴾: أي: هذا القرآنُ إرشاد لكم إلى الحقِّ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: أي: جحَدوها، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾: أي: لهم حظ من عذاب أليم موجع، والرِّجزُ: المكروهُ المؤذِي الشَّاقُّ.

(١٢ -١٣) - ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ﴿سَخَّرَ﴾: أي: ذلَّلَ، ﴿والْفُلْكُ﴾: السَّفينةُ، وقد يكون جَمعًا، ﴿بِأَمْرِهِ﴾؛ أي: بتَسْخيره، و﴿فَضْلِهِ﴾: رزقِه، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، أي: لِتَشكروا؛ أي: يلزَمُكم شُكْرُه، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: مِن الشمس والقمر والنُّجوم والجبال والنبات والبهائم؛ أي: ذلك كلُّه لِمَنافعِكم، ﴿مِنْهُ﴾: أي: كلُّ ذلك مِن عند اللَّه وبأمره، لا يَقْدِرُ عليه غيرُه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: أي: لَعلاماتٍ دالَّةٍ على قُدْرَتِه لِمَن تدبَّر فيها.

(١٤) - ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾: أي: قل يا محمد للمؤمنين يتجاوزوا عن الكفار الذين لا يخافون وقائِعَ اللَّهِ تعالى بأعدائه، وهذا قبل مشروعية الجهاد، وقيل: لا يأمُلون نُصْرةَ اللَّهِ لأوليائه، فلا يتعرَّضوا لهم، ولا يُجاهِدوهم، ويَكِلُوهم إلى جزاء اللَّه، ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: ليجزي الله قومًا بما كانوا يكسبون مِنْ الْغَفْرِ لِلْكُفَّارِ أَذَاهُمْ.

(١٥) - ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾: يعني: فله نَفْعُه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٤٩٧) بحر العلوم (٣/ ٥١٧)، وتفسير السمعاني (٥/ ١٣٦).

﴿فَعَلَيْهَا﴾: أي: فعليه ضُرُّه، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: أي: إلى جزائه، ونُسِخَ هذا بآية الأمرِ بالقتال(١).

(١٦) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ أي: ولقد أعطينا بني إسرائيل التوراةَ، وهذه تسليةٌ للنبي في تكذيب قومِه إياه ﴿وَالْحُكْمَ﴾ بِهِ بَيْنَ النَّاس ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ لِمُوسَى وَهَارُونَ مِنْهُم، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: المَنِّ والسَّلْوى في التِّيهِ، والأقوات والأطعمةِ والثِّمارِ التي كانت في بلاد الشام، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي: عالَمِي زمانِهم؛ إذ كانوا حُكَّامًا ومُلوكًا عليهم، والرُّجوعُ إليهم في عِلْمِ الأديان.

(١٧) - ﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾: أي: شرائعَ واضحاتٍ مِن أمر الدِّين، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: أي: فلم يختلِفْ بنو إسرائيلَ إلا مِن بعد ما جاءهم البيانُ التَّامُّ، ولكنهم تباغَوا بينهم؛ أي: طلَبَ بعضُهم الفَضلَ على بعضٍ والرِّياسةَ، وأنْ يكونَ كلُّ عالمٍ هو الرئيسَ المتبوعَ حسَدًا واتِّباعًا للهوى، فصاروا إلى التَّعادي والتَّحارُبِ وقَتْلِ الأنبياءِ، وكذا المشركون مِن قومك يا محمد ﷺ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: في الفَصل بين المُحقِّ والمُبطِل، فيَفْضَحُ المُبْطِلين، ويُكرِمُ المُحِقِّين.

(١٨ - ١٩) - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾: أي: على مِنْهاجٍ واضحٍ مِن أمر الدِّين بعد بني إسرائيل، ﴿فَاتَّبِعْهَا﴾: أي: هذه الشريعةَ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: المشركين وأهلِ الكتابِ، ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ

(١) الكشف والبيان (٨/ ٣٥٦) التيسير في التفسير (١٣/ ٣٥٤)، وتفسير الجلالين (١/ ٦٦٢).

﴿مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي: لا ينفعونكَ ولا يَدْفعون عذابَ اللَّهِ عنكَ، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: يتوالَون على مُعاداتكَ، ويتعاونون على الباطل، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾: أي: مُحِبُّ مَن اتَّقى الشركَ والمعاصيَ وناصرُه ومُتولي كفايتِه، وهو أنتَ ومَن اتَّبعكَ(١).

(٢٠ - ٢١) - ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾: أي: هذا القرآنُ دلائلُ للناس في أمور دينهم، يُبْصِرون بها مواضعَ رُشْدِهم، ﴿وَهُدًى﴾: أي: رُشْدٌ وطريقٌ مُؤَدٍّ إلى اللَّه لِمَن سلكَه، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: أي: نِعْمةٌ مِن اللَّه عليهم، ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: للسَّامعين الذين يَنْفُون الشُّكوكَ ووساوسَ الشيطانِ عن أنفسهم، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾: أي: أَظَنَّ الذين اكتَسَبوا المعاصي، وارتَكَبوا المآثِمَ، وأشركوا باللَّه، وكذَّبوا أنبياءَ اللَّهِ، وجحَدوا آياتَ اللَّهِ: ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي: الحسناتِ والطاعاتِ، ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾: أي: نجعلَهم يستوي مَحْياهم ومماتُهم، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: بئس الحُكْمُ هذا الحُكْمُ منهم، وهذا استفهامٌ بمعنى النفي؛ كقوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨]، والتَّفْرقةُ بينهم في المَحْيا والمماتِ: أنَّ هؤلاء لهمُ النَّصْرُ، وهؤلاء لهمُ القَهْرُ(٢).

(٢٢-٢٣) - ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: أي: بالأمرِ الحقِّ، ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: أي: مِن خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

---

(١) البسيط (٢٠/ ١٤٢)، وزاد المسير (٤/ ٩٩)، وتفسير مقاتل (٣/ ٨٣٨).

(٢) التيسير في التفسير (١٣/ ٣٥٩).

شيئًا، ثمَّ آيَسَ رسولَ اللَّه ﷺ عن إيمانِ مَن عَلِمَ منهم أنهم لا يؤمنون، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾: يقول: أفرأيتَ -يا محمد- هؤلاء المشركين الذين اتخذوا أهواءَهم آلهةً يعبُدونها ويُطيعون أمرَها، ولا يتَّبِعون كتابَ اللَّه، قد أضلَّهم اللَّهُ وخذلَهم على عِلْم؛ أي: قد علِمَ أنهم يَختارون الضَّلالةَ، وطبَعَ على قلبه، فلا يعتقِدُ حقًّا، ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾، فلا يقبَلُ وَعْظًا ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ فلا يُبْصِرُ عِبْرةً، ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ﴾: استفهام بمعنى النفي ﴿مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ قيل: مِن بعد إضلالِ اللَّه، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: بعُقولكم ذلك(١).

(٢٤) - ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: أي: قالوا بأهوائهم التي عبَدوها وأطاعوها: ليس ما يقولُه المؤمنون مِن الإحياء بعد الموت حقًّا، وما الحياةُ إلا حياتُنا القُرْبى؛ أي: هذه التي نحن عليها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾؛ أي: يموتُ بعضُنا ويحيَا بعضُنا، ثم يموتُ أولئك ويحيا آخرون على ما هو موجود في المُشاهدة، لا يتغيَّرُ الأمرُ عن ذلك، ولا تنقضي الدنيا، ولا تَفْنى ولا يحيَا مَن مات، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾: أي: وما يُهْلِكُ الناسَ إلَّا طولُ العمُرِ وكَرُّ الدَّهْرِ، فذلك هو الذي يُفْنِينا، دون مَن تَذْكُرونه مِن اللَّه الذي يُحيي ويُميت، ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: أي: هو قولٌ يقولونه بأهوائهم ظنًّا لا عِلْمًا.

(٢٥ - ٢٦) - ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾؛ أي: وإذا تُقْرَأُ على هؤلاء آياتُ اللَّهِ التي فيها ذِكْرُ البَعْثِ وإقامةُ الحُجَّةِ عليهم، ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا

---

(١) الوسيط (٤/ ٩٩)، وبحر العلوم (٣/ ١٦٥)، والنكت والعيون (٥/ ٢٦٤).

اﺋْﺘُﻮا ﺑِﺂﺑَﺎﺋِﻨَﺎ إِنْ ﻛُﻨْﺘُﻢْ ﺻَﺎدِﻗِﻴﻦَ﴾: أي: لم يكن لهم حُجَّةٌ في دَفْعِها إلا قولُهم: عَجِّلوا لنا هذا البعثَ، وأقيموا الساعةَ الآنَ، وهذا غَيٌّ وجَهْلٌ، ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾: أي: في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: عند انتهاء أعمارِكم، ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي: يَبْعَثُكم يومَ القيامة جميعًا، ولا شكَّ فيه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: لا يتأمَّلون في الدَّلائل فيعلَموا.

(٢٧) - ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فلا يُعْجِزُه شيءٌ مِن البعثِ وغيرِه، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾: أي: يَهْلِكُ.

(٢٨) - ﴿وَتَرَى﴾: يا محمد ﷺ ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾: مِن الأُمَم، ﴿جَاثِيَةً﴾: قيل: مُجْتَمِعةً، كلُّ أُمَّةٍ لا تختلِطُ بأُمَّةٍ أخرى، والجُثْوَةُ: الشَّيءُ المجتمِعُ، وعلى هذا قيل في قوله: ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨]؛ أي: مُجْتَمِعين، وقيل: جاثيةً على الرُّكَبِ للحساب والسؤال؛ كما يكون للخُصوم في الدنيا. ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾: قيل: إلى الكتابِ المُنْزَلِ على نبيِّها: هل عَمِلَ به أو خالفَه؟، والأظهرُ: إلى كتابِ عمَلِه الذي كتَبَتْهُ الحفَظةُ؛ كما قال: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء: ١٤]، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا، ويَظْهَرُ مكْتوبًا في كتابكم.

(٢٩) - ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾: أي هذا الكتاب الذي كُتِبَ عليكم بأمرنا يُبيِّنُ ما عَمِلْتُم، ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾: أي: نأمُرُ الحفَظَةَ بالنَّسْخِ، وقيل: أي: تنسَخُ ملائكتُنا بأمرنا، ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من عملٍ صالحٍ أو سيءٍ[1].

---

(١) جامع البيان (٢١/ ١٠٤)، وتأويلات أهل السنة (٩/ ٢٣١)، والهداية (١٠/ ٦٧٩٤).

(٣٠ - ٣١) - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾: قيل: أي: في جنَّتِه، سمَّاها رحمةً لأنها تُنالُ برحمته، فأُعِدَّتْ لأهل رحمته، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾: أي: الفلاحُ الظَّاهر، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾: أي: فيقالُ لهم: أفلم تكن آياتي تُتْلى عليكم ﴿فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾: أي: فتَعَظَّمْتُم عن قبولها، والانقيادِ لِمَن أتى بها؟، ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾: أي: مُكْتَسِبين الآثامَ.

(٣٢) - ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: أي: وكنتم إذا قيل لكم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: بالبعث والجزاء بالثواب والعقاب، ﴿وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: أي: القيامةُ لا شكَّ فيها، ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾: أي: لا نعلمُ ما القيامةُ، ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾: أي: ما نظنُّ ذلك إلا ظنًّا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ بذلك.

(٣٣ - ٣٤) - ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: أي: ظهَرَ لهم عند الوقوع في العذاب أنَّ ما عمِلوه مِن الشرك والمعاصي كانت سيئاتٍ، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: أي: نزَلَ بهم، وقيل: أحاطَ بهم، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: العذابُ الذي كانوا يُوعَدون به، فلا يُصَدِّقونه، ويستهزؤون بقائله، ويقولون: متى هذا الوعد؟! ويُنْغِضُون إليكَ رؤوسَهم ويقولون: متى هو؟!، ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ﴾: أي: تقولُ لهم الملائكة بأمرنا: اليومَ نترككم في النار تَرْكَ النَّسْيِ المَنْسِيِّ ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: أي: تركْتُم ذِكْرَه والاستعدادَ له، ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: أي: مانعين عنكم العذابَ.

(٣٥) - ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾: أي: هذا العذابُ

بأنكم في الدنيا جعلتُم ما يُتلى عليكم مِن آيات كتاب اللَّه مَحَلَّ الهُزْءِ الذي لا ينبغي الإقبالُ عليه ولا التَّفَكُّرُ فيه، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: أي: اغْتَرَرْتُم بها، ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾: أي: أنهم لا يُخرجون مِن النار أبدًا، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: أي: يُسْتَرْضَون؛ يعني: لا يُطالَبون بإرضاء اللَّه تعالى بالتوبةِ عن الشرك والمعاصي، والعملِ بالإيمان والطاعة؛ إذ هُم في دار الجزاء الذي لا تُقْبَلُ فيها توبةٌ، ولا تُقالُ فيها عَثْرَةٌ.

(٣٦ -٣٧) - ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

هذا إخبارٌ أنَّ المُسْتَحِقَّ للثناء والمدح والشكر على النِّعَم هو اللَّهُ الذي خلَقَ السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وهو حافظُهما والقائمُ بتدبيرهما، وهو مُدَبِّرُ العالَمِين مِن الجن والإنس والملائكة وكُلِّ الحيوانات، ومالِكُها وحافِظُها وناصِرُها ومُصَرِّفُها على ما أراد، ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: العَظَمَةُ والجلالُ والقُدْرةُ والكمال، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: المنيعُ بسلطانه وجلاله، ﴿الْحَكِيمُ﴾: المُصِيبُ في أقواله وأفعاله[(١)].

(انتهى تفسير سورة الجاثية).

(١) التيسير في التفسير (١٣/ ٣٦٩).

(٤٦) سورة الأحقاف مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورةُ مَكِّيَّةٌ إلَّا قولَه: ﴿وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾ الآيتين، فإنهما نزَلَتا بالمدينة، سميت هذه السورة «سورة الأحقاف» في جميع المصاحف وكتب السنة، ووجه تسميتها «الأحقاف» ورود لفظ (الأحقاف) فيها ولم يرد في غيرها من سور القرآن، وهذه السورة معدودة الخامسة والستين في عداد نزول السور، نزلت بعد الجاثية وقبل الذاريات، وآياتُها: خمسٌ وثلاثون. وكلماتُها: ستُّ مئةٍ وثلاثٌ وأربعون، وحروفُها: ألفان وستُّ مئةٍ وستةَ عشرَ.

أغراضها:

ومن الأغراض التي اشتملت عليها أنها افتتحت مثل سورة الجاثية بما يشير إلى إعجاز القرآن للاستدلال على أنه منزل من عند الله. والاستدلال بإتقان خلق السماوات والأرض على التفرد بالإلهية، وعلى إثبات جزاء الأعمال. والإشارة إلى وقوع الجزاء بعد البعث وأن هذا العالم صائر إلى فناء. وإبطال الشركاء في الإلهية. والتدليل على خلوهم عن صفات الإلهية. وإبطال أن يكون القرآن من صنع غير الله. وإثبات رسالة محمد ﷺ واستشهاد الله تعالى على صدق رسالته واستشهاد شاهد بني إسرائيل وهو عبد الله بن سلام. والثناء على الذين آمنوا بالقرآن وذكر بعض خصالهم الحميدة وما يضادها من خصال أهل الكفر وحسدهم الذي بعثهم على تكذيبه. وذكرت معجزة إيمان الجن بالقرآن، وختمت السورة بتثبيت

الرسول ﷺ(١)، وانتظامُ آخرِ تلك السور بأوَّلِ هذه السورة: أنهما جميعًا في ذِكْرِ اسمِ اللَّه تعالى، وانتظامُ السورتين: أنهما جميعًا في ذِكْرِ الكفر والإيمان، والطاعة والعِصْيان، والعُقوبة والغُفْران.

(١ - ٣) - ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: مرَّ تفسيرُه، ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي: لِلْحَقِّ الذي له على خَلْقه، ولأَجَلٍ يَنتهي إليه، وهو يوم القيامة، وهو مُسَمًّى معلومٌ عنده وإنْ أخفاه على خَلْقه، وقيل: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي: مَقْرونًا بالحق، وهو التَّكليفُ بالأمر والنهي، ثم يَجْزي يومَ القيامة بالثواب والعقاب، ومَقْرونًا بأجَلٍ مُسَمًّى، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾: أي: وكُفارُ مكةَ عمَّا خُوِّفوا به مُعْرِضون، لا يتفكَّرون فيه ولا يُؤمِنون به.

(٤) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: ما تعبُدون مِن دون اللَّه؛ أي: مِن الأصنام، ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾: أي: أخبِروني أيَّ شيءٍ خلَقوا مما في الأرض إنْ كانوا آلهةً كالذي خلَقَ اللَّهُ تعالى؟!، ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾: أي: أَلهم نصيبٌ يَدَّعونه في السماوات؟؛ أي: في خَلْق السماوات، ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾: أي: مِن قَبْلِ القرآن، ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾: أي: روايةٍ تروونها مِن العلماء والأنبياء، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنَّ اللَّهَ أمرَكم بعبادة الأوثان(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٧).

(٢) الوسيط (٤/ ١٠٣)، وجامع البيان (٢١/ ١١٥)، والهداية (١١/ ٦٨١١)، والنكت والعيون (٥/ ٢٧١).

(٥) - ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: لا أضلَّ ممن يعبُدُ مِن دون اللَّه ويدعو بحاجته شيئًا لو دعاه إلى يوم القيامة لم يستجبْ له دعاءَه، ولا يكون عنده مَعونةٌ، ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: المعبودون ﴿عَنْ دُعَائِهِمْ﴾؛ أي: دُعاءِ العابدين ﴿غَافِلُونَ﴾: لا يعلمون به؛ لأنَّها جمادٌ.

(٦ - ٧) - ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾: أي: بُعثوا يوم القيامة وجُمِعوا، ﴿كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾: أي: كان عبَدَةُ الأصنامِ للأصنام أعداءً؛ لِمَا ظهَرَ لهم مِن العُقوبة بسبب عبادتها، ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾: أي: مُتبرِّئين أنْ يكونوا أمَرُوهم بها أو رضُوا بها، وكذلك الجنُّ والشياطينُ إذا اجتمَعوا في النار يكفُرُ بعضُهم ببعض ويلعَنُ بعضُهم بعضًا، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: أي: آياتُ القرآنِ واضحاتِ المعاني ظاهراتِ الإعجازِ، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: وهو تلبيسٌ منهم على الضَّعفَة، وتنفيرٌ لهم عن السماع والقَبول.

(٨) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: أي: أيقولون هذا أم يقولون: اختلَقَه محمد ﷺ مِن عند نفسِه؟!، ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾: فذاك معصيةٌ، واللَّهُ تعالى قادرٌ على أنْ يُعاقِبَني عليها، ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي: فلا تَقْدِرون أنتم على دَفْعِ عذابِ اللَّهِ عنِّي، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: أي: بالكلام الذي تخوضون فيه مِن هذا الوجه، ﴿كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: أي: شاهِدًا بأنه أرْسَلَني إليكم وأمرَني بتبليغ وَحْيِه إليكم، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾: لِمَن تابَ ﴿الرَّحِيمُ﴾: أي: الحليمُ، فلا يُعاجِلُ بالعقاب.

(٩) - ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾: أي: بَديعًا؛ أي: لستُ بأوَّلِ رسولٍ، فقد أرسلَ اللَّه تعالى قَبْلي رسلًا إلى أُممهم، وقد كان في الأنبياء مَن يَسْلَمُ مِن المِحَن، ومنهم مَن يُمْتَحَنُ بالهجرة عن الوطن، ومنهم مَن يُبْتلى بأنواع الفِتَن، والأممُ منهم مَن أُهْلِكَ بالخَسْف، ومنهم مَن كان هلاكُه بالقَذْف، وكذا بالمَسْخ والرَّجْف، والرِّيح والصَّيْحة والغَرَق وغيرِ ذلك، ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾: في الدنيا أأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي أو ترموني بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم؟ ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَىَّ﴾: أي: ما أتَّبعُ، ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: مُخَوِّفٌ ظاهرٌ، وهذا كان في أمر الدنيا، ثم أوحى إليه بما تكون عاقبةُ أمرِه وأمرِهم، فأمرَه بالهجرة، ووعدَه العِصْمَةَ مِن الناس، وحثَّه على الجهاد، وأخبرَه أنه يُظْهِرُ دينَه على الدِّين كلِّه، ويُسَلِّطُه على عدوه، ويستأصِلُهم بسيفه[١].

(١٠) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: أي: قل لهؤلاء المشركين: أرأيتم إنْ كان هذا القرآنُ الذي جئتكم به كلامًا للّه تعالى جاء مِن عنده؟، ﴿وَكَفَرْتُم بِهِ﴾: أنتُم، وقلتُم: ليس هو مِن عند اللَّه، وقلتُم: هو سِحْرٌ مُبِينٌ، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَاءِيلَ﴾ هو عبد اللَّه بن سلَامٍ، وقيل: هو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾: أي: على مِثْل ما قلتُه لكم: أنه مِن عند اللَّه، ﴿فَآمَنَ﴾ أي: هذا الشاهد، وهو عبد الله بن سلام، أو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجمهور المفسرين على أنه عبد الله بن

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٢٨٦)، وتفسير السمعاني (٥/ ١٥٠)، (٤/ ٢٩٨)، وتفسير الجلالين (٦٦٧/١).

سلام ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي: تكبرتم عن الإيمان، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: ما داموا على ظُلْمهم(١).

(١١) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: المشركون ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾؛ أي لو كان هذا الكتابُ خيرًا مما نحن فيه مِن التَّدَيُّنِ بعبادة الأوثان ما سبَقَنا إليه هؤلاء؛ إذ هُم سفلَتُنا، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾: أي: وإذ لم يتدبَّرِ الرُّؤَساءُ هذا القرآنَ استثقالًا منهم للنَّظَر، واستكبارًا عن الانقياد للمَرْؤُوسين عندهم، كابَروا فقالوا: ﴿هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾؛ أي: كذِبٌ مُتَقادِمٌ، وهو كقولهم: أساطيرُ الأولين.

(١٢) - ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾: أي: قَبْلَ القرآنِ كتابُ موسى، وهو التوراةُ، وهو مُصَدِّقٌ له، ومُبَشِّرٌ به وبمحمد ﷺ الذي يجيءُ به، فكيف يكون إفْكًا؟!، ﴿إِمَامًا﴾: أي: قُدْوةً، ﴿وَرَحْمَةً﴾: لِمَن اتَّبعه واهتدى به، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾: أي: القرآنُ مُصَدِّقٌ لكتاب موسى، ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾: أي: هو بلسانٍ عربيٍّ لا يُشْكِلُ على هؤلاء، ﴿لِيُنْذِرَ﴾أي: القرآنُ، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ أي: أشرَكوا وعصَوا، ﴿وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾: المؤمنين المُطيعين.

(١٣ -١٥) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي: على الطاعة، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا يعتريهم خوف، ولا يصيبهم هم ولا حزن، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي:

(١) الكشف والبيان(٩/ ٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٨٦)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٤٠).

يجزون الجنة يقيمون فيها إقامة دائمة جزاء أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ أي: أمرناه أن يحسن إليهما، ثمَّ بيَّنَ السَّببَ فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ بفتح الكاف، وبضمها، أي: على مشقة، وكلاهما لغةٌ، ومعناهما: المَشَقَّةُ، ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾: أي: مُدَّةُ حَمْلِه ومُدَّةُ فِطامِه ثلاثون شهرًا، وقد قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾، فبقِيَ للحَمْلِ ستةُ أشهرٍ، وهي أدنى مُدَّةٍ يُتَصَوَّرُ فيها وَضْعُ الولدِ، هذا بيانُ مَشَقَّةِ الأمِّ، والأبُ يلحَقُه مَشَقَّةُ النَّفَقَةِ والقيامِ بأسبابِها التي بها يُمْكِنُها ذلك، ومعاونتِها على التربية، ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ﴾: أي: حتى إذا بلغَ الولدُ ﴿أَشُدَّهُ﴾: كمالَ قُوَّتِه وعقله ورأيه، وهو حالُ البُلوغِ، ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تمامها وهو أكثر الأشد، ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾: أي: أَلْهِمْني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾: وهي الإسلامُ، ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾: أي: وأَلْهِمْني أنْ أعملَ أيضًا في المستأنَفِ مِن الأعمال الصالحة ما ترضى به، ﴿وَأَصْلِحْ لِي﴾: أي: أُموري ﴿فِي ذُرِّيَّتِي﴾؛ أي: أولادي حتى يَنْشَؤوا في الصَّلاح، ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: مِن كل ذنبٍ أذنبْتُه، ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: المُنْقادين لِدينِكَ وأمرِكَ ونهيِكَ[(١)].

(١٦) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيُتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾، أي: يُتَقَبَّلُ عن هؤلاء الأولادِ البَرَرَةِ حسناتُهم، ويُتجاوَزُ عن سيئاتهم، ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾: أي: كما هو حُكْمُنا في أصحاب الجنة، ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ﴾:

---

(١) أحكام القرآن (٣/ ٥١٧)، وتفسير ابن فورك(١/ ٣٣٥)، وجامع البيان (٢١/ ١٣٩)، وبحر العلوم (٢/ ٦٠١)، والكشف والبيان (٧/ ٢٣٩)، ومعالم التنزيل (٦/ ١٩٦).

أي: وعَدْناهم بذلك وَعْدًا صِدْقًا، ﴿الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ﴾: ودلَّتْ صيغةُ الجَمْع في آخره أنَّ الآيةَ في كل الأولادِ البَرَرَة.

(١٧) - ﴿وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾: وهذا في حقِّ الأولادِ العاقِّين الأشرارِ، ﴿أُفٍّ لَكُمَا﴾: أي: قَذَرًا لكما، ﴿أَتَعِدَانِنِى أَنْ أُخْرَجَ﴾: أي: مِن قبري بعد أنْ صِرْتُ رَميمًا، وتَدْعُوانِني إلى الإيمان به، ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾: أي: تَفانَوا، فلم يَرْجِعْ أحدٌ منهم إلى الدنيا، ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ﴾: أي: والوالدان يسألان اللّهَ لهذا الولدِ السوءِ الهُدى، ويقولان لهذا الولد: ﴿وَيْلَكَ آمِنْ﴾: أي: صَدِّقْ بالبعثِ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: إنَّ وَعْدَ اللّهِ بالإحياء صِدْقٌ، ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: أباطيلُ كتبَها الأوَّلون.

(١٨ - ١٩) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: أي: هؤلاء الأولاد في الأشرارِ الذين وجَبَ عليهم ﴿الْقَوْلُ﴾؛ أي: الوعيدُ ﴿فِى أُمَمٍ﴾؛ أي: مع أُمَمٍ، ﴿خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾: أي: هالِكين، وقيل: مَغْبُونين بفَوْتِ الثواب، وحُلولِ العقاب، ﴿وَلِكُلٍّ﴾: أي: ولكُلٍّ مِن الأبرارِ والفُجَّارِ، ﴿دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾: مراتبُ في الطاعة والمعصية، والثواب والعقاب، ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: ففَعَلْنا ذلك لِنوفِّيَهم جزاءَ أعمالِهم، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بالعُقوبة مِن غير ذنبٍ، ولا نُقْصانِ أجرٍ على طاعة[١].

(٢٠) - ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾: أي: يُحْضرون قَبْلَ أنْ يُلْقَوا فيها، فيُقالُ لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾: أَمْضَيْتُم شهواتِكم، واستَوْفَيْتُم

---

(١) الكشف والبيان (٩/ ١٢)، وتفسير مقاتل (٤/ ٢٠)، والتيسير في التفسير ١٣/ ٣٩٠).

نهاتِكم، ﴿فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾: أي: القُرْبى، ﴿وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾: أي: الملاذِّ، ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: أي: الذُّلِّ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الْأَرْضِ﴾؛ أي: تتعظَّمون عن قَبول الحق، والانقياد لِمَن نهاكم عن ذلك، ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: مِن غير أنْ يكون لكم استحقاقُ ذلك، ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾: تُجاهِرون بالمعاصي (١).

(٢١) - ﴿وَاذْكُرْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿أَخَا عَادٍ﴾: أي: هودًا نَسيبَ عادٍ؛ أي: واذكرْ لقومكَ هذه القصةَ، لِيَعْتَبِروا ويخافوا مثلَ حالِهم، وقيل: أي: واذكرْ في نفْسِكَ؛ لِتتَسَلَّى بها ينالُكَ مِن أذى قومِكَ، ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾: أي: بهذه المواضع، كانوا يسكنون الأَحْقافَ، وهي رِمالٌ فيما بين عُمانَ إلى حَضْرَمَوْتَ، وقيل: هو وادٍ باليمن به مساكنهم. ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: كما جاء هودٌ عادًا نذيرًا مضتِ الرسُلُ نُذُرًا لقومهم قَبْلَ هودٍ ومِن بعده، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾: أي: خاطبَهم هودٌ بهذا: أنْ لا تعبُدوا إلا اللّهَ وحدَه ﴿إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: إنْ أصرَرْتُم على شرككم (٢).

(٢٢ - ٢٣) - ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾: أي: لِتَصْرِفَنا عن عبادتها؛ أي: فهذا لا نُجيبُكَ إليه، ولا نخافُ ما تُنْذِرُنا به، ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾: مِن العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: في إنذارِك، ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾: أي: العِلْمُ بوقتِ نزولِ العذاب عند اللّه، ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: وإنما أنا

---

(١) جامع البيان (٢١/ ١٥١)، والنكت والعيون (٥/ ٢٨٢)، وتفسير السمعاني (٥/ ١٥٨).

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ١٠١)، وجامع البيان(٢١/ ١٥١)، والنكت والعيون (٥/ ٢٨٢).

مُبَلِّغٌ، وقد بلَّغْتُ، ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾: أي: في ظَنّكم أنكم تَنْجُون مع تكذيبِكم إيَّايَ.

(٢٤ - ٢٥) - ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾: أي: سحابًا عرض في أفق السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾: أي: سحابٌ يأتينا بالمطر، فأظهَروا بذلك فرَحًا، فقال لهم هودٌ: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾: مِن العذاب الذي أَنْذَرْتُكُموه، ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾: أي: تُهْلِكُ وتستأصِلُ لِشِدَّة عُصوفِها، وقيل: هو رَمْيُ شيءٍ على شيء وإهلاكُه به، وقوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: للتَّفْخيم، لا على حقيقة التَّعميم، وقيل: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ أُمِرَتْ بتدميره، ﴿فَأَصْبَحُوا﴾؛ أي: صاروا، ﴿لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ لأنها كانت قائمةً، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: أي: كلَّ مَن أجرَمَ مِثْلَ جُرْمِهم، وهو تخويفٌ لأهل مكَّةَ.

(٢٦) - ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ﴾: أي: أعطَيْناهم مِن التمكين والمكانة، ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾: أي: فيما لم نُمَكِّنْكُمْ في مِثْلِه من القوة والمال، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾: أي: آلاتٍ وحواسَّ يُمكِنُهم التَّدَبُّرُ بها ليعلموا بُطْلانَ الشرك، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: ما نفَعَهم شيءٌ مِن ذلك، ولا رفَعَ عنهم العذابَ، ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ﴾: نزَلَ بهم وأحاطَ بهم، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: مِن العذاب، فيقولون: ائتِنا بما تَعِدُنا.

(٢٧ - ٢٨) - ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾: خِطابٌ للمسلمين، ﴿مِنَ

﴿الْقُرَى﴾: كحِجْرِ ثمودَ وقُريَّاتِ لوطٍ، وهي بجوار بلاد الحجاز، ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾: بتكرير ذِكْرِها ﴿لَعَلَّهُمْ﴾؛ أي: لعلَّ المشركين ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن شركهم، ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾: أي: فهلَّا مَنَعَ العذابَ عن هؤلاء الذين أهلَكْناهم، ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: الأصنامُ التي اتَّخَذوها مِن دون الله ﴿قُرْبَانًا﴾ يتَقَرَّبون بها، ويقولون: إنما نعبُدهم لِيُقَرِّبونا إلى الله زُلْفى، ﴿آلِهَةً﴾: أي: اتَّخَذوها آلهةً لهم يعبُدونها، ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾: أي: هلَكوا فلم يجِدوهم عند حاجتِهم إليهم، ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾: أي: وذلك جزاءُ إِفْكِهم؛ أي: كَذِبِهم في أنها آلهةٌ، ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: أي: افتراؤُهم[١].

(٢٩) - ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ وهو في تَوْبيخ المشركين؛ أي: إنَّ الجنَّ استمَعوا فقبِلوا وآمنوا، وأنتم مُصِرُّون على شرككم على طُول الزمان، وقيل: لَمَّا طُرِدوا مِن السماء ورُمُوا بالشُّهُب قالوا: هذا لأمرٍ حادثٍ، فتتبَّعوا ذلك، فأتوا النبيَّ ﷺ أتوْه ببطْنِ نَخْلَةٍ[٢]، وكانوا سبعةَ نفَرٍ مِن جنِّ نَصِيبين[٣]، ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾: أي: قال ذلك بعضُهم لبعضٍ

---

(١) التيسير في التفسير (١٣/ ٣٩٧).

(٢) النَّخْل: موضع على ليلة من مكة، وهي التي ينسب إليها بطن نخلة، وهما نخلة الشامية، ونخلة اليمانية، كلاهما واديان ينظر: معجم ما استعجم" للبكري (٤/ ١٣٠٤).

(٣) رواه البخاري (٤٩٢١)، ومسلم (٤٤٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وفيه أن الجن أَتَوْه ﷺ بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، ونَصِيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، ونصيبين أيضًا مدينة على شاطئ الفرات كبيرة تعرف بنصيبين الروم، وتقع في جنوب تركيا حاليًا. انظر: "معجم البلدان (٥/ ٢٨٨).

احترامًا للقرآن، ووُصولًا إلى البيان، ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾: أي: فُرِغَ مِن القراءة ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾: أي: فَهِموا وحفِظوا ورجَعوا فأنذروا قومَهم مُخالفةَ القرآنِ.

(٣٠ -٣١) - ﴿قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾: أي: القرآنَ ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: التوراةِ ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾؛ أي: يُرْشِدُ ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إلى الإسلام، ﴿يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾: أي: محمدًا رسولَ اللَّهِ ﷺ ﴿وَآمِنُوا بِهِ﴾: أي: باللَّه، ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم﴾: أي: يُؤَمِّنْكُم ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: شديد موجع[(١)].

(٣٢ -٣٣) - ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: بفائتٍ أخذَ اللَّهِ، ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾: يتولَّون مَعونتَه، ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: فساد واضح وظاهر، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ألم يعلموا؟ أي: منكرو البعث، ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ لم يعجز عنه، ولم يتعب، وهو كقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق:٣٨]، ﴿بِقَادِرٍ﴾: زيدت الباء فيه؛ لأن الكلام في قوة أليس الله بقادر، ﴿عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾؟ هو قادر على إحياء الموتى، ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٣٤ -٣٥) - ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بأن يعذبوا بها يقال لهم، ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾: أي: تقولُ لهم الملائكةُ ذلك، ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: أي: بكُفْرِكم في الدنيا، ﴿فَاصْبِرْ﴾: أي: على أذى الكفار وتكذيبِهم، ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾ ذوو الثبات والصبر على

---

(١) الكشف والبيان (٩/ ٢٣)، ومعالم التنزيل (٧/ ٢٧٠)، والكشاف(٤/ ٣١٢).

الشدائد، وقيل: أولو الحَزْم، وقيل: أولو الجِدِّ والصَّبْر، ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ قبلك فتكون ذا عزم ومن للبيان فكلهم ذوو عزم وقيل للتبعيض فليس منهم آدم لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ولا يونس لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾[سورة القلم:٤٨]، لكنَّ الصَّحيحَ أنَّ أولي العزم كلُّ الرسل، وقولُه تعالى: ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾: للتَّجْنيس لا للتَّبْعيض، ومعنى قولِه: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾: أي: قَصْدًا إلى الخِلاف، ويونسُ لم يكن خروجُه تَرْكَ صَبْرٍ، لكنْ تَوَقِّيًا عن نزول العذاب، ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾: أي: ولا تدعُ عليهم بتعجيل العذاب، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾: أي: فهُم إذا رأوا العذابَ يوم القيامة ظنوا أنهم لم يَلْبَثوا في الدنيا أو في قبورهم إلا ساعةً مِن نهارٍ، وأنَّ العذابَ عُجِّلَ لهم قريبًا مِن تكذيبهم، ﴿بَلَاغٌ﴾: أي: هذا بلاغٌ؛ أي: مَبْلَغُ الكِفايةِ في العِظَة، ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾: أي: فهل يُهْلَكُ بعد هذا البلاغِ بعذاب اللَّه إلَّا مَن فسَقَ، فأعلَنَ الاستخفافَ بأمر الدِّين، ولم يكن همُّه طلَبَ الحقِّ المبين(١).

(انتهى تفسير سورة الأحقاف).

---

(١) الكشف والبيان (٩/ ٢٤)، ومعالم التنزيل (٧/ ٢٧١)، وتفسير الجلالين(١٦٧٢)، الدر المنثور (٧/ ٤٥٤)، التيسير في التفسير (١٣/ ٤٠٢).

(٤٧) سورة محمد مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورةُ مكِّيَّةٌ، ويُقال مدنيَّةٌ، وهو الصَّحيحُ، سميت هذه السورة في كتب السنة سورة محمد، وتسمى سورة القتال، والأشهر الأول، ووجهه أنها ذكر فيها اسم النبي ﷺ في الآية الثانية منها فعرفت به قبل سورة آل عمران، وأما تسميتها سورة القتال فلأنها ذكرت فيها مشروعية القتال، وعدت السادسة والتسعين في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الحديد وقبل سورة الرعد وهي ثمانٍ وثلاثون آيةً، وقيل: تسعٌ، وقيل: أربعون، الاختلافُ في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾، وقوله: ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾، وهي خمسُ مئةٍ وتسعٌ وثلاثون كلمةً، وألفان وثلاثُ مئةٍ وستةٌ وثمانون حرفًا.

أغراضها:

معظم ما في هذه السورة التحريض على قتال المشركين، وترغيب المسلمين في ثواب الجهاد. افتتحت بما يثير حنق المؤمنين على المشركين لأنهم كفروا بالله وصدوا عن سبيله، أي دينه. وأعلم الله المؤمنين بأنه لا يسدد المشركين في أعمالهم وأنه مصلح المؤمنين فكان ذلك كفالة للمؤمنين بالنصر على أعدائهم. وانتقل من ذلك إلى الأمر بقتالهم وعدم الإبقاء عليهم. وفيها وعد المجاهدين بالجنة، وأمر المسلمين بمجاهدة الكفار وأن لا يدعوهم إلى السلم، وإنذار المشركين بأن يصيبهم ما أصاب الأمم المكذبين من قبلهم. ووصف الجنة ونعيمها، ووصف جهنم وعذابها.

ووصف المنافقين وحال اندهاشهم إذا نزلت سورة فيها الحض على القتال، وقلة تدبرهم القرآن وموالاتهم المشركين. وتهديد المنافقين بأن الله ينبىء رسوله ﷺ بسيماهم وتحذير المسلمين من أن يروج عليهم نفاق المنافقين. وختمت بالإشارة إلى وعد المسلمين بنوال السلطان وحذرهم إن صار إليهم الأمر من الفساد والقطيعة[١]. وانتظامُ أوَّلِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّ خَتْمَ تلك بالفاسقين، وافتتاحَ هذه السورةِ بالكافرين، وذلك فِسْقُ كُفْرٍ، وانتظامُ السورتين: أنَّهما في التَّمييزِ بين الأولياء والأعداء، والترغيب والترهيب بالجزاء، وفي هذه السورة خُصوصُ الأمرِ بالجهاد، والإنفاقِ في سبيل اللَّه.

(١) - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: الذين كفروا باللَّه، ومنَعوا غيرَهم عن سلوك سبيل رضا اللَّه تعالى -وهو الإسلامُ-، جعلَ اللَّهُ تعالى فِعْلَهم ضلالًا عن الرُّشْد.

(٢) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: أي: والمؤمنون الذين خالَفوا هؤلاء محا اللَّهُ وستَرَ ذنوبَهم التي كانت قبْلَ الإيمان، ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: أي: حالَهم، وقيل: شأنَهم[٢].

(٣) - ﴿ذَلِكَ﴾: أي: ذلك التَّمييزُ بالجزاء للفريقين ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٧٢).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٣٧)، البسيط (٢٠/ ٢١٣)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٠٩)، الهداية (١١/ ٦٨٧٨).

﴿اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾: فاستحَقَّ أولئك العقابَ، وهؤلاء الثوابَ، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ أي: كذلك يصِفُ لكلِّ عاملٍ مِن الناس جزاءَ عملِه بما يُماثِلُه، فيُجازي المُحْسِنَ بإحسانه بالحُسْنى، والمُسِيءَ بإساءته.

(٤) - ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: فإذا لَقِيتُم -مَعاشِرَ المسلمين- هؤلاء الكافرين في مواطن الجهاد، ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾: أي: فاضرِبوا رِقابَهم، وقيل: أي: فافعلوا ضَرْبَ الرِّقابِ، ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ﴾: وأَصْلُ الإِثْخانِ: الغلَبَةُ، يُقالُ: أثخَنَ الصَّيدَ: إذا غلَبَه؛ أي: أكثَرْتُم القتلَ في البعض، وأعجَزْتُم الباقين عن الفَوات، ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾: أي: فشُدُّوا وَثاقَهم، ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾: أي: فإما أنْ تمُنُّوا بعد ذلك بالإطلاق مَجَّانًا ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾؛ أي: وإمَّا أنْ تَفْدُوا بعضَهم فتأخُذوا منهم فِداءً وتُطْلِقُوهم ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: قيل: أي: حتى تنقضِيَ الحربُ، ويتفرَّقَ الكفارُ، ويأمَنَ المسلمون فيَضعوا أسلحتَهم، وفيه مُضْمَرٌ: حتى يضَعَ أهلُ الحربِ أوزارَهم، ﴿ذَلِكَ﴾: أي: هذا الذي ذكَرْناه هو حقٌّ، ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾: أي: لانتقَمَ منهم بغير قتالٍ منكم، ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾: أي: ولكنْ أمرَكم بالجهاد لِيُظْهِرَ منكم ما علِمَ في الأزَل مِن الائتمارِ بالأمر وتَرْكِه، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: استُشْهِدوا، ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: أي: فلن يُضَيِّعَ ولن يُبْطِلَ أعمالهم كما أضلَّ أعمالَ الكفارِ، بل يُثيبُهم عليها أعظمَ الثوابِ[١].

(١) بحر العلوم (٣/ ٢٩٦)، والكشف والبيان (٩/ ٢٩)، ومعالم التنزيل (٧/ ٢٧٤).

(٥ - ٦) - ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾: أي: المُجاهدين، يُثَبِّتُهم على الرُّشْد، وفي حقِّ المقتولين سيَهديهم إلى طريق الجنة في الآخرة، ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: أي: شأنهم، ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾: قيل: طيَّبها لهم، وقيل: مِن المعرفة؛ أي: إذا دخَلوها عرَفوا منازلَهم واهتدَوا إليها، وقيل: أَعْلَمَها لهم في الدنيا، وعرَّفَهم نعيمَها.

(٧ - ٨) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾: أي: دِينَ اللَّه ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾: على أعدائكم في الدنيا ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: أي: يُشَجِّعْكم، فتَثْبُتوا لهم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ﴾: أي: سُقوطًا على وجوههم، وقيل: تقديرُه: فأَتْعَسَهم اللَّهُ، فقد قال بعدَه: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: أي: أَبْطَلَها.

(٩ - ١٠) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: ذلك التَّعْسُ لهم بسبب أنهم استَثْقَلُوا ما أنزلَ اللَّهُ في كتابه على نبيِّه مِن الأمر والنهي، وكرَّرَ ذِكْرَ إِضْلالِ العملِ وإِحْباط العمل؛ ليكونوا كلَّما ذُكِروا يتَّصِلُ ذِكْرُهم بالذَّمِّ والتَّحْقير والإخبار بسُوء الحال عند اللَّه، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: أفلم يَسِرْ هؤلاء المشركون؟! استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: لقد ساروا في الأرض التي تُجاوِرُ بلادَهم مِن أرض عادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ وقومِ شعيبٍ وغيرهم، فينظروا إلى سُوء عَواقبِ الأُمَم التي كفَرَتْ باللَّه، وكرِهَتْ ما أنزلَ اللَّه، ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: أهلَكَهم واستأصَلَهم، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾: أي: أمثالُ تلك العُقوبات، وهي غيرُ مَذْكورةٍ، لكنَّها مدلولةٌ بذِكْرِ الدَّمار.

(١١ - ١٢) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى

لَهُمْ﴾: أي: ذلك المذكور مِن نَصْرِ المؤمنين وسُوء عِقابِ الكافرين إنما هو لأنَّ اللَّهَ ناصِرُ المؤمنين والذَّابُّ عنهم والمتَوَلِّي لأمورهم، والكافرون ليس لهم ناصِرٌ يُعينُهم ويمنعُهم ويدفعُ العذابَ عنهم، وكذلك في الآخرة حالُ الفريقين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: هذا لأحد الفريقين. وأما الفريقُ الآخَرُ، فقد قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾: بنعيم الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾: يَقْضُون الشَّهواتِ، ولا يُفكِّرون في الآيات، ويختارون الرَّاحات ولا يَتْعَبون بالعبادات، فهُم كالأنعام التي لا عُقولَ لها، ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾: في الآخرة؛ أي: مُقامٌ بدَلَ الجنةِ للمؤمنين.

(١٣) - ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾: أي: كم مِن أهل بَلْدَةٍ ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾؛ أي: هُم أقوى ﴿مِنْ قَرْيَتِكَ﴾؛ أي: مِن أهل بلدتك مكةَ، ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾: أي: مكَروا بكَ في دار النَّدْوة، وقصَدوا أنْ يُثْبِتُوكَ أو يَقْتُلوكَ أو يُخْرِجوك، فاضطُرِرْتَ إلى الخروج منها، ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: أي: أهلَ تلك القُرى، ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾: أي: لا مانعَ لهم بدَفْعِ العذاب عنهم[(١)].

(١٤) - ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾: أي: على حُجَّةٍ وبَصيرةٍ، وقيل: أي: على دِينٍ مِن ربه، ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: ليسا سواءً[(٢)].

(١٥) - ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾: أي: فيما يُتْلى عليكم صفةُ الجنةِ،

---

(١) التيسير في التفسير (١٣/ ٤١٧).

(٢) جامع البيان (٢١/ ١٩٩)، والكشاف (٤/ ٣٢٠)، والبسيط (٢٠/ ٢٣٣).

وقيل: أي: صفةُ الجنةِ التي وُعِدَ المتقون، ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾: أي: غيرِ مُتَغَيِّرِ الرائحة، أي: لا يتغيَّرُ ماءُ الجنة كما يتغيَّرُ ماءُ الدنيا بطُول المُكْث في منافعها وفي أوانيها، ﴿وَأَنْهَارٌ مِن لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾: كما يتغيَّرُ في الدنيا، فيَصيرَ حامِضًا وقارِصًا وغيرَ ذلك.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ﴾: أي: لذيذةٍ، ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾: أي: لذيذةِ الطَّعْم، طَيِّبَةِ الشُّرْب، لا يكرَهُها الشَّارِبون كما في الدنيا، ولا يكون فيها مِن الأذى كما يكون في خَمْر الدنيا، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾: لم يخرُجْ مِن بُطونِ النَّحْل مُخْتَلِطًا بالشَّمْع والقَذى، خلَقَه اللَّهُ مُصفًّى، لا أنْ كان مُخْتَلِطًا فصُفِّيَ، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: للأكل، والأنهارُ للشُّرْب، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: أي: ولهم مع ذلك عَفْوٌ لِمَا كان منهم مِن الذنوب، وقد نسُوها، فلا يتذكَّرونها؛ لئلا يتنغَّصَ الحالُ عليهم، ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾: وها هنا مُضْمَرٌ؛ أي: أفمَن هو صائِرٌ إلى هذا وهو خالدٌ فيه كمَن هو خالدٌ في النار؟! كما قال في الآية الأولى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ الآية، ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾: أي: ويُسْقَون؛ لأنَّ ما كان في الآخرة فهو كائن لا محالةَ(١).

(١٦) - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: أي: ومِن هؤلاء الذي يتمتَّعون ويأكلون كما تأكلُ الأنعام، وزُيِّنَ لهم سوءُ أعمالِهم، واتَّبَعوا أهواءَهم: قومٌ يحضُرُ الواحدُ منهم مَجْلِسَكَ الذي تتلو فيه القرآنَ وتبيِّنُ معانيَه ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: باللَّهِ وكتابه ودِينِه مِن أصحابك، ﴿مَاذَا قَالَ

---

(١) روح المعاني (٢٥/ ١٤٥)، وتفسير مقاتل" (٤/ ٤٦)، وجامع البيان (٢١/ ٢٠٠).

آنِفًا﴾: أي: أيُّ شيءٍ قال محمد الآنَ؟، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: لا يَخْلُصُ فَهْمُ القرآن إلى قلوبهم؛ لأنَّ اللَّه تعالى ختَمَ عليها لِعِلْمِه باختيارهم ذلك، ولاتِّباعهم أهواءَهم دون الحق، ويجوزُ أنْ يكون هذا في المشركين، ويجوزُ أنْ يكون هذا في المنافقين.

(١٧ -١٨) - ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾: بالقرآن ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾: أي: زادَهم اللَّهُ تعالى؛ أي: أدامَهم اللَّهُ تعالى على الهدى، وقيل: والذين اهتدوا بالإيمان زادَهم القرآنُ رَشَدًا وبَصيرةً في دينهم، ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾: أي: ألهَمَهم اللَّهُ تَقْواهم، وقيل: أي: أعطاهم ثوابَ تقواهم، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾: أي: ما ينتظرُ هؤلاء بإيمانهم؛ أي: بتأخيرهم الإيمانَ إلا الساعةَ، فإنْ كانوا ينتظرونها فهي لا تأتيهم إلا فَجْأةً، فإنَّ اللَّهَ تعالى طوى عِلْمَها عن الخَلْق، فإذا أتَتْهم بَغْتةً لم يُغْنِ الإيمانُ حينئذٍ، وإنْ أرادوا الإيمانَ عند دُنُوِّها لِيَنفعَهم فهذا وقتُه، ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾: أي: علاماتُها، فقد عُلِمَ دنوُّها فما يتنظرون؟، ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾: أي: فكيف ومن أين لهم أنْ يتذكَّروا إذا جاءتهم الساعةُ؟! قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾[الفجر: ٢٣](١).

(١٩) - ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾: أي: فاثبُتْ على هذا، وقيل: كان يضيقُ صدرُه بأذى الكفار، فقال له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، لا تُعَلِّقْ قلبَكَ بأقاربك، واعلَمْ أنه لا كاشِفَ لِما في قلبكَ سوى اللَّه، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾: أي:

(١) الكشف والبيان(٩/ ٣٣)، ومعالم التنزيل (٧/ ٢٨٣)، والبسيط (٢٠/ ٢٤١)، تفسير مقاتل (٤/ ٤٨).

لِتَقْصِيرِكَ، فلن يخلوَ العبدُ عنه، وقيل: أي: لِمَا يُتَصَوَّرُ عندك أنه تقصيرٌ، فإنه يُزيلُ عن قلبكَ ما تَسْتَشْعِرُه مِن ذلك، قال النبي ﷺ: "إنه لَيُغانُ على قلبي، فأستغفرُ اللَّهَ تعالى في اليوم سبعين مرةً"(١)، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: أي: لِأُمَّتِكَ، وهي أرجى آيةٍ في القرآن، فإنه لا شك أنه ائتمرَ بهذا الأمر، ولا شكَّ أنَّ اللَّه تعالى أجابَه فيه، فإنه لو لم يُرِدْ إجابتَه فيه لَمَا أمرَه به، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾: مُتَصرَّفَكم في الدنيا، ومُقامَكم في الآخرة؛ أي: فلن يَخْفى عليه حالُكم ومآلُكم، وقيل: مُتَقَلَّبَكُم بالنهار، ومثواكم بالليل(٢).

(٢٠) - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾: أي: يستعجلُ المؤمنون بنُزول سورة في الجهاد والحثِّ عليه؛ لِحِرْصِهم في نُصْرة الدِّين وقَمْعِ الكافرين، ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾: ناسِخةٌ لِما قَبْلَها مِن الحُكْم، وقيل: مُؤَكَّدةٌ في الأمر والنهي، وقيل: مُعْجِزةٌ بنَظْمِها ومعناها، يُعْلَمُ أنها مِن اللَّه تعالى، ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾: أي: فُرِضَ الجهادُ، ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: أي: شكٌّ ونفاقٌ، ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: أي: مِن حُضور أسباب الموت مِن آثار الجُبْن والفزَع؛ مِن تغيُّرِ الوجه وانقلابِ حَلْقَةِ العين ودورانها، وقيل: ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾؛ أي: مِن خوف الموت في القتال، ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾: أي: فويلٌ لهم؛ كما قال: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [القيامة: ٣٤].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٢٧٠٢) عن الأغر المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الدر المنثور (٧/ ٤٩٦)، ومعالم التنزيل (٧/ ٢٨٥)، والتيسير في التفسير (١٣/ ٤٢٤).

(٢١) - ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: أي: كانوا يقولون: مِنَّا طاعةٌ، وهذا قولٌ معروفٌ؛ أي: حسَنٌ في العقل والشَّرع، ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾: أي: جَدَّ الأمرُ بالقتال، وأتَتِ العَزيمةُ فيه، كرِهوا ذلك، هذا مُضْمَرٌ، وقيل: المُضْمَرُ: لم يُصَدِّقوا اللَّهَ، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾: أي: كصِدْقِ المؤمنين، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾: أي: أَنْفَعَ لهم في دِينهم ودنياهم.

(٢٢) - ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾: أي: فهل تريدون إذا تركتم دِينَ محمد ﷺ أنْ تعودوا إلى مِثْلِ ما كنتم عليه مِن التَّقاتُل والتَّقاطُع، وقيل: أي: فلعلَّكم إذا أعرضتُم عن القرآن والإيمان رجعتم إلى الإفساد في الأرض وقَطيعةِ الأرحام؛ أي: تظنُّون أنْ تُهمَلوا في ذلك؛ أي: ليس كذلك[1].

(٢٣-٢٥) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أي: هؤلاء الذين يفعلون هذا، ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾: عن سماع الحقِّ ﴿وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾: عن رُؤية الحقِّ، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: استفهامٌ بمعنى الأمر ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾: أي: بل على قلوبِ طائفةٍ منهم أقفالُها، أي: أقفلَ اللَّهُ على قلوبهم فلا يفهمون شيئًا، عَلِمَ اللَّهُ تعالى منهم اختيارَ ذلك، ففعَلَ بهم ذلك، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾: قيل: رجَعوا عن طاعة اللَّه تعالى في الجهاد، فهُم هؤلاء المنافقون. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾: أي: حَقِّيَّةُ الإسلامِ، ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾: أي: زيَّنَ لهم أعمالَهم، ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾: أي: أطالَ لهم الثَّباتَ فيه، وقيل: أي: أمهلَهم اللَّهُ.

---

(١) تأويلات أهل السنة (٩/ ٢٧٩)، والكشف والبيان (٩/ ٣٥)، والتحرير والتنوير (٢٦/ ١١٢).

(٢٦) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي ذلك الإِضلال بسبب أنهم قالوا لليهود الذين كرهوا القرآن الذي نزَّله الله حسدًا وبغيًا ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾: أي: سنطيعكم في بعض ما تأمروننا به كالقعود عن الجهاد، وتثبيط المسلمين عنه وغير ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ أي: وهو جل وعلا يعلم خفاياهم، وما يبطنونه من الكيد والدسّ والتآمر على الإِسلام والمسلمين.

(٢٧ - ٢٨) - ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: أي: فكيف يَدْفَعون العذابَ إذا جاءتهم الملائكةُ لِقَبْضِ الأرواح، ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾: أي: أمامَهم وخَلْفَهم، ﴿ذَلِكَ﴾: أي: ذلك العذابُ، ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾: مِن مُظاهرَةِ المشركين، ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾: أي: ما يَرْضاه اللَّهُ تعالى مِن مُعاونَة المؤمنين، ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾: أي: أبطَلَ ما كان قُرْبَةً عندهم بنِفاقهم.

(٢٩ - ٣٠) - ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾: أي: أظَنَّ الذين في قلوبهم نفاقٌ أنْ لن يُظْهِرَ اللَّهُ أحقادهم على المؤمنين؟! أي: ليس كذلك، بل يُظْهِرُها، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾: أي: عاجلًا ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: بآثار وجوههم مِن تغيُّرِها، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾: الآنَ قَبْلَ تغييرِ صُوَرِهم ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾: أي: في مَخارجِ ألفاظِهم في مُخاطباتِهم لكَ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾: مؤمنِكم وكافرِكم، ومُخْلِصِكم ومُنافقِكم[(١)].

(٣١) - ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: ولَنَخْتَبِرَنَّكم بالأمر والنهي؛ أي: أُعامِلكم

---

(١) التيسير في التفسير (١٣، ٤٢٩).

مُعاملةَ المُخْتَبِرِ؛ لِيَظْهَرَ منكم ما سبَقَ في عِلْمِي منكم، وذلك قولُه: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ أي: حتى أَعْلَمَهم موجودين كما كنتُ عَلِمْتُهم أنهم يوجدون، ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾: أي: وحتى نَكْشِفَها.

(٣٢) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾: أي: عادَوه وخالَفوه، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾: أي: لن يضُرُّوا رسولَه والمؤمنين بكَيْدٍ ولا حِيلَةٍ، ولا يُنْقِصُوا مِن مُلْكِ اللَّه تعالى شيئًا، ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: يبطلها من صدقة ونحوها فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا[١].

(٣٣) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾: بتَرْكِ طاعةِ اللَّه وطاعةِ رسوله، وقيل: بالرِّياء والعُجْب والملاحظة، وقيل: أي: بالسُّكون إليها.

(٣٤ -٣٥) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طريقه وهو الهدى، ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾: وهو كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، وهي في رُؤَساء مكَّةَ الذين قُتِلوا ببدرٍ، ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾: أي: فلا تَضْعُفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾: أي: لا تَجْبُنوا عن قتالهم، ولا تَدْعوهم إلى الصُّلح، فأنتم الأَعْلَون قَدْرًا ويَدًا، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾: أي: حافظُكم وناصرُكم ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ﴾؛ أي: ولن يَنْقُصَكم ﴿أَعْمَالَكُمْ﴾؛ أي: أُجورَ أعمالِكم[٢].

---

(١) الكشف والبيان (٩/ ٣٧)، الكشاف (٤/ ٣٢٧)، وتفسير الجلالين (١/ ٦٧٧).

(٢) لطائف الإشارات (٣/ ٤١٥)، وبحر العلوم (٣/ ٣٠٦)، والكشاف (٤/ ٣٢٩).

(٣٦) - ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: تَضْمَحِلُّ عن قريبٍ، فلا يحصُلُ الإنسانُ منها إلَّا على ما يحصُلُ مِن اللَّعِب واللَّهْو، فلا يَحْمِلَنَّكم حبُّها على أنْ تبخلوا بأنفسكم وأموالكم عن الجهاد في إحياء الدِّين، والدُّعاءِ إلى الإيمان والتقوى، ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾: أي: تَثْبُتوا على الإيمان، وتتَّقوا العِصيان ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾: وهي أكبرُ مِن الحياة الدنيا وما فيها، فإنَّ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ﴾: أي: اللَّهُ. وقيل: رسولُ اللَّهِ ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾: أي: كلَّها.

(٣٧ - ٣٨) - ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾: الإِحْفاءُ: هو الإلحاحُ والاستِقْصاءُ، ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ﴾: أي: اللَّهُ. وقيل: البُخْلُ، ﴿أَضْغَانَكُمْ﴾: جَمْعُ ضِغْنٍ، وهو الحِقْدُ؛ أي: كراهتكم، ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾: أي: يا هؤلاء ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: إلى أنْ تُنْفِقوا، ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: أي: على نفْسِه، فإنَّ ضررَه على نفْسِه، والحِرْمانَ راجعٌ إليه، وقيل: ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾؛ أي: عن بُخْلِ نفْسِه، ولو كان جوادًا لم يَبْخَلْ، ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾: عن نفقاتكم ﴿وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾: إلى ثواب اللَّه، ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾: عن الإنفاق في سبيل اللَّه ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: أي: يُهْلِكْكُمُ اللَّهُ، ويأتِ بقومٍ آخَرين ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾: في البُخْل والإمساك[(١)].

(انتهى تفسير سورة محمد ﷺ).

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٢٣٣)، والكشف والبيان (٩/ ٣٩)، والوسيط (٤/ ١٣١)، ومعالم التنزيل (٧/ ٢٩٢)، الكشاف (٤/ ٣٣١).

(٤٨) سورة الفتح مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مدنيَّةٌ، سميت في كلام الصحابة سورة الفتح، ولا يعرف لها اسم آخر. ووجه التسمية أنها تضمنت حكاية فتح فتحه الله للنبي ﷺ وهي السورة الثالثة عشرة بعد المائة في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة الصف وقبل سورة التوبة، وهي تسعٌ وعشرون آيةً، وخمسُ مئةٍ وستون كلمةً، وألفان وأربعُ مئةٍ وأحدٌ وعشرون حرفًا.

أغراضها:

تضمنت هذه السورة بشارة المؤمنين بحسن عاقبة صلح الحديبية وأنه نصر وفتح، فنزلت به السكينة في قلوب المسلمين وأزال حزنهم من صدهم عن الاعتمار بالبيت وكان المسلمون عدة لا تغلب من قلة فرأوا أنهم عادوا كالخائبين فأعلمهم الله بأن العاقبة لهم، وأن دائرة السوء على المشركين والمنافقين. والتنويه بكرامة النبي ﷺ عند ربه ووعده بنصر متعاقب. والثناء على المؤمنين الذين عزروه وبايعوه، وأن الله قدم مثلهم في التوراة وفي الإنجيل ثم ذكر بيعة الحديبية والتنويه بشأن من حضرها. وفضح الذين تخلفوا عنها من الأعراب ولمزهم بالجبن والطمع وسوء الظن بالله وبالكذب على رسول الله ﷺ، ومنعهم من المشاركة في غزوة خيبر، وإنبائهم بأنهم سيدعون إلى جهاد آخر فإن استجابوا غفر لهم تخلفهم عن الحديبية. ووعد النبي ﷺ بفتح آخر يعقبه فتح أعظم منه وبفتح مكة، وفيها ذكر بفتح من خيبر(١)، وانتظامُ آخرِ

---

(١) التحرير والتنوير(٢٦/١٤٣).

تلك السورة بأوَّل هذه السورة: أنَّه حثَّ في آخر تلك المؤمنين على الجهاد والإنفاق في ذلك، وافتتَحَ هذه السورةَ بِذِكْر ما يَتْبَعُه مِن الفُتوح، وما يتَّصِلُ به مِن الكرامات لرسوله والمؤمنين بذلك، وانتظامُ السورتين: أنَّ تلك في ذِكْر الذين كفروا وصَدُّوا عن سبيل اللَّه، وهذه، السورةُ في بيان صَدِّهم رسولَ اللَّهِ ﷺ والمؤمنين عامَ الحُدَيْبِيَةِ عن المسجد الحرام، وما نزَلَ فيه مِن المواعيد على رسول اللَّه ﷺ.

(١-٢) - ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾: أي: قضينا لك بفتح مكة وغيرها في المستقبل عنوة بجهادك، ﴿فَتْحًا مُبِينًا﴾: أي: قضاءً بَيِّنًا تَظهرُ آثارُه إذا أمضيناه وأبرزنا مَكْنونَه، وهو ما ألهمناكَ مِن هذا الصلْح الذي هو سببٌ لانفتاح أمور يظهرُ به الدِّين، وتكثُرُ بعده الفُتوحُ على المسلمين؛ لِتَقِفَ على إنعامنا، وتشكُرَ لنا، فتستحِقَّ به المغفرةَ وإتمامَ النِّعمة وإدامةَ الهدايةِ والنَّصْرِ والعِزَّةِ، ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ أي: لِتشكرَ اللَّهَ تعالى على هذا، فيَغْفِرَ اللَّهُ لكَ بذلك، وتقديرُه: لِيغفِرَ لكَ اللَّهُ إذا شكَرْتَ هذه النِّعمةَ، وقيل: اللامُ لامُ القسَمِ، وتقديرُه: لَيَغفِرَنَّ اللَّهُ لكَ، ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: أي: مِن زلَّتِكَ، ولا نبحثُ عن ذلك بتعيينه؛ لأنَّه طلَبُ النَّقْصِ فيه، وهو باطلٌ، ويُعْلَمُ أنَّ اللَّهَ تعالى عاتبَه على شيء ثم غفرَه له، ولا حاجةَ بنا إلى معرفة ذلك بعينه، وقيل: هو غُفْرانُ عِصْمَةٍ، ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾: قيل: بإظهار الدِّين، ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: أي: ويُثَبِّتَكَ على الصواب والسَّدادِ[١].

(٣-٤) - ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ﴾: أي: يُعِينَكَ على أعدائك ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾؛ أي:

---

(١) البسيط (٢٠/ ٢٧٩) والكشف والبيان (٩/ ٤٢)، ومعالم التنزيل (٧/ ٢٩٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٤٩٥)، التيسير في التفسير (١٣/ ٤٤٩)، وتفسير الجلالين (١/ ٦٧٩).

مُعِزًّا يُعِزُّ ذلك النَّصْرُ مَن آمنَ بِكَ، ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾؛ أي: الطُّمَأْنِينَةَ ﴿فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾: أي: يقينًا مع يقينهم، والسَّكينةُ: الطُّمَأْنِينةُ في قلوبهم يوم صَدَّ المشركون رسولَ اللَّه ﷺ وأصحابَه عن دخول مكة، فأذهبَ عنهم الحَمِيَّةَ واطمأنُّوا ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾؛ أي: تصديقًا مع تصديقهم، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: لو أرادَ اللَّهُ إهلاكَ المشركين الصَّادِّين رسولَ اللَّهِ والمؤمنين عن البيت لم يُعْجِزْه ذلك، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾: أي: بما كان، وبما يكون ﴿حَكِيمًا﴾: أي: فيما يفعلُه به وبكم.

(٥) - ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: أي: لِيكون ازديادُ تصديقِهم ويقينِهم سببًا لإدخالِهم الجنةَ، ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: عَطْفٌ عليه، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: في حُكمِ اللَّه، وقيل: في الآخرة، ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾: ظفرًا بكل محبوبٍ، وأَمْنًا مِن كل مَرْهوبٍ.

(٦) - ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾: أي: ولِيُعَذِّبَهم في الدنيا بإيصال الأحزان بهم بعُلُوِّ المؤمنين، وتَسليطِ النَّبيِّ عليهم قَتْلًا وأَسْرًا واستِرْقاقًا، ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾: وهو ما توهَّموه أنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ رسولَه والمؤمنين، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾: والدَّائرةُ: الرَّاجِعةُ بخيرٍ أو بشَرٍّ، وها هنا أُضِيفَ إلى السَّوء، فأُريدَ بها: دائرةُ الأمر السَّوء، أي: أكذَبَ اللَّهُ ظنَّهم، وجعلَ دائرةَ السَّوءِ عليهم، فدخلَ النبيُّ ﷺ العامَ القابلَ مكةَ، وأجلى عنها مَن امتنعَ عن الإسلام، وقهرَ أهلَها على ما أراد منهم مِن الإسلام أو الجلاء، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ

﴿عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: أبعدهم، وهذا كلُّه في حقِّ مَن مات منهم أو قُتِلَ على شركه أو نفاقه.

(٧-٨) - ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أعاد هذا؛ لأنَّ الأوَّلَ في معنى التَّهديد للمشركين الصَّادِّين رسولَ اللَّهِ والمؤمنين عن مكة، وهذا في حقِّ كلِّ المنافقين والمشركين، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾: أي: مَنيعًا لا يُرَدُّ بأسُه ﴿حَكِيمًا﴾: يضَعُ الإمهال مَوْضِعَه، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾؛ أي: بعثناكَ إلى أُمَّتِكَ شاهدًا بالبلاغ إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالقرآن المؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالقرآن الجاحدين بالنار.

(٩) - ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾: يجوز أنْ يكون التَّعْزيرُ والتَّوقيرُ للَّه مع التسبيح، وهو أَوْفَقُ للنَّظْمِ، والتَّعزيزُ هو النَّصْرُ مَرَّةً بعد أخرى، وهو نصرُ دينِ اللَّه ورسوله، والتَّوقيرُ: التَّعظيمُ، والتَّسبيحُ: التَّنزيهُ له، ويجوزُ أنْ يكون التَّعزيزُ والتَّوقيرُ لرسول اللَّه، وأما التَّسبيحُ فلا يجوز إلا للَّه، وتعزيرُ الرَّسولِ: المنعُ له، والحمايةُ له، والقتالُ دونه، وتوقيرُه: تعظيمُه في مُخاطباته، وتعظيمُ أمرِه، وقيل: ﴿تعزروه﴾: تُنَصِّروه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: تُفَخِّموه، ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: قيل: نهارًا وليلًا(١).

(١٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ أي: بيعة الرضوان بالحديبية، ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هو نحو قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ

---

(١) الهداية (١١/ ٦٩٤٢)، النكت والعيون" (٥/ ٣١٣)، المحرر الوجيز (٥/ ١٢٩)، والكشاف (٤/ ٣٣٥)، معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢١)، وجامع البيان (٢١/ ٢٥٣)، والبسيط (٢٠/ ٢٩٠).

أَيْدِيهِمْ﴾: التي بايعوا بها النبي أي هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها، **﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾**: أي: فمَن نقَضَ ذلك فإنما ضرَرُ نَقْضه راجعٌ إليه، **﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** لا يعلم مقداره إلا الله[(١)].

(١١) - **﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾** حول المدينة أي الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفًا من تعرض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها، **﴿الْمُخَلَّفُونَ﴾**: أي: المتروكون خَلْفَ الخارجين، **﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾**: أي: لم يكن لنا مَن يَخْلُفُنا في أموالنا وأهلينا، فخِفْنا الضَّياعَ عليها وعليهم، **﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾**: أي: وإنْ كان هذا عُذْرًا عند أنفسنا، فإنا نسألُكَ أنْ تسألَ اللّهَ أنْ يغفِرَ لنا تخلُّفَنا عنكَ؛ إذ كنا حِراصًا على الخروج معكَ، وإنما مُنِعْنا عنه بعُذْرٍ، **﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾**: أي: لم يكن تخلُّفُهم لِما يقولون، بل كان في قلوبهم الخوفُ على أنفسهم، **﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾**: تَخَلَّفْتُم أو خرَجْتم، **﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾**: أي: عالِمًا لم يزل متصفًا بذلك.

(١٢) - **﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾**: أي: توَهَّمتم أنهم يُقْتَلون أو يُهْزَمون، فيتبَدَّدون في البلاد النائية، فلا يرجعون إلى المدينة، وقَوِيَ هذا التَّوَهُّمُ في قلوبكم، **﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ**

---

(١) معالم التنزيل (٧/ ٣٠٠)، والكشف والبيان (٩/ ٤٥)، البسيط (٢٠/ ٢٩١)، والتيسير في التفسير (/ ٤٥٨).

﴿السَّوْءِ﴾: أي: ظَنًّا يسوءُ المؤمنين تحقُّقُه، ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أي: فاسدين، وقيل: هالكين[١].

(١٣ - ١٤) - ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾: أخبرَ أنَّ هؤلاء كافرون باللَّه ورسوله، وأنَّ مصيرَهم إلى النار، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: النبيُّ ﷺ مُسْتَغْنٍ عن هؤلاء المنافقين وعن الاعتضاد بهم، وإنما يأمرُهم بالجهاد وسائر العبادات ابتلاءً، فمَن أطاعَه رَحِمَه، ومَن عصاه عذَّبَه، فذلك قولُه: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: وفيه تحريكٌ للمنافقين على التوبة، ووعدٌ مِن اللَّه قَبولَها منهم، وفيه دِلالةٌ على صِحَّةِ نبوَّةِ نبيِّنا، حيث أخبرَ أنهم سيقولون كذا، وكان كما أختز، فدلَّ أنه علِمَ ذلك مِن عند اللَّه تعالى.

(١٥) - ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾: وهُم المذكورون مِن قبلُ، وجعلَ اللَّهُ مَغانِمَ خيبرَ لأهل الحُدَيْبِيَةِ خاصَّةً؛ مَن غاب منهم ومَن حضَرَ، ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾: فإنا قد أَوْضَحنا عُذْرَنا في التَّخَلُّف عن الحُدَيْبِيَةِ، فمنعَهم النبيُّ بأمرٍ مِن اللَّه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾: أي: يريدون أنْ يُغيِّروا كلامَ اللَّه، حيث قال لرسوله: لا تأذَنْ لهم بالخروج إلى غزوةٍ أخرى معك، ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾: أي: في المَسِير إلى خيبرَ إلَّا مُتطَوِّعين مِن غير أنْ يكونَ لكم

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٢٥٩)، وتأويلات أهل السنة (٨/ ١٦)، والنكت والعيون (٥/ ٣١٤)، وتفسير السمعاني (٥/ ١٩٦)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٦٦)، وغريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٤١٢).

شِرْكةٌ في الغنيمة، ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾: أنَّهم لا يَتَّبِعونكم، وقيل: أنَّ خيبرَ لكم خاصَّةً، ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾: أي: على الغنيمة، فتُريدون أنْ تنفردوا بها، ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: ولو فقِهوا لَكَفُّوا عن مَسْأَلتِكم الإذنَ لهم بعد إخباركم إياهم أنَّ اللّهَ قد خصَّكم بغنائمِ خيبرَ (١).

(١٦) - ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾: وهُم هؤلاء الذين مُنِعوا عن الخروج إلى خيبرَ في حياة النبي ﷺ، ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أي: أولي قُوَّةٍ في الحرب؛ أي: بعد وفاة النبي ﷺ، وهُم بنو حَنيفةَ، وهُم أهلُ اليمامة، رأسُهم مُسَيْلِمَةُ الكذَّابُ، قاتلَهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾: ومعناه: حتى يُسْلِموا، أو هُم يُسْلِمون، ﴿فَإِن تُطِيعُوا﴾: أي: تُخْلِصوا في تلك الحرب، وتُطيعوا الواليَ الذي دعاكم إليه، ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾: الغَنيمةَ في الدنيا بدلَ ما فاتكم مِن غنائمِ خيبرَ، والثوابَ في الآخرة، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾: عن الإجابة ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ عن إجابة النبي ﷺ يومَ الحُدَيْبِيَة ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الدنيا والآخرة.

(١٧) - ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾: لَمَّا نزَلَ وعيدُ المُتَخَلِّفين عن الغزو، اهتَمَّ الزَّمْنى لذلك، فنزَلَ هذا في عُذْرِهم عن التَّخَلُّف عنه لِعَجْزِهم، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: في الجهاد وغيرِ ذلك، ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ﴾: أي: عن طاعة اللّه ورسوله، ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الدنيا والآخرة.

---

(١) التيسير في التفسير (١٣/ ٤٦٣).

(١٨) - ﴿لَقَدْ رَضِىَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾: وهي شجرةُ سَمُرَة بالحُدَيْبِيَةِ، أثنى اللَّهُ على الذين بايعوا رسولَه تحت الشجرة يومَ الحُدَيْبِيَةِ، وهي بيعةُ الرِّضْوان، وكانوا ألفًا وخمسَ مئةِ رجلٍ، وكانت الشجرةُ سمُرَة، وأوَّلُ مَن بايعه أبو سنان الأسديُّ، بايعوه على ألَّا يفِرُّوا وعلى الموت، ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: مِن صِدْق البَيْعة، وقيل: مِن كراهية الصُّلح، ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: الطُّمَأْنينةَ على طاعة الرسول، ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية[١].

(١٩) - ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾: قيل: لَمَّا سمِعَ أهلُ القرى المجاورةِ لِخيبرَ ما جرى عليها، صالَحوا رسولَ اللَّه ﷺ على الشَّطْرِ مِن قُراهم، وفَدَكُ -اسم قرية- في جُمْلَتها، فهي مِن المغانم الكثيرة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾: أي: مَنيعًا لا يُغالَبُ ﴿حَكِيمًا﴾: فيما يَحْكُمُ به، فلا يُعارَضُ.

(٢٠) - ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾: أي: بعد خيبرَ، وقد فُتِحَ عليه بعد ذلك حُنَيْنٌ وأَوْطاسٌ وفارسُ والرُّومُ، وقيل: هو كلُّ فتحٍ يكون إلى يوم القيامة، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾: أي: خيبرَ ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾: قيل: أي: حُلفاءِ خيبرَ -وهم أسدٌ وغَطَفانُ- جاؤوا لِنُصرةِ أهل خيبرَ، فقذفَ اللَّهُ في قلوبهم الرُّعْبَ فانصرفوا، وكان عليهم مالك بن عوف النَّصْريُّ وعُيَيْنَةُ بنُ حُصْنِ بن بدرٍ الفَزَارِيُّ، هابوا فانصرَفوا، ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: لِتكونَ

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٣١٧)، والبسيط (٢٠/ ٣٠٥)، وتفسير مقاتل (٤/ ٧٣)، وجامع البيان(٢١/ ٢٧٥).

هزيمتُهم مِن غير قتال عِبْرةً للمؤمنين، ودِلالةً على حُسْنِ صُنع اللَّه تعالى بالمسلمين، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: أي: ولتَسْلُكوا في كلِّ أحوالكم هذه الطريقةَ المستقيمةَ في الثِّقة باللَّه تعالى على مواعيده[١].

(٢١) - ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾: أي: ووعدَكم أخرى، وهي مكَّةُ، لم تَقْدِروا على دخولها العامَ بصدِّ المشركين، ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾: أي: قد أعدَّها لكم وحبَسَها عليكم، فهي لكم كالشيء قد أُحِيطَ به مِن كل جانبٍ، فهو مَحْصورٌ، لا يُفْلِتُ ولا يمتنعُ عن المُحيطين به، يَحوزونه متى أرادوا، وقيل: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾: فارسُ والرُّومُ، ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾: أي: قد علِمَ أنها ستكون لكم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾: أي: مِن فَتْحِ هذه القُرى، وإنجازِ هذه المواعيد، وكلِّ شيء.

(٢٢ -٢٣) - ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: يعني: الذين صَدُّوهم عن المسجد الحرام، وهو إيناسٌ لهم عن الوَحْشة التي اعترَتْ بعضَهم بانصرافهم، وتشجيعٌ لقلوبهم على كلِّ جهادٍ، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾: أي: سَنَّ اللَّهُ تعالى هذه السُّنّة؛ أي: هكذا أجرى اللَّه تعالى العادةَ في الأُمَم الخالية أنَّ الكافرين لا يجدون وليًا ولا نصيرًا، فهُم مخذولون وإنْ أُمْهِلوا إلى حينٍ، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: أي: ولن تجدَ لهذه السُّنَّةِ تغييرًا.

(٢٤) - ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾: أي: أيدي أهلِ مكَّةَ ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾؛ أي: عن أهلِ مكَّةَ ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾؛ أي:

---

(١) التيسير في التفسير (١٣/ ٤٦٩).

بالحُدَيْبِيَةِ، وقيل: وادي مكة، ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي: أَقْدَرَكم وسَلَّطَكم، فإن ثمانين منهم طافوا بعَسْكَرِ رسول الله ﷺ لِيُصِيبوا منهم غِرَّةً، فأُخِذوا، وخلَّى عنهم رسولُ الله ﷺ. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾: لم يزل متصفًا بذلك.

(٢٥) - ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ﴾: أي: وصَدُّوا الهَدْيَ، ﴿مَعۡكُوفًا﴾: أي: مَوْقوفًا ممنوعًا، ﴿أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾: أي: عن أنْ يبلُغَ المَوْضِعَ الذي يحِلُّ فيه ذَبْحُه، وهو الحَرَمُ، ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ﴾: أي: مِن بين أهل مكةَ، ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾: أي: لم تَعْلَموا أنتم بإيمانهم، ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾: أي: لولا أنْ تطَؤُوهم بِخَيْلِكم إذا دخلتم مكةَ وأنتم لا تَعْلَمون بإيمانهم، وقيل: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾: بأقدامكم، ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم﴾: أي: فتَنالَكُم مِن جهة المَوْطُوئين بغير قصدٍ ﴿مَّعَرَّةُۢ﴾: قيل: مَساءَةٌ، وقيل: عَيْبٌ وشَيْنٌ، ومعناه: تلزمُكم الدِّيَةُ بقتلهم، وقيل: يَعِيبُكم الكفارُ بقتلِكم أهلَ دينكم، ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾: أي: بإيمانهم، ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾: أي: آمَنَ هؤلاء رجاءَ أنْ يُدْخِلَهم اللَّهُ جنَّتَه، ﴿مَن يَشَآءُ﴾: هُمُ المؤمنون، ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾: أي: لو زايلَ هؤلاء المؤمنون الكافرين، ﴿لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾: هو لِتَمييزِ هؤلاء الكفار مِن سائر الكفار، ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أي: لَعَذَّبنا الكفارَ بسيوفكم في الدنيا، وبالنار في الآخرة، وبيَّنَ بهذه الآية أنَّ الحِكْمةَ في صَرْفِ المؤمنين عن دخول مكة كانت لِسَلامةِ هؤلاء المؤمنين المُسْتَضْعَفين المَغْمُورين بمكةَ، وفيه بيانُ قَدْرِ ضُعفاءِ المؤمنين عند الله.

(٢٦) - ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾: أي:

لَعَذَّبْنا هؤلاء بسيوفكم حين جعل هؤلاء المشركون الصَّادُّون في قلوبهم الحَمِيَّةَ؛ أي: الأَنَفَةَ، والجاهليَّةُ: حالةُ الكفرِ والجهلِ باللَّه، قالوا: قتَلَ محمَّدٌ آباءَنا وإخوانَنا، ثم أتانا يدخُلُ علينا في منازلنا، واللَّهِ لا يدخُلُ علينا، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: حتى اطمَأَنُّوا، فلم يضطَرِبوا، ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾: قولُ: لا إله إلا اللَّه، ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾: أي: أولى بها مِن غيرهم، ﴿وَأَهْلَهَا﴾: أي: مُسْتَحِقِّين بها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾: بِمَن كان أهلًا للإيمان باختياره ذلك، وبكل شيءٍ[1].

(٢٧) - ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾: أي: أراهُ ما أراهُ في المنام صِدْقًا لا خُلْفَ فيه، ﴿بِالْحَقِّ﴾: أي: بتحقيق ما أَراه، ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾: وهذا قسَمٌ، ورُؤْيا الأنبياءِ وحيٌ لا خطَأَ فيه، وخبَرٌ لا كَذِبَ فيه، والقسَمُ تأكيدٌ لا وَهْنَ فيه، ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾: وهو تحقيقٌ لا تعليقٌ، وتقديرُه: لتَدْخُلُنَّه بإدخال اللَّه، وهو بمشيئتِه وإرادتِه، لا مُعْتَرِضَ عليه، ولا مُنازِعَ له، ولا مانِعَ دونه، ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾: أي: تَدْخُلونه مُحْرِمين بالعمرة، ثم تحْلِقون رؤوسَكم للتَّحلُّل، ويُقَصِّرُ بعضُكم، والتَّشديدُ للتَّكْثير، وهو تكثيرُ محالِّ الحَلْقِ، وهي الرُّؤوسُ، والتَّقْصيرُ: قَطْعُ أطرافِ الشُّعور، ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أبدًا، ﴿فَعَلِمَ﴾ أي: ما في الصلح، ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾: من الصلاح، ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الدخول، ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾: هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام القابل[2].

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٣١٠)، والكشف والبيان (٩/ ٦٣)، والتيسير في التفسير (١٣/ ٤٧٦).

(٢) تفسير الجلالين (١/ ٦٨٣).

(٢٨-٢٩) - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾: أي: بالتوحيد ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾؛ أي: بالإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾؛ أي: لِيُعْلِيَه على الأديان كلِّها، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: أي: شاهِدًا على صِدْقِ رسولِه بإقامة حُجَجِه، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾: مُبتدأٌ وخبرٌ، وهو وقفٌ تامٌّ، وما بعده مُبتدأٌ وخبَرٌ أيضًا، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: أي: مِن الصحابة ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾؛ أي: غِلاظٌ عليهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: عاطِفون على أهل الإسلام، ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: مع جهادهم في سبيل اللَّه كانوا مُجْتَهِدين في العبادة للَّه تعالى، ﴿يَبْتَغُونَ﴾: بذلك ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾: بتَضْعيفِ الحسنات ﴿وَرِضْوَانًا﴾: بعَفْوِ السيئات، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾: أي: علامتُهم، قيل: هي صُفْرَةُ الوُجوهِ بكثرة التَّهَجُّد، وقيل: هي إشراقُ وجوهِهم مِن أَثَرِ السُّجود، ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾: أي: صفتُهم، أي: ذُكِروا في التوراة أنهم أشَدُّ على الكفار... إلى آخره، ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾: أي: صفتهم، هذا على حقيقة المَثَل، ﴿كَزَرْعٍ﴾: أي: مَثَلُهم في توادِّهم وتراحُمِهم فيما بينهم، وتآلُفِهم على الجهاد في سبيل اللَّه، ونُصْرَةِ دِين اللَّه؛ كزَرْعٍ، ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾: أي: قوائمَه، وقيل: سُنبُلَه، ﴿فَآزَرَهُ﴾: أي: قوَّى الشَّطْءُ أَصْلَ الزَّرع بالتفافِه عليه وتكاثُفِه، ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾: أي: فغلُظَ قصَبُ الزَّرع، ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾: جَمْعُ ساق، ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾: أي: يروقُ هذا الزَّرْعُ الزَّارِعَ، تمثيلُ إعجابِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأصحابه، وتوافُقِهم على الطاعة، وتظاهُرِهم، على نُصْرَةِ الدِّين، فيتعجَّبُ الأنبياءُ منهم يومَ القيامة؛ لِمَا يَرَوْنَ مِن فضلِهم على كل الأُمَم، فالزُّرَّاعُ مَثَلُ الأنبياءِ، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾: أي: قد جعلَهم اللَّهُ كذلك لِيُكْمِدَ

بتآلُفِهم قلوبَ الكفار، وتنقَطِعَ بذلك أطماعُهم في الظُّهور عليهم، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾: هو لِتَمييز الجنس، لا للتَّبْعيض، وقيل: أي: مِن هؤلاء الصحابة، ﴿مَغْفِرَةً﴾: عَفْوًا عن السيئات، ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾: في الجنة بما لا ينقطِعُ مِن الكرامات[١].

(انتهى تفسير سورة الفتح).

---

(١) الكشف والبيان (٩/ ٦٥)، الوسيط (٤/ ١٤٦)، زاد المسير (٤/ ١٣٩)، التيسير في التفسير (١٣/ ٤٨٥).

(٤٩) سورة الحجرات مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورةُ مَدَنِيَّةٌ، سميت في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير سورة الحجرات وليس لها اسم غيره، ووجه تسميتها أنها ذكر فيها لفظ الحجرات، وهي السورة الثامنة بعد المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة المجادلة وقبل سورة التحريم، وهي ثماني عشرةَ آيةً، وثلاثُ مئةٍ وسبعٌ وأربعون كلمةً، وألفٌ وأربعُ مئةٍ وثلاثةٌ وستون حرفًا.

أغراض هذه السورة:

تتعلق أغراضها بحوادث جدت متقاربة كانت سببا لنزول ما فيها من أحكام وآداب. وأولها تعليم المسلمين بعض ما يجب عليهم من الأدب مع النبي ﷺ في معاملته وخطابه وندائه، دعا إلى تعليمهم إياها ما ارتكبه وفد بني تميم من جفاء الأعراب لما نادوا الرسول ﷺ من بيوته، ووجوب صدق المسلمين فيما يخبرون به. والتثبت في نقل الخبر مطلقًا وأن ذلك من خلق المؤمنين، ومجانبة أخلاق الكافرين والفاسقين، وتطرق إلى ما يحدث من التقاتل بين المسلمين، والإصلاح بينهم لأنهم إخوة، وما أمر الله به من آداب حسن المعاملة بين المسلمين في أحوالهم في السر والعلانية، وتخلص من ذلك إلى التحذير من بقايا خلق الكفر في بعض جفاة الأعراب تقويمًا لأود نفوسهم(١)، وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السُّورة:

---

(١) التحرير والتنوير(٢٦/ ٢١٤).

أنَّ خَتْمَ تلك السُّورةِ في ذِكْرِ النبي ﷺ ومُوافِقيه ومُخالِفيه، وافتتاحَ هذه بذلك أيضًا، وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك السُّورةَ في أصول الدِّين مِن الإيمان والإيقان والبيعة والجهاد في سبيل اللَّه تبارك وتعالى، ومُؤازرةِ رسولِ اللَّه ﷺ، وهذه في فروع الدِّين، ومَكارم الأخلاق، وجَلائل الآداب، والمُجاملة في المُعاملة.

(١) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: بفتح التاء والقاف والدال مِن التَّقَدُّم، وبضم التاء وفتح القاف وكسر الدال مِن التَّقْدِيم، أي: لا تقدموا قولًا ولا فعلًا على قولِ رسول اللَّه ﷺ وفعلِه فيما سبيلُه أنْ يُؤخَذَ عنه مِن أَمْرِ الدِّين، بل انتظروا حُكْمَ رسولِ اللَّه ﷺ فيه، فإنَّ حُكْمَه حُكْمُ اللَّهِ تعالى؛ لأنه مبلِّغٌ عنه، وقيل: لا تقولوا قَبْلَه ولا تفعلوا قَبْلَه شيئًا، بل كونوا تابِعين له قولًا وفعلًا، والتَّقَدُّمُ بين يَدَيِ اللَّه مُخالَفةُ كتابِه، والتَّقَدُّمُ على رسوله مُخالَفَةُ سُنَّتِه، وقيل: لا تعمَلوا بخِلاف الكتاب والسُّنَّة. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: في التَّقدُّم بين يَدَيِ اللَّه ورسوله، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لِما تقولونه ﴿عَلِيمٌ﴾: بما تفعلونه، نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عند النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ[(١)].

(٢) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾: أي: في مُخاطباتِه، ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾: أي: عليه، ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾: أي: لا تستعملوا في خِطاب النبيِّ ﷺ التَّصريحَ بالاسم كما يُصَرِّحُ بعضُكم لبعض، فيقول: يا محمَّدُ، يا أبا القاسِمِ، بل خاطِبوه بالنُّبُوَّةِ والرِّسالة: يا نبيَّ اللَّهِ، يا

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٣٣٦)، وتأويلات أهل السنة (٩/ ٣٢٢).

رسولَ اللَّهِ، فإنَّ الأوَّلَ تَرْكٌ للحُرْمَةِ، وتَسْوِيَةٌ بينه وبين الأُمَّةِ، ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: أي: لئلا يَبْطُلَ ثوابُ أعمالِكم التي هي طاعاتٌ وقُرُباتٌ بالاستخفاف بحقِّ رسولِ اللَّه ﷺ.

(٣) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾: أي: يَخْفِضونه احترامًا له، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾: أي: اختبرَهم بما تعبَّدَهم به مِن هذه العبادة؛ لِيُظْهِرَ للعباد طاعتَهم له باتِّقائِهم رُكوبَ ما نهاهُمُ اللَّهُ عنه، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: وهذا ثَناءٌ عَجيبٌ وثوابٌ عظيمٌ، وقد كان منهم أبو بكرٍ وعمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، نزلت في قوم جاؤوا وقت الظهيرة والنبي ﷺ في منزله فنادوه.

(٤) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، أي: إنَّ الذين يَصيحون بك خارجَ منزلكَ وأنتَ في منزلكَ، ولا ينتظرون خروجَكَ إلى الناس مِن قومٍ الغالبُ عليهم الجَفاءُ والجهلُ لِخُلُوِّهم مِن عِلْم الدِّين، وفيه ذَمُّ هذه الفِرْقَةِ، وتسخيفٌ لعقولهم بهذه المُعاملة، وتسليةٌ للنبي ﷺ بما لَحِقَه مِن الأَذِيَّة أنَّهم كالمجانين الذين لا عُقولَ لهم، فليَهُونَنَّ عليكَ ذلك، قيل: هُم أعرابُ بني تميمٍ[(١)].

(٥-٦) - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾: أي: أنفعَ وأصلحَ في دِينهم ودنياهم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي: إنْ تابوا غفرَ لهم ورَحِمَهم،

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٣٢٢)، والكشف والبيان (٩/ ٧٠)، وتفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٥٩)

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ نزلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مصدقًا فخافهم لترة كانت بينه وبينهم في الجاهلية فرجع وقال إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله فهم النبي ﷺ بغزوهم فجاؤوا منكرين ما قاله عنهم(١)، ﴿بِنَبَإٍ﴾ أي: بخبر، ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ مِن التَّبيُّن، وهو النَّظَرُ في الشيء إلى أنْ يتبيَّنَ ويتحقَّقَ ذلك، ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾: أي: لِئلَّا تُصيبوا قومًا بقول ذلك الفاسقِ على جهلٍ بحاله، وتقديرُ الآية: إنْ جاءكم فاسقٌ بخبَرٍ فتأنَّوا ولا تَعْجَلوا إلى أنْ يتَّضِحَ صِدْقُه؛ لئلَّا تُصيبوا إنْ عجِلْتم القضاءَ به قومًا في نُفوسِهم وذَراريهم وأموالِهم بجهلٍ منكم بحالهم في استحقاق ما تُصيبونهم به، ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾: وهو دليلٌ على أنَّ شهادةَ الفاسقِ شهادةٌ، فإنَّ اللَّهَ تعالى أمَرَ بالتَّأنِّي في قَبوله لا بردِّه.

(٧) - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾: أي: فاتَّقوا أنْ تقولوا الباطل عنده وتَكذِبوا، فإنه يتثبَّتُ ويكشِفُ اللَّهُ له الصِّدْقَ، فيَنْهَتِكُ سِتْرُ الكاذبِ، ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾: لو عَمِلَ بقولكم، وبعَثَ إليهم مَن يُقاتِلُهم، ﴿لَعَنِتُّمْ﴾: أي: لَأَثِمْتُم، وقيل: أي: هَلَكْتُم، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: أي: حسَّنَه، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حبب إليه الإيمان.... إلخ غايرت صفته صفة من تقدم ذكره، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾: أي: الثابتون على دينهم(٢).

---

(١) تفسير الجلالين(١/ ٦٨٥)

(٢) جامع البيان (٢١/ ٣٥١)، ومعالم التنزيل (٧/ ٣٣٩)، والتيسير في التفسير (١٣/ ٥٠٤).

(٨ - ٩) - ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر أي أفضل: ﴿وَنِعْمَةً﴾أي: منه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: عليمٌ بِمَن يُحِبُّ الإيمانَ ومَن يَكْرَهُه منكم، حكيمٌ في تَدْبيرِ أمورِ خَلْقِه، ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾: ولم يقُلْ: (اقتَتَلَتا)؛ لأنَّ كلَّ طائفةٍ جَمْعٌ، فهما جَمْعان؛ أي: قاتلَتْ إحداهما الأخرى، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾: ثنَّى على ظاهرِ تَثْنِيَةِ الطائفتين، ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾: أي: استطالَتْ طائفةٌ منهما على الطائفة الأخرى، ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾: أي: تَرْجِعَ إلى الصُّلْحِ، وتَرْكِ البَغْيِ، ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾: أي: اعدِلوا، ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: أي: اعدلوا في الإصلاح بينهما. ويحتَمِلُ: أَقْسِطوا أيها الناسُ جميعًا، فلا تتمانَعوا الحُقوقَ، والآية نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حمارًا ومر على ابن أبي فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه فقال ابن رواحة والله لبول حماره أطيب ريحا من مسكك فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف[١].

(١٠) - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: أي: مُتآخُون على الإسلام بعضُهم أولياءُ بعضٍ، والإيمانُ أشرفُ أنسابِهم، وقد قطعَ اللَّهُ الوِلايةَ بينهم وبين مَن خالَفَ دِينَهم مِن عشائرهم، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾: وهو أقلُّ مَن يقعُ بينهم القتالُ، وإذا أُمِروا بهذا في الأقلِّ، تَنبَّهوا به على الأكثر، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فلا تُمانِعوا الحُقوقَ، فيُؤَدِّيكم ذلك إلى الاقتتال، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: أي: لِتُرْحَموا بذلك.

(١١) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾: الآية نزلت في وفد

---

(١) تفسير الجلالين(١/ ٦٨٦)، أسباب النزول للواحدي (١/ ٣٩٣).

تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب والسخرية الازدراء والاحتقار، ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾: في المَعيشة والخِسَّة، يقول الرجلُ للرجل: أنتَ فقيرٌ، وأنتَ دَنيءٌ، ﴿قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾: أي: رجالٌ مِن رجال، ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾: أي: أوفرَ نصيبًا منهم في الآخرة، ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾: يدلُّ على أنَّ القومَ هُم الرجالُ، ﴿عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾: أي: عند اللَّه في المَنْزِلة، ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: هو العَيْبُ والطَّعْنُ، أي: لا يَعِبْ بعضُكم بعضًا ولا يطعَنْ، ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾: أي: لا تتداعوا بها، أي: لا تقُلْ لأخيكَ المسلمِ: يا فاسِقُ، يا مُنافِقُ، ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي: المذكور من السخرية واللمز والتنابز، ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: أي: ومَن لم يَتُبْ عن هذه الأشياء التي نهى اللَّهُ تعالى عنها، فقد وضَعَ الشيءَ في غير مَوْضِعِه وظلَمَ نفْسَه(١).

(١٢) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

أي: مؤثم، وهو أنْ يَظُنَّ بالمؤمن سوءًا مِن حيث لم يتحقَّقْ عليه، ولم يُوجَدْ منه مِن إعلان المعاصي ما يُخْرِجُه مِن حُسْنِ الظَّنِّ به، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾: أي: ولا يتَّبعْ بعضُكم عيبَ بعضٍ، ولا يبحَثْ عن سرائره، ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾: أي: ولا يذكُرْ أحدٌ منكم غيرَه بظَهْرِ الغَيبِ بما لو كان حاضرًا فشافهَه به كَرِهَه؛ صِدْقًا كان ذلك أو كَذِبًا، وقال النبي ﷺ: "إذا ذكَرْتَ أخاك بما فيه فقد اغتبْتَه، فإنْ

(١) جامع البيان (٢١/ ٣٧٠)، والكشف والبيان (٩/ ٨١)، والبسيط (٢٠/ ٣٥٧).

لم يكن فيه فقد بهتَّه"(١)، ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾: أي: فإنكم لا تُحِبُّون ذلك، وإذ كنتم لا تُحِبُّونه فالغِيبةُ له وهو حيٌّ مِثْلُ أكلِ لحمِه وهو ميِّتٌ، فلا تُحِبُّوه أيضًا، ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: أي: فقد كَرِهْتم في طِباعكم وعُقولِكم أكْلَ لحمِ أخيكم ميتًا، فاكرَهوا اغتيابَه، فإنه مِثْلُ أكلِ لحمِه، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾: يقبَلُ توبةَ مَن تاب، ويرحمُ مَن أنابَ إليه.

(١٣) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾: وهذا تأكيدُ جميعِ ما مضى في هذه السُّورة، وإعلامٌ أنَّه لا يصِلُ إلى ذلك كلِّه إلا بالتقوى، فإنَّ مَن سَخِرَ بغيره أوطعَنَ عليه أو ظَنَّ به سوءًا أو اغتابَه، فذلك راجِعٌ إلى إزْرائه به، ولا يُزري بغيره إلا لِفَضْلٍ يُقَدِّرُه لِنفْسِه عليه، فبيَّنَ لهم أنَّهم مُتساوون في الأصل، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾: وهذا نداءٌ عامٌّ، ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾: وهما آدمُ وحوَّاءُ، فكُلُّكم أولادُ أبٍ واحدٍ وأُمٍّ واحدةٍ، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾: جَمْعُ شَعْبٍ، ﴿وَقَبَائِلَ﴾: جَمْعُ قَبيلةٍ، ﴿لِتَعَارَفُوا﴾: أي: فعَلْنا كذلك لِتَقَعَ المعرفةُ بذلك، لا لِتُفاخِروا بها، فإنْ أردتُّم ذلك فهو بالتَّقْوى، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: لا تخفى عليه ظواهرُكم وبواطنُكم.

(١٤) - ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾: وهذا مُتَّصِلٌ بما مَرَّ في ذِكْرِ جَفاءِ الأعراب في أخلاقهم وعقائدهم ورُؤْيَتِهم الفَضْلَ بأنسابهم وعشائرهم، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾: أي: قالت طائفةٌ منهم: ﴿آمَنَّا﴾، واختُلِفَ فيهم، والأظهرُ أنهم كانوا

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩)، وأبو داود (٤٨٧٤)، والترمذي (١٩٣٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مُنافقين قالوا: ﴿آمَنَّا﴾ لِيُلْحِقَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بمراتبِ المؤمنين المُخْلِصين، فأَطْلَعَ اللَّهُ نبيَّه عليهم، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾: أي: لم تُصَدِّقوا بقلوبكم ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾؛ أي: استَسْلَمْتم لِخوفِ القتل، فقولوا: ﴿أَسْلَمْنَا﴾؛ أي: خَضَعْنا وانْقَدْنا، ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: أي: ولم يدخُلْ، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: تُخْلِصوا وتتوبوا مِن النِّفاق، ﴿لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾: أي: لا يَنْقُصْكم مِن ثواب أعمالِكم شيئًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يغفِرُ ما كان مِن الذُّنوب قبلَ التوبة والإخلاص[١].

(١٥ -١٦) - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي: صدَّقوا بقلوبهم، وأقرُّوا بألسِنَتِهم، ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾: أي: لم يَشُكُّوا، ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: أعداءَ اللَّهِ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: المُحَقِّقون دَعْواهم، المُسْتَكْمِلون معناهم، ولَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ جاؤوا وحلَفوا أنَّهم مُخْلِصون، فنزلَ قولُه تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: التَّعليمُ هو الإعلامُ؛ كالتَّعْظيمِ هو الإعظامُ، استفهامٌ بمعنى التَّوبيخِ والإنكارِ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: مِن الإخلاصِ والنِّفاقِ وغيرِ ذلك.

(١٧ -١٨) - ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم، ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: ليس هذا بتحقيق الإيمان لهم، بل معناه على

---

(١) الكشف والبيان (٩/ ٨٩)، ومعالم التنزيل (٧/ ٣٥٠)، وزاد المسير (٤/ ١٥٤)، وغرائب التفسير للكرماني (٢/ ١١٢٥)، التيسير في التفسير (١٣/ ٥٢٦).

الشَّرْط المذكور في آخره: ولو كنتُم آمَنْتُم كما ادَّعَيْتُم فصدَّقْتُموني سِرًّا وعَلانِيَةً، لكانت المِنَّةُ لله عليكم بأنْ هداكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما غاب فيهما، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ لا يخفى عليه شيء منه[(١)].

(انتهى تفسير سورة الحجرات).

(١) تفسير الجلالين (١/٦٦٨).

(٥٠) سورة ق مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، سميت في عصر الصحابة سورة ق، وهي من السور التي سميت بأسماء الحروف الواقعة في ابتدائها مثل طه وص وق ويس لانفراد كل سورة منها بعدد الحروف الواقعة في أوائلها بحيث إذا دعيت بها لا تلتبس بسورة أخرى، وهي السورة الرابعة والثلاثون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة المرسلات وقبل سورة البلد، وهي خمسٌ وأربعون آيةً، وثلاثُ مئةٍ وثلاثٌ وسبعون كلمةً، وألفٌ وأربعُ مئةٍ وأحدٌ وثمانون حرفًا.

فضلها:

ما روي عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: «... وَما أَخَذْتُ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ إلَّا عن لِسَانِ رَسولِ اللهِ ﷺ، يَقْرَؤُهَا كُلَّ يوم جُمُعَةٍ علَى المِنْبَرِ إذَا خَطَبَ النَّاسَ»(١).

أغراض هذه السورة:

أولها: التنويه بشأن القرآن. ثانيها: أنهم كذبوا الرسول ﷺ لأنه من البشر، وثالثها: الاستدلال على إثبات البعث وأنه ليس بأعظم من ابتداء خلق السماوات وما فيها وخلق الأرض وما عليها، ونشأة النبات والثمار من ماء السماء وأن ذلك مثل للإحياء بعد الموت. رابعها: تنظير المشركين في تكذيبهم بالرسالة والبعث

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٨٧٣).

بعض الأمم الخالية المعلومة لديهم، ووعيد هؤلاء أن يحل بهم ما حل بأولئك. خامسها: الوعيد بعذاب الآخرة ابتداء من وقت احتضار الواحد، وذكر هول يوم الحساب. سادسها: وعد المؤمنين بنعيم الآخرة. سابعها: تسلية النبي ﷺ على تكذيبهم إياه وأمره بالإقبال على طاعة ربه وإرجاء أمر المكذبين إلى يوم القيامة وأن الله لو شاء لأخذهم من الآن ولكن حكمة الله قضت بإرجائهم وأن النبي ﷺ لم يكلف بأن يكرههم على الإسلام وإنما أمر بالتذكير بالقرآن.

ثامنها: الثناء على المؤمنين بالبعث بأنهم الذين يتذكرون بالقرآن. تاسعها: إحاطة علم الله تعالى بخفيات الأشياء وخواطر النفوس [١]. وجهُ انتظامِها بما قبلها، أنها افتتحت باسم اللَّه تعالى، واختتمت السُّورةِ التي قبلها به، وانتظامُ السُّورتين: أنَّ الأولى في تعليم آدابِ الشَّرْع وثوابِ عاملِها وعقابِ تاركِها في الآخرة، وهذه في مُحاجَّةِ مُنْكِري البعثِ، وبيانِ أحوالِهم في الآخرة.

(١) - ﴿ق﴾ قيل: وهو اسمٌ مِن أسماء اللَّه تعالى، وقيل: هو اسمٌ مِن أسماء القرآن، وقيل: هو اسمُ هذه السُّورةِ، وتقديرُه: هذه سُورةُ (ق)، وقيل: جبلٌ مُحيطٌ بالأرض [٢]، وبعد ذكر هذه الأقوال أقول: الله أعلم بمراده ﴿وَالْقُرْآنِ﴾: أقسَمَ بالقرآن تَعْظيمًا له، و﴿الْمَجِيدِ﴾: الشريفُ، وقيل: الكريمُ.

(٢ - ٣) - ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ أي:

---

(١) التحرير والتنوير(٢٦/ ٢٧٥).

(٢) جامع البيان (٢١/ ٤٠٠)، الكشف والبيان (٨/ ١٧٦)، معالم التنزيل (٧/ ٣٥٢)، "زاد المسير (٤/ ١٥٧).

رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث، ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: هذا الإنذار، ووصفهم بالكفر تقبيحًا لهم ووَصْفًا لهم بما هو أسوأُ صفاتِهم -وهو مِن فَرْطِ جهالتِهم- أنْ تَعَجَّبوا وأنكروا أنْ يكونَ مَن مِثْلُهم نبيًّا مبعوثًا، واستجازوا أنْ يكون الصَّنَمُ الذي هو دونَهم إلهًا مَعْبودًا، ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾: أي: وقالوا أيضًا هذا: أئذا مِتْنا وبَلِينا وصِرْنا تُرابًا أَنُبْعَثُ؟! ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾: أي: رَدٌّ بعيدٌ عن العقل؛ أي: قولُه: إنا نُرَدُّ بعد الموت إلى الحياة، مُحالٌ لا يقبَلُه العقلُ.

(٤) - ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: أي: ما تأكلُه الأرضُ بعد موتهم مِن أجسادهم لَحْمِها وعَظْمِها وشَعْرِها وبَشَرِها وكلِّ ما فيها، ما يَغيبُ شيءٌ منها عن عِلْمِنا، ولا يتعذَّرُ إعادتُها علينا، ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾: أي: وعندنا في السماء كتابٌ حافظٌ لذلك كلِّه؛ أي: هو مُثْبَتٌ فيه، فكأنَّه حافِظٌ له، والمراد به: اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة[١].

(٥) - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ وليس عَجَبُهم لاستحالتِه، بل لِتكذيبِهم للحقِّ عِنادًا، وهو الرَّسولُ، وقيل: القرآن. ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ أي: مُلْتَبِسٍ مُخْتَلِطٍ، وقيل: أي: فاسدٍ[٢].

(٦ - ٧) - ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾: أي: أيُّ عُذْرٍ لهم في إنكار البَعْثِ؟! أمَا يَنْظُرون بأبصار قلوبِهم إلى أصناف ما خَلَقْتُه مِن

---

(١) المحرر الوجيز (٥/ ١٥٥)، (١)، وتفسير مقاتل (٤/ ١١٠)، وتفسير الجلالين (١/ ٦٨٨).

(٢) جامع البيان (٢١/ ٤٠٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٤٧)، والنكت والعيون (٥/ ٣٤١)

السماء والأرض وما بينهما؟! فيتنبَّهوا بذلك على قُدْرَتي على إعادة الموتى؛ إذ قد رأوا بأبصار رؤوسِهم السماءَ كيف جعلناها كالبِناءِ المُظِلِّ فوقهم ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب والشمس والقمر ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾؛ أي: شُقوقٍ. ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: أي: بَسَطْناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾؛ أي: جبالًا ثوابتَ ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾؛ أي: مِن كلِّ نوعٍ حَسَنٍ مِن النبات.

(٨ - ٩) - ﴿تَبْصِرَةً﴾: أي: تعريفًا لِمَن نظَرَ إليها وتدبَّرَ خَلْقَها أني أنا خالِقُها، ﴿وَذِكْرَى﴾: أي: تذكيرًا للعباد يتذكَّرون بها قُدْرتي ووحدانِيَّتي، ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: أي: جعَلْتُ هذا التَّبْصيرَ والتَّذْكيرَ لكلِّ عبدٍ أقبلَ إليَّ بإرادتِه ونِيَّته، وعلَّقَ قلبَه بالتَّفكُّر في أصناف خَليقَتي، فهو الذي أُوَفِّقُه لِلتَّذْكار والاستبصار، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾: أي: مطرًا كثيرَ الخيرِ والبرَكةِ، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾: أي: بساتينَ مُشْتَمِلَةً على الأنهار والثِّمار، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾: أي: الزَّرْعِ، وأضاف الحَبَّ إلى الحَصيدِ لأنَّ الحَصيدَ هو المحصودُ، وهو السُّنْبُلُ[(١)].

(١٠ - ١١) - ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾: أي: وأنبَتْنا النَّخْلَ، ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طِوالًا، وقيل: الباسِقُ: العالي بذهابه في جِهَة الارتفاع، ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ النَّضيدُ: المُتَراكِبُ، وقيل: الطَّلْعُ: التَّمْرُ، وهو نضيدٌ؛ أي: مُتراكِبٌ في رؤوس النَّخْلِ، ليس كسائر الأشجار التي تتفرَّقُ ثِمارُها[(٢)]، ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾: أي: أنبَتْنا هذه الأشياءَ

---

(١) معاني القرآن" للفراء (٣/ ٧٦) التيسير في التفسير - أبو حفص النسفي (١٤/ ١٤) روح المعاني (٢٥/ ٤٢٢).

(٢) جامع البيان (٢١/ ٤١٢ - ٤١٣)، والنكت والعيون (٥/ ٣٤٣).

عَطِيَّةً منا وقُوتًا دارًّا للعباد، ولم نخلُقْها لأنفسنا، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾: أي: بالماء المبارك ﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾؛ أي: أرضًا يابسةً قد ذهَبَ نباتُها، ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾: مِن قبوركم يومَ البَعْثِ بعد إذ كنتم أمواتًا.

(١٢ - ١٤) - ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: أي: قبلَ هؤلاء المشركين ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان وقيل غيره ﴿وَثَمُودُ﴾: قوم صالح ﴿وَعَادٌ﴾: قوم هود، ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾: موسى وهارونَ ﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾: أي: قومُ لوطٍ وأنسباؤُه، ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: أي: الغَيْضَةِ وهم قوم شُعيب، ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه، ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: أي: كلُّ واحدٍ كذَّبَ رسولَه، وقيل: كلُّ واحدٍ كذَّبَ جميعَ الرُّسُل؛ لأنَّ تكذيبَ الواحدِ تكذيبُ الكلِّ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِن الرسل يدعو إلى تصديق الكُلِّ، ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: أي: وجَبَ عليهم ما كنتُ توَعَّدتُهم به[١].

(١٥) - ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾: أي: أَفَعَجِزْنا عن الخَلْق الأول؟! استفهامٌ بمعنى النَّفْي، والخَلْقُ الأولُ آدمُ، وقد كانوا يُقِرُّون به وأنهم مِن ولَدِه، وقيل: هو الإنشاءُ، وهو احتجاجٌ عليهم أنَّ مَن قَدِرَ على الإنشاء قَدِرَ على الإعادة، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾: أي: لبَّسَ الشيطان عليهم وموَّهَ، فأعرَضوا عن التَّدبُّر؛ أي: لا

---

(١) النكت والعيون (٥/ ٣٤٤) والجلالين(١/٦٨٩)، والمحرر الوجيز" (٥/ ١٥٨)، وجامع البيان (١٧/ ٤٥٢)، وتفسير مقاتل (٤/ ١١١)، والكرماني في غرائب التفسير (٢/ ٨١٦)، وزاد المسير (٣/ ٣٢١).

يُنْكِرون البعثَ عن دليلٍ، بل عن تقليدٍ بجَهْلٍ. ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: أي: البعثِ والتَّجديدِ بعد البِلى، وهو كما قالوا: ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[الإسراء: ٤٩].

(١٦) - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: الوسوسةُ: حديثُ النَّفْسِ في خفاءٍ، ومنها وسوسةُ الشيطانِ؛ أي: لا يخفى علينا ما يخطُرُ بباله، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: هو عِرْقٌ في الحَلْقِ، وهما الوَريدان في العُنُقِ عن يمينٍ وشمالٍ، ويَرِدُ إليهما ما يَنْصَبُّ مِن الرأس، ومعنى هذا الكلامِ: ونحن أقرَبُ إلى ضميرِه مِن هذا العِرْقِ إلى بدَنِه، ولا يُرادُ به قُرْبُ المكانِ جلَّ اللَّهُ تعالى عن ذلك، بل يُرادُ به أنه عالِمٌ به، لا يخفى عليه منه شيءٌ(١).

(١٧ - ١٨) - ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾: قيل: أي: اذْكُرْ إذ يتلَقَّى، والتَّلَقِّي: هو الأَخْذُ والقَبولُ، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[البقرة: ٣٧]، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾: أي: أحدُ الملَكين قَعيدٌ له عن يمينه، والآخَرُ عن شماله، كأنَّهما جَليسان قاعدان في مَجْلِسٍ واحدٍ، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾: أي: ما يَتكلَّمُ، وأصلُه: الرَّمْيُ، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾: أي: عنده، ﴿رَقِيبٌ﴾: أي: حافِظٌ، وهو الملَكُ الكاتِبُ ﴿عَتِيدٌ﴾؛ أي: مُعَدٌّ، وقيل: أي: ثابتٌ لازمٌ(٢).

(١٩ - ٢٠) - ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾: أي: تجيءُ شِدَّةُ الموتِ التي تَغْلِبُ على فَهْمِ الإنسان حتى تغمُرَه كَسَكْرَةِ الشَّراب، ﴿بِالْحَقِّ﴾: أي: بأمر اللَّه الذي هو

---

(١) التيسير في التفسير (١٤١/ ٢٠)، والنكت والعيون (٥/ ٣٤٦)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٧٦).
(٢) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٤٥).

حَقٌّ، وقيل: أي: ببيان ما يَصيرُ إليه مِن جنة أو نار، فإنه يظهَرُ له ذلك عند الموت، ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: أي: ويُقالُ له: هذا الذي كنت تَنْفِرُ منه وتكرَه لقاءَه، والحَيْدُ: المَيْلُ والرَّوَغانُ، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: أي: يُنْفَخُ فيه نَفْخَةُ البَعْثِ، ويُبْعَثُ الإنسانُ، ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ أي: ذلك اليومُ الذي أُوعِدُ به الناسَ لِيَرْغَبوا في الطاعات، ويَجْتَنِبوا السَّيِّئاتِ.

(٢١) - ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: تجيءُ كلُّ نفسٍ يومئذٍ ﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾: يَسوقُها إلى مَوْقِفِ الحساب، ﴿وَشَهِيدٌ﴾: يَشْهَدُ عليها بما عَمِلَتْ مِن خيرٍ أو شرٍّ، فلا مَهْرَبَ مِن ذلك الأمرِ ومعه السَّائِقُ، ولا جُحودَ ومعه الشَّاهِدُ[١].

(٢٢) - ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا﴾: أي: يُقالُ له: ﴿لَقَدْ كُنْتَ﴾ في الدنيا، ﴿فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا﴾ أي: أَوْضَحنا لكَ ما كان مَخْفِيًّا عنكَ، ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾: يعني: الحياةَ بعد الموتِ ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: فعِلْمُكَ اليومَ ثاقبٌ نافذٌ[٢].

(٢٣ - ٢٤) - ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾: أي: قرينُ هذا الإنسانِ، وهو المَلَكُ الكاتِبُ عمَلَه، ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: أي: الذي كتبتُه عليه عندي مُعَدٌّ، ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: أي: ويُقالُ للزَّبانِيَةِ: أَلْقُوا، والتَّثْنِيَةُ على عُرْفِ العرب، فإنَّ أكثرَ مُخاطباتِهم بالنداء والأمرُ على التَّثْنِيَةِ، وهذا خِطابُ الشَّاهِدِ للسائقِ، والتَّثْنِيَةُ بمعنى

---

(١) تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٣٨)، وجامع البيان (٢١/ ٤٣١)، والكشف والبيان (٩/ ١٠١)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٦١).

(٢) جامع البيان (٢١/ ٤٣٥) معالم التنزيل (٧/ ٣٦٠).

التكرير بمعنى: أَلْقِ ألقِ، ونُقِلَ إلى التَّثْنِيَةِ، ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مُبالغَةٌ للكافر، ﴿عَنِيدٍ﴾: أي: عادلٍ عن الصواب(١).

(٢٥ - ٢٧) - ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: بخيلٍ بالمال، وقيل: بما ينفَعُ النَّاسَ، ﴿مُعْتَدٍ﴾: مجاوزٍ حُدودَ الشَّرْعِ، ﴿مُرِيبٍ﴾: صاحبِ رِيبَةٍ، وهي التُّهمَةُ، ﴿الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: أي: أشرَكَ به غيرَه، ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾: عذابِ النَّارِ، ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾: هو الشَّيطانُ الذي قُرِنَ به، أي: يُلْقَى الكافرُ في النار مع قَرينِه، فيَلْعَنُ قرينَه، ويقول: هو أَضَلَّني، فيقول: ما أطغيتُه أنا، ﴿وَلَكِن كَانَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: طغى باختياره، وضلَّ ضلالًا بعيدًا عن الحق بإرادتِه.

(٢٨ - ٣٠) - ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ﴾: يقول اللَّهُ تعالى للكفار وقُرنائِهم مِن الشياطين: لا تَخْتَصِموا عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾: الكتابَ والرَّسولَ ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ بهذا، ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ﴾: أي: لا يُغَيَّرُ قولُ السَّائِقِ أني أُخَلِّدُ الكافرَ في النار، ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾: لا أُعَذِّبُ عبدًا بغير ذَنْبٍ، ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَزِيدٍ﴾: أي: نَمْلَؤُها مِن الجَنَّةِ والناسِ أجمعين كما كنا وعدنا، ثم نقول لها: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَزِيدٍ﴾: فإني أَحْتَمِلُه، وهذا على طلَبِ المزيدِ؛ إظهارًا للتَّغيُّظِ على الكفار، وقيل: أي: لا مَوْضِعَ للزِّيادة فِيَّ، وقيل: هو طلَبُ الزِّيادةِ في سَعَتِها، وهذا الخِطابُ لِجَهَنَّمَ، وجوابُها على الحقيقة، ويُنْطِقُها اللَّهُ تعالى بذلك كما يُنْطِقُ الجوارح(٢).

---

(١) تفسير السمعاني (٥/ ٢٤٢)، ومعاني القرآن (٣/ ٧٨).

(٢) معاني القرآن(١/ ١٦٤)، وجامع البيان (٤/ ٤٤٤).

(٣١ - ٣٢) - ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي: قُرِّبَتْ ورأَوْها مِن قُرْبٍ إذا فرغوا مِن الحساب، والمتَّقون: الذين اتَّقوا الشركَ والمعاصي، ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: أي: دخولُهم فيها، والإِزْلَافُ: تَقْرِيبُ الرُّؤْيةِ، و﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: تقريبُ الدُّخول، ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾: رَجَّاعٍ إلى الله بالطَّاعات. ﴿حَفِيظٍ﴾: حافظٍ للحُدود والعُهود، مُحافِظٍ على الخيرات، ذاكرٍ لِمَا سلَفَ مِن السَّيِّئاتِ لِيَسْتَغْفِرَ منها، وقيل: حافظٍ لِحَواسِّه وأنفاسِه.

(٣٣ - ٣٤) - ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾: أي: في دار الغَيْبِ، وقيل: في الغَيْبَةِ عن شُهودِ الخَلْقِ، وقيل: بالقلب، وقيل: حين لا يَراهُ أحَدٌ، ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾: أي: مُقْبِلٍ على الله بطاعته، راجعٍ إليه بعمَلِه وأمَلِه.

﴿ادْخُلُوهَا﴾: أي: ويُقالُ لهم، ﴿بِسَلَامٍ﴾: أي: بسلامةٍ مِن كلِّ مكروهٍ، ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾: لأهل الجنة في الجنة، ولأهل النار في النار.

(٣٥ - ٣٦) - ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾: أي: في الجنة، ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: أي: على ما يشاؤون مِمَّا لم يَخْطُرْ ببالِهم[1]. ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: عاد القَوْلُ إلى تَذْكِيرِهم ووَعْظِهم، يقول: كثيرًا ما أهلَكْنا قَبْلَ هؤلاء المشركين مِن أُمَّةٍ مِن الأُمَمِ السَّالِفة ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾: أي: تَجَبُّرًا وسَطْوَةً على الناس؛ كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وقومِ لُوطٍ، ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: ضَرَبوا في البلاد، وقيل: طافُوا فيها وساروا في أقاصيها لِلتِّجارات وغيرِها، ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي: هل كان لهم مَحيصٌ؛ أي: مَهْرَبٌ عن الهلاك؛ أي: لم يكنْ.

---

(١) البسيط (٢٠/ ٤١٠)، ولطائف الإشارات (٣/ ٤٥٤)، الوجيز (١/ ١٠٢٥).

(٣٧) - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾: أي: فيما ذُكِرَ في هذه السُّورة مِن البَعْثِ وأحوالِ يومِ القيامة وإهْلاكِ القُرونِ لِعِظَة، ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: أي: عَقْلٌ، وقيل: أي: قَلْبٌ مُتَدَبِّرٌ، ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾: أي: استمَعَ لِكتابِ اللَّه ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضِرُ القلبِ فيَفْهَمُ، أشارَ إلى أنَّ التَّنْبيهَ يقعُ بالعَقْلِ والسَّمْع(١).

(٣٨) - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أي: أَهْلَكْنا القرونَ بذُنوبِهم، ولم نُعاجِلْ إهْلاكَ هؤلاء مع استحقاقهم؛ لِحِكْمَةٍ، كما خلَقْنا السماواتِ والأرضَ وما بينهما في ستَّةِ أيَّامٍ، ولم نُعاجِلْ خَلْقَها مع القُدْرة على ذلك لِحِكْمَةٍ، ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾: أي: من إعياءٍ وتعب، وقيل: مِن سَآمَةٍ.

(٣٩ - ٤٠) - ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: مِن الشِّرْكِ والتَّشْبيهِ والتَّكْذيبِ، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: أي: وصَلِّ شُكْرًا للَّه، وقيل: بأمرِ ربِّك، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: صلاةِ الفجرِ، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾: أي: غُروبِها: صلاةِ الظُّهرِ وصلاةِ العَصْرِ، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: صلاةِ المَغربِ والعشاءِ، ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ جَمْعُ (الدُّبُر)، وهو عَقِيبُ الشَّيءِ، والسُّجودُ: هو الصَّلاةُ، سُمِّيَتْ به لأنَّه فيها؛ كما تُسَمَّى تَسْبيحًا لذلك، وقيل: هو التَّنَفُّلُ بعد كلِّ فرضٍ ورَدَ فيه نَفْلٌ، وقيل: هو نَفْسُ التَّسْبيحِ بعد الصلوات، يقول: رَوِّحْ قلبَكَ إذا آذَوْكَ بالصلاة للَّه ومُناجاتِه(٢).

(٤١) - ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾: أي: واستَمِعْ يا محمدُ ﷺ صَيْحَةَ يومِ

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٤٦٠)، ومعاني القرآن (٣/ ٧٩)، وتأويلات أهل السنة (٩/ ٣٦٦)، و"تفسير السمرقندي" (٣/ ٣٣٨).

(٢) جامع البيان (٢١/ ٤٦٩ - ٤٧٢)، والكشف والبيان (٩/١٠٧)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٣٥).

القيامة، فإنها قريبةٌ تأتيهم غيرَ مُبْطِئَةٍ، ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ هي النَّفْخَةُ الأخيرةُ، يقومُ إسرافيلُ على صَخْرَةِ بيتِ المَقْدِسِ -وهي أقربُ الأرض إلى السماء باثني عشر مِيلًا، وهو المكانُ القريبُ- يُنادي: أيَّتُها العِظامُ النَّخِرَةُ، واللُّحومُ المُتَمَزِّقَةُ، والأوصالُ البالِيَةُ، والعُروقُ المُنْبَتَّةُ، قوموا إلى مُحاسبةِ ربِّ العزة، فيخرُجوا، فينتشِروا على وجه الأرض[١].

(٤٢-٤٥) - ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ أي: صيحةَ إسرافيلَ، ﴿بِالْحَقِّ﴾: أي: بأمر اللَّه الذي هو حَقٌّ، ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾: أي: مِن القُبور، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾: أي: مَصِيرُهم، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾: أي: تَصَدَّعُ عنهم فيَخرجون ﴿سِرَاعًا﴾: إلى دَعْوَةِ المُنادي، ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾: أي: هَيِّنٌ، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾: أي: بقولِ هؤلاء المشركين مِن تَكْذِيبِكَ، والافتراءِ على ربِّكَ، وإنكارِ البَعْثِ، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾: أي: بِمُسَلَّطٍ تُجْبِرُهم على الإسلام، إنما عليك الدَّعْوَةُ، وما أنتَ عليهم برَبٍّ تُجازيهم على أعمالهم، وقيل: بفَظٍّ غليظٍ، فأعرِض عنهم، ولا تَنْتَقِمْ منهم إلى أنْ تُؤْمَرَ بقتالهم، ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾: خَصَّ الخائفَ به لأنه هو المُنْتَفِعُ به[٢].

(انتهى تفسير سورة ق).

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٤٧٥)، وتفسير الجلالين (١/٦٩٢) وتفسير السمعاني (٥/ ٢٤٨)، والكشاف" (٤/ ٣٩٣)، والبسيط (٢٠/ ٤١٩)، والنكت والعيون (٥/ ٣٥٨).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ١١٦)، وبحر العلوم (٣/ ٣٣٩).

(٥١) سورة الذاريات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، تسمى هذه السورة «سورة الذاريات» ووجه التسمية أن هذه الكلمة لم تقع بهذه الصيغة في غيرها من سور القرآن، وقد عدت السورة السادسة والستين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الأحقاف وقبل سورة الغاشية، وهي ستُّون آيةً، وكلماتُها ثلاثُ مئةٍ وستون كلمةً، وألفٌ وخمسُ مئةٍ وعشرون حرفًا.

أغراض هذه السورة:

احتوت على تحقيق وقوع البعث والجزاء. وإبطال مزاعم المكذبين به وبرسالة محمد ﷺ ورميهم بأنهم يقولون بغير تثبت. ووعيدهم بعذاب يفتنهم ووعد المؤمنين بنعيم الخلد وذكر ما استحقوا به تلك الدرجة من الإيمان والإحسان، ثم الاستدلال على وحدانية الله والاستدلال على إمكان البعث وعلى أنه واقع لا محالة بما في بعض المخلوقات التي يشاهدونها ويحسون بها دالة على سعة قدرة الله تعالى وحكمته على ما هو أعظم من إعادة خلق الإنسان بعد فنائه وعلى أنه لم يخلق إلا لجزائه، والتعريض بالإنذار بما حاق بالأمم التي كذبت رسل الله، وبيان الشبه التام بينهم وبين أولئك. وتلقين هؤلاء المكذبين الرجوع إلى الله وتصديق النبي ﷺ ونبذ الشرك. ومعذرة الرسول ﷺ من تبعة إعراضهم والتسجيل عليهم بكفران نعمة الخلق والرزق. ووعيدهم على ذلك بمثل ما حل بأمثالهم[١].

---

(١) التحرير والتنوير(٢٦/٣٣٦).

وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورةِ: أنَّه خَتَمَ تلك السُّورةَ بالوَعيد، وافتتَحَ هذه السُّورةَ بالقسَمِ على صِدْقِ ذلك الوعيد، وانتظامُ السُّورتين: أنهما في ذِكْرِ المؤمنين والكافرين الأوَّلين والآخِرين، ووَعْدِهم ووَعيدِهم في الدُّنيا ويوم الدِّين.

(١ - ٥) - ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ أي: أقسمَ بالرِّياح التي تَذْرُو بالأشياء التي تَسْعى بها، ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾: أقسَمَ بالسَّحابِ الثِّقالِ المُوقَرَةِ بالماء، ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾: أقسَمَ بالسُّفنِ جَرَتْ بالسَّيْرِ على الماء، ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين البلاد والعباد، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: مِن قِيامِ السَّاعةِ ﴿لَصَادِقٌ﴾ أي: لوعد صادق.

(٦ - ٨) - ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾: أي: الجزاءَ. وقيل: الحسابَ. وقيل: القضاءَ، ﴿لَوَاقِعٌ﴾: أي: لَكائِنٌ. ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾: أي: الطَّرائقِ، جَمْعُ حَبيكةٍ وحِباكٍ، وقيل: ذاتِ الإتقان والإحكام، ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾: أي: إنكم مَعاشِرَ المسلمين والكافرين بين مُصَدِّقٍ بالقرآن ومُكَذِّبٍ به[(١)].

(٩-١٠-١١) - ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾: أي: يُصْرَفُ عن الإيمان به مَن صُرِفَ عن كلِّ خيرٍ وسعادةٍ. ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾: قيل: أي: لُعِنَ الكذَّابون، وقيل: هو أَمْرٌ مِن اللَّه تعالى بالدعاء على الكذَّابين على اللَّه وعلى رسُلِه بأن يقتُلَهم اللَّهُ ويُهلِكَهم بأيدي المؤمنين، أو بعذابٍ مِن عنده، وقيل: القائلون بالظَّنِّ، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾: أي: في غَمْرَةِ الجَهْلِ وهو غلَبَتُه، غافلون عن الحقِّ، مُتَمادُونَ في الباطل، ﴿يَسْأَلُونَ﴾: أي: النَّبيَّ ﷺ والمؤمنين، ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾: أي: متى

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ١٢٧)، والوسيط (٤/ ١٧٤)، وجامع البيان (٢١/ ٤٨٦ - ٤٨٨).

هذا اليومُ الذي حلَفَ ربُّكم بالذَّارِياتِ وغيرِها أنه واقعٌ يُدانُ فيه العبادُ بأعمالهم؛ أي: يُجازَون ويُحاسَبون بها، يقولون ذلك تَعَنُّتًا واستهزاءً.

(١٣ -١٦) - ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: أي: يومُ الدِّين هو اليومُ الذي فيه بالنار يُعَذَّبون، ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾: أي: يُقال لهم: ذوقوا عذابَكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: أي: هذا العذابُ الذي كنتم تستعجلونه في الدنيا؛ أي: تسألون تَعْجِيلَه استهزاءً، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾: أي: الذين يَتَّقون الشركَ والمعاصِيَ.

﴿فِي جَنَّاتٍ﴾: أي: بساتين، ﴿وَعُيُونٍ﴾: جاريةٍ فيها، ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: أي: واصلين إلى ما أعطاهم ربُّهم؛ أي: وعَدَهم ذلك في الدنيا، وأَوْصَلَه إليهم في العُقْبى، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾: أي: قبلَ يومِ الدِّين، ﴿مُحْسِنِينَ﴾: في الدنيا، مُطِيعين يُحْسِنون الأعمالَ، ويُحْسِنون بذلك إلى أنفسهم.

(١٧ -١٩) - ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾: أي: يَنامون، و(ما) مع الفعل مَصْدَرٌ، وتقديرُه: قليلًا هُجوعُهم، ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: أي: لِتَقْصِيرهم في قيام اللَّيل مع جُهْدِهم في إحسانهم، ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ أي: جعَلوا على أنفسهم ذلك حقًا لازمًا يَقْسِمونه لا محالةَ للسائل والمحروم(١).

(٢٠ -٢١) - ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾: أي: علاماتٌ دالَّةٌ على قُدْرَةِ اللَّه تعالى ووَحْدَانِيَّته، وخَصَّ المُوقنين لأنَّ الانتفاعَ لهم، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ آيات أيضا من مبدأ خلقكم إلى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك فتستدلوا به على صانعه وقدرته.

---

(١) الكشف والبيان (٩/ ١١٢)، والمحرر الوجيز (٥/ ٣٦٨).

(٢٢-٢٣) - ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾: المطرُ والثَّلْجُ، وبهما نباتُ الأَقْواتِ، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من المآب والثواب والعقاب أي مكتوب ذلك في السماء، ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾: أقسَمَ بنفْسِه على أنَّ كلَّ ما أخبَرَ به في هذه السُّورةِ مِن الوعد والوعيد حَقٌّ، وقيل: أي: الرِّزق، وقيل: معناه: إنَّ اللَّهَ رازقُكم، وهذا القولُ حقٌّ كما أنَّكم إذا سُئِلْتُم: مَن خالِقُكم؟ قلتم: اللَّهُ، ذلك حقٌّ، فهذا أيضًا حقٌّ[١].

(٢٤) - ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقْرير؛ أي: قد أتاكَ، وقيل: أي: إنْ لمْ يَأْتِكَ فها نحن نُخبِرُكَ، والضَّيْفُ معناه: الأَضْيافُ، وهمُ الملائكةُ، سمَّاهم ضَيفًا لأنَّهم جاؤوا مجيءَ الأضياف، ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ أي: أكرَمَهم إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقامَ لهم بنفْسِه، وكان لا يقومُ لسائر الأضياف.

(٢٥) - ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾: أي: دخَلَ هؤلاءِ الأضيافُ وهمُ الملائكةُ، ﴿عَلَيْهِ﴾: أي: على إبراهيمَ، ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾: أي: نِلْتَ سَلامًا، أو اسْلَمْ سلامًا؛ أي: سلامةً مِن كلِّ مكروهٍ، ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾: أي: ولكم سلامٌ، أو: عليكم سلامٌ أيضًا، ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾: أي: لا أعرِفُهم؛ كما قال: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]، قيل: قال ذلك في نفْسِه، وقيل: أي: قال لهم: لا أعرِفُكم، فمَن أنتم؟[٢].

---

(١) البسيط (٢٠/ ٤٤٣). والكشف والبيان (٩/ ١١٤)، وتفسير الجلالين (١/ ٦٩٤)

(٢) جامع البيان (٢١/ ٥٢٥)، والكشف والبيان (٩/ ١١٧)، والنكت والعيون (٥/ ٣٦٩)، والكشاف (٤/ ٤٠٢).

(٢٦ - ٢٩) - ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾: أي: فرجَعَ إليهم في خُفْيَةٍ، ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: أي: وقد شواهُ، ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾: وها هنا مُضْمَرٌ: فأمسَكوا عن تناوُله ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: أي: فكُلوا، فلم يأكلوا، ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: أي: أضمَرَ خوفًا، ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾: وقَفوا على خوفِه، فأمَّنوه وأعلَموه أنهم ملائكةٌ، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾: بولَدٍ ذكَرٍ يصيرُ عالمًا إذا بلَغَ أوانَه، وهو إسحاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾: أي: زوجتُه سارةُ في صَيْحَةٍ، ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: أي: ضرَبَتْ جَبْهَتَها تعجُّبًا واستعظامًا على ما هو عادةُ النِّساءِ، ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: أي: عاقِرٌ لم تلِدْ قطُّ، فكيف يكونُ لها ولَدٌ؟!

(٣٠) - ﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾: أي: كما أخبَرْناكِ به قال لنا ربُّكِ، وعنه نُخْبِرُكِ، فلا تَشُكِّي فيه. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾: أي: لا يجوزُ عليه الخطَأُ في قولٍ ولا فعلٍ، ولا يخفى عليه شيءٌ مِن ظاهرٍ أو باطنٍ.

(٣١ - ٣٤) - ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: أي: فما شأنُكم؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ أي: مُكتَسِبين لأنفُسِهم الهلاكَ بأعمالِهم السَّيِّئةِ مِن تكذيبِ رسولِهم وفواحِشِهم، ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ وهو المُسَمَّى سِجِّيلًا في آيةٍ أخرى، وقيل: هي حِجارةُ الأرضِ، وأصلُها طِينٌ، فصارت حَجَرًا بإحْماءِ الشمس على مَرِّ الدُّهور، ﴿مُسَوَّمَةً﴾: أي: مُعَلَّمَةً فيها خُطوطٌ سُودٌ وبِيضٌ، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾: أي: مُعَلَّمَةً عند اللَّه تعالى، ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾: أي: المُجَاوِزين الحَدَّ في ارتكابِ المعاصي.

(٣٥ - ٣٧) - ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أمَرْنا لُوطًا بأنْ يخرُجَ مع مَن كان معه مِن المؤمنين قبلَ نُزولِ العذاب بقومه، وقوله: ﴿فِيهَا﴾: أي:

في القرية، ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾: وهو بيتُ لوطٍ، وذُكِرَ أنَّهم لوطٌ وابنتاه، فأما امرأتُه فكانت كافرةً، ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: دليلٌ على أنَّ الإيمانَ والإسلامَ واحدٌ. ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾: أي: علامةً. والآيةُ نَفْسُ القريةِ، وقد جُعِلَتْ أعلاها أسفلَها، ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: أي: هُمُ الذين ينتفعون بالنَّظَرِ في هذه الآية.

(٣٨ -٣٩) - ﴿وَفِي مُوسَى﴾: أي: وفيه أيضًا آيةٌ، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: بحُجَّةٍ ظاهرةٍ، ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾: أي: أعرَضَ فرعونُ عن قَبولِ الحقِّ مع مَن كان رُكنًا له يَعْتَمِدُ عليهم، ويتقوَّى بهم، ويركَنُ إلى نُصْرَتِهم، وهُم مَلَؤُه وقومُه، ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: أي: قال فرعونُ: هو ساحرٌ بما يُري مِن العصا واليد، أو مجنونٌ فيما يَدَّعي ولا يُفَكِّرُ في عاقِبَتِه كالذي لا يَعْقِلُ.

(٤٠ - ٤١) - ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ﴾: الذين هُم رُكنُه، ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾: أي: ألقَيْناهم في البحر، وهو نيلُ مِصْرَ، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: أي أتى بما يُلامُ عليه، ﴿وَفِي عَادٍ﴾: أي: وفيهم أيضًا آيةٌ، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾: أي: الرِّيحَ التي لا تُنْبِتُ، ولا تُلْقِحُ شجرًا، ولا تُنْشِئُ سحابًا مُمْطِرًا؛ كالمرأةِ العقيمِ التي لا تَلِدُ.

(٤٢) - ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾: أي: لا تدَعُ هذه الرِّيحُ شيئًا مما أُمِرَت بإهلاكِه، ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: أي: كالعَظْمِ البالي الذي إذا فُتَّ يتفتَّتُ، تلك الرِّيحُ هي الدَّبُور(١).

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٥٣٤)، والنكت والعيون" (٥/ ٣٧٢) والهداية (١١/ ٧٠٩٨)، ومعاني القرآن، (٣/ ٨٧)، والكشف والبيان (٩/ ١١٨)، مجاز القرآن" (٢/ ٢٢٧)، تأويلات أهل السنة" (٩/ ٣٨٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/ ٨٠).

(٤٣ - ٤٤) - ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾: أي: وفي ثمودَ آيةٌ أيضًا، ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾: قيل: هو قولُه: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] بعد ما عقَروا النَّاقةَ، وقيل: ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾: إنْ لم تَعْقِروا الناقةَ تمَتَّعْتُم إلى زمانٍ مَديدٍ، فعقَروها، فعُجِّلَتْ عُقوبَتُهم، وهو قولُه تعالى: ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: أي: تَرَفَّعُوا عن قَبول الأمر به، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: أي: العذابُ المُهْلِكُ، ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: أي: كانوا أَيْقاظًا وفي نهارٍ، لم يكونوا نِيامًا ولا بِلَيْلٍ، فكانوا يُبْصِرونه، وقيل: أي: وهُم ينتظُرون العذاب.

(٤٥ - ٤٦) - ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾: أي: صَرَعَتْهم الصاعقةُ فلم يَقْدِروا أنْ يقوموا، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾: أي: وما قَدِروا على الانتقام لِمَن أحلَّ بهم الصَّاعقةَ، وقيل: أي: مُمْتَنِعين عن العذاب بمانِعٍ، والنُّصْرَةُ: المَنع، والانتصارُ: الامتناعُ بقُوَّةِ مانعٍ، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: وأخَذَ اللَّهُ قومَ نوحٍ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ مُسْتَحِقِّين لذلك(١).

(٤٥ - ٤٦) - ﴿وَالسَّمَاءَ﴾: أي: ومِن الآيات الدَّالَّةِ على قُدْرَةِ اللَّه تعالى بعد الآيات بهذه القِصَصِ خَلْقُ السَّماءِ، ﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾: أي: بقُوَّةٍ، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: أي: لنا سَعَةُ خَلْقِها، وخَلْقُ مِثْلِها، وخَلْقُ ما شِئْنا. ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾: أي: بسَطْناها، ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾: أي: الباسِطون، فلا نطلُبُ منهم عِوَضًا على ذلك، وجعلنا ذلك لمنافعهم لا لِحاجةٍ بنا.

(٤٩) - ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: أي: وخلَقْنا مِن كلِّ شيءٍ لونين

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٥٤٣)، الكشف والبيان (٩/ ١١٨)، معالم التنزيل (٧/ ٣٧٩).

يكون أحدُهما مُزاوِجًا للآخَر: كالليل والنهار، والنُّور والظُّلْمة، والذَّكَر والأنثى، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أي: لِتَتَفكَّروا وتَعْلَموا ذلك، وتَسْتَدِلُّوا به على قُدْرَتِنا على البعث بعد الموت.

(٥٠) - ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾: أي: فانقَطِعوا إليه بطاعتِكم، فهو الواحدُ الخالقُ مِن كلِّ شيءٍ زوجين، وهو الواحدُ الفَرْدُ لا زوجَ له، ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ﴾: أي: مِن اللَّه إنْ لم تَفِرُّوا إليه، ﴿نَذِيرٌ﴾: مُخوِّفٌ، ﴿مُّبِينٌ﴾: مُظْهِرٌ لكم مِن اللَّه(١).

(٥١ - ٥٣) - ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: وهذا ظاهِرٌ، ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾: أي: مِن قَبْلِ هؤلاء المشركين الذين يقولون لكَ: أنتَ ساحرٌ ومجنونٌ، ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا﴾ لرسولهم ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: أي: هو ساحِرٌ، أو قالوا: هو مجنونٌ، ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾: أي: أَتَوافَقوا على ذلك؟ وهو أنْ أوصى بعضُهم لبعضٍ بذلك، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: أي: لم يتواصَوا بذلك، بل اجتماعُهم على هذا القول لِرسُلهم لمعنًى جامعٍ جمعَهم على ذلك، وهو طُغيانُهم وعُتُوُّهم على اللَّه، لم يَنْقادوا له، ولم يُتابِعوا رسُلَه، ولم يتركوا رياسَتهم، فكابَروا وواجَهوا الرسلَ بما قالوا.

(٥٤ - ٥٥) - ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي: تَوَلَّ عن مُكافاتِهم ومُبَادَأَتِهم بالقتال، ﴿فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾: أي: فما قصَّرْتَ فيما أمَرْناكَ به مِن الدَّعوة، ﴿وَذَكِّرْ﴾: وَعِظْ ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: العِظَةَ تنفعُ المؤمنين، فلا تترُكْها لامتناعِ

(١) التيسير في التفسير (١٤/ ٦١) الكشف والبيان (٩/ ١١٩)، معالم التنزيل (٧/ ٣٧٩)، لطائف الإشارات (٣/ ٤٦٩).

الكفار عن قَبولِها.

(٥٦ -٥٧- ٥٨) - ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا لِيُقِرُّوا لي بالعُبوديَّةِ طَوْعًا أو كَرْهًا، ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾: أي: أنْ يَرْزُقوا أنفسَهم، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾: أي: يُطْعِموا عبادي، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾: أي: لكلِّ خَلْقِه، ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾: أي: شديدُ القُوَّةِ.

(٥٩ - ٦٠) - ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾: أي: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مِن قومِكَ يا محمد ﴿ذَنُوبًا﴾: أي: حظًّا ونَصيبًا مِن العذاب ﴿مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾؛ أي: مِثْلَ نَصيبِ أصحابِهم مِن الأُمَمِ التي ظلَمَتْ فوضَعَتِ العبادةَ في غير مَوْضِعِها، وقيل: عذابًا في إثْرِ عذابٍ كذَنُوبِ البئرِ يَتْبَعُ بعضُه بعضًا، ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾: فإنه كائنٌ، ﴿فَوَيْلٌ﴾: أي: شِدَّةُ عذابٍ، وقيل وادٍ في جهنم. ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: وهو يومُ القيامةِ(١).

(انتهى تفسير سورة الذاريات).

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٥٥٢)، والوسيط (٤/ ١٨١)، ولطائف الإشارات (٣/ ٤٦٩)، ومعالم التنزيل: (٧/ ٣٨٠)، وتأويلات أهل السنة" (٥/ ٩٦) وتفسير السمعاني (٥/ ٢٦٤).

(٥٢) سورة الطور مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورةُ مكِّيَّةٌ، سميت هذه السورة عند السلف «سورة الطور» دون واو قبل الطور، ووجه تسميتها ذكر لفظة الطور في صدرها، وهي السورة الخامسة والسبعون في ترتيب نزول السور. نزلت بعد سورة نوح وقبل سورة المؤمنين، وهي سبعٌ وأربعون آيةً، وكلماتُها: ثلاثُ مئةٍ واثنتا عشرة كلمةً، وحروفُها: ألفٌ وثلاثُ مئةٍ.

فضلها:

ما روي عن جبير بن مطعم قال: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هذِه الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧]، قالَ: كَادَ قَلْبِي أنْ يَطِيرَ»(١).

أغراض هذه السورة:

أول أغراض هذه السورة التهديد بتحقيق وقوع العذاب يوم القيامة للمشركين المكذبين بالنبي ﷺ فيما جاء به من إثبات البعث وبالقرآن المتضمن ذلك فقالوا: هو سحر. ومقابلة وعيدهم بوعد المتقين المؤمنين وصفة نعيمهم ووصف تذكرهم خشية، وثنائهم على الله بما من عليهم فانتقل إلى تسلية النبي ﷺ وإبطال أقوالهم فيه وانتظارهم موته. وتحديهم بأنهم عجزوا عن الإتيان بمثل

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٥٤).

القرآن. وإبطال خليط من تكاذيبهم بإعادة الخلق وببعثه رسول ﷺ ليس من كبرائهم وبكون الملائكة بنات الله. وإبطال تعدد الآلهة وذكر استهزائهم بالوعيد. وأمر النبي -صلى الله عليه وسل بتركهم وأن لا يحزن لذلك، فإن الوعيد حال بهم في الدنيا ثم في الآخرة وأمره بالصبر، ووعده بالتأييد، وأمر بشكر ربه في جميع الأوقات(١)، وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السُّورةِ: أنَّ خَتْمَ تلك بالوعيد بالعذاب، وافتتاحَ هذه بالقسَمِ على ذلك العذاب، وانتظامُ السُّورتين: أنهما في مُحاجَّة المشركين، وفي الأولى زيادةُ تقريرٍ بقِصص الأوَّلين.

(١-٣) - ﴿وَالطُّورِ﴾ قيل: هو الجبلُ الذي تجلَّى اللَّهُ تعالى له حين كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه، وكلَّمه ربُّه، فسأل الرُّؤيةَ. ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾: أي: مكتوبٍ، وقيل: هو مكتوبٌ عند اللَّه تعالى في رَقٍّ تقرَؤه ملائكتُه ﴿فِي رَقٍّ﴾: أي: جِلْدٍ رقيقٍ مُهَيَّأً للكتابة، وهو قسَمٌ بالقرآن يكتُبُه المؤمنون وينشُرونه للقراءة(٢).

(٤) - ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾: أي: الذي يُعْمَرُ بكثرة الزُّوَّار، والمُتَرَدِّدِين إليه مِن الأقطار، قيل: هو الكعبةُ، أقسَمَ اللَّهُ به لِعِظَمِ قَدْرِه؛ إذ هو أوَّلُ بيتٍ وُضِعَ للناس، وهو بيتُ اللَّهِ وقِبْلَةُ خَلْقِه، وقيل: هو بيتٌ في السَّماءِ الرَّابعةِ بِحِيال الكعبة مِن الأرض يدخُلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملَكٍ، ثم لا يعودون إليه أبدًا، فهو مَعْمُورٌ بالملائكة.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/٣٦).

(٢) جامع البيان (٢/ ٥٠)، والكشف والبيان (٩/ ١٢٣)، ومعالم التنزيل (١/ ١٠٣)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٨٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٠)، البسيط" (٢٠/ ٤٧٦)، ومعاني القرآن" (٣/ ٩١).

(٥ - ٦) - ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾: هو السَّماءُ، رُفِعَ فوق كلِّ شيء، وفيها الملائكةُ، ومنها نزولُ الوحيِ ونزولُ المطرِ، ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ أي: المَمْلُوء، وقيل: أي: المُوقَد.

(٧ - ٨) - ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: أقسَمَ بهذه الأشياء أنَّ العذابَ واقِعٌ بالكفار لا محالةَ، ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾: عنهم إذا نزَلَ بهم، وذلك في اليوم الذي هُم به مُكَذِّبون.

(٩ - ١٠) - ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾: أي: العذابُ واقِعٌ في يوم تمورُ السماءُ، وقيل: أي: تدورُ، وهو يومُ القيامة، وقيل: أي: يموجُ أهلُها بعضُهم في بعضٍ، ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾: فإنَّ اللَّه تعالى يُسَيِّرُها، فتصيرُ الأرضُ قاعًا صَفْصَفًا[١].

(١١ - ١٤) - ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي: بالبعث والجزاء، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾: أي: في اضطرابٍ وتَرَدُّدٍ في الباطل، يقولون ما يعرِضُ لهم مِن غير حُجَّةٍ، بل بهوًى وشَهْوَةٍ، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: أي: يُدْفعون إليها بعُنْفٍ وشِدَّةٍ، ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: أي: يُقالُ لهم ذلك.

(١٥ - ١٦) - ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾: يُقالُ لهم: أَفَتَخْيِيلٌ هذا العذاب الذي ترونه؟! ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾: ليسَتْ لكم أَعْيُنٌ تُبْصِرون بها هذا؟! وهذا تقريعٌ لهم، فقد كانوا يقولون في الدنيا في الآيات: إنَّها سِحْرٌ وتَخْيِيلٌ، ولا يُتيَقَّنُ بصِحَّتِها،

---

(١) لطائف الإشارات (٣/ ٤٧١ - ٤٧٢)، ومعاني القرآن (٣/ ٩١)، والنكت والعيون (٥/ ٣٧٩).

فيُقالُ لهم عند رُؤية العذابِ: أَفتَتَوَهَّمون هذا تَخْيِيلًا أم ليست لكم عُيونٌ باصِرَةٌ ترونه بها، أم تتيقَّنون أنه عذابٌ؟! ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾: أي: ادْخُلوها وقاسُوا حَرَّها، صَبْرُكم وجَزَعُكم سواءٌ، فلا يُخَفَّفُ عنكم، ولا تُرْحَمون فتُخرَجوا منها، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أنتم جَلَبْتُم إلى أنفسكم هذا.

(١٧ - ١٩) - ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾: وهذا بيانُ حالِ الذين يُخالِفونهم، وهُم الذين اتَّقوا الشركَ والمعاصيَ، وهُم في بساتينِ الفِرْدَوسِ ونَعيمِها، ﴿فَاكِهِينَ﴾ أي: مُعْجَبين، وقيل: ناعِمين، وقيل: مُتَوَسِّعين فيما يَشْتَهونه مِن الفواكه وغيرِها، وقيل: طَيِّبين[1]، ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: أي: أعطاهم، ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾: أي: حَفِظَهم، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾: أي: يُقال لهم: ﴿كُلُوا﴾: مِن أَطْعِمَتِها، ﴿وَاشْرَبُوا﴾: مِن أَشْرِبَتِها، ﴿هَنِيئًا﴾: سائِغًا طَيِّبًا لا أذًى فيها، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: جزاءً لكم بطاعتِكم في الدنيا.

(٢٠ - ٢١) - ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾: جَمْعُ سَريرٍ، أي: صُفَّ بعضُها إلى بعض، ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾: أي: قَرَنَّاهم بحُورٍ؛ أي: سُودِ الأعيُنِ واسعاتِها، وقيل: أتَوْنا فُرادى، فجعلناهم أزواجًا بالحُور العِين، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وهذا مِن تَكْميلِ النِّعَمِ عليهم في الجنة، يقول: وهؤلاء المُتَّقون الذين آمَنوا وآمَنَ أولادُهم كما آمَن آباؤُهم ألْحَقْنا الذُّرِّيَّةَ -وهُم الأولادُ- بالآباء في الجنة في درجةٍ واحدةٍ؛ لِتَقَرَّ أعينُهم بالاجتماع في

---

(١) معاني القرآن" (٣/ ٩١)، غريب القرآن(١/ ٤٢٥).

الجنة كما كان كذلكَ في الدنيا، فلا يَتَنَغَّصُ عليهم الحالُ بتَفَرُّقِ الشَّمْلِ، ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: أي: ما نَقَصْناهم -أي: الأبناءَ- مِن ثواب أعمالهم بقِصَرِ أعمارهم، وقيل: ما نَقَصْناهم مِن ثواب الآباء بسبب إلحاق الأبناءِ بهم، مع أنَّهم أقلُّ عملًا مِن الآباء، ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾: أي: مَجْزِيٌّ بعمله.

(٢٢ -٢٣) - ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ﴾: أي: أَتْبَعْنا ما أعطيناهم فاكهةً كثيرةً لا تَنْقَطِعُ، كُلَّما أكلوا ثمرةً عادَ مكانَها مِثْلُها، ﴿وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾: أي: وأَمْدَدْناهم بهذا أيضًا، ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾: أي: يَتَعاطَون ويتداولون في الجنة قَدَحًا فيه شرابٌ، ولا يُسَمَّى كأسًا حتى يكونَ فيها شرابٌ؛ كما لا تُسَمَّى مائدةً حتى يكونَ عليها طعامٌ، ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: أي: لا يَذْهَبُ هذا الشَّرابُ بعقولِهم فيتكلَّموا باللغو -وهو الكلامُ الباطلُ- فيَأْثَموا به، وقيل: اللَّغْوُ في القول، والتَّأْثيمُ في الفعل، وقيل: أي: هو مُباحٌ لهم، لا تأثيمَ فيه بالتحريم[(١)].

(٢٤ -٢٥) - ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: لِلخِدْمَة، ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾: خُلِقوا في الجنة، ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾: أي: مَصُونٌ لِلَطافتِهم وصَفْوتِهم، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: أقبَلَ بعضُ أهلِ الجنة على بعض يتساءلون عن أعمالهم في الدنيا التي بها وصَلوا إلى هذه النِّعَمِ بوعد اللَّه تعالى.

(٢٦ -٢٧) - ﴿قَالُوا﴾: أي: قال المسؤولون: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾: أي: قبلَ هذا ﴿فِي أَهْلِنَا﴾: أي: مع أهلنا ﴿مُشْفِقِينَ﴾: أي: خائِفين مِن عذاب اللَّه، وهؤلاء كانوا مِن أهل التقوى والطاعة، أَدَّوا فرائضَ اللَّهِ تعالى، واجتنبَوا محارِمَه،

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٥٨٣)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٨١)، وبحر العلوم (٣/ ٣٥٢).

إلَّا أنهم استَصْغَروا أنفسَهم، واستَقْصَروا أعمالَهم، فكانوا مُشفقين أنْ يُؤْخَذوا بتقصيرهم، ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بقَبولِ الطاعات مع تقصيرِها، وعفا عن السيئات مع توفيرِها، ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾: أي: حَفِظَنا مِن عذاب السَّموم؛ أي: الحَرُور الذي يدخُلُ مَسامَّ البدَنِ فيؤلِمُه

(٢٨) - ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾: أي: في الدُّنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أنْ يمُنَّ علينا، ويَقِيَنا عذابَ السَّموم، ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾ أي: نَدْعُوه بأنه، ﴿الْبَرُّ﴾: البَارُّ اللَّطيفُ، وقيل: أي: الصَّادِقُ فيما وعَدَ، ﴿الرَّحِيمُ﴾: الرَّؤوفُ العَطوفُ[(١)].

(٢٩ - ٣٠) - ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾: أي: فَدُمْ على تذكيرِهم بهذا كلِّه، ولا تَلْتَفِتْ إلى قولِهم لكَ: إنك كاهنٌ أو مجنونٌ، فما أنتَ كذلك ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾؛ أي: قد أنعمَ اللَّهُ عليك بكمالِ العقلِ، وبرَّأَكَ مِمَّا وصفَكَ به أهلُ الجهلِ، ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾: وهذه مُحاجَّةٌ للمشركين، يقولُ: أتقولون: إنَّ محمدًا شاعرٌ؟ ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾؛ أي: ننتظِرُ به الموتَ فنستريحُ منه؛ كما ماتَ شاعرُ بني فُلانٍ فاستراحَ الناسُ مِن لسانِه وشَتْمِه. و﴿الْمَنُونِ﴾: الدَّهْرُ، و﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾: حوادثُ الدَّهرِ، وقيل: ﴿الْمَنُونِ﴾: الموتُ، وسُمِّيَ الموتُ مَنونًا لأنه يَقْطَعُ العُمُرَ[(٢)].

(٣١ - ٣٢) - ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾: هو تهديدٌ لا

---

(١) تأويلات أهل السنة (٩/ ٤٩٧)، والبسيط" (٢١/ ٢٣٩)، ومعالم التنزيل (٧/ ٣٩١)، جامع البيان (٢١/ ٥٩٠).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٩٣)، والبسيط (٢٠/ ٥٠٠).

أَمْرٌ؛ أي: أنتم تتربَّصون موتي، وأنا أتربَّصُ أنْ يُظْفِرَني اللَّهُ عليكم فتنقادوا إليَّ بالإسلام، أو يَقْتُلَكم اللَّهُ بيَدِي وأيدي أصحابي، أو تموتوا على الكفر على الذُّلِّ والقَهْرِ، ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾: أي: إنَّهم يدَّعون أنهم أصحابُ عُقولٍ، ويفتخرون بها، أَفَعُقُولُهم تَدْعُوهم إلى الكذب عليكَ، وتَسْمِيَتِكَ بهذه الأسماء القبيحة، والعُقولُ تدُلُّ على براءَتِكَ عن هذه الصِّفات؟ ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: أي: بل يفعلون ذلك لِطُغْيانِهم، ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾: أي: اختَلَقَه؛ أي: القرآنَ، ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: بل هُم لا يُصَدِّقون بما يأتيهم مِن الحقِّ.

(٣٤ - ٣٥) - ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾: أي: فليأتوا بمِثْلِ هذا القرآنِ مُتَقَوَّلًا إن كانوا صادقين أنَّ محمدًا ﷺ تقوَّله، فإنهم مِثْلُ محمَّدٍ ﷺ في اللِّسانِ، ومعرفةِ ضُروبِ الكلام، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾: أي: أم يقولون: إنَّهم خُلِقُوا مِن غير خالِقٍ، أم يَدَّعون أنهم خلَقوا أنفُسَهم[(١)]؟

(٣٦ - ٣٧) - ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: أي: أم يَدَّعون خلْقَها، فإذا لم يدَّعوا خَلْقَ البعضِ ولا خَلْقَ الكُلِّ، واعترَفوا بأنَّ خالقَ الكُلِّ هو اللَّهُ تعالى، فلِمَ امتناعُهم عن توحيدِه، ونَفْيِ الشُّركاءِ عنه؟، ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾: أي: ليس تكذيبُهم الرُّسُلَ وجُحودُهم البعثَ عن دليلٍ يَتيقَّنون به، وقيل: ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ بوعيد اللَّهِ بتَرْكِ النَّظَرَ والإصرارِ على الكفر، ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ من النبوة

---

(١) التيسير في التفسير (١٤/ ٨٨)، والكشف والبيان (٩/ ١٣١)، والوسيط (٤/ ١٨٩)، ومعالم التنزيل (٧/ ٣٩٢).

والرزق وغيرهما فيخصوا من شاءوا بما شاءوا، ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾: أي: أم ليس شيءٌ مِن هذا بل هُم يتمرَّدون ويتسلَّطون عليكَ جهلًا؟، وقيل: أم هُم المُتَسَلِّطون بالغَلَبة بحُجَّةٍ أو عُدَّةٍ؟[(١)]!

(٣٨ - ٣٩) - ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: أي: أم يَدَّعون أنَّ لهم سُلَّمًا يتوصَّلون بصُعوده إلى السماء فيَسْتَمعون الأخبارَ بها، ويَصِلون بذلك إلى أخبار السماء كما يَصِلُ محمَّدٌ ﷺ إليه، فيستمعون بذلك أنَّ ما هُم فيه حقٌّ، فهُم كذلك مُتَمَسِّكون به، ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: أي: فلْيَأْتِ مَن يَدَّعي سماعَ ذلك بحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ على سماعِه، وذلك أنْ يُخْبِرَ بغَيبٍ، فيَظْهَرَ كما أَخْبَرَ. ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾: أي: هُم مِن ضَعْفِ العُقول بهذه المرتبة يُضِيفون إلى اللَّه تعالى البناتِ مع أَنَفَتِهم منهنَّ، ومَن كان مِن قِلَّةِ التَّمييز بهذه المنزلة، كيف تَنْجَعُ فيه الحُجَّةُ والموعظةُ[(٢)]؟

(٤٠ - ٤٣) - ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: أي: جُعْلًا لكَ مِن أموالهم على الإيمان بكَ، ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾: فلذلك لا يُؤمنون بكَ، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: أي: أم يَدَّعون أنَّ عندهم عِلْمَ الغيبِ، فهم يكتبون مِن ذلك مِثْلَ ما تأتيهم به، فيُعارِضونكَ به؟ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: أي: إنْ يَمْكُروا بكَ بتَنْفيرِ الناس عنكَ، وتَأْلِيبِهم عليكَ احتيالًا لِقَتْلِكَ أو لِغَلَبَتِكَ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾؛ أي: بل ضَرَرُ كيدِهم يعودُ عليهم، فيُغْلَبون ويُخْزَون ويُهْلَكون، ﴿أَمْ

---

(١) زاد المسير (٤/ ١٨٠)، وتفسير الجلالين (١/ ٦٩٩).

(٢) التيسير في التفسير (١٤/ ٩٠).

﴿لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾: يَعْتَضِدون به، ويَلْتَجِئون إليه مما نُريدُ إنزالَه بهم مِن العذاب، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: هو مُنَزَّهٌ عن ذلكَ.

(٤٤ - ٤٥) - ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾: أي: وإنْ يرَ هؤلاء المشركون قِطْعةً مِن السماء ساقطًا يَسْقُطُ عليهم وهُم يُعايِنُونها بإنزال اللَّه ذلك حُجَّةً لكَ عليهم؛ لَأَدْخلوا على أنفسهم التَّمْويهَ، وقالوا: إنه سحابٌ مَرْكومٌ؛ يعني: رُكِمَ بعضُه على بعضٍ؛ أي: جُمِعَ، فسَقَطَ علينا، وليس بسماءٍ[١]، ﴿فَذَرْهُمْ﴾: أي: أَعْرِضْ عنهم، ولا تَحْرِصْ على أنْ يُعاجَلوا بالعذاب، ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: أي: يُهْلَكون بالصَّاعقة، وهي العذابُ المُهْلِكُ، وقيل: هي عند النَّفْخَةِ الأولى، قال تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨].

(٤٦ - ٤٧) - ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾: أي: يومَ القيامةِ، ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾: لا يَمْنَعُهم مِن عذابِ اللَّهِ مانِعٌ، ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: أَشْرَكوا، فوضَعوا العِبادةَ في غير مَوْضِعِها، ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: أي: قَبْلَ اليوم الذي فيه يُصْعَقون، وهو ما نالَهم مِن القَحْطِ والسَّبْيِ والقَتْلِ يومَ بدرٍ، وقيل: مَصائب الدُّنيا في الأموال والأولاد، وقيل: هو عذابُ القبرِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: يَغْفُلون عنه.

(٤٨ - ٤٩) - ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: يا محمد ﷺ؛ أي: لِمَا حُكِمَ عليكَ مِن تبليغِ الرِّسالة، وتَحَمُّلِ أذى أهلِ الضَّلالة، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: أي:

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٥٩٣)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٩١)

بمَرْأًى مِنَّا، فنحن نحفَظُكَ ونَدْفَعُ عنكَ، ولا يَخْفى علينا صَنِيعُكَ وصَنِيعُهم، فنَجْزِي كُلًّا على وَفْقِ عَمَلِه، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: أي: صَلِّ لِربِّكَ حامِدًا له، ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: أي: مِن مَنامِكَ باللَّيل، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: أي: فصَلِّ لِرَبِّكَ أيضًا باللَّيلِ، وهي صلاةُ المغربِ والعشاءِ، ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ أي: الرَّكعتين قبل الصُّبح[(١)].

(انتهى تفسير سورة الطور).

(١) النكت والعيون (٥/ ٣٨٧)، ومعالم التنزيل (٧/ ٣٩٥)، وجامع البيان (٢١/ ٦٠٨)، والدر المنثور (٧/ ٦٣٨)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٩٤)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٩٧).

(٥٣) سورة النجم مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، سميت «سورة النجم» بغير واو في عهد أصحاب النبي ﷺ، فهذه تسمية لأنها ذكر فيها النجم، وهي السورة الثالثة والعشرون في عد ترتيب السور. نزلت بعد سورة الإخلاص وقبل سورة عبس، وهي اثنتان وستون آيةً، وكلماتُها: ثلاثُ مئةٍ وستون كلمةً، وحروفُها: ألفٌ وثلاثُ مئةٍ وستةٌ وثمانون.

فضلها:

ما روي عن ابن مسعود « أَنَّ النبيَّ ﷺ قَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ، فَسَجَدَ بِهَا فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنَ القَوْمِ إِلَّا سَجَدَ، فأخَذَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ كَفًّا مِن حَصًى - أَوْ تُرَابٍ - فَرَفَعَهُ إلى وجْهِهِ، وقالَ: يَكْفِينِي هذا، قالَ عبدُ اللَّهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدُ قُتِلَ كَافِرًا»(١).

أغراض هذه السورة:

أول أغراضها: تحقيق أن الرسول ﷺ صادق فيما يبلغه عن الله تعالى وأنه منزه عما ادعوه. وإثبات أن القرآن وحي من عند الله بواسطة جبريل. وتقريب صفة نزول جبريل بالوحي في حالين زيادة في تقرير أنه وحي من الله واقع لا محالة. وإبطال إلهية أصنام المشركين. وإبطال قولهم في اللات والعزى ومناة بنات الله وأنها أوهام لا حقائق لها وتنظير قولهم فيها بقولهم في الملائكة أنهم إناث. وذكر جزاء المعرضين والمهتدين وتحذيرهم من القول في هذه الأمور بالظن دون حجة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم(١٠٧٠) ومسلم برقم(٥٧٦).

وإبطال قياسهم عالم الغيب على عالم الشهادة وأن ذلك ضلال في الرأي قد جاءهم بضده الهدى من الله. وإثبات البعث والجزاء، وتذكيرهم بما حل بالأمم ذات الشرك من قبلهم وبمن جاء قبل محمد ﷺ من الرسل أهل الشرائع. وإنذارهم بحادثة تحل بهم قريبًا. وأن القرآن حوى كتب الأنبياء السابقين[١]، وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السورة: أنَّ تلك في ذِكْرِ النُّجوم، وهذه في ذِكْرِ النَّجْمِ، وانتظامُ السُّورتين: أنَّهما في مُحاجَّة المشركين، وفي هذه زيادةُ كرامةٍ لِسَيِّدِ المرسَلين، وبيانُ قِصَص الأوَّلين.

(١-٣) - ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾: أقسَمَ اللَّهُ تعالى بالثُّرَيَّا إذا غابَتْ، والعربُ تُسَمِّي الثُّرَيَّا نَجمًا[٢]. ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾: هو جوابُ القسَمِ؛ أي: عدَلَ عن الصَّوابِ المبعوثِ به إليكم رَسُولًا، وما جَهِلَ ما خُوطِبَ به، وقيل: أي: ﴿مَا ضَلَّ﴾: في دِينِه الذي يَدْعوكم إليه، ﴿وَمَا غَوَى﴾: أي: ما خرَجَ عن الرُّشْدِ في أسباب نفْسِه مِن أُمور دنياه ومُعاملاتِه، عرَّفَهم ما لم يَزَلْ معروفًا به مِن الأمانة والسَّداد، وكان يُسَمَّى: الأمين، ويُتَحاكَمُ إليه في عَظائِمِ الأمور، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾: أي: بهوى نفْسِه بغير ما أُوحِيَ إليه.

(٤-٦) - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾: أي: ما هو إلا وحيٌ يُوحِيه اللَّهُ تعالى إليه، ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾: أي: عَلَّمَ محمدًا ﷺ جبريلُ وحي اللَّهِ، وهو شديدُ القُوى، أي: في نفْسِه وعِلْمِه، ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: أي: ذو إِحْكامٍ كالحَبْلِ المُمَرِّ المُوثَقِ

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/٨٩).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٣٠٢٢) وجامع البيان (٢٢/ ٥).

بالقَتْلِ، وقيل: أي: ذو قُوَّةٍ في جِسْمه، ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: أي: جبريلُ واقِفًا في الهواء بعد أنْ كان ينزِلُ مُسْرِعًا في كلِّ مَرَّةٍ.

(٧ - ٩) - ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾: مِن الهواء قريبًا مِن السماء، والأُفُقُ: النَّاحِيَةُ، وجمعُه: الآفاقُ. ﴿ثُمَّ دَنَا﴾: جبريلُ مِن الأرض، ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: أي: فاسترسَلَ إلى محمد ﷺ، وقيل: نكَسَ رأسَه لِتَبْلِيغِ وحي اللَّه تعالى إلى محمد ﷺ، ﴿فَكَانَ﴾: قُرْبُ ما بينهما ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾: أي: قَدْرَ قوسين، وقيل: أي: قَدْرَ ذِراعين، ويُسَمَّى الذِّراعُ قوسًا؛ لأنَّه يُقاسُ به المَذْروعُ؛ أي: يُقَدَّرُ، ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾: قيل: بل أدنى مِن ذلك، فلم يكن بالقَريبِ المُلاصِقِ، ولا بالبعيد المانع مِن التَّمَكُّن مِن النَّظَرِ إليه[١].

(١٠ -١١) - ﴿فَأَوْحَىٰ﴾: أي: بلغ جبريلُ الوحي، ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾: أي: إلى عبد اللَّه، ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾: أي: ما أوحى اللَّهُ تعالى إلى جبريل، وأمرَه أنْ يُبَلِّغَه إلى المصطفى ﷺ، ﴿مَا كَذَبَ﴾: أي: ما أنكر ﴿الْفُؤَادُ﴾ أي: فؤاد النبي ﷺ ﴿مَا رَأَىٰ﴾ ببصره من صورة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١٢) - ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾، أي: أَفَتُجَادِلونه على ما يرى؟ فتقولون: إنه لم يرَ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما رأى شيطانًا؛ كما ترى الكهَنةُ الشياطينَ.

(١٣ -١٥) - ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: أي: رأى جبريلَ أيضًا مَرَّةً أخرى ليلةَ المعراجِ، ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾: في السماوات، وإليها ينتهي عِلْمُ العُلَماءِ، ولا يَعْلَمَ ما وراءَها إلا اللَّهُ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾: أي رآه على صُورته مَرَّةً في الدنيا،

(١) جامع البيان (٢٢/ ١٠)، والهداية (١١/ ٧١٤٢).

ومَرَّةً عند سِدْرَة المُنْتهى.

(١٦-١٧) - ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾. أي: يُغَطِّيها، وقيل: النُّورُ والبهاءُ والحُسْنُ والصَّفاءُ الذي يروقُ الأبصارَ، ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾: أي: ما مالَ بصَرُ محمد ﷺ عما رأى، وما جاوزَه إلى غيره، يعني: ما عدَلَ عن رؤيتِه قبلَ إحاطةِ عِلْمِه به، وما تعدَّى عن رؤيتِه إلى غيره رَغْبَةً عنه وفي حقِّ النَّظَرِ، فتيَقَّنَ بما أبصرَ، وقيل: ﴿مَا زَاغَ﴾: أي: ما مالَ يمينًا ولا شمالًا، ولا طغى ولا تقدَّمَ؛ أي: وقَفَ حيث وُقِّفَ، وتصَرَّفَ على ما صُرِّفَ[1].

(١٨) - ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾: أي: العُظْمى، وهي عظائِمُ السماوات، وطوائفُ الملائكةِ، وسِدْرَةُ المنتهى، وجنَّةُ المأوى، وما في الجِنان لأهل الإيمان، وما في النِّيران لأهل الطُّغْيان.

(١٩ - ٢٠) - ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾: كلمةُ استفهامٍ، ومعناها: أَخْبِروني عن هذه الأصنام التي تعبُدونها وتعتقِدونها آلهةً: هل فَعَلَتْ ما فعَلَ اللَّهُ تعالى؟، وقيل: العُزَّى: شجرةٌ كانوا يعبُدونها، وكانت لِغَطَفَانَ، بعَثَ إليها رسولُ اللَّه ﷺ خالدَ بنَ الوليد فقطَعَها، فخرَجَتْ منها شيطانةٌ ناشِرةٌ شَعْرَها، داعِيَةٌ وَيْلَها، واضِعَةٌ يدَها على رأسها، فجعَلَ خالدٌ يضرِبُها بالسيف حتى قتَلَها، و(اللاتَّ) بتشديد التاء: كان رجلٌ يَلُتُّ السَّوِيقَ، فمات، فاتُّخِذَ قبرُه مُصَلًّى، و﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ﴾: قيل: سُمِّيَ بها؛ لِمَا يُمْنَى عندها مِن الدِّماء؛ أي: يُهَرَاقُ؛ كما تُسَمَّى (مِنًى)؛ لأنَّه مَذْبَحُ الهدايا والضَّحايا، وتقديرُ الآيةِ: أفرأيتُم اللَّاتَ والعُزَّى

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ١٦٠)، والكشف والبيان (٩/ ١٤٣).

الأُخْرى ومَناةَ الثالثة، لكنْ أَخَّرَ ﴿الْأُخْرَى﴾ في الذِّكْر؛ لِتتَّفِقَ الفواصِلُ، وقيل: بل هي على نَظْمِها، وسُمِّيَتْ (أخرى)؛ لأنَّهم كانوا يُؤَخِّرُونها في الذِّكْرِ (١).

(٢١ -٢٢) - ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾: قيل: كانوا يقولون: الأصنامُ بناتُ اللَّهِ، فرَدَّ اللَّهُ عليهم بهذا، ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾: أي: جائِرَةٌ، وقد ضازَ يَضيزُ: إذا جارَ.

(٢٣) - ﴿إِنْ هِيَ﴾: أي: ما هذه الأصنامُ اللَّاتُ والعُزَّى ومَناةُ، ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ﴾: مُسَمَّياتٌ ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ﴾: تَقْليدًا ﴿وَآبَاؤُكُمْ﴾: جَهْلًا، لا معانيَ لها، ولا حقائِقَ، ولا أُلُوهِيَّةَ للَّاتِ، ولا عِزَّةَ لِلعُزَّى، ولا يُمْنَى لِمَناةَ؛ أي: لا تَقْدِرُ شيئًا، ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: أي: مِن حُجَّةٍ، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾: أي: ما يتَّبِعون ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾: أنَّ آباءَهم لم يَعْبُدوها إلَّا لاستحقاقِها، وإلا ظَنًّا أنها تَشْفَعُ لهم وتُقَرِّبُهم إلى اللَّه، ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أي: وما يَتَّبِعون إلَّا ما تهواه أنفسُهم مِن تعظيمِ قَدْرِ الآباءِ وتصويبِهم، وقيل: أي: إلَّا ما تهواه أنفسُهم مِن عبادةِ ما يَسْتَحْسِنُونه، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾: أي: البيانُ، ولكنَّهم مُقَلِّدون.

(٢٤ -٢٦) - ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أي: أتفعلون هذا بحُجَّةٍ أم للإنسان أنْ يَتَمَنَّى ما شاءَ، فيعبُدَ ما شاءَ، ويُعْطِيَ العِزَّةَ مَن يشاءُ، ويجعلَ للَّهِ البناتِ، ولنفسِه البنينَ؟! وللَّه العزة ولرسوله، ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾: أي: فليس للإنسان أنْ يتمنَّى على اللَّه، إنَّما له ما يجعلُه اللَّهُ له؛ إذ له الدنيا والآخرةُ ومَن فيهما وما فيهما،

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٧٠)، وجامع البيان (٢٢/ ٤٧)، والكشف والبيان (٩/ ١٤٥)، والنكت والعيون (٥/ ٣٩٧).

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي﴾: أي: لا تَنْفَعُ، ﴿شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ معناه: أنهم لا يَشْفَعون؛ لأنَّه لا يُؤْذَنُ لهم، ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: أي: مِن الملائكة لِتَشْفَعَ، وقيل: أي: مِن البَشَرِ لِتَشْفَعَ الملائكةُ له، ﴿وَيَرْضَى﴾: أي: يرضى بشفاعةٍ مِن الملائكة.

(٢٧ - ٢٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: وهُم مُشْركو العربِ، ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى﴾: أي: يقولون: هُم بناتُ اللَّهِ؛ كما تقول عبَدَةُ الأصنامِ في الأصنام، ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾: مِن جِهَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، أو كتابٍ، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: ما يُتَخَيَّلُ في ظُنونِهم، لا عن مُشاهدةٍ وخبَرٍ صحيحٍ، ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾: أي: لا ينوبُ الظَّنُّ مَنابَ الحقِّ، ولا ينفَعُ صاحبَه، ولا يُنزِّلُه مَنزِلَةَ المُحِقِّ، ﴿فَأَعْرِضْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾: عن كتابِنا ووَعْظِنا، فلم يُصَدِّقْه ولم يَقْبَلْه، ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: أي: ومالَ إليها.

(٣٠) - ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: وهو العمَلُ لثوابِ الدنيا، وهو مَبْلَغٌ خَسِيسٌ لا يرضى به عاقلٌ، وهو مِن طَبْعِ البهائمِ التي لا تَرْغَبُ إلا في الحاضِرِ التَّافِهِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾: فيَجْزِي كُلًّا على وَفْقِ عمَلِه، فأَعْرِضْ أنتَ عنهم.

(٣١) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: مُلْكًا ومِلْكًا وخَلْقًا خَلَقَهم وتعبَّدَهم، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾: فيُمَيِّزَ بين الضَّالِّ والمُهْتَدي، والمُسِيءِ والمُحْسِنِ، فيَجْزِيَ المُسِيءَ

المُشْرِكَ في الدنيا بالسَّبْيِ والقتلِ والهَوان، وفي الآخرة بالخُلود في النِّيران، ويَجْزِيَ المؤمنَ المُحْسِنَ في الدنيا بالنَّصْر والظَّفَر والإِمْكان، وفي الآخرة بالخُلودِ في الجِنان.

(٣٢) - ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾: وهي عَظائِمُ الذُّنوبِ، ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: القبائحُ. وقيل: ﴿كَبَائِرَ﴾: ما أوعَدَ اللَّهُ عليها بالنار، ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: ما شرَعَ فيه الحُدودَ، ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ معناه: لكنِ الذين ألَمُّوا به قبلَ الإسلامِ قد غفَرَ اللَّهُ لهم ذلك، وقيل: اللَّممُ: أنْ لا يُصِرَّ على ما ارتكَبَه، بل يُبادِرُ بالتوبة عنه، مِن قولهم: (ما يأتينا فُلانٌ إلا لِمامًا)؛ أي: في الحِين بعد الحِين، واللَّمَمُ: ما يقَعُ فيه حِينًا بعد حِينٍ، لا يدومُ عليه، ولا يعتادُه، وقيل: اللَّمَمُ: الصَّغائِرُ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾: فلِسَعَةِ مغفِرَتِه يغفِرُ ما تِيبَ عنه، ويغفِرُ اللَّمَمَ، ويغفِرُ ما سلَفَ في الجاهلية، ويغفِرُ ما شاءَ مِن الذُّنوب مِن غير توبةٍ، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾: أي: بضَعْفِكم وغلَبَةِ الهوى عليكم، ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: أي: أنشَأَ أباكم مِن الأرض آدمَ، عَلِمَ حينئذٍ أحوالَكم مِن الضَّعْفِ، واستيلاءِ الشَّهْوةِ عليكم، ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾: جَمْعُ جَنينٍ، وهو الولدُ المُجْتَنُّ في البُطون في أرحام الأُمَّهاتِ، وهو قولُه تعالى: ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾: فلا تَرْفَعوها فوق قَدْرِها وحالُكم هذه في استيلاءِ الهوى عليكم، حتى لا يَخْلُوْ أحدُكم عن اللَّمَمِ، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾: منكم مِمَّن لم يَتَّقِ، فلا حاجةَ بكم إلى تَزْكِيَةِ أنفسكم؛ لأنكم تَعْمَلون له، وعِلْمُه كافٍ لكم، نزلَتْ في ناسٍ كانوا يعملون أعمالًا حسنةً ثم يذكُرونها(١).

(١) جامع البيان (٢٢/ ٦٦) والمحرر الوجيز (٥/ ٢٠٤)، والكشاف (٤/ ٤٢٦).

(٣٣) - ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾: ذكَرَ اللَّهُ تعالى جَهْلَ المشركين بأمور الآخرة، ثم عيَّنَ جَهْلَ واحدٍ منهم، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾: وهذا تعجيبٌ مِن حاله، قيل: إنَّ هذا رجلٌ أسلَمَ، فلَقِيَه بعضُ مَن عيَّرَه فقال: ترَكْتَ دِينَ الأشياخ وضلَّلْتَهم، وزعَمْتَ أنهم في النار، وكان ينبغي لكَ أنْ تنصُرَهم، فكيف تفعلُ بآبائكَ؟! فقال: إني خشِيتُ عذابَ اللَّهِ، فقال: أَعْطِني شيئًا وأنا أَحْمِلُ كلَّ عذابٍ كان عليكَ عنكَ، فأعطاه شيئًا، فقال: زِدْنا، فتعاسَرا حتى أعطاه شيئًا، وكتَبَ له كتابًا، وأشهَدَ له بذلك، فذلك قولُه تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾: أي: أعرَضَ عن الإيمان باللَّه ورسوله.

(٣٤) - ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾: مِن المال على أنْ يتحمَّلَ عنه ما يَسْتَحِقُّه مِن العذاب بكفره وتوَلِّيه، ثم قطَعَ إعطاءَه، فلم تَسْنَحْ نفْسُه ببَذْلِ مالِه على تحمُّلِ العذاب عنه، فجمَعَ جَهْلًا وبُخْلًا، وذلك قولُه: ﴿وَأَكْدَى﴾ أي: بلَغَ مجهودَه، فلم يَحْصُلْ على شيءٍ، وقيل: معناه: وأعطى قليلًا مِن الإيمان بما عزَمَ عليه منه، ثم لَحِقَه الخُذْلانُ فأكدى؛ أي: قطَعَ به فيه[(١)].

(٣٥) - ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾: أي: أَعِنْدَ هذا المُعْطي المُكْدِي عِلْمَ الغيبِ ﴿فَهُوَ يَرَى﴾: أي: يَعْلَمُ عِلْمَ الآخرةِ وما غابَ عنه مِن أمرِه، فيَعْلَمُ أنَّ مَن ضَمِنَ له يَحْمِلُ أوزارَه عنه، وهذا العِلْمُ يكون على أحد وجهين أحدُهما: أنه يَفِي له به، فيُخَلِّصَه عنه، والثاني: أنْ يجعَلَ نفْسَه فِداءً عنه، فليس عنده عِلْمٌ بواحد مِن هذين،

---

(١) جامع البيان(٢٢/ ٧١)، والهداية" (١١/ ٧١٦٧)، والمحرر الوجيز" (٥/ ٢٠٥)، وأسباب النزول (١/ ٣٩٩)، وزاد المسير" (٤/ ١٩١)، والتيسير في التفسير (١٤/ ١٣٤).

فما اعتمادُه عليه إلا غايةُ جَهْلٍ منه.

(٣٦ -٣٧) - ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾: أي: ألم يُنبَّأْ، وهو - استفهامٌ بمعنى التَّقْرير - بما سبَقَ مِن حُكْمِ اللّهِ تعالى على أَلْسِنة أنبيائِه المتقدِّمين أنه لا يُقْبَلُ أحدٌ بَدَلًا عن غيره فيما يستحِقُّه مِن العذاب على ذَنْبه، ولا يَحْمِلُ عن أحدٍ عقابًا يستحِقُّه غيرُه؟، وصحف موسى هي: أسفار التوراة أو صحف قبلها، ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾؛ أي: وفي صُحُفِ إبراهيم الذي وفَّى؛ أي: وفَّى بعُهودِ اللّه تعالى، وقيل: أي: أتمَّ كلَّ ما أُمِرَ به؛ كما قال: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقيل: أي: أدَّى جميعَ ما أُرْسِلَ به، وهو التَّبْليغُ[(١)].

(٣٨ -٤٣) - ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: أي: لا تحمِلُ نفْسٌ حامِلَةٌ حِمْلَ نفْسٍ أخرى، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾: أي: ثوابُ طاعتِه، وعِقابُ معصيتِه، ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾: أي: هو يراه في الآخرة؛ أي: يرى جزاءَه، ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾: الهاءُ راجعٌ على السَّعْيِ، وهو جزا عملِه، و﴿الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾: الأَتَمُّ، ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾: أي: إلى جزاء اللّهِ مَرْجِعُ الخَلْقِ، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾، أضحكَ أهلَ الجنَّةِ بتمام الحُبور، وأبكى أهلَ النار بدوام الثُّبور، وقيل: أضحَكَ المُذْنِبَ، وأبكى التَّائِبَ، وقيل: أضحك من شاء وأبكى من شاء.

(٤٤ -٤٨) - وقولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾: أي: أماتَ الأحياءَ

---

(١) الكشف والبيان (٩/ ١٥١)، والنكت والعيون" (٥/ ٤٠٢)، ومعالم التنزيل (٧/ ٤١٤)، وزاد المسير (٤/ ١٩١).

وأحيا الأمواتَ، وأماتَ الكفارَ وأحيا المؤمنين، وأماتَ الجُهَّالَ وأحيا العالِمين، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾: أي: الصنفين مِن أولادِ آدمَ، ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾: أي: مَنِيٍّ، ﴿إِذَا تُمْنَى﴾: أي يُمْنِيها الرَّجُلُ والمرأةُ؛ أي: يُرِيقانِها، والمعنى: أي: قَدَّر؛ أي: يُقَدَّرُ أنْ يكون منها الولدُ، ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾، والنَّشْأَةُ الأولى مِن النُّطْفة، والنَّشْأَةُ الأخرى البعثُ بعد ما ماتوا وصاروا رُفاتًا ورَمِيمًا، ومعنى ﴿عَلَيْهِ﴾: أنه فاعِلُه لا محالةَ بها وعَدَ ذلك مِن نفْسِه وَعْدًا حَتْمًا، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ أي: أغنى مَن شاءَ مِن خَلْقِه، ﴿وَأَقْنَى﴾: أي: أعطى ما يُقْتَنى؛ أي: يُتَّخَذُ أصلَ مالٍ يُسْتَثْمَرُ ويُسْتَنْمَى، وقيل: ﴿أَغْنَى﴾: أعطى ما يَكْفِي ويُغْنِي عن الغَيرِ، ﴿وَأَقْنَى﴾؛ أي: جعَلَ بعد الغِنى زيادةً على الكِفايةِ مالًا يَبْقى أَصْلُه ويَنْمِي فَرْعُه.

(٤٩) - ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾: هُما شِعْرَيان نَجْمَان أحدُهما يُسَمَّى: الغُمَيْصاء، والآخر: العَبُور، يعبُرُ المَجَرَّة وحدَه مِن بين الكواكب، وكان بعضُ أهلِ الجاهليَّةِ يعبُدُها، وقيل: هو كوكب خلف الجوزاء كان يعبد في الجاهلية[١].

(٥٠-٥٣) - ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ هُم عادُ بنُ إِرَمَ بنِ عَوْصِ بنِ سامِ بنِ نُوحٍ قومُ هُودٍ، أهلَكَهم اللَّهُ بريحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ، وعادًا الآخرة: بنو لُقَيمِ بنِ هزَّال بن هزيل بن عُتَيل بن صُدِّ بن عادٍ الأكبر، لم يكونوا مع الأوَّلين، وكانوا بحَضْرَمَوْتَ، وتفانَوا بالقَتْلِ، ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾: أي: وأهلَكَ ثمودَ فما أبقى منهم أحدًا، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾: أي قبل عاد وثمود أهلكناهم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾: مِن عادٍ وثمودَ؛ لأنَّهم أصَرُّوا على الكفر وإيذاءِ نوحٍ ألفَ سنةٍ إلا خمسين عامًا،

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٧٠٤).

ولم يَسْلَمْ منهم إلا نفرٌ يسيرٌ، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾: أي: وأهلَكَ قرية لوطٍ المُنْقَلِبَةِ بأهلها، ﴿أَهْوَى﴾: أي: أسْقطَها في النار، وقيل: أي: أسْقطَها مِن السماء.

(٥٤ -٥٦) - ﴿فَغَشَّاهَا﴾: أي: المُؤْتَفِكَةَ، ﴿مَا غَشَّى﴾: أي: الحِجارة، وغشَّاها: جلَّلَها، وقيل: هو في حَقِّ كلِّ مَن تقدَّم ذِكْرُه، وأَبْهَمَ لأنهم أُهْلِكوا بأنواعٍ مُخْتَلِفَةٍ. ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾: أي: بأيِّ نِعَمِ ربِّك تشُكُّ أيها الإنسانُ؟، وقيل: أي: تَجْحَدُ، وقيل: أي: تُجادِلُ مع وُضوحِها، والنِّعَمُ: هي الحُجَجُ الباهِرَةُ، والمواعِظُ الزَّاهِرَةُ، ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ﴾: أي: محمدٌ رسولُ اللَّهِ مُنْذِرٌ مِن النُّذُرِ ﴿الْأُولَى﴾؛ أي: المرسلين الأوَّلين.

(٥٧ - ٦٢) - ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾: أي: قرُبَتِ القيامةُ، والأُزوفُ: الدُّنُوُّ، و﴿الْآزِفَةُ﴾: مِن أسماءِ القيامة. ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾: أي: ليس لها من غير اللَّه كشفٌ؛ أي: بيانُ الوقت[1]، ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾: أي: من القرآن، استفهامٌ بمعنى التوبيخ، ﴿تَعْجَبُونَ﴾: إنكارًا ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾: استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾: تدبُّرًا بوعيده، ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾: أي: ساهون غافلون، ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: قيل: هي سجدة تلاوة، وقيل: هي سجدة الصلاة، ﴿وَاعْبُدُوا﴾: أي: وحِّدوه، وقيل: وأطيعوه[2].

(انتهى تفسير سورة النجم).

---

(١) معاني القرآن (٣/ ١٠٣).

(٢) التيسير في التفسير (١٤/ ١٤٩)، والعين (٧/ ٢٣٥).

(٥٤) سورة القمر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هي سورة مَكِّيَّةٌ، تسمى «سورة اقتربت الساعة»، وتسمى أيضًا «سورة القمر»، وهي السورة السابعة والثلاثون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الطارق وقبل سورة ص، وآياتُها: خمسٌ وخمسون، وكلماتُها: ثلاثُ مئةٍ كلمةٍ واثنتان وأربعون، وحروفُها: ألفٌ وأربعُ مئةٍ وتسعةٌ وأربعون.

فضلها:

ما روي أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سَأَلَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ: ما كانَ يَقْرَأُ به رَسولُ اللهِ ﷺ في الأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟ فَقالَ: كانَ يَقْرَأُ فِيهِما بـ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾، وَ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[١].

أغراض هذه السورة:

تسجيل مكابرة المشركين في الآيات البينة، وأمر النبي ﷺ بالإعراض عن مكابرتهم. وإنذارهم باقتراب القيامة وبما يلقونه حين البعث من الشدائد. وتذكيرهم بما لقيته الأمم أمثالهم من عذاب الدنيا لتكذيبهم رسل الله وأنهم سيلقون مثلما لقي أولئك إذ ليسوا خيرًا من كفار الأمم الماضية. وإنذارهم بقتال يهزمون فيه، ثم لهم عذاب الآخرة وهو أشد. وإعلامهم بإحاطة الله علمًا بأفعالهم وأنه مجازيهم شر الجزاء ومجاز المتقين خير الجزاء. وإثبات البعث، ووصف بعض

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٨٩١).

أحواله. وفي خلال ذلك تكرير التنويه بهدي القرآن وحكمته(١). وانتظامُ آخرِ تلك السُّورة بأوَّلِ هذه السورة: بذِكْرِ القيامةِ وقُرْبِها، قال هناك: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾، وقال هنا: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾، وانتظامُ السُّورتين: أنَّهما في مُحاجَّةِ المشركين، وتنبيهِهم بقِصَصِ الأوَّلين.

(١-٢) - ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾: أي: دنَتِ القيامةُ، ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾: أي: وقد انشَقَّ القمرُ نِصْفَين، ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾: أي: مِثْلَ ما رأوا مِن انشقاق القمر، وهو معجزة ﴿يُعْرِضُوا﴾: أي: عن الإيمان بها، ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ﴾: أي: ويُلَبِّسوا على الضَّعفة، ويقولون: هذا تخييلٌ قَوِيٌّ، فعلَه حاذِقٌ بالسِّحر، فيَتَصَوَّرُ بصُورة الانشقاق وهو بحاله لم يَنْشَقَّ، ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾: أي: يُشْبِهُ أفعالُ محمدٍ ﷺ بعضُها بعضًا؛ كما يقول الفقهاء: (قياسٌ مُسْتَمِرٌّ)؛ أي: يجري على وجهٍ واحدٍ، وقيل: أرادوا أنه سحرٌ مستمِرٌّ في الدُّهور قبل محمد ﷺ؛ أي: هذا شيءٌ كان يفعلُه أمثالُ محمدٍ ﷺ في الأُمَمِ الماضية.

(٣) - ﴿وَكَذَّبُوا﴾: أي: محمدًا ﷺ فيما جاء به مِن هذه الآيةِ وغيرِها، ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: أي: فعلوا ذلك بالشَّهَوات والأهواء، لا بالحُجَّة، ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾: أي: وكلُّ أمرٍ مِن الخير والشَّرِّ، والحَقِّ والباطل، والهوى والحُجَّة، يستقِرُّ يومًا قرارُه، ويتناهى نهايتَه، فتخرُجُ حقيقته، وتزولُ شُبْهَتُه، وعند العواقب تظهَرُ الحقائقُ، وهذا وعيدٌ للمشركين، ووعدٌ وبِشارةٌ للرسول والمؤمنين(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/١٦٦)

(٢) جامع البيان (٢٢/ ١١٣)، ومعاني القرآن (٣/ ١٠٤)، والتيسير في التفسير ١٤/ ١٥٣).

(٤ - ٥) - ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾: أي: مِن أخبار الأُمَم الماضية التي هي غُيوبٌ، ولا يعلَمُها محمدٌ ﷺ إلا بوحيٍ، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: أي: زَجْرٌ ومَنْعٌ، ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ أي: بالِغَةٌ نهايةَ الإحكامِ، ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ أي: فما يُغْنِي النَّذِيرُ بعد النَّذير لِمَن أعرَضَ عنه ولم يتأمَّلْه وعانَدَا!

(٦) - ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي: أَعْرِض عن مُكَافأَتِهم الآنَ، إنَّ لهم يومًا يُجازَون فيه، ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾: قيل: تقديرُه: فتولَّ عنهم لِيومِ يَدْعُ الدَّاعِ، ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾: أي: هائلٍ مُنْكَرٍ لا يُطاقُ، ويُسَمَّى (نُكرًا)؛ لِغلَظِه على النَّفس.

(٧) - ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ ومعناه: خاضِعين أَذِلَّةً لأمرِ اللَّه، وأضافَ الخُشوعَ إلى الأبصار؛ لأنَّ ذِلَّة الذَّليلِ وعِزَّةَ العزيزِ يَظْهَران في النَّظَر، وقيل: هو دليلُ الخوفِ والحياء، فيُنكِّسُ رأسَه، ويَخفِضُ بصرَه، ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: أي: القُبورِ، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ أي: خاضعين كأنَّهم جرادٌ مُنْتَشِرٌ في كَثْرتِهم وتفرُّقِهم في كلِّ جِهَةٍ، وقيل: أي: يخرُجون فَزِعين لا يَهتَدون، مُتَحَيِّرين لا جِهَةَ لأحدٍ منهم يَقْصِدُها.

(٨ - ١٠) - ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾: قيل: مُسْرِعين، وقيل: رافِعين أبصارَهم إليه، وقيل: مُدِيمين النَّظَرَ إليه، ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: أي: شديدٌ عَسيرٌ، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾: أي: رسولَهم نوحًا، ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾: أي: هو مجنونٌ، ﴿وَازْدُجِرَ﴾: أي: زجَروه عن تبليغِ الرِّسالة بالتَّهديد والشَّتْم، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾: أي: لَمَّا أَيِسَ مِن إيمانهم، ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾: أي: غلَبَني قومي بتمَرُّدِهم، ومنعُوني عن الدُّعاء إليك، ﴿فَانْتَصِرْ﴾: أي: فانتَقِمْ لي

منهم[١].

(١١ - ١٢) - ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾: أي: فأجَبْناه وأمَرْناه باتِّخاذ السَّفينة، ثم لمَّا بلَغَ الكتابُ أجلَه فتَحْنا أبوابَ السَّماءِ فوقهم، ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾: أي: كثيرٍ مُنْصَبٍّ خارجًا عن المُعْتاد، وقيل: هو الكثيرُ السَّريعُ الانصِبابِ، ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾: أي: سَيَّلْنا عُيونَ الأرضِ مِن تحتهم، ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾: أي: اجتمَعَ ماءُ السَّماءِ وماءُ الأرضِ، ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾: أي: قدَّره اللَّهُ، وعَلِمَ مِقْدارَه ومَبْلَغَه، وقَدَّرَ في أُمِّ الكتاب هلاكَ القومِ به، فلم يَزِدْهم على ما سبَقَ عِلْمُه به، ولم يَنْقُصْ عنه، وقيل: أي: التقى الماءانِ على مِقْدارٍ واحدٍ، فكان ماءُ السَّماءِ بقَدْرِ ماءِ الأرض، لا يزيدُ أحدُهما على الآخَرِ[٢].

(١٣ - ١٤) - ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾: أي: حَمَلْنا نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ﴾: أي: على سفينةٍ ذاتِ صَفائحَ مِن الخَشَبِ التي تُؤَلَّفُ منها السَّفينةُ، ﴿وَدُسُرٍ﴾: جَمْعُ دِسارٍ، قيل: هي المِسْمارُ، وقيل: الدِّسارُ: خَيْطٌ مِن لِيفٍ تُشَدُّ به ألواحُ السُّفُنِ[٣]، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾: أي: بمرأى مِنَّا، نحن نراها ونحفظُها، ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾: أي: فعَلْنا ذلك جزاءً لنوحٍ بصَبْره على أذى قومِه وكُفْرِهم به، وتَرْكِهم الشُّكْرَ له على دعائه إياهم إلى ما فيه نَجاتُهم.

(١٥ - ١٦) - ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾: أي: بَقَّيْناها أي: السفينة علامةً على

---

(١) معاني القرآن (٣/ ١٠٥)، وجامع البيان (٢٢/ ١١٨).

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٢١٤)، والتيسير في التفسير (١٤/ ١٥٧).

(٣) العين (٧/ ٢٢٥)، ومعاني القرآن (٣/ ١٠٦).

قُدْرَةِ اللَّهِ تعالى، ولُطْفِه بأهل ولايته، وتمييزِه بين أهل الإيمان وأهل الكفر، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: أي: مُتَّعِظٍ منكم مَعاشِرَ المشركين؟ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: أي: إنذاري؛ أي: ألم يكن عذابي شديدًا مُهْلِكًا، أوَلم يكن إنذاري صِدْقًا واقِعًا[(١)]؟.

(١٧ - ١٨) - ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: أي: هوَّنَّا قراءةَ القرآنِ لِيَتَّعِظَ المُتَّعِظُ به، ولولا أنَّ اللَّهَ تعالى يسَّرَه ما استطاعَ أحدٌ أنْ يتكلَّمَ بكلام اللَّه تعالى، وقيل: يسَّرْناه للحفظ ظاهِرًا، وليس مِن كُتُبِ اللَّهِ تعالى يُقْرَأُ ظاهِرًا إلا القرآنُ، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: أي: خائفٍ مِثْلَ عُقوبَتِهم، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾: أي: رسولَهم هودًا، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾: أي: بالرِّيحِ العَقيم، ﴿وَنُذُرِ﴾: أي: إنذاري على لسان رسولي، أليس كان العذابُ أليمًا شديدًا، والإنذارُ حقًّا وصِدْقًا؟

(١٩ - ٢٠) - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: يعني: شديدةً باردةً، ذاتَ بَرْقٍ وصوتٍ هائلٍ، ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾: أي: في يومٍ كان مَشْؤومًا عليهم، ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾: استمَرَّ بهم العذابُ حتى أهلَكَهم. وقيل: استمَرَّ عليهم شَرُّه؛ أي: دام إلى أن صاروا في نار جهنَّمَ، ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾: أي: تَقْلَعُهم مِن مواضِعهم، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: والأعجازُ: جَمْعُ عَجُزٍ، وهو أَصْلُ النَّخْلَةِ، والمُنْقَعِرُ: المُنْقَلِعُ مِن أصلِه[(٢)].

(٢١ - ٢٤) - ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: مر تفسيره، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا

---

(١) الهداية (١١/ ٧١٨٩)، ومعالم التنزيل (٧/ ٤٢٨).

(٢) معاني القرآن (٣/ ١٠٨)، ومجاز القرآن" (٢/ ٢٤١)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٣٥).

﴿الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: مر تفسيره، وكرر لأنَّ معناه: سَهَّلْنا سبيلَ التَّذَكُّرِ والاتِّعاظ به لـمَّا وصَّلْنا به القولَ مِن قِصَصِ الأوَّلين تَنْبيهًا للآخِرين، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾: قيل: بالإنذار، وقيل: بالآيات التي هي نُذُرٌ، جَمْعُ نذيرٍ، وقيل: بصالحٍ ومَن تقدَّمَه مِن الرُّسل، جَمْعُ نذيرٍ، وهو الرسولُ المُنْذِرُ، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾: أي: استَنْكَروا أنْ يَلْزَمَهم الانقيادُ لِبَشَرٍ هو واحدٌ منهم؛ أي: مِن جِنْسِهم وجُمْلَتِهم يأكُلُ الطَّعامَ، ويمشي في الأسواق. ﴿إِنَّا إِذًا﴾: لو اتَّبعناه، ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾: أي: ذهابٍ عن الحقِّ، ﴿وَسُعُرٍ﴾: أي: جنونٍ، وقيل: عذابٍ وعَناءٍ[١].

(٢٥ -٢٦) - ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾: أي: الوحيُ، ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾: أي: ليس كما يقول أنَّ الوحيَ أُنْزِلَ عليه مِن بيننا، بل هو كذَّابٌ في ذلك، ﴿أَشِرٌ﴾: لَجُوجٌ يلتمِسُ التَّجَبُّرَ والتَّكَبُّرَ علينا مِن غير استحقاقٍ، ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾: أي: يومَ القيامةِ ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾، وقيل: ﴿غَدًا﴾: أي: يومَ يَنْزِلُ بهم العذابُ المُسْتَأْصِلُ في الدنيا.

(٢٧ -٢٨) - ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾: أي: لَـمَّا كذَّبوه سألوه آيةً، وهو أنْ يُخْرِجَ لهم ناقةً مِن الجبل، فقال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾: أي: مُخْرِجُوها وباعِثُوها، ﴿فِتْنَةً لَهُمْ﴾: أي: اختبارًا وامتحانًا حتى يَظْهَرَ للعباد ما نحن عالِمون بما يكون منهم، ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾: أي: فانتظِرْهم، وتَبَصَّرْ ما يكون منهم، ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ على ارتقابِهم، ولا تَعْجَلْ إلى أنْ يؤمنوا، أو يَهْلِكوا، ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾: أي: خَبِّرْهم ﴿أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾: أي: مَقْسومٌ بين القوم وبين الناقة، والقِسْمَةُ ما ذُكِرَ في سورةٍ

(١) غريب القرآن(١/ ٤٣٣)، وتفسير السمعاني (٥/ ٣١٨).

أخرى: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾: أي: كلُّ نصيبٍ مِن الماء يُحْضِرُه صاحبُه في يومه.

(٢٩-٣١) - ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ أي: فنبَّهوه على مَجيئِها وقُرْبِها مِن مَكْمَنِه، ودَعَوْه إلى قَتْلِها، ﴿فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾: أي: فتناوَلَ ما دَعَوْه إليها فقتَلَها، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ مر تفسيره، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: أي: صاعِقَةً، فأهلَكَتْهم جميعًا، ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾: أي: فصاروا بعد نضارَتِهم وحُسْنِهم كيَبْسِ الشَّجَر والنبات الذي يَجْمَعُه صاحبُه ويَحْتَظِرُه لمواشيه؛ أي: يَتَّخِذُ لها حَظِيرةً يَجْمَعُها.

(٣٢-٣٥) - ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: مر تفسيره، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾: بالأمور المحظورة لهم على لسانه، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: أي: سَحابًا حَصَبَهم؛ أي: رماهم بالحِجارة والحَصى، ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾: أي: لوطًا ومَن آمَنَ به، ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾: أي: أمَرْناه حتى خرَجَ بهم بِقِطْعٍ مِن الليل، وجاء العذابُ قومَه الصُّبْحَ، ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾: أي: إنعامًا مِنَّا على لوطٍ وأهلِه، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾: بإنعامنا، فآمَنَ ولم يُكَذِّبْ.

(٣٦-٣٧) - ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾: أي: كان خوَّفَهم بأَخْذِنا إيَّاهم إذا أقاموا على كفرهم وتكذيبهم، ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾: أي: فشَكُّوا فيما أَنْذَرَهم به، وجادَلوه فيه وجَحَدوه، وقالوا: كيف يَتَهَيَّأُ له إهْلاكُنا وهو واحدٌ مِنَّا؟!، ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾: أي: طالَبوه بتسليم أضيافِه إليهم، وهُم الملائكةُ الذين رأوهم على صورة الغِلْمان، وظَنُّوهم مِن البَشَر، وقَصَدوا منهم ما اعتادوه مِن خَبائِثِهم،

﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾: قيل: فأعْمَيْناهم، وقيل: صُيِّرَتْ أعينُهم كسائر الوجه لا شِقَّ لها[١]، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: أي: وقيل لهم ذلك، وقيل: معناه: أَذَقْناهم ذلك.

(٣٨ - ٤٠) - ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ﴾: أي: جاءهم صباحًا، ﴿بُكْرَةً﴾: أوَّلَ النَّهارِ حين يَطْلُعُ الفجرُ، ﴿عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾: أي: ثابتٌ مُسْتَقِرٌّ فيهم إلى أنْ هلكوا جميعًا، لم يكن كالشيء الذي يمرُّ بالشيء فيأخُذُ بَعْضًا ويترُكُ بَعْضًا، وقيل: أي: يَسْتَقِرُّ بهم إلى أنْ يُوافُوا جهنَّمَ، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ مر تفسيره. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ مر تفسيره.

(٤١ - ٤٢) - ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾: أي: الآياتُ التي أُنْذِروا بها؛ كالضَّفادعِ، والدَّمِ، والطُّوفان، والجرادِ، والقُمَّلِ، والسِّنين، واليدِ، والعصا، ويَحْتَمِلُ أنْ يكون النُّذُرُ هُمُ الرُّسل، فقد جاءهم يوسُفُ وبنوه إلى أنْ جاء موسى وهارونُ، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾: أي: الأعلامِ الدَّالَّةِ على صِدْقِ الرُّسل. ويَحْتَمِلُ أن يكون أرادَ به آلَ فرعونَ، ويَحْتَمِلُ أن يكون أرادَ به كلَّ الأُمَمِ الذين ذكرَهم في هذه السورة، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾: أي: عاقَبْناهم مُعاقَبَةَ مَن لا يتهيَّأُ الاعتراضُ عليه، ولا مَنَعَةَ لِعزِّه وسُلْطانِه ومعاقبِه، قادرٌ على كل شيءٍ، لا يفوتُه هارِبٌ، ولا يُعْجِزُه غالِبٌ.

(٤٣ - ٤٥) - ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ﴾: يُخاطِبُ مُشْركي قريشٍ، ﴿مِنْ أُولَئِكُمْ﴾: أي: الأُمَمِ الماضية؛ أي: ليسوا كذلك، بل كلُّكم سواءٌ؛ لأنَّ الكلَّ كفارٌ مُكَذِّبون، فإذا شارَكْتُموهم في الجِناية، تُشارِكونهم في العُقوبة، ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي

---

(١) معاني القرآن (٣/ ١٠٩).

﴿الزُّبُرِ﴾: أي: أم تدَّعون أنَّ لكم براءةً مِن اللَّه في الكُتُب المُنَزَّلة على أنبيائه بالسَّلامة مِن العُقوبة، وخروجِكم بذلك من الجُمْلَة؟! ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾: أي: مُنْتصِرون مُجْتَمِعون مُمْتَنِعون، فلا يَنالُنا أحدٌ بمكروهٍ، ولا يَقْدِرُ علينا، ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾: فلا ينفعُهم الاجتماعُ، ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾: أي: الأَدْبارَ.

(٤٦-٤٨) - ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾: أي: القيامةُ، فلا نَقْتَصِرُ بعذاب الدنيا، بل نُدِيمُ عليهم العقابَ في العُقْبى، ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى﴾: أي: أعظَمُ وأنكَرُ، ﴿وَأَمَرُّ﴾: قيل: أشَدُّ، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾: أي: إنَّ المشركين في ضَلالٍ عن الحقِّ في الدنيا، وفي نيرانٍ تَسْتَعِرُ فيهم في العُقْبى، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾: أي: يُجَرُّون في نارِ جهنَّمَ بعد دخولِهم فيها، تَجُرُّهم الزَّبانيَةُ، و﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾: دِلالةُ نهايةِ الإذلال، وبيانُ أنَّهم لا يُجَرُّون على أَقْفِيَتِهم بل على وُجوهِهم، ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾: أي: يُقالُ لهم هذا، وسَقَرُ مِن أسماء جهنَّمَ[(١)].

(٤٩-٥٢) - ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي: بتقديرٍ سبَقَ في عِلْمِنا وإرادتِنا، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾: أي: قولةٌ واحدةٌ، وأمْرةٌ واحدةٌ؛ أي: وما أَمْرُنا لشيءٍ إذا أرَدْنا تكوينَه إلا أنْ نقولَ له: كُنْ فيكون، ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾: منكم، لا يُبْطِئُ ولا يتأخَّرُ ولا يَتعَذَّرُ، فلو أرَدْنا قِيامَ الساعةِ أو أرَدْنا استئصالَكم لكانَ، وإنما التَّأْخيرُ لِتقديرٍ قد سبَقَ، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾: أي: مَن تابعَكم على الكفر والتكذيب مِن هذه الأُمَمِ التي ذكَرْنا ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: أي: مُتَّعِظٍ؛ أي: فيتذَكَّرَ،

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ١٨٤). والمحرر الوجيز (٢/ ٥٤٠)، ومعاني القرآن (٣/ ١١٠)، والتيسير في التفسير (١٤/ ١٧٢).

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى الزُّبُرِ﴾: أي: فعلَه أشياعُكم هو في الزُّبُرِ؛ أي: في الكُتُب التي عنده، وهي أمُّ الكتاب، وقيل: في كُتُبِ الحَفَظَةِ[(١)].

(٥٣- ٥٥) - ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾: مِن عَمَلٍ ﴿مُسْتَطَرٌ﴾: أي: مكتوبٌ، وكلُّ كبيرٍ كذلكَ محفوظٌ لا يُنْسَى، فيُجازَى عليه يومَ القيامة، وقيل: ﴿مُسْتَطَرٌ﴾: أي: مُحْصِيٌّ ذلك في كتابِ أجَلِه ورِزْقِه واسمِه وشَقِيٍّ وسعيدٍ، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾: وهُم على خِلافِ المُجرمين، ﴿فِى جَنَّاتٍ﴾: أي: بساتين، ﴿وَنَهَرٍ﴾: أي: أنهارٍ، ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: أي: مَجْلِسِ حَقٍّ لا لغوٌ فيه ولا تأثيمٌ، وقيل: أي: موضِعٍ حسَنٍ؛ كما يُقالُ: ثوبُ صِدْقٍ، ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾: وهو قُرْبُ الكرامة، لا قُرْبُ المكانِ والمَقامَةِ[(٢)].

(انتهى تفسير سورة القمر).

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ١٦١)، والوسيط (٤/ ٢١٤)، والدر المنثور (٧/ ٦٨٣).

(٢) معاني القرآن (٣/ ١١١)، ولطائف الإشارات (٣/ ٥٠١)، والتيسير في التفسير (١٤/ ١٧٥).

(٥٥) سورة الرحمن مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، ويُقال: مدنيَّةٌ، والاول هو الصحيح، وتسمى «سورة الرحمن»، ووجه تسميتها بهذا الاسم أنها ابتدئت باسمه تعالى، وترتيبها في تعداد النزول الثالثة والأربعون نزلت بعد سورة الفرقان وقبل سورة فاطر، وهي ستٌّ وسبعون آيةً، وكلماتُها: ثلاثُ مئةٍ وإحدى وخمسون، وحروفُها: ألفٌ وخمسُ مئةٍ وخمسون.

أغراض هذه السورة:

ابتدئت بالتنويه بالقرآن، وتبع ذلك من التنويه بالنبي ﷺ بأن الله هو الذي علمه القرآن ردًّا على مزاعم المشركين الذين يقولون: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ...﴾ [النحل: ١٠٣]، وردًّا على مزاعمهم أن القرآن أساطير الأولين أو أنه سحر أو كلام كاهن أو شعر. ثم التذكير بدلائل قدرة الله تعالى فيما أتقن صنعه مدمجًا في ذلك التذكير بما في ذلك كله من نعم على الناس. وخلق الجن وإثبات جزائهم. والموعظة بالفناء وتخلص من ذلك إلى التذكير بيوم الحشر والجزاء. وختمت بتعظيم الله والثناء عليه. وتخلل ذلك إدماج التنويه بشأن العدل، والأمر بتوفية أصحاب الحقوق حقوقهم، وحاجة الناس إلى رحمة الله فيما خلق لهم، ومن أهمها نعمة العلم ونعمة البيان، وما أعد من الجزاء للمجرمين ومن الثواب والكرامة للمتقين ووصف نعيم المتقين. ومن بديع أسلوبها افتتاحها الباهر باسمه الرحمن وهي

السورة الوحيدة المفتتحة باسم من أسماء الله لم يتقدمه غيره. ومنه التعداد في مقام الامتنان والتعظيم بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إذ تكرر فيها إحدى وثلاثين مرة وذلك أسلوب عربي جليل(١). وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السُّورةِ: أنَّ تلك خُتِمَتْ باسمٍ مِن أسماءِ اللَّه تعالى، وهذه أيضًا افتُتِحَتْ باسمٍ مِن أسماءِ اللَّه، وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك السُّورةَ في جزاء أهلِ التَّكْذيب، وهذه السُّورةُ في تَقْريعِ الجنِّ والإنسِ على التَّكْذيب، وقيل: هذه السُّورةُ في ذِكْرِ الدنيا وأحوالِها، والقيامةِ وأهوالِها، والنارِ ودرَكاتِها، والجنَّةِ ودرجاتِها، وقيل: هذه السُّورةُ في ذِكْرِ الآلاءِ والنَّعْماءِ، وهي نِعَمُ الدنيا والدِّين، وذِكْرِ يومِ الدِّين، وما فيه للكفار والمؤمنين.

(١ - ٤) - ﴿الرَّحْمَنُ﴾ أي: الله تعالى، ومر تفسيره ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾: أي: محمدًا ﷺ، وقيل: هذه الأُمَّةَ، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾: أي: آدمَ، وقيل: جِنْسَ الإنسِ، ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾: أي: الكلامَ الذي يَتبيَّنُ به ما في قلبه، وما يحتاجُ إليه مِن أُمورِ دُنْياه ودِينه، ويدخُلُ في البيان: الكتابةُ، والإشارةُ، وما يقعُ به الدِّلالةُ، وهو امتنانٌ منه على العباد بتعليم اللُّغاتِ المُخْتَلِفَة، ووجوهِ الكلامِ المُتفرِّقة.

(٥) - ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾: قيل: هو جَمْعُ حِسابٍ، كالشِّهاب والشُّهْبان، قيل: عليهما حسابٌ وأجَلٌ كآجالِ الناس، فإذا جاء أجلُهما هلكا، وقيل: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾: أي: بحِسابٍ معلومٍ يجْريان به، لا يَخْتَلِفُ جَرْيُهما، أخبَرَ أنهما مُسَخَّرانِ مَرْبُوبانِ ليسا بإلهَينِ مُسْتَحِقَّينِ للعبادة كما يعبُدُهما عبَدَةُ

(١) التحرير والتنوير (٢٧/٢٢٩).

الشمس والقمر، بل المُسْتَحِقُّ للعبادة خالِقُهما ومُسَخِّرُهما، وقيل: أي: يَجْرِيان بحسابٍ يُتَوَصَّلُ به إلى عِلْمٍ كثيرٍ مِن أسباب الدنيا والدِّين، وذلك أحدُ ما علَّمَ اللَّهُ خَلْقَه مِن البَيان.

(٦) - ﴿وَالنَّجْمُ﴾: قيل: النَّجْمُ: النَّبْتُ الذي لا ساقَ له، مأخوذٌ مِن نَجَمَ؛ أي: طلَعَ، ﴿وَالشَّجَرُ﴾: ما له ساقٌ وأغصانٌ، مأخوذٌ مِن الاشتِجار، وهو تداخُلُ الأَغْصانِ بعضِها في بعضٍ[1]، و﴿يَسْجُدَانِ﴾: أي: يَخْضَعانِ لله بالشَّهادة على أنفُسِهما بأنهما مُسَخَّرانِ مَرْبُوبان، ويدُلَّانِ على ألوهِيَّةِ خالِقِهما، وعلى وَحْدانِيَّته وكَمالِ قُدْرَتِه.

(٧-٩) - ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾: أي: خلَقَها رَفِيعةً، وأنزَلَ منها البَرَكاتِ والوَحْيَ والكراماتِ، وقيل: أي: رفَعَ قَدْرَها، وأخرَجَ الخَلْقَ إلى ما يَنْزِلُ عليهم منها، ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾: أي: وضَعَ في الأرض الميزانَ الذي يتناصَفون به في مُعاملاتِهم، ويزولُ به التَّنازُعُ الذي هو سببُ فسادِهم، مَنَّ به على خَلْقِه إذ هداهم لِصَنْعَتِه، وأَلْهَمَهم الوَزْنَ به، ولولا ذلك لم يَدْروا كيف يَسْتَوْفون الحُقوقَ، وكيف يُوَفُّونها، فكان يقَعُ بينهم التَّظالُمُ والتَّقاطُعُ، ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾: أي: لِئَلَّا تَطْغَوا في الميزان، والطُّغْيانُ: هو مُجاوزَةُ الحَدِّ الذي جُعِلَ هو آلةً لذلك، وهو العَدْلُ، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾: قيل: أي: قَوِّمُوا وسَوُّوا، وقيل: أي: ائتُوا به على القِسْطِ؛ أي: العَدْلِ، ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾: أي: ولا تُنْقِصوا ما تُوَفُّون به مِن

---

(١) تفسير السمعاني (٥/ ٣٢٣)، والكشف والبيان (٩/ ١٧٧).

الحُقوق، ولا تزدادوا فيها تَسْتَوْفُون به[(١)].

(١٠ -١٢) - ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾: أي: للخَلْقِ، والأنامُ كلُّ شيءٍ يَدِبُّ على وجه الأرض فهو مِن الأنام، ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾: أي: ما يَتَفَكَّه به الإنسانُ مِن المأكول؛ أي: يَتَعَلَّلُ وراءَ القُوتِ، ﴿وَالنَّخْلُ﴾: جَمْعُ نَخْلَةٍ، ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أي: ذاتُ اللِّيفِ، وقيل: ذاتُ الطَّلْعِ، ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾: الحَبُّ: اسمُ جِنْسٍ يَقَعُ على الحِنْطَةِ والشَّعِيرِ وكُلِّ حَبٍّ، ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ هو بَقْلُ الزَّرعِ، وقيل: هو ورَقُ الزَّرعِ، ولَفائِفُ الحَبِّ، وقيل: هو التِّبْنُ، ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾: الرِّزْق؛ أي: الزَّرْعُ يكون أوَّلًا عَصْفًا، ثم يصيرُ أُكُلًا إذا سَنْبَلَ، وقيل: ﴿الْعَصْفِ﴾: للأنعام، ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾: هو طعامُ الإنسانِ، وقيل: هو الريحان المشموم، قال أي: في الأرض ما يُؤْكَلُ وما يُشَمُّ.[(٢)].

(١٣ -١٥) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: أي: فبِأَيِّ نَعْماءِ ربِّكما مِن هذه النِّعَمِ التي ذكَرْنا مِن تعليم البَيانِ والقرآنِ، ورَفْعِ السماء، ووضع الأرض، وما بيَّنَّا مِن النِّعَمِ والألوانِ أيُّها الجنُّ والأنس تَجْحدانِ؟ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾: أي: آدمَ، ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ أي: مِن طينٍ يابسٍ يُسْمَعُ له صَلْصَلَةٌ، ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ هو الطِّينُ الذي طُبعَ بالنَّارِ، وهو الخَزَفُ، وقيل: الصَّلْصالُ: الطِّينُ المُنْتِنُ؛ مِن قولهم: صَلَّ اللحمُ وأَصَلَّ؛ أي: أنتَنَ، وتَشبيهُه بالفخَّارِ لِصَوتِه باليَبَسِ، وقيل: لأنه أَجْوَفُ، ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ الجانُّ أبو الجنِّ، خُلِقَ مِن لهَبِ النارِ، وآدمُ أبو الإنسِ خُلِقَ مِن

---

(١) معاني القرآن (٣/ ١١٣).

(٢) بحر العلوم (٣/ ٣٧٩)، والنكت والعيون (٦/ ٣٤٤)، ومعاني القرآن (٣/ ١١٣).

صَلْصَالٍ كالفخَّار، ﴿مَارِجٍ﴾ أي: مُخْتَلِطٌ أحمرُ وأسودُ وأبيضُ مِن نار، وقيل: المارِجُ: نارٌ دون الحِجابِ، منها هذه الصَّواعِقُ، وقيل: المارِجُ مِن النَّار: الشُّعْلَةُ(١).

(١٦ -١٧) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: أي: فبأَيِّ نَعْماءِ إلٰهكُما تَجْحَدانِ: أتخليقَه مِن هذه الأصول، أم تكميلَه وتفضيلَه بالعلوم والعقول؟!، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾: هو ربُّ المَشْرِقين: مَشْرِقِ الشتاءِ، ومَشْرِقِ الصيف، وربُّ مَغْرِبِ الشتاء، وربُّ مَغْرِبِ الصيف، وفي تدبير الفصول قِوامُ العالَمِ ومَصالِحُ العِباد.

(١٨ - ٢٠) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أي: أَرْسَلَها وخَلَّاهما، وقيل: خلَطَ طَرَفَيْهِ عند التقائِهما مِن غيرِ أنْ يَخْتَلِطَ جملتُها، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾، أي: حاجز، وقيل في البَرْزَخِ: هو مُدَّةٌ ما بين الدنيا والآخرة، فهذه المُدَّةُ تَمْنَعُ الاختلاطَ، فإذا انقَضَتِ الدُّنيا بغى البحران فصارا شيئًا واحدًا ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾: لا يَخْتَلِطان، وقيل: لا يغلِبُ أحدُهما على الآخر فيُغَيِّرَه إلى صفةِ نفْسِه.

(٢١ -٢٢) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: مر تفسيره، ثم ذكَرَ المِنَّةَ الثَّانيةَ، فقال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ﴾: كِبارُ الدُّرِّ، ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: صغارُه، أي: يُخْرِجُ اللَّهُ لكم مِن الماء لؤلؤًا ومَرْجانًا؛ كما أخرَجَ مِن التُّراب حَبًّا ونباتًا، وأخرَجَ مِن الصَّلْصَالِ إنسانًا(٢).

---

(١) النكت والعيون (٣/ ١٥٨)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٤٣٦)، والهداية (١١/ ٧٢١٩)، ومجاز القرآن" (٢/ ٢٤٣)، وغريب القرآن(١/ ٤٣٨)، معاني القرآن (٣/ ١١٥).

(٢) جامع البيان (٢٢/ ٢٠٥ -٢٠٦) والدر المنثور (٧/ ٦٩٧) التيسير في التفسير (١٤/ ١٩٣).

(٢٣ - ٢٤) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: مر تفسيره، ثم ذكَرَ النِّعْمَةَ الثالثةَ، فقال: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ﴾: بكسر الشين، ومعناها: السُّفُنُ المُبْتَدِئاتُ في الجَرْيِ، والفعلُ لهن، وإنشاءُ الفعلِ: وبفتح الشين، وهو المفعولُ بفعلِ الملَّاحين، ومعناها: رَفْعُ شِراعِها وتسييرُها في البحر ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾: أي: كالجبال.

(٢٥ - ٢٧) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: مر تفسيره، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾: أي: كلُّ مَن على الأرضِ فانٍ مُنْقَطِعٌ عنهم البقاءُ والحياةُ، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾: أي: المُسْتَحِقُّ للإجلال والتَّعظيمِ مِن خَلْقِه، والمُسْتَحِقُّ للإكرامِ منهم إيَّاه بطاعتِه وعبادته، وقيل: هو موصوفٌ بالجَلالِ القائمِ بذاته، وبالإكرام منه لأوليائه، وقيل: هو أهلٌ أنْ يُجِلَّ قَدْرَ العِبادِ بتوحيده، وأهلٌ أنْ يُكْرِموه؛ أي: يُنَزِّهوه عمَّا لا يَليقُ بجلاله، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾: أي: كلُّ عمَلٍ يُتَقَرَّبُ به إليه، ويُبْتَغَى به وَجْهُه؛ أي: رضاه أي: يَهْلِكُ الجنُّ والإنسُ ولا يَبْقى لهم إلَّا ما توجَّهوا به إليه.

(٢٨ - ٢٩) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: ووجهُ النِّعْمَةِ: التَّسْوِيَةُ بين الخَلْقِ في الفَناء والهَلَكةِ، والدِّلالةُ على ما يَبْقى لهم نَفْعُه في الآخرة، ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: هو مَفزَعُ السائلين، ومَقْصِدُ الرَّاغبين، ومَلْجَأُ البائِسين، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: يُرَبِّي صغيرًا، ويُفْنِي كبيرًا، ويَفُكُّ أسيرًا[(١)].

(٣٠ - ٣١) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: مِن هذه النِّعَمِ، ﴿سَنَفْرُغُ

---

(١) معالم التنزيل (٧/ ٤٤٥)، والدر المنثور (٧/ ٦٩٩)، وتأويلات أهل السنة (٩/ ٤٧٣)، والتيسير في التفسير (١٤/ ١٩٧).

لَكُمْ﴾: أي: سنُحاسِبُكم، وقيل: هذا وعيدٌ، واللَّهُ تعالى لا يَشْغَلُه شأنٌ عن شأنٍ، ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾: أي: الجِنُّ والإنسُ، سُمِّيا بذلك لأنَّ الثِّقْلَ ما له وَزْنٌ وقَدْرٌ، ولهما زيادةُ قَدْرٍ على غيرِهما لِمَا خُصُّوا بالعقل والتَّمييز، وتحميلِ الأمانةِ والتَّكْليف.

(٣٢ - ٣٣) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: حين تُحاسَبانِ بالآلاءِ، ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: إنْ قَدَرْتُم أنْ تَجُوزوا أطرافَ السماوات والأرض فتَفُوتوا ربَّكم ولا يَقْدِرَ عليكم، ﴿فَانْفُذُوا﴾: أي: فافعَلوا ذلك، ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾: أي: لا تَقْدِرون على ذلك إلَّا بقُدْرَةٍ يُعْطِيكُمُوها اللَّهُ تعالى على ذلك، ولا يُعْطِيكم، وهذا في مُحاسَبَةِ يومِ القيامة، وقيل: ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾: أي: حيثما ذهبتُم فأنتم في سُلْطانِ اللَّهِ، فيأخُذُكم بالموت.

(٣٤ - ٣٥) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: مر تفسيره، ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾: أي: على مَن أشرَكَ منكما وكذَّبَ، ﴿شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ﴾: أي: لهَبٌ، وقيل: الشُّواظُ: هي النَّارُ التي تتأجَّجُ ولا دُخانَ لها، ﴿وَنُحَاسٌ﴾: قيل: هو المعروف الذي يُتَّخَذُ منه الأواني؛ أي: كأنَّ النُّحاسَ يُذابُ ويُصَبُّ على رؤوسِهم، وقيل: هو الدُّخان، ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾: أي: فلا تَمْتَنِعان عن ذلك بمانِعٍ يمنَعُكما مِن عذاب اللَّه تعالى.

(٣٦ - ٣٧) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: والتَّحْذِيرُ نِعْمَةٌ لِيَحْذَرَ به، فيقَعَ الأمنُ منه، ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: أي: انصَدَعَتْ للانتقاضِ يومَ القيامةِ، ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾: أي: مُحْمَرَّةً على لون الوَرْدِ حينَ تغيضُ البحارُ في نار

جهنَّمَ، ويرتفِعُ نارُها، فتَقَعُ في السماءِ، فتذيبُها فتصيرُ مُحْمَرَّةً وتَصِيرُ كالدِّهانِ -جَمْعُ دُهْن- حين ذابَت ورَقَّتْ، وقيل: الدِّهانُ إذا صُبَّ بعضُها على بعضٍ يَتَلَوَّنُ ألوانًا، فكذلك السَّماءُ حينئذٍ.

(٣٨ - ٣٩) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: مر تفسيره، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾: لِيُعْرَفَ أنَّه مِن أهل الجَنَّة أم مِن أهل النَّار، بل يُعْرَفُ بهيئتِه، فلا يُسْأَلون على هذا الوجه، بل يُسْأَلون سؤالَ المُحاسَبَةِ تَقْرِيعًا لهم وتَوْبِيخًا، وقيل: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ﴾: أي: عن ذَنْبِ الإنسان، ﴿إِنْسٌ﴾: غيرَه، ﴿وَلَا جَانٌّ﴾: غيرَه، بل هو المحاسَبُ عليه، والمسؤولُ عنه، والمُجازَى به.

(٤٠ - ٤١) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: مر تفسيره، ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾: سوادِ الوُجوهِ، وزُرْقَةِ العيونِ، ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي﴾: جَمْعُ ناصِيَةٍ، وهو شَعْرُ مُقَدَّمِ الرأس، ﴿وَالْأَقْدَامِ﴾: جَمْعُ قَدَمٍ، يقولُ: إنَّ الملائكةَ إذا أُمِروا بأَخْذِ المجرمين؛ أي: المشركين، لا يحتاجُون إلى أنْ يَسْأَلوا عنهم، بل يَعْرِفونهم بعلاماتِهم، فيأخُذونهم بنواصيهم وأقدامِهم، ويَسْحَبونهم إلى النار[1].

(٤٢ - ٤٤) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: مر تفسيره، ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾: قيل: أي: يُقالُ لهم حينئذٍ: هذه جهنَّمُ التي كنتم تُكَذِّبون بها، وقيل: هذا خطابٌ مِن اللَّه تعالى في الدنيا لِنَبِيِّهِ ﷺ: هذه جهنَّمُ التي يُكَذِّبُ بها قومُكَ مِن قُرَيْشٍ، ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾: أي: بين النَّارِ التي

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ٢٤١)، والكشف والبيان (٩/ ١٨٩)، والهداية (١١/ ٧٢٣٤)، ومعالم التنزيل (٧/ ٤٥٢).

ذابَتِ السَّماواتُ مِن حَرِّها، وبين ماءٍ حارٍّ قد انتهى حَرُّه، فهو في غايَةِ الحَرارَةِ، وقيل: تكون النَّارُ طعامَهم، والحميمُ شرابَهم، ﴿يَطُوفُونَ﴾ في معنى: يَتَرَدَّدُون؛ أي: يَسْتَغِيثُون إذا جاعوا يَسْأَلون الطَّعامَ، فإذا طَعِموا النَّارَ استغاثوا فاسْتَسْقَوا فيُسْقَوْنَ الحميمَ.

(٤٥-٤٦) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ أي: ولِمَنْ ترَكَ المعاصِيَ خوفًا مِن مَقامِه بين يدي الله تعالى للعَرْضِ والحسابِ والسُّؤالِ، ﴿جَنَّتَانِ﴾: أي: بُسْتانان، قيل: إحداهُما داخِلَ قَصْرِه، والأخرى خارجَ قَصْرِه، وهذا لكلِّ خائفٍ، وطُبِعَ الإنسانُ على اشتهاءِ مِثْلِه، وقيل: هما جنَّةُ النَّعيمِ وجنَّةُ عَدْنٍ لجميع أهل الجنَّةِ.

(٤٧ - ٥٠) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾: أي: ذواتا ألوانٍ مِن الفواكه، وقيل: ذواتا أغصان، جمع فنن كطلل ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾: أي: لا تَنْقَطِعانِ، تَجْرِيانِ بالماءِ الزُّلالِ، أحدُهما: التَّسْنِيمُ، والأخرى: السَّلْسَبِيلُ.

(٥١ - ٥٤) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾: أي: ضَرْبانِ مُتَشاكِلانِ؛ كَتَشَاكُلِ الذَّكَرِ والأنثى، وقيل: هو تفضيلُ هاتَينِ الجنَّتَينِ عن الأُخرَيَينِ، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره.

﴿مُتَّكِئِينَ﴾: والاتِّكاءُ: الاستنادُ للتَّكَرُّمِ والتَّنَعُّمِ، وذلك على السَّريرِ، ﴿عَلَىٰ فُرُشٍ﴾: جَمْعُ فِراشٍ، ﴿بَطَائِنُهَا﴾: جَمْعُ بِطانَةٍ، وهي الصَّفِيحَةُ الدَّاخِلَةُ المُقابِلَةُ للظِّهارةِ، وهي الصَّفِيحَةُ الخارِجَةُ، قد تكون البطانة ظاهرة، والظّهارة باطنة، لأن

كل واحد منهما قد يكون وجهًا﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: هو الدِّيباجُ الغَليظُ[١]، ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: يعني: ثمارُها قريبةٌ لا يَردُّ أيديَهم عنها شَوْكٌ ولا بُعْدٌ.

(٥٣ - ٥٤) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: أي: في الجِنانِ التي تَشْتَمِلُ عليها الجَنَّتانِ زوجاتٌ قد قَصَرْنَ عُيونَهُنَّ على أزواجهنَّ فلا يُرِدْنَ غيرَهم، وهذا مِن أَفْضَلِ خِصالِ النِّساءِ، وأَبْلَغُ وَصْفٍ لها في حُبِّها زوجَها، وهي أشهى ما يكونُ إلى الزَّوجِ، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ أي: لم يُدْمِهنَّ بالنِّكاح، وأُرِيدَ به الافتضاضُ، ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ﴾: أي: قَبْلَ الأزواجِ ﴿وَلَا جَانٌّ﴾: إنما نفى الجانَّ؛ لأنَّ للمؤمنين منهم أزواجًا مِن الحُورِ العين، وقيل: هُنَّ الحُورُ العِينُ المخلوقاتُ في الجنة لم يَتبدَّلْنَ ولم يُمْسَسْنَ[٢].

(٥٧ - ٥٨) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾: قيل: كأنَّهُنَّ في صَفائِهِنَّ كالياقوت الذي يُرى السِّلْكُ الذي فيه مِن ورائِه، فكذلك يُرى مُخُّ ساقِهِنَّ مِن وراء أجسامِهِنَّ، وكالمَرْجانِ في اللَّطافةِ، وقيل: في اللَّونِ؛ لأنَّ المَرْجانَ صِغارُ اللُّؤْلُؤِ، وهُنَّ بِيْضٌ مُتَلَألِئةٌ، وقيل: هي في الحُمْرَةِ كالياقوتِ، وفي البَياضِ كاللُّؤْلُؤِ.

(٥٩ - ٦٠) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿هَلْ جَزَاءُ

---

(١) معاني القرآن (٣/ ١١٨)، وجامع البيان (٢٢/ ٢٤٢)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٤٥)، وزاد المسير (٤/٢١٣).

(٢) تفسير ابن أبي زمنين (٤/ ٣٣٤)، ولطائف الإشارات (٣/ ٥١٢)، التيسير في التفسير (١٤/ ٢١٥).

﴿الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾: أي: ما جزاءُ مَن أَحْسَنَ إلَّا أنْ يُحْسَنَ إليه، استفهامٌ بمعنى النَّفْيِ، وإحسانُهم خوفُهم مقامَ ربِّهم، والإحسانُ إليهم إكرامُهم بنَعيمِ الجنة جزاءً على خوفِهم.

(٦١-٦٢) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾: أي: ومِن دون الجنَّتَينِ اللَّتَين وَعَدْناهما للخائفين، وعلى قول مَن جعَلَ تلك للسابقين وهاتين للتابعين، فـ (دُونَ) بمعنى: الأدنى، ومَن جعَلَ الجِنانَ الأربعَ كلَّ الجِنانِ لكلِّ أهلِ الجنَّةِ، فـ (دُونَ) بمعنى (غير)؛ أي: وسوى الجنَّتَينِ المذكورتين جنَّتانِ أُخريان، وقيل: الجنَّتانِ الأُولَيانِ مِن ذهبٍ وفضَّةٍ، والأُخْرَيَانِ مِن ياقوتٍ وزُمُرُّدٍ، وهُما أفضلُ مِن الأُولَيَينِ.

(٦٣ - ٦٦) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ أي: خَضْراوان قد علاهُما سَوادٌ مِن الرِّيِّ، وقيل: الدُّهْمَةُ: السَّوادُ، وقيل: مُسْوادَّتان، والخُضْرَةُ إذا اشتَدَّتْ ضَرَبَتْ إلى السَّوادِ، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسره، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾: أي: فوَّارَتانِ، كلَّما رُفِعَ شيءٌ فارَ آخَرُ، وليستا جارِيَتَينِ، وقيل: فيَّاضَتانِ، والنَّضْخُ أكثَرُ مِن النَّضْحِ؛ لأنَّ النَّضْحَ كالرَّشِّ، والنَّضخ فوقه، و ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾: بالتشديد للمُبالَغَةِ والكَثْرَةِ[١].

(٦٧ - ٦٨) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾: وإنما أُعاد ذِكر النَّخْل والرُّمّان - وقد دخلا في الفاكهة -

---

(١) الكشف والبيان (٩/ ١٩٣)، والبسيط (٢١/ ١٩٣)، ومعالم التنزيل (٧/ ٤٥٧)، العين (٤/ ٣١)، وغريب القرآن (١/ ٤٤٢).

لبيان فضلهما هذا قول جمهور المفسرين واللُّغويِّين. وحكى الفراء والزجاج أن قوماً قالوا: ليسا من الفاكهة قال الفراء: وقد ذهبوا مذهبًا، ولكن العرب تجعلهما فاكهة(١).

(٦٩ - ٧٢) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿فِيهِنَّ﴾: أي: في الجِنانِ الأربَعِ، ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ أي: خَيِّراتُ الأخلاقِ والسِّيَر، حِسانُ الهَيْئاتِ والصُّوَر، وقيل: ﴿خَيْرَاتٌ﴾: مُخْتارات، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مر تفسيره، ﴿حُورٌ﴾: جَمْعُ حَوْراء، وهي شَديدةُ بياضِ العَينِ، وشديدُ سَوادِها، ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾: أي: مَحْبوساتٌ في الحجال يُرى ظاهِرُها مِن باطنها، وباطِنُها مِن ظاهِرِها. ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مرَّ تفسيره.

(٧٣ - ٧٦) - ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: مر تفسيرهما، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ﴾: أي: مُسْتَنِدين في خِيامِهم على فُرُشٍ، و﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾: جَمْعُ رَفْرَفَةٍ، والرَّفْرَفُ: ضَرْبٌ مِن الثيابِ يُبْسَطُ، ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾: جَمْعُ عَبْقَرِيَّةٍ، يُقال لكلِّ بِساطٍ حسَنٍ: عَبْقَرِيٌّ، وقيل: كلُّ حسَنٍ يُتَعَجَّبُ منه فهو عَبْقَرِيٌّ(٢).

(٧٧ - ٧٨) - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إنَّ اللَّهَ تعالى عدَّدَ في هذه السُّورةِ نَعْماءَه على عِبادِه، ثم أَتبَعَ ذِكْرَ كلِّ نِعْمَةٍ بهذا الكلام تقريرًا وتذكيرًا، وجعلَه

---

(١) زاد المسير(٤/ ٢١٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٥/ ١٠٤)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١١٨).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦)، غريب القرآن(١/ ٣٨٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٠).

فاصلًا بين كلِّ نِعْمَتَينِ لِيُفَهِّمَهم النِّعَمَ، وهو كقولِكَ لِمَن أحسَنْتَ إليه دَهْرَكَ وتابَعَتْ لديه أياديكَ، وهو في جميع ذلك يَكْفُرُكَ ولا يَشْكُرُكَ: ألم تكن فقيرًا فأغنيتُكَ؟! أفتُنْكِرُ هذا؟! ألم تكن ضالًّا فهَدَيْتُكَ؟! أفتُنْكِرُ هذا؟! ألم تكن عُرْيانًا فكسوتُكَ؟! أفتُنْكِرُ هذا؟! ألم تكن خَامِلًا فرَفَعْتُكَ؟! أفتُنْكِرُ هذا؟! وما أشبَه هذا، ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾: تبارك الرحمن الذي أنعم بتلك النعم، وتعالى اسمه، وتقدست ذاته، وتنزهت عن كل نقص، سبحانه وتعالى صاحب الفضل، وواهب الخير، ومصدر النعم، تبارك اسم ربك ذي الجلال والكمال، وصاحب العطاء والإكرام، سبحانه وتعالى عما يصفون، سبحانه جَلَّجَلَالُهُ هو الرحمن الرحيم[(١)].

(انتهى تفسير سورة الرحمن).

---

(١) التفسير الواضح(٣/ ٥٩١).

(٥٦) سورة الواقعة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هي مكيَّةٌ غيرَ قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: ١٣]، وقوله: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: ٨١]، فإنَّهما نزلَتَا في سفرِه ﷺ إلى المدينة، سميت هذه السورة الواقعة بتسمية النبي ﷺ، وكذلك سميت في عصر الصحابة، وهكذا سميت في المصاحف وكتب السنة فلا يعرف لها اسم غير هذا، وهي السورة السادسة والأربعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة طه وقبل سورة الشعراء، وهي سِتٌّ وتسعون آية، وقيل: سبع، وقيل: تسع، وكلماتُها ثلاثُ مئةٍ وتسعٌ وخمسونَ كلمةً، وحروفُها ألفٌ وسبعُ مئة واثنا عشر حرفًا.

أغراض هذه السورة:

التذكير بيوم القيامة وتحقيق وقوعه. ووصف ما يعرض وهذا العالم الأرضي عند ساعة القيامة. ثم صفة أهل الجنة وبعض نعيمهم. وصفة أهل النار وما هم فيه من العذاب وأن ذلك لتكذيبهم بالبعث. وإثبات الحشر والجزاء والاستدلال على إمكان الخلق الثاني بما أبدعه الله من الموجودات بعد أن لم تكن. والاستدلال بدلائل قدرة الله تعالى. والاستدلال بنزع الله الأرواح من الأجساد والناس كارهون لا يستطيع أحد منعها من الخروج، على أن الذي قدر على نزعها بدون مدافع قادر على إرجاعها متى أراد على أن يميتهم. وتأكيد أن القرآن منزل من عند

الله وأنه نعمة أنعم الله بها عليهم فلم يشكروها وكذبوا بما فيه[(١)].

وانتظام آخر تلك السُّورة بأوَّل هذه السُّورة: أنَّه ختمَ تلكَ السُّورةَ بما يعطي المؤمنين من الكرامة، وبدأ بهذه السُّورة بذِكْرِ ذلك اليوم، وهو يوم القيامة، وانتظامُ السُّورتين: أنَّهما في ذِكْرِ أهلِ الجنَّة والنَّار، وهم المؤمنون والكفَّار.

(١ - ٣) - ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾: أي: واذكرْ إذا قامتِ القيامةُ، والواقعةُ مِن أسماء القيامة، ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾: أي: ليس لوقوعِها كذبٌ، ﴿خَافِضَةٌ﴾: أي: هي خافضةٌ قومًا كانوا أعزَّة في الدُّنيا، فجعلَهم في أسفلِ السَّافلِيْن، ﴿رَافِعَةٌ﴾: أي: هي رافعةٌ قومًا كانوا أذلَّةً في الدُّنيا، فتجعلُهم في أعلى عليِّين.

(٤ - ٦) - ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: زُلْزِلَتْ زِلزالًا، والرَّجُّ: التَّحريكُ باضْطِرابٍ؛ أي: يكون الخفضُ والرَّفع إذا رُجَّتِ الأرضُ وزُلْزِلَتْ، فلم يبقَ عليها بِناءٌ، أو يكون وقوع الواقعة حينئذ، ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: فُتِّتَتْ فتًّا، وصارَتْ كالدَّقيقِ المَبْسُوسِ -أي: المبلول- والسَّوِيق كذلك، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً﴾: أي: غبارًا يدخل في الكوَّة مِن شُعاعِ الشَّمس، ﴿مُنْبَثًّا﴾؛ أي: متفرِّقًا، وذلك ممَّا لا يمكنُ أنْ يُحَسَّ أو يُمَسَّ باليد، وقيل: هو غبار ساطع في الهواءِ كأنَّه دخانٌ[(٢)].

(٧ - ١١) - ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾: أي: أصنافًا ثلاثة، ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: أحدُ الأصنافِ الثَّلاثة هؤلاء ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ أصحابُ الميمنةِ، ويُذْكَرُ هذا للتَّعجيب مِن حالهم؛ أي: ما أعظمَ شأنِهم!

---

(١) التحرير والتنوير(٢٧/ ٢٨٠)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٢٣٤).

(٢) لطائف الإشارات (٣/ ٥١٧)، ، والعين (٤/ ٨٩ و٩٧)، وغريب القرآن(١/ ٤٤٥).

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: هم الصِّنفُ الثَّاني ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: تهويلٌ بحالِهم، وهؤلاء أهلُ النَّار، والأوَّلون أهلُ الجنَّة، و﴿الْمَيْمَنَةِ﴾: مِن اليُمْنِ، و﴿الْمَشْأَمَةِ﴾: مِن الشُّؤم، أولئكَ في يُمْنِ الإيمانِ والطَّاعةِ، وهؤلاء في شُؤْمِ الكُفْرِ والمعصية، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: هم الصِّنْفُ الثَّالثُ، وهم أشرافُ أصحابِ الميمنةِ، وعُظماءُ أهلِ الجنَّةِ، ومعنى التَّكرير: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾؛ أي: السَّابقون في الدُّنيا إلى الإيمان والطَّاعة هم السَّابقون في الآخرة إلى الجنَّة والكرامة، ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾: أي: على كرامةِ اللَّهِ تعالى وتخصيصه، وهو قُرْبُ المنزلَةِ لا المنزلِ، وقُرْبُ المكانةِ لا المكان.

(١٢ - ١٤) - ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي: يدخلون الجنة يتنعمون فيها، ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: جماعة عظيمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾: أي: مِن السَّابقِيْن، فجعل السَّابقين مِن هذه الأمَّة كالسَّابقين مِن الأمم الماضيةِ في العدد.

(١٥ - ١٧) - ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾: ﴿سُرُرٍ﴾: جمعُ سريرٍ، ﴿مَوْضُونَةٍ﴾؛ أي: منسوجة متداخلة بعضُها في بعضٍ. ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا﴾: نصب على الحال ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ كذلك، أي: مُتواجِهيْنَ، لا ينظرُ بعضُهم إلى قفا بعض، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: في الخدمة ﴿وِلْدَانٌ﴾ الأطفالُ خَدمُ أهلِ الجنَّة، لم يكن لهم حسنات يُجْزَونَ بها، ولا سيِّئات يُعاقَبونَ عليها، فوُضِعوا هذه المواضع، ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ أي: على سِنٍّ واحدٍ لا يتغيَّرون، وقيل: خالدون في الجنَّة مع أهلِها[١].

(١٨ - ١٩) - ﴿بِأَكْوَابٍ﴾: جمعُ كوبٍ، وهو الإبريقُ الواسعُ الرَّأس لا

---

(١) العين (٧/ ٦١)، وجامع البيان (٢٢/ ٢٩٤)، والدر المنثور (٥/ ٨٥).

خُرطومَ له، ﴿وَأَبَارِيقَ﴾: والإبريقُ: هو الَّذي له عُروةٌ وخُرطوم، ﴿وَكَأْسٍ﴾: وهو القَدَحُ إذا كان فيه شرابٌ ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾؛ أي: مِن خمرٍ جاريةٍ، كالماءِ المعين، وهو الظَّاهر الجاري، وقيل: مِن العين؛ أي: تراه العيون ظاهرة، ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ أي: لا ينالُهم بشربِها صُداعٌ كما ينالُهم ذلك مِن خمرِ الدُّنيا، ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ أي: لا تذهبُ عقولُهم، يُقال: نَزَفَ الرَّجل: إذا ذهبَ عقلُه، وإذا ذهبَ دمُه، فنفى بهذا جميعَ عيوبِ خمرِ الدُّنيا: مِن عُدْمِ العَقلِ بها بالسُّكْرِ، وذهابِ المال، ونفادِ الشَّرابِ.

(٢٠ -٢٢) - ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: وفاكهةٍ كثيرة يتخيَّرون منها ما شاؤوا لكثرَتِها، ثمَّ ذَكرَ اللَّحمَ الذي هو سيِّد الإدام، وكانت العربُ يتوسَّعون بلحمانِ الإبل، ويعزُّ عندهم لحمُ الطُّيور، ويسمعون بها عندَ الملوكِ، فوُعِدوا بها، فقيل: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: أي: ممَّا هو شهيٌّ عندَهم، ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾: والحورُ: جمع حَوراء، وهي الشَّديدةُ بياضِ العين، والشَّديدةُ سوادِها، والعِيْنُ: جمع عَيناء، وهي الواسعةُ العينِ، الحسنةُ العين.

(٢٣ -٢٦) - ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾: أي: المصون، والمعنى: كصفاءِ الدُّرِّ في الأصدافِ قبلَ أنْ تمسَّهُ الأيدي، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: في الدُّنيا مِن الصَّالحات، فما جزاءُ الإحسانِ إلَّا الإحسان.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: أي: باطلًا مِن القول، لا فائدةَ في سماعِه، وهو ما ليسَ بكذبٍ ولا فحشٍ، لكنَّه كلامٌ لا معنى له، ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾: أي: ما يؤثِّمهم من الكلام، وهو الكذبُ والفحشُ، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾: وهو استثناءٌ منقطعٌ

بمعنى: لكن؛ أي: لكن يسمعونَ قولَ بعضِهم لبعضٍ سلامًا سلامًا؛ أي: سلمْتَ سلامًا؛ أي: سلامةً، أو لقيْتَ تحيَّةً وسلامًا، وقيل: هو سلامُ الملائكةِ.

(٢٧ -٢٨) - ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أي: ماذا أُعِدَّ لهم مِنَ الخيرِ؟ وهي لفظةُ تعظيمٍ وتفخيمٍ، كقولكَ: زيدٌ، وما زيدٌ؟، ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾: أي: نَبْق، وكانوا يستلذُّونَه ويروقُهم شجرُه، وقد ذكرَ اللَّهُ تعالى سدرة المنتهى ورفعَ شأنها، ﴿مَخْضُودٍ﴾؛ أي: مقطوع الشَّوك، ومعناه: أنَّه خُلِقَ بلا شوك، لا أنَّه نُزِعَ عنه بعدَ أنْ كانَ فيه(١).

(٢٩ -٣١) - ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ هو الموز، وقيل: اللَّهُ أعلمُ به، إلَّا أنَّ أهلَ اليمنِ يُسمُّون الموزَ: الطَّلح، و﴿مَنْضُودٍ﴾: نُضِدَ بعضُه على بعضٍ، وقيل: أرادَ إنَّ ثمرَه كثيرٌ مِن أوَّله إلى آخرِه، وقيل: المنضودُ: المتراكمُ، ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾: أي: دائمٍ لا تنسخُه الشَّمس، وقيل: أي: لا ينقصُ كما ينقص ظلُّ الدُّنيا، ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾: أي: مَصْبوب، وقيل: أي: يجري في غيرِ أُخدودٍ(٢).

(٣٢ -٣٤) - ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ﴾: كما تنقطعُ فواكهُ الدُّنيا في الشِّتاء، وفي أوقاتٍ مخصوصةٍ. ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾: ببُعْدِ مُتناوَلٍ أو شوكٍ يؤذي كما يكون في الدُّنيا، ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾: جمع فِراشٍ؛ أي: بعضُها فوقَ بعضٍ، عاليةٍ طويلة، ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾؛ أي: مرتفعاتِ الأقدار(٣).

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٩)، وجامع البيان (٢٢/ ٣٠٥)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٢٤٦).

(٢) الكشف والبيان (٦/ ٢٠٧)، وجامع البيان (٢٢/ ٣١٨).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٥١)، ومعاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٣٢).

(٣٥ - ٣٦) - ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾: أي: ابتدأْنا خلقَهُنَّ في الجنَّةِ، ولم يولدْنَ في الدُّنيا، ولم يتنقلْنَ مِن طفولةٍ إلى ما فوقَها، ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾: أي: خلقناهُنَّ على البكارةِ، وهذا على قولِ مَن يقولُ: الحورُ العينُ غيرُ نساءِ الدُّنيا، فأمَّا على قولِ مَن يقول: إنَّهنَّ المؤمنات، فمعناه: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ النَّشأةَ الثَّانية في الآخرةِ، ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ بعدَما كُنَّ ثيباتٍ، وقيل: هي العجوزُ الكبيرةُ يحوِّلُها اللَّهُ شابَّةً.

(٣٧-٤٠) - ﴿عُرُبًا﴾: والعُرُبُ: جمعُ عَرُوبٍ، وهنَّ المتحبِّبات إلى أزواجهنَّ، ﴿أَتْرَابًا﴾ أي: مستوياتٍ على سنٍّ واحدٍ، ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: أي: هذا كلُّه لأصحاب اليمين، وهم الذين يَلُون السَّابقين، ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: أصحابُ اليمين جماعةٌ عظيمة في الآخرة من الأممِ المتقدِّمة، ﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾: أي: جماعةٌ عظيمة في الآخرة منهم مِن هذه الأمَّة.

(٤١-٤٤) - ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾: وهم الصِّنْفُ الثَّالثُ مِنَ الأزواجِ الثَّلاثةِ. ﴿فِي سَمُومٍ﴾: هي الرِّيحُ الحارَّةُ الَّتي تدخلُ في مسامِّ البدنِ، ﴿وَحَمِيمٍ﴾: الحميمُ: الماءُ الحارُّ الَّذي اشتدَّ حرُّه، يعني: إذا نالَهم حرُّ النَّارِ، وأحرقَ أكبادَهُم وأجسادَهُم، فزعوا منه إلى الماءِ، فإذا هو شديدُ الحرارةِ قد انتهى غليانُه، فلا يصلُ إلى رَوحٍ ولا إلى بردٍ، بل مِن حرٍّ إلى ما هو أشدُّ منه، ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ أي: مِن دُخانٍ أسودَ شديدِ السَّواد، ﴿لَا بَارِدٍ﴾: كَبَرْدِ ظِلالِ الشَّمس فيُتروَّحَ به ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾: فيه خيرٌ يُنْتَفعُ به[١].

(١) جامع البيان (٢٢/ ٣٣٧)، والنكت والعيون (٥/ ٤٥٦)، وتفسير السمعاني (٥/ ٣٥٢).

(٤٥ -٤٦) - ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾: أي: إنَّ هؤلاء كانوا قبلَ أنْ يصيروا إلى ما صاروا إليه متنعِّمين في خلافِ ما أحلَّ اللَّهُ لهم، قد أطلقوا أنفسَهم يعملون ما يشتهون، ولا يُكِدُّون أنفسَهم في عبادةِ اللَّهِ تعالى والعملِ بطاعتِه، ولا ينزعون عمَّا حظرَه اللَّهُ عليهم، ﴿مُتْرَفِينَ﴾: منعَّمين، والتَّرفُّه: النِّعمة، ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾: أي: يقيمون ويديمون على الإثمِ العظيمِ، وهو الشِّركُ.

(٤٧ -٥٤) - ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾: أي: كانوا ينكرون البعثَ بعدَ الموتِ، استفهامٌ بمعنى النَّفي، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾: أي: الأمم المتقدِّمة، وهذه الأمَّة ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ قيل: أي: في الدُّنيا، وقيل: أي: في القبور، ﴿إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾: عندَ اللَّهِ، وهو يوم القيامة، وقيل: ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾: لمحشورون يومَ القيامة، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾: بدل ما يأكلُه أهل الجنَّة مِن الفواكه ولحوم الطير، وشجرُ الزَّقُّوم: ثمرُها كرؤوسِ الشَّياطين، مملوءة مِن السُّمِّ، فإذا أكلوها استغاثوا، فيُغاثون بماء كالمهلِ، ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾: أي: مِن شجر الزَّقوم، وهي جمعُ شجرةٍ، ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾: أي: على الأكل، وقيل: أي: على الزَّقُّوم ﴿مِنَ الْحَمِيمِ﴾؛ أي: الماء الحار، إذا جاعوا فاستطعمُوا أُطعِموا الزَّقُّوم، وإذا عطشوا فاستسقَوا سُقوا الحميم(١).

(٥٥ -٥٩) - ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ أي: كشربِ الهيم، وهي جمعُ الأَهْيَم

---

(١) النكت والعيون (٩/ ٤٩٨)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٢٥٩).

والهِيْماء مِن الإبل، وهي التي أخذَها الهُيَام، وهو داءٌ مِن العطشِ، يَشربُ فلا يَروَى، ولا يزالُ يشربُ حتَّى يتلف، ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾: أي: طعامُهم وشرابُهم يومَ الجزاء والحساب، ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾: وأنتم بهذا مقرُّون ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾؛ أي: فَهَلَّا تصدِّقون بالبعث بعدَ الموت، ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾: أي: أخبروني عمَّا تُلقون مِن المنيِّ في أرحام نسائِكم، ﴿أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾: أي: تجعلونَه إنسانًا، وقيل: أأنتم تصوِّرُونه؟، ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ؛ أي: وإذا كانَ اللَّهُ قادرًا على أنْ ينقلَ المنيَّ إلى هذه الصُّورة العجيبة فهو قادرٌ على إحيائِه بعدَ موتِه.

(٦٠ - ٦١) - ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾؛ أي: الأعمارَ إلى الموتِ، فمنكم مَن يعيشُ إلى أنْ يبلغَ الهرمَ، ومنكم مَن يموتُ شابًّا وصبيًّا وصغيرًا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾: أي: لا يفوتُنا أحدٌ، ولا يغلبنا أحدٌ أنْ نبدِّلَ أمثالَكم، ونأتِيَ بخلقٍ خيرٍ منكم وأطوعَ، ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: بعد فناء الدُّنيا في الآخرة؛ أي: يبعثكم بعدَ الموت خَلْقًا جديدًا فيما لا تعلمون من الصُّور والهيئات؛ لأنَّ السُّعداء يُبعَثون على أحسنِ الصُّور، والأشقياء على أقبحِها، وهم لا يعلمون بذلك اليوم(١).

(٦٢ - ٦٤) - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ أي: الخلقَ الأوَّل، وهو خلقُ آدم، لا تسألُ أحدًا مِنَ النَّاس إلَّا أنبأكَ أنَّ اللهَ خلقَ آدمَ مِن ترابٍ، ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فهَلَّا تتأمَّلون فيه، فتعلَموا وتتَّعظِوا، ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾: حاجَّهم بأمرٍ آخرَ فقال: أخبروني عمَّا تحرثون مِن أراضيكم، فتطرحون فيها البَذْر، ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾: أي:

(١) معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٤٤)، والبسيط (٢١/ ٢٤٨).

تنبتونه وتجعلونَه زرعًا يكون فيه الحبُّ والسُّنبل، ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾: أي: أم نحن نفعلُ ذلك؛ أي: أنتم مقرُّون لو جهدْتُم وجهدَ جميعُ العالم لم يتهيَّأ لكم ولهم إنباتُ ذلك وإخراجُه، فقد علمْتُم أنَّ اللَّهَ تعالى يفعلُ ذلك، ومَن قدرَ على هذا كيف أحلْتُم قدرَتَه على إخراجِ الموتى مِن الأرضِ أحياءً بعدَ أنْ صاروا رَميمًا.

(٦٥ -٦٧) - ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾؛ أي: هشيمًا بآفَةٍ، فلا يُنتَفعُ به في مَطعَمٍ، والحَطْمُ: الكَسْرُ، والحُطَامُ: ما كَسَرَتْهُ الأرجُلُ، ﴿فَظَلْتُمْ﴾: أي: فظَلَتُم النَّهارَ كلَّهُ، ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ أي: تتعجَّبون، وقيل: أي: تندمون، ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾: أي: يقولون: إنَّا لمعذَّبون، والغرامُ: اللُّزوم، والمُغرَم: الذي أُلزِمَ العذاب، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: أي: لم يصبْنا ذلك عقوبةً على جُرْمِنا، بل هو بحرمانِنا وعدم جدِّنا[(١)].

(٦٨ -٧٠) - ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ﴾: ثمَّ حاجَّهم بحجَّة أخرى فقال: أخبروني عن الماءِ الذي تشربونه لتُحيوا به أنفسَكم، وتُسكِّنوا به عطشَكم ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾؛ أي: السَّحاب، وقيل: هو السَّحابُ الأبيض، ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾: وأنتم معترفون بعجزكم عن إنزالِه منه، وبقدرتي عليه، ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾؛ أي: مِلْحًا مرًّا، لا تنتفعون به في شُرْبٍ ولا زرعٍ ولا غرسٍ، ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾: أي: فهَلَّا تشكرون لي بإخلاصِ العبادةِ، فلِمَ تنكرون قدرتي على إحياء الموتى[(٢)]؟.

---

(١) العين (٣/ ٣٨١)، وجامع البيان (٢٢/ ٣٥٠)

(٢) الكشف والبيان (٩/ ٢١٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢١٣)، معاني القرآن (٣/ ١٢٩).

(٧١ - ٧٣) - ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾: وهذه محاجَّة أخرى في تقريرِهم بنعمِه وتنبيهِهم على قدرَته، يقول: أخبروني عن النَّار الَّتي تورونَ تُظْهِرونها بالقَدْحِ مِن الشَّجرِ الرَّطْبِ ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾؛ أي: خلقْتُم الشَّجرة الَّتي تستخرجونَ منها النَّار ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾؛ أي: الخالقون، ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾؛ أي: تذكِّركم نارَ جهنَّم فتتَّقونها، ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ أي: المسافرين، وإنَّما خصَّ المسافرين بالذِّكْرِ مع أنَّ المقيمين متمتِّعون بها أيضًا؛ لأنَّ حاجةَ المسافر إليها أمسُّ، فدخلَ المقيمُ فيها بطريقِ الأولى.

(٧٤ - ٧٧) - ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: أي: فنزِّهِ اللَّهَ يا محمَّدُ ﷺ عمَّا أضافَه المشركون إليه مِن الأندادِ، ومِن العَجْزِ عن إحياء الموتى يومَ المعادِ، بذِكْرِك إيَّاه باسم العظيم، وكلُّ أسمائِه عظيمة، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ هو قسمٌ بنزولِ القرآن نجومًا، كلُّ نجمٍ في أمرٍ وحادثةٍ في سنينَ كثيرة، ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾: أي: إنه لقسم عظيمٌ؛ لأنَّ المُقْسَم به عَظيمٌ، لو تعلَمون ذلك لانتفعْتُم به، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾: أقسمَ بالقرآنِ على القرآنِ أنَّه كريمٌ، وقيل: (مواقع النجوم): مغاربُها، أقسمَ اللَّهُ بها لِعِظم منافعِها للعباد في مصالح العالم المتعلِّقة بها[(١)].

(٧٨ - ٧٩) - ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾: أي: كتابٍ عندَ اللَّه تعالى مَصُونٍ ومخزونٍ عن أنْ ينالَه ما ينالُ كُتبَ العِباد من الأذى والقَذَر والقَذَى، وهذا الكتابُ المكنونُ هو اللَّوح المحفوظ، ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾: أي: ولا ينبغي أنْ يمسَّه

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠٧)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢١٧ - ٢١٨).

إلَّا المطهَّرون مِنَ الأحداث والجنابة والحيض والنِّفاس.

(٨٠ - ٨١) - ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: هو مُنزَّلٌ مِن مالكِ الخلائقِ أجمعين، ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾: أي: أفبهذا القرآن أنتم كافرون، مدافعون الإيمان به بالعلل الكاذبة مِن غير بيانٍ ولا برهانٍ، بل إلفًا للعادةِ، وإعراضًا عن النَّظر؟، والادِّهان: اللِّين والمصانعة(١).

(٨٢-٨٦) - ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾: أي: وتجعلونَ ما رزقَكُم اللَّهُ مِن العلمِ الذي أنزلَه إليكم في القرآنِ تكذيبًا لربوبيَّته وقدرتِهِ على البعثِ بعدَ الموتِ، ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾: أي: فهلَّا إذا بلغَتِ النَّفس -أي: الرُّوحُ- الحلقومَ ترجعونها، ﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾: خطابٌ للَّذين حضروا مَن يموتُ، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾: لأنَّ قربَكُم بمسافةٍ، وقربُ اللَّهِ لا بمسافةٍ، ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: أي: غيرَ محاسَبين، وقيل: أي: غير مَجْزيِّين، وهو مفعولٌ مِن الدِّين، وهو الجزاءُ والحسابُ أيضًا.

(٨٧ - ٨٩) - ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾: أي: ترجعونَ النَّفسَ -أي: الرُّوح- إلى البدنِ، فلا تخرجُ ولا يموتُ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: وتقديرُ الآيات: وإنْ كانَ الأمرُ على ما يتوهَّمون مِنْ أنَّ النَّاسَ يموتون بانقضاءِ أعمارِهم، لا بأنْ يميتَهُم اللَّهُ تعالى فينقُلَهم إلى دارِ الجزاءِ، ويبعثَهم للحسابِ، فهلَّا إذا بلغَتْ نفسُ أحدِكُم الحلقومَ عندَ شِدَّةِ النَّزْعِ وأنتم حينئذٍ حضورٌ له تنظرونَ إليه وتشاهدون حالَه، لا تردُّونَ روحَه في جسدِه، مع عِزَّةِ فَقْدِهِ عليكم، وحرصِكُم على بقائِه، فإذا كنتم على

---

(١) الكشف والبيان (٩/ ٢١٩).

ذلك غيرَ قادرين فاستدِلُّوا به على أنَّ خروجَ روحِه بإخراجِ اللَّهِ تعالى إيَّاها، وأنَّه إنَّما يفعلُه ليبعَثه يومَ الحسابِ، ويجازيَه بالثَّواب والعِقاب، ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: أي: فأمَّا إنْ كانَ الَّذي تقبضُ الملائكةُ روحَه مِن السَّابقين المقرَّبين، ﴿فَرَوْحٌ﴾؛ أي: راحةٌ في القبر، ﴿وَرَيْحَانٌ﴾؛ أي: رزقٌ في الجنَّة، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾: للمقرَّبين أيضًا[١].

(٩٠-٩٦) - ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: هذا الذي تُقْبَضُ روحُهُ، ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: أي: فسلامةٌ لكَ وسرورٌ وخيرٌ منهم يا محمَّد ﷺ؛ أي: إنَّك تُسَرُّ لِمَا تراهُ مِن ثوابِهم في الجنَّةِ، وقيل: معناه: فإنهم يسلِّمونَ عليك ويصلُّون، وأنا مبلِّغٌ إليك سلامَهم يا محمَّد ﷺ[٢]، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾: وهمُ الصِّنفُ الثَّالثُ، وهم أصحاب المشأمة، ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾: أي: فرزقُه الَّذي يُعَدُّ له وطعامُه الَّذي يُعطاهُ مِن حَميمٍ، وهو الماءُ الحارُّ، ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾: أي: إدخالٌ فيها، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾: أي: هذا الَّذي أخبرْتُكُم به مِن أوَّلِ هذه السُّورة، وهو في بيان أحوالهم في الآخرة، إلى آخرها وهو في بيان حال خروجِهم من الدُّنيا هو الحقُّ الَّذي لا باطلَ فيه، وهو اليقينُ من الخبر الَّذي لا شكَّ فيه، فثِقْ به يا محمَّد ﷺ.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: أي: إنَّ مَن صَدَّقَكَ صار إلى ما أُعِدَّ له، وكذا

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ٣٧٧)، معاني القرآن للزجاج (٥/ ١١٧ - ١١٨)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٢٧٧)

(٢) تأويلات أهل السنة (٥/ ٤٦٧)، ولطائف الإشارات" (٣/ ٥٢٨).

مَن كَذَّبَكَ صار إلى ما أُعِدَّ له، وقد بيَّنَّا لك ذلك كلَّه، فلا يشقَّنَّ عليك ما يفعلونه، فافزَعْ أنت إلى تنزيه ربِّك عمَّا أضافه إليك المكذِّبون الضَّالُّون، واجعل تنزيهَكَ إيَّاه تسميتَكَ له بأسمائه الحسنى التي علَّمَكَها، فاذكرْهُ بها معتقدًا حقائقَها، فإنَّ اللَّهَ هو ربُّك؛ أي: القيِّم بمصالحك، العظيم في سلطانِه، الذي يفعلُ ما يشاءُ ويحكمُ ما يريدُ[١].

(انتهى تفسير سورة الواقعة).

(١) التيسير في التفسير (١٤/ ٢٨١).

(٥٧) سورة الحديد مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مدنيَّة، وتسمى من عهد الصحابة «سورة الحديد» ووجه تسميتها ظاهر، يشكل موضعها في عد نزول السورة فهي من أقدم السور نزولًا، نزلت قبل سورة الحجر وطه وبعد غافر، وهي تسعٌ وعشرون آية، وقيل: ثمان وعشرون، وهي خمسُ مئة وثلاثٌ وسبعون كلمة، وألفان وأربعُ مئة وسبعون حرفًا.

أغراض هذه السورة:

التذكير بجلال الله تعالى، وصفاته العظيمة، وسعة قدرته وملكوته، وعموم تصرفه، ووجوب وجوده، وسعة علمه، والأمر بالإيمان بوجوده، وبما جاء به رسوله ﷺ، وما أنزل عليه من الآيات البينات. والتنبيه لما في القرآن من الهدي وسبيل النجاة، والتذكير برحمة الله ورأفته بخلقه. والتحريض على الإنفاق في سبيل الله، وأن المال عرض زائل لا يبقى منه لصاحبه إلا ثواب ما أنفق منه في مرضاة الله. والتخلص إلى ما أعد الله للمؤمنين والمؤمنات يوم القيامة من خير وضد ذلك للمنافقين والمنافقات، وتحذير المسلمين من الوقوع في مهواة قساوة القلوب التي وقع فيها أهل الكتاب من قبلهم من إهمال ما جاءهم من الهدى حتى قست قلوبهم وجر ذلك إلى الفسوق كثيرًا منهم. والتذكير بالبعث. والدعوة إلى قلة الاكتراث بالحياة الفانية. والأمر بالصبر على النوائب والتنويه بحكمة إرسال الرسل والكتب

لإقامة أمور الناس على العدل العام. والإيماء إلى فضل الجهاد في سبيل الله.

وتنظير رسالة محمد ﷺ برسالة نوح وإبراهيم عليهما السلام على أن في ذريتهما مهتدين وفاسقين.

وأن الله أتبعهما برسل آخرين، منهم عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي كان آخر رسول أرسل بشرع قبل الإسلام، وأن أتباعه كانوا على سنة من سبقهم، منهم مؤمن ومنهم كافر. ثم أهاب بالمسلمين أن يخلصوا الإيمان تعريضًا بالمنافقين ووعدهم بحسن العاقبة وأن الله فضلهم على الأمم لأن الفضل بيده يؤتيه من يشاء(١). وانتظامُ ختمِ تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّهما في التَّسبيح، وانتظامُ السُّورتَيْن: أنَّ تلك السُّورة في ذِكْرِ السَّابقين وأصحابِ اليمين والمكذِّبين الضَّالين، وهذه السُّورة في حثِّ السَّابقين وأصحاب اليمين على جهاد المكذِّبين الضَّالين، والإنفاق فيه على المجاهدين، وافتُتِحَتِ السُّورة بذِكْرِ أنَّ جميعَ مَن في السَّماوات والأرض وما فيهما مُلْكُه، وهو سبحانَه غنيٌّ عنهم، وإنَّما أمرَ بجهادِ الكفَّار لا لعجزِه عن إهلاكِهم، لكن امتحانًا لهم ليتميَّز صادقُهم من كاذبِهم.

(١) - ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: يحتمِلُ أنَّه أرادَ أنَّ جميعَ ما في السَّماوات والأرض مِن أصنافِ الخلائقِ دليلٌ على اللَّهِ تعالى وحدَه، وعلى أنَّه عزيزٌ حكيمٌ، مالكٌ لأصنافِ الخلائقِ كلِّها، قادرٌ على إحياءِ مَوتاها وإماتةِ أحيائِها، وعلى كلِّ شيءٍ يريدُه، فهي بما فيها من آثار الصَّنعة وشواهدِ الحدوث تنزِّهُهُ جَلَّجَلَالُهُ عمَّا يضيفُه إليه المشركون مِن الشُّركاء والأنداد، ويحرِّفون

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/٣٤٨).

مِن صفاته أهلُ الإلحاد، ويشهدُ بأنَّه ﴿الْعَزِيزُ﴾؛ أي: المنيعُ بسلطانِه وجلالِه، ﴿الْحَكِيمُ﴾: المصيبُ في أقوالِه وأفعالِه، التَّسبيحُ: التَّحميدُ والتَّقديسُ مِن الخلقِ للَّه تعالى، وهو على وجهَيْن: أحدهما: عبادتُه وتعظيمُه بما هو أهلُه مِن قولٍ وعملٍ ممَّن هو مِن أهلِ الاختيار، والآخرُ: أنَّ اللَّه تعالى فطرَ الخلقَ على فطرةٍ تشهدُ لخالقِها أنَّه لا شريكَ له في خلقِها، وأنَّه ليس كمثلِها، فكلُّ شيءٍ -على هذا- للَّه تعالى يسبِّح، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ أي: يشهدُ أنَّه لا شريكَ له.

(٢) - ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي: خزائنُ السَّماوات والأرض مِن المطرِ والنَّبات وغير ذلك، ﴿يُحْيِي﴾ عندَ البعث، ﴿وَيُمِيتُ﴾ في الدُّنيا، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من هذا وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾.

(٣) - ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾: ﴿الْأَوَّلُ﴾: السَّابق قبل كلِّ شيءٍ، ﴿وَالْآخِرُ﴾: الباقي بعد كلِّ شيء، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ لوضوح الدَّلائل على وجودِه، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ فلا يُرى في دار التَّكليف، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: لا يخفَى عليه شيءٌ[(١)].

(٤ - ٦) - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: من أيام الدنيا، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: الكرسي استواء يليق به، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ أي: يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كالمطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ أي: يصعد ﴿فِيهَا﴾

(١) الكشف والبيان (٩/ ٢٢٧)، وتنوير المقباس للفيروز ابادي (١/ ٤٥٦).

كالأعمال الصالحة والسيئة، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾: أي: عالمٌ بكم، لا يخفى عليه شيءٌ من أحوالِكم وأفعالِكم وأقوالِكم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: وهو على مجازاتِكُم على وفقِ عملِكُم قديرٌ. ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: المَوْجُودَات جَمِيعهَا. ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ أي: يدخله ﴿فِي النَّهَارِ﴾ فَيَزِيد وَيَنْقُص اللَّيْل ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيَزِيد وَيَنْقُص النَّهَار، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: بخفيَّات الصُّدور، ومَن قدرَ على هذه الأشياءِ، وعلم بالأشياءِ، فلن يعجزَهُ إهلاكُ مَن كفرَ به، فلا تتوهَّموا معاشرَ المسلمين أنَّ إمهالَ الكفَّارِ لعجزٍ، وأنَّ أمري إيَّاكم بجهادهم لحاجةٍ، لكنْ لأبتليكم به، وأعوضكم عليه النَّعيم المقيم الذي خلقْتُكُم له وخلقْتُه لكم، وهو وجهُ انتظامِ هذا بما بعدَه[١].

(٧) - ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي: أوضحْتُ الدَّلائل على أنَّه لا يستحقُّ العبادةَ غيري، فاعبدوني وآمنوا بي، وصدِّقوا رسولي فيما يخبرُكُم به عنِّي، وهذا في حقِّ المؤمنين أمرٌ بالدَّوام على إيمانهم، وفي حقِّ الكفَّار أمرٌ بابتدائِه، ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾؛ أي: مِن المالِ الَّذي هو للَّه، وقد أعطاكُم بعدما كان عند غيركم، وقد جعلكم فيه خلفاء عن الماضين، فأنفقوا في جهادِ أعداءِ اللَّهِ مالَ اللَّهِ، مع الجهادِ بأنفسِكُم الَّتي هي للَّه، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ في سبيلِه بأمرِه طلبًا لمرضاتِه ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾؛ أي: ثواب عظيم في الآخرة.

(٨) - ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾: هذا الكلامُ خرجَ مخرجَ الاستبطاءِ والإخبارِ بزوال المانع؛

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٧١٩)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٢٩٠).

أي: أيُّ عذرٍ لكم في تركِ الإيمانِ باللَّهِ، وقد أقيمَتْ البراهينُ على ما تُؤمَرون به سمعًا وعقلًا: أمَّا العقلُ: ما دلَّ دلائلُ العقلِ على صدقِ الرَّسول في دعوى النُّبوَّة، بما أظهرَه اللَّهُ تعالى على يدِه من المعجزات التي هي خارجةٌ عن قِوى البشر، وذلك أخذُ الميثاقِ منهم به، وأمَّا السَّمع: فهو ما يدعوهم إليه الرَّسول من الإيمان بمَن هو ربُّهم، دونَ مَن هو مربوبٌ مثلُهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إنْ كنتُم ممَّن همُّكم التَّصديق بما يقومُ البرهان على صحَّتِه، فقد قام ذلك سمعًا وعقلًا[١].

(٩ - ١٠) - ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: أخبرَ بأنَّ الرَّسول إنَّما لزمَتْ دعوته لِمَا أيَّده اللَّهُ تعالى به مِن المعجزات التي أظهرها على يديه تخليصًا للنَّاسِ من ظلماتِ الكُفرِ إلى نورِ الإيمانِ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: لرأفتِه ورحمتِه لم يُخْلِكُم فيما تَعبَّدَكم به من مواصلةِ الحُجج، ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: وأيُّ عذرٍ لكم في تركِ الإنفاقِ مِن أموالِكُم في سبيلِه وقد علمتم أنَّ هذه الأموال تزولُ عن أيديكم إلى غيركم كما زالَتْ عن غيركم إليكم فصرْتُم مستخلَفِيْن فيها، ثمَّ هكذا يكون قرنًا بعدَ قرنٍ إلى أنْ تصيرَ لا مالِكَ لها مِنَ البشر، ويرثُها اللَّهُ تعالى وهو خير الوارثين؛ أي: لا يبقى لها مَن يدَّعيها، ويخلص مضافًا إلى اللَّه تعالى؛ أي: كيفَ تبخلونَ بأموالٍ هذه حالُها، وبإنفاقِها في سبيل اللَّه يكون لكم في الآخرة مناها؟، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ أي: قبل فتح مكَّة، وقيل: أي: فتح الحديبية، والمعنى: لا يستوي في الفضْلِ مَن أنفقَ في سبيلِ

(١) التيسير في التفسير (١٤/ ٢٩١).

اللَّهِ وجاهدَ أعداءَ اللَّهِ قبلَ فتحِ مكَّة ومَن فعلَ ذلكَ بعدُ، ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ﴾: أي: مِن بعدِ الفتح ﴿وَقَاتَلُوا﴾ لعزَّة الإسلام وأهلِه، وشدَّة الحاجة إلى مَن ينصرُه؛ أي: فبادِروا إلى تحصيلِ هذه الفضيلةِ، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾: أي: فكلَّ واحدٍ مِن هذين الفريقَيْن له وعدُ الجنَّة؛ لأنَّهم جميعًا مطيعون للَّه، عاملون بأمرِه، لكنَّ الدَّرجات في الجنَّة متفاوتة، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي: بأعمالِكم ومقاديرِها؛ أي: ويجازي كُلًّا على وفقِ عملِه.

(١١) - ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: أي: مَن ذا الَّذي ينفقُ في سبيلِ اللَّه إنفاقًا حسنًا، مضمونًا بدلُه على اللَّه بالأضعافِ الكثيرة بوعدِه الصَّادقِ والكائنِ لا محالةَ، وهو قوله: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾: والمضاعفةُ والتَّضعيف واحدٌ، وهو الزِّيادة على الشَّيء مثلَه أو زيادة، والقرض الحسنُ يكون بمعانٍ: بالإخلاصِ، وبطيبِ النَّفسِ باختيارِ الأعزِّ الأنفَسِ مِن مالِه للإنفاقِ، وبالإخفاءِ، وبقَبول المنَّةِ مِن اللَّه تعالى بالأمر به، وبخوفِ الرَّدِّ، وبرجاءِ القَبول، وبترك الاعتماد عليه، وبترك ملاحظة العِوَضِ، وغير ذلك، والأضعافُ الكثيرةُ ما ذُكِرَ في قولِه: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: أي: ثوابٌ عظيم(١).

(١٢) - ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾: أي: يحصلُ هذا الأجرُ الكريمُ إليهم يومَ القيامة، وهو يوم يسعى للمؤمنين من الرِّجال والنِّساء نورٌ مِن بين أيديهم إلى الجنَّة وبأيمانهم، قيل: لأنَّ

(١) الكشف والبيان (٩/ ٢٣٢)، التيسير في التفسير (١٤/ ٢٩٣)، وجامع البيان(٤/ ٤٣٠).

اليمين طريقُ الجنَّة، وقيل: بأيمانهم؛ أي: تكونُ كتبُهم التي يُعطونها بأيمانهم فيها نورٌ، ثمَّ إذا توجَّهوا إلى الجنَّة صارَ بينَ أيديهم، ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ﴾: أي: يُقال لهم: لكم البُشرى اليوم ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾؛ أي: الخلاص عن كلِّ مرهوبٍ، والظَّفرُ بكلِّ محبوب.

(١٣) - ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: ويكون هذا للمؤمنين في اليوم الَّذي يتوجَّه المؤمنون والمنافقون جميعًا من القبور إلى حيث أُمِروا، وللمؤمنين نورٌ، والمنافقون يمشون في نورِهم تَبعًا لهم، فيُسرِعُ المؤمنون بقوَّة إيمانِهم، فيتباعدُ المنافقون عنهم بالتَّخلُّف، فينقطع نورُهم عنهم، فيقولون: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾: أي: انتظرونا نأخذْ حظًّا من نورِكُم، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾: أي: تقول لهم الملائكةُ، وقيل: يقول ذلك المؤمنون: ارجعوا خلفَكُم، ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾: أي: فاطلبوا لأنفسِكُم نورًا ثَمَّ، فإنَّا حملناه مِن ثَمَّ، فيظنُّ المنافقون أنَّهم أخذوا النُّور مِن موضعٍ هناك، ولا يعلمون أنَّهم يريدون أنَّا حملنا هذا النُّور مِن الدُّنيا بالإيمانِ والطَّاعة، ويريدون بقولهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ التَّوبيخَ دون التَّحقيق للأمر بالرُّجوع، فيلتفِتُ المنافقون نظرًا إلى موضع النُّور في زعمِهم، ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ قيل: أي: جُعل بينَ الفريقَيْن حائط، وقيل: هو حاجز، وقيل: هو الأعراف، ﴿لَهُ بَابٌ﴾ قيل: هو بابٌ حقيقةً، وقيل: طريق، ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾: أي: مما يلي المؤمنين الجنَّة، ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾: أي: ومما يلي المنافقين النَّار[(١)].

---

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ٣٩٥)، والبسيط (٢١/ ٣١٩)، وزاد المسير (٨/ ١٧٩).

(١٤) - ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾: أي: ينادي المنافقون المؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدُّنيا في المنازلِ والمساجدِ، نصلِّي كما تصلُّون، ونصوم كما تصومون، ﴿قَالُوا بَلَى﴾: كنتُم معنا في الظَّاهر دون الباطن ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ قيل: أهلكْتُم، وقيل: أثمْتُم، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: أي: انتظرْتُم بالنَّبيِّ ﷺ وبالمؤمنين الدَّوائر، وقيل: أخَّرْتُم التَّوبة، ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾: قيل: أي: شككْتُم في البعث، وقيل: أي: في حقيقة الإسلام، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾: أي: اغترَرْتُم بأمانيِّكم الكاذبةِ ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: أي: بالموت ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ وقد كانَ غرَّكُم الشَّيطانُ الغَرورُ بالله، بأنْ أطمعَكُم في النَّجاةِ والدَّرجات.

(١٥) - ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾: أي: لا تكون، لا أنْ تُعطوا فلا يُؤخَذ، لكن لا يُؤخَذ لِـما أنَّه لا يكون، ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الذين أعلنوا الكفر، ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾؛ أي: مصيرُكم ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾؛ أي: أولى بكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النَّار.

(١٦) - ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾: أي: ألم يَحِنْ، قيل: هو خطابٌ للَّذين آمنوا مِن أهل الكتاب بكتابِهم ورسولِهم، يقول: ألم يأنِ لهم أنْ تخشعَ قلوبُهم؛ أي: تلينَ لذكر اللَّهِ؛ أي: لوعظِ اللَّه، ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾: أي: القرآن على محمَّدٍ ﷺ، ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ في العهدِ الأوَّل ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾؛ أي: الزَّمان بينَهم وبينَ نبيِّهم، وقيل: أي: وقتُ الجزاء، وقيل: أي: مجيءُ القيامة، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي:

غلظَتْ وييسَتْ، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة اللَّه تعالى[١].

(١٧ - ١٨) - ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعني: يُلِيْنُ القلوبَ بعدَ قساوتِها، وهو وجهُ النَّظم، وقيل: هو يُحيي الأرضَ بعد موتِها، فيُحيي الخلقَ بعدَ موتِهم، فيجزي كلًّا بعملِه، ولا يسوِّي بينَ الخاشعِ والقاسي، وقيل: هو تعريفُ الكفَّارِ إحياءَ الخلْقِ بعدَ الموت، وقيل: هو حثُّ أهلِ الكتاب على تدبُّر القرآنِ لتحيا قلوبُهم، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي: ليتدبَّروا فيعرفوا، ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾: بتخفيفِ الصَّاد، وهو من التَّصديق، وبتشديد الصَّاد، وهو من التَّصدُّق بإدغام التَّاء في الصَّاد، ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: عطَفَ الفعلَ على الاسمِ لأنَّ تقديرَه: إنَّ الَّذين تَصَدَّقوا -أو: صَدَّقوا- اللَّهَ ورسولَه، وأقرضوا اللَّه قرضًا حسنًا، وقيل: القرضُ في كلِّ فعلٍ حسنٍ ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مر تفسيره.

(١٩) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾: معناه: أولئك المبالِغون في الصِّدْقِ صدَّقوا بالكتاب الأوَّل والرَّسول الأوَّل، وبهذا الكتاب وبهذا الرَّسول، ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾؛ أي: الشهداء في سبيل اللَّه لهم يوم القيامة أجرهم ونورهم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: هم الذين خالفوا الأوَّلين في الصِّفة، فخالفوهم في الجزاء.

(٢٠) - ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ

---

(١) النكت والعيون (٥/ ٤٧٧)، وتفسير مقاتل (٤/ ٢٤١)، والكشف والبيان (٩/ ٢٤٠)، وجامع البيان (١٣/ ٨).

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾: وهو في الحثِّ على الجهادِ بالنَّفس والمالِ، فإنَّ التَّقاعدَ عنه لا يكون إلَّا لحبِّ الحياة الدُّنيا، وقيل: هي في خطابِ المشركين المكذِّبين رسولَ اللَّهِ ﷺ ميلًا منهم إلى بقاء الرِّئاسة لهم على أتباعهم، وتعزُّزًا بهم، وتكثُّرًا بأموالِهم، وتفاخُرًا بأحوالهم، فبيَّنَ أنَّ ذلك كلَّه لعبٌ ولهوٌ لا حقيقةَ له، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾: أي: مطر ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾؛ أي: راقَ الزُّرَّاع، جمع كافر، وهو الزَّارع، سُمِّيَ به لأنَّه يَكْفُرُ البذرَ في الأرض؛ أي: يَستره، وقيل: خصَّ الكفَّارَ لأنَّهم ينكرون الآخرةَ، فلا يعرفون إلَّا العاجلة، فهم بها أعلقُ، وهي لهم أَرْوَقُ، ﴿نَبَاتُهُ﴾: أي: النَّبات الحاصل بالغيث ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾؛ أي: ييبس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾: هشيمًا متكسِّرًا، هذه عاقبة الدُّنيا لأهلِها، ومثال أحوالها، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لمن رغبَ في الحياة الدُّنيا فشغلَه ذلك عن الآخرة، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾: لمن تزوَّد منها للآخرة، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: لمن يركَنُ إليها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: متعةٌ يَتمتَّع بها، ويَهلَكُ المغترُّ بها.

(٢١) - ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾: إذا علمْتُم حالةَ الدُّنيا، فلا تركَنوا إليها، وإذا أُخبِرْتم أنَّ الآخرة لمن له المغفرة، فبادروا إلى طلبِها بفعلِ ما وُعِدَتِ المغفرةَ عليه، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: وإلى طلبِ جنَّة عرضُها؛ أي: سعتُها كسعةِ السَّماء والأرض، ﴿أُعِدَّتْ﴾: أي: هُيِّئَتْ هذه الجنَّة ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾؛ أي: جميعهم ولم يفرِّقوا بينَهم كاليهود والنصارى، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾: أي: عطاءُ هذه الجنَّةِ بفضلٍ مِن اللَّهِ تعالى ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

وهم المؤمنون كما أَخبر ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[(١)].

(٢٢ -٢٣) - ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾: وهذا مِن الحثِّ على الجهادِ أيضًا كما مرَّ، يقول: ما أصابَكُم مِن مصيبةٍ في الأرضِ مِن الجدْبِ ونقصانِ الثَّمرِ وذهابِ الأموال، وفي أنفسِكُم بالموتِ والأسقامِ، إلَّا وهو ممَّا قضى اللَّهُ به، وأثبتَه عندَه في كتابٍ، قيل: هو اللَّوح المحفوظ، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾؛ أي: من قبلِ خلقِ الأرض والأنفس، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: سهلٌ لا يَتعذَّرُ على اللَّهِ شيءٌ، ولا يردُّ هذا القضاءَ حيلةُ محتالٍ، ولا تحرُّزُ متحرِّزٍ، فلا تتخلَّفوا عن الجهاد، ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾: أي: فعلْتُ ذلك وأخبرْتُكم به لكي لا تحزنوا على ما فاتكم، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾: ولأنْ لا تُسَرُّوا على ما أعطاكم، ولا يحملَكُم الحزنُ على الفائتِ على الشَّكوى مِن اللَّه تعالى، ولا الفرحُ بالنِّعمة على الاستكثارِ منها فتقعوا في الطُّغيان، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: الذي يتعظَّم على الفقراء ويفخر بالنَّعماء.

(٢٤) - ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ أي: بما يجب عليهم، ويأمرون الناس به لهم وعيد شديد ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾: أي: عن الجهادِ والإنفاقِ في سبيل اللَّه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عنه وعن كلِّ خلقِه ﴿الْحَمِيدُ﴾: المُستَحِقُّ للحمد؛ أي: ليس أمرُه بالجهاد والإنفاقِ لحاجةٍ، بل للابتلاءِ، ولإكرامِ العبدِ بحسنِ الجزاء[(٢)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٦٢)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٣٠٥).

(٢) الكشف والبيان (٩/ ٢٤٦)، وزاد المسير (٨/ ١٧٣)، وجامع البيان (٦/ ٢٧٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٢).

(٢٥) - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي: بالشَّرائع الواضحة، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾: أي: الكتب، فيها بيانُ أصول الشَّرع، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: أي: وآلةَ التَّعامل الَّتي يقع بها التَّناصف، ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ في معاملاتهم ﴿بِالْقِسْطِ﴾؛ أي: بالعدل، وفي ذلك تمامُ المصالحِ، فالكتاب لمصالح الدِّين، والميزانُ لمصالح الدُّنيا، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾؛ أي: وخلقْتُ الحديدَ آلةً للقتالِ، وإقامةً للسِّياسةِ؛ ليكفَّ به المجاوز لقسطِهِ عن ظلمِه. ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: وهو القتال ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: والمنافع في الحديد سوى إمكان القتال به: أنَّه لا بُدَّ منه في كلِّ شيءٍ مِن الصِّناعات حتَّى صناعةِ الحديد، وهو مُتَّصلٌ بما مرَّ مِن الحثِّ على الجهاد، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾: وليُظهِرَ اللَّهُ للعبادِ مَن ينصرُ دينَ اللَّهِ تعالى للقتال عنه، وقيل: ليَعلمَ أولياءُ اللَّهِ، وقيل: ليعلمَ اللَّهُ موجودًا ما علمَهُ في الأزلِ أنَّه يُوجَدُ، ﴿بِالْغَيْبِ﴾: أي: تصديقًا بما وُعِدَ عليه بالغيب. ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: أي: ﴿قَوِيٌّ﴾ على مُجازاةِ مَن أخلصَ منهم ومَن نافقَ، ﴿عَزِيزٌ﴾: منيعٌ لا يُغالَب ولا يعارَض فيما يريدُه مِن ذلك.

(٢٦) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: وهذا تفصيلُ بعضِ الإجمال، وشرحُ هذا التَّفصيل في (سورة الأنعام) في قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنعام: ٨٣] الآيات، ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾؛ أي: وجعلْنا بعضَهم أنبياء، وبعضَهم أممًا يتلون الكتاب، ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ﴾: أي: فاهتدى بعضهم، وثبتَ على دينه ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن الطَّاعة.

(٢٧) - ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا﴾: أي: أتبعنا مَن بعدَهم واحدًا بعدَ واحدٍ مِن الرُّسل، ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: أتينا به بعدَهم، ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾: أي: أعطيْناه وأوحيْنا إليه، ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: أي: آمنوا به وصدَّقوه من أمَّتِه، ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾: قيل: أي: أمروا في الإنجيل بالصَّفح والإعراض عن مكافأة النَّاس على الأذى، وقيل لهم: مَن لطمَ خدَّك الأيسر فولِّهِ خدَّكَ الأيمن، ومَن أرادَ أنْ يسلبَ رداءَك فأعطِه قميصَك، ولم يكنْ قِصاصٌ على جنايةٍ في نفسٍ أو طرفٍ، فاتَّبَعوا هذه الأوامر، وأطاعوا اللَّه، وكانوا متوادِّيْن متراحِميْن متعاطفِيْن، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾: معناه: ابتدعوا رهبانيَّة ولزومَ صوامعَ، وتشديدًا على أنفسِهم، ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: ما أوحيْنا عليهم تلك الرَّهبانيَّة، ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ أي: لكن كنَّا أمرناهم بأنْ يبتغوا رضوانَ اللَّهِ، وقيل: أي: ما ابتدعوها إلَّا مبتغين بذلك رضوان اللَّه، ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: أي: ما حفظوا تلك الرَّهبانية حقَّ حفظِها، وما ثبتوا عليها، بل تنصَّرَ كثيرٌ منهم، وتركوا الحقَّ، وثبتَ بعضُهم على الحقِّ، ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾: أي: الَّذين ثبتوا على الإيمان والحقِّ، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة اللَّه.

(٢٨) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ﴾: أي: يا أيّها الَّذين آمنوا بموسى وعيسى -عليهما السلام- ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمَّدٍ ﷺ، ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: أجرَيْنِ بإيمانِكم بمحمَّدٍ ﷺ وبمَن تقدَّمَ مِن الرُّسلِ، والكِفْلُ: الحَظُّ، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾: أي: يومَ القيامةِ يسعى بينَ أيديهم إلى الجنَّةِ،

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: ذنوبكُم السَّالفةَ قبلَ الإيمانِ بمحمَّدٍ ﷺ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(٢٩) -﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾أي أَعْلَمَكُمْ بِذَلِكَ لِيَعْلَمَ ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ التَّوْرَاة الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿أَنْ﴾ مُخَفَّفَة مِنْ الثَّقِيلَة وَاسْمهَا ضَمِير الشَّأْن وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ خِلَاف مَا فِي زَعْمهم أَنَّهُمْ أَحِبَّاء اللَّه وَأَهْل رِضْوَانه ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يُعْطِيه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فَآتَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ أَجْرهمْ مَرَّتَيْنِ ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾[١].

(انتهى تفسير سورة الحديد).

---

(١) تفسير الجلالين(١/ ٧٢٤)، والكشف والبيان (٩/ ٢٤٧ - ٢٤٨)، وجامع البيان (٢٢/ ٤٣٤)، التيسير في التفسير (١٤/ ٣١٣)، وتنوير المقباس للفيروز آبادي (١/ ٤٥٩).

(٥٨) سورة المجادلة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مدنيَّة إلَّا قولَه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية، فإنَّ هذه الآية مكيَّة، سميت هذه السورة في كتب التفسير وفي المصاحف وكتب السنة «سورة المجادلة» بكسر الدال أو بفتحها، ووجه تسميتها «سورة المجادلة» لأنها افتتحت بقضية مجادلة امرأة أوس بن الصامت لدى النبي ﷺ في شأن مظاهرة زوجها، وتسمى «سورة قد سمع» و«سورة الظهار»، وهي السورة المائة وثلاث في عداد نزول سور القرآن نزلت بعد سورة المنافقين وقبل سورة التحريم، وهي عشرون آيةً وأربعُ آيات وأربع مئة وخمس وأربعون كلمة، وألفٌ وتسعُ مئة وخمسة عشر حرفًا.

أغراض هذه السورة:

الحكم في قضية مظاهرة أوس بن الصامت من زوجه خولة، وإبطال ما كان في الجاهلية من تحريم المرأة إذا ظاهر منها زوجها وأن عملهم مخالف لما أراده الله وأنه من أوهامهم وزورهم التي كبتهم الله بإبطالها. وتخلص من ذلك إلى ضلالات المنافقين ومنها مناجاتهم بمرأى المؤمنين ليغيظوهم ويحزنوهم. ومنها موالاتهم اليهود. وحلفهم على الكذب. وتخلل ذلك التعرض لآداب مجلس الرسول ﷺ. وشرع التصدق قبل مناجاة الرسول ﷺ. والثناء على المؤمنين في مجافاتهم اليهود

والمشركين. وأن الله ورسوله وحزبهما هم الغالبون(١). وانتظامُ ختمِ تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّهما جميعًا بذكر الثَّناء على اللَّه بفضلِه على عباده، وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك السُّورة في أمر المؤمنين بجهاد الكافرين، والإنفاقِ على المجاهدين، وهذه السُّورة في تخفيف الأحكام على المؤمنين، وتشديد الوعيد على الكفَّار والمنافقين.

(١) - ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾: هي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصَّامت بن قيس، أرادها فأبَتْ عليه، فغضب عليها، وقال لها: أنتِ عليَّ كظهر أمِّي، وكان الإيلاءُ والظِّهار من طلاق الجاهليَّة، فأتَتْ امرأتُه إلى النَّبيِّ ﷺ فطلبَتِ الرُّخصةَ، فقال لها رسول اللَّه ﷺ: "أخشى أنَّكِ قد حَرُمْتِ عليه". وكان هذا أوَّل ظهار في الإسلام، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾؛ أي: قد سمع اللَّهُ كلامَ المرأة التي تخاصمُك في زوجها؛ أي: فيما تريد أن لا تحرمَ على زوجها، كانت تقول: انظر في شأني يا رسول اللَّه، انظر في شأني، جعلني اللَّه فداك، ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ الوجدَ الذي في قلبِها بسبب هذه الحادثة، ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾: أي: تراجعكما الكلامَ، خطابٌ للرَّسول ﷺ ولتلك المرأة؛ أي: لا يخفى على اللَّه شيءٌ من ذلك، وإن كان على السِّرار، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: لا يخفى عليه من شيء من المسموعات والمرئيَّات(٢).

(٢) - ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾: برفع الياء وتخفيف الظَّاء

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨/٦).

(٢) لطائف الإشارات (٣/ ٥٤٨).

من المظاهرة، وقرأ ﴿يَظَّهَّرون﴾ بفتح الياء وتشديد الظاء من غير الألف، وقرأ ﴿يَظَّاهَرون﴾ بتشديد الظاء وزيادة الألف بفتح الياء، وهي لغاتٌ في معنًى واحد[(١)]؛ أي: الذين يقولون لزوجاتهم: أنتِ عليَّ كظهر أمِّي، فيشبِّهها بظهرِ أمِّه في التَّحريم، ﴿مِنكُمْ﴾؛ أي: من جماعتكم أيُّها المؤمنون، ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾: أي: لسن أمَّهاتٍ لكم، ولا يَصِرْنَ أمَّهاتٍ لكم بهذا القول، ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾: أي: ما أمُّ الرَّجل إلَّا التي ولدته، ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾: أي: المظاهرون يقولون كلامًا ينكره الشَّرع ولا يرضى به، و(زورًا)؛ أي: كذبًا وباطلًا، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾: أي: عن ذنوبِ عباده إذا تابوا منها، ﴿غَفُورٌ﴾: يسترُها عليهم بعد التَّوبة، فلا يفضحُهم بها، ولا يعاقبُهم عليها.

(٣) - ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾: أي: منكوحاتهم الحرائرِ والإماء، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾: أي: يريد جماعها، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ أي: فعليه إعتاق رقبة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾؛ أي: يتلاقيا بالجماع، وتحرم الدَّواعي أيضًا، ﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي: هذا شيء تُؤمرون به، واللَّه خبير بأعمالكم، وفيتم به أو خالفتم.

(٤) - ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾: أي: فمن لم يملكْ ما يشتري به رقبةً ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾؛ أي: فعليه صيام شهرين متواصلين، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ أي: يتلاقيا بالجماع، ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصِّيام بمرض أو نحوه ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾؛ أي: فعليه أن يطعم ستِّين مسكينًا، كلَّ مسكين نصفَ صاعٍ من حنطة،

---

(١) السبعة في القراءات (١/ ٦٢٨)، والتيسير للداني (١/ ٢٠٨).

أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر، ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي: هذا البيان لتصدِّقوا اللَّهَ ورسولَه، وتقبلوا هذا الأمر منه، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: أي: هذه الأحكام معالم شرائع اللَّه فاحفظوها، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: أي: وللذين لا يقبلون أحكام الشَّرع ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: وجيع دائم في النَّار في الآخرة(١).

(٥) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: يخالفونه ويتعدَّون حدود اللَّه، ﴿كُبِتُوا﴾: أي: أُخزوا، وقيل: أغيظوا وأحزنوا، وقيل: أُذِلُّوا، وقيل: صُرِعوا، وقيل: قُهِروا، ﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: كما فُعِلَ بالكفَّار الماضين بسبب المخالفة والمعاداة للنَّبيِّين، ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: أي: وقد أوضحْنا الأدلَّة والعلامات على ذلك بما اقتصَصْنا من وقائعنا بالماضيين، وقيل: ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا﴾ في القرآن ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ فيها حدود اللَّه تعالى وأحكامه، فالزموها ولا تتعدَّوها، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: قيل: ولجاحدي هذه الآيات. وقيل: لكفَّار كلِّ عصر عذاب مهين.

(٦) - ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: أي: يعذِّبهم هذا العذاب يومَ يُنشرهم من قبورهم جميعًا الرِّجال والنِّساء. وقيل: الأوَّلين والآخرين، وقيل: المحادِّين اللَّهَ ورسولَه في هذا العصر، وفي الأعصار الخالية، ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾؛ أي: فيخبرهم بما عملوا من محادَّة اللَّه ورسوله، ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾: أي: حفظَه اللَّهُ، يعني: صغيرَ أعمالهم وكبيرَها، ودقيقَها وجليلها؛ ليجازيهم بها، ﴿وَنَسُوهُ﴾: أي: ونسُوا

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ٤٥٨)، والدر المنثور (٨/ ٧٥) وزاد المسير (٨/ ١٨٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٩٢)، التيسير في التفسير (١٤/ ٣٢٣).

هم ذلك لجحودهم بالبعث والحساب، وقيل: أي: تركوه استخفافًا به لم يحافظوا إحصاء اللَّه وحفظه، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: لا يخفَى عليه شيءٌ، فهو شاهدٌ عليه ليجزيَهم بها، وهذا وعيد شديد.

(٧) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: يعني: ألم تعلم علمًا يقومُ مَقامَ العِيان؟، استفهامٌ بمعنى التَّقرير؛ أي: قد علمْتَ أنَّ اللَّهَ يعلمُ ما في السَّماوات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾: أي: هو سامع نجواهم، ولا يغيب ذلك عنه، ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾: أي: ولا نجوى خمسة، وهو تناجيهم ومسارَّتُهم ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ يستمعُ نجواهم، ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ﴾: أي: ولا أقلَّ من ذلك، وهو نجوى اثنين ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ من خمسة، ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾: أي: علمًا وسماعًا، لا مكانًا، فإنَّ اللَّه تعالى يتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ﴾: أي: يخبرهم ﴿بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: هذه الآية متَّصلة بالتي بعدها[1]

(٨) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾: أي: ألم ترَ يا محمَّد ﷺ إلى الذين نُهوا عن النَّجوى، أكثر المفسِّرين على أنَّهم اليهود، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾: فيخالفونه ويأتون بما نُهوا عنه، ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ﴾: أي: فيما بينهم ﴿بِالْإِثْمِ﴾؛ أي: بما يؤثمُهم من إدخال الغمِّ على المؤمنين، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: أي: الظُّلم ومجاوزة الحقِّ، ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾: أي: بمعصيتِهم الرَّسولَ ومخالفتِهم إيَّاه، ﴿وَإِذَا

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ٤٦٦)، والعين (٥/ ٣٤٢)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٥٥)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٧٥).

جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ أي: كانوا يقولون إذا جاءوا إلى النبي ﷺ سام عليك. ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: لأنَّ اللَّهَ تعالى حيَّاه بالسَّلام، وهؤلاء حيَّوه بالسَّام وهو الموت، فكأنَّهم قالوا: الموتُ عليك، ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: أي: هلَّا يعذِّبُنا بتحيَّتنا هذه له إنْ كان رسولًا، ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾: أي: إن لم يجازهم على إيذائهم رسولَه في الدُّنيا ولم يهلكْهم بدعاءِ الرَّسول عليهم عاجلًا، فقد أعددْنا لهم جهنَّم، وهي حسبُهم، فلا عذابَ أشدُّ من عذابهم بها، ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: أي: يدخلونها ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: فبئس المرجع والمآب الذين يصيرون إليه.

(٩) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾: وهذا نهيٌ للمؤمنين عن الاقتداءِ باليهود والمنافقين بالتَّناجي، ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾: وهذا أمرٌ بالتَّناجي فيما يَؤُول إلى الطَّاعة وترك المعصية، ونفعِ المسلمين ودفع الضَّرر عن المؤمنين، وهو كما قال: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ الآية [النساء: ١١٤]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: أي: للحسابِ، فيجازيكم بما تتناجون به من خيرٍ أو شرٍّ.

(١٠) - ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: يأمر الشيطان بذلك ليُدخل به غمًّا في قلوب المسلمين، ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا﴾: أي: إنَّما يضرُّهم بما أذن اللَّه فيه أن يكون ضارًّا لهم، فأمَّا الشَّيطانُ فلا يقدر لهم على ضرٍّ بنفسِه، وكذلك هؤلاء المتناجون من اليهود والمنافقين، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بعلمِ اللَّه؛ يعني: ما ينال المؤمن من الحزن والكراهة فذلك بعلم اللَّه تعالى،

وسيجزيه اللَّه تعالى بذلك، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: فلا تهتمُّوا بما يقول هؤلاء المتناجون، وتوكلوا عليه جَلَّجَلَالُهُ.

(١١) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ﴾ ذمَّهم بترك احترامِه، وأمَرَ المسلمين بأن يستعملوا في مجلسه ما يعود إلى تبجيله وإعظامه، وإلى معاملة أهل مجلسة بالمجاملة، وبما يدلُّ على سَعَةِ النَّفس وطيب الخلق عند المزاحمة، قال: ﴿وإذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس﴾؛ أي: توسَّعوا، والفُسحة: الوسعة، والفسيحُ: الواسع، ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أي: وسِّعوا المكان لمن حضرَ بعدكم يوسِّعِ اللَّهُ لكم منازلكم في الجنَّة، ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾: أي: وإذا قيل لكم: ارتفعوا، أو قوموا للتَّوسعة على مَن بَعُدَ موضعُه عن النَّبيِّ ﷺ، فارتفعوا ولا تثاقلوا. ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾: أي: يرفعِ اللَّه درجاتِ مَن فعَل ذلك في الجنَّة، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: من التَّفسُّح والنُّشوز للإخوة من المؤمنين فيثيبُكم عليه[١].

(١٢) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾، ثمَّ إنَّ اللَّهَ تعالى أرادَ أن يقطعَ المنافقين عن مناجاة النَّبيِّ ﷺ، فيزول ما كان الشَّيطانُ يحزنُ به المؤمنين منها، بأن يعظِّمَ المؤمنون رسولَ اللَّه ﷺ، فلا يناجوه إلَّا في مهمٍّ من أمور الدِّين، فأوجبَ على مَن أرادَ منهم مناجاته تقديمَ صدقة، فقال: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾؛ أي: إذا أردْتُم مناجاته ﴿فَقَدِّمُوا﴾ قبل مناجاتكم إيَّاه ﴿صَدَقَةً﴾، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: في دينكم لِمَا تنالونه من الثَّواب،

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ٤٧٦ - ٤٧٧)، التيسير في التفسير (١٤/ ٣٣٤).

﴿وَأَطْهَرُ﴾: لكم من الذُّنوب، ويكون كتقديم الوضوء على الصَّلاة، ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾: ما تتصدَّقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا يكلِّفكم شططًا، فناجوه في المهمِّ من أمر الدِّين من غير تقديم صدقة.

(١٣) - ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾؛ أي: أشقَّ عليكم أن تقدِّموا طهرةً بين يدي مناجاتكم رسولَ اللَّه ﷺ. والإشفاق كالخوف من المكروه، فيحتمل أن يكونوا أشفقوا مِن أن يقصِّروا في تقديم الصَّدقة في بعض حوائجهم التي يحتاجون فيها إلى مناجاته فيأثموا، أو تكثر حوائجهم فلا يمكنهم رفع كثير منها إليه إذا لم يجدوا ما يقدِّموا له، وخافوا ذلك على بعضِهم، فرحِمَهم اللَّه تعالى وخفَّف عنهم، ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: أي: خفَّف عنكم وأزال عنكم هذا الفرض، ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: أي: دوموا عليهما ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر الأوامر والنَّواهي، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا وعد ووعيد[(١)].

(١٤ - ١٥) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾: هم المنافقون، ﴿قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: هم اليهود، ﴿مَا هُمْ﴾: أي: المنافقون ﴿مِنْكُمْ﴾ مسلمين ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾؛ أي: من اليهود، لا يؤمنون بكتاب، ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ للمؤمنين إذا لقُوهم أنَّهم منهم، ولليهود إذا لقوهم أنَّهم منهم، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم كاذبون؛ لأنَّهم لا يعتقدون إسلامًا ولا يهوديَّة، وهذا نهاية الخبث وسوءِ الدِّيانة، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: أي: في النَّار ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

---

(١) الكشف والبيان (٩/ ٢٦٢)، ومدارك التنزيل (٣/ ٤٥٠)، وجامع البيان (٢٢/ ٤٨٢).

بذلك استحقُّوها.

(١٦) - ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يجتهدون في صدِّ النَّاس عن طاعة الله والإيمان به والجهاد في سبيله بالأراجيف ووجوه التَّخويف، فإذا ظهر ذلك منهم فعوتبوا حلفوا كاذبين أنَّهم ما فعلوا ذلك، يدفعون بها عن أنفسهم ما يتوجَّه عليهم من عقوبات الدُّنيا، ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: في الدُّنيا والآخرة.

(١٧ - ١٩) - ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي: يحلفون كاذبين ليدفعوا القتلَ عن أنفسِهم وأولادِهم والاستغنامَ عن أموالهم، ولن تغني عنهم أموالهم وأولادهم يوم القيامة شيئًا إذا دخلوا النَّار، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أي: دخول النَّار يوم يحشرهم الله تعالى من قبورهم فيحاسبهم ويجازيهم بأعماله، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ يوم القيامة: ما كانوا مشركين ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدُّنيا أنَّهم ليسوا بمنافقين. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾: ويظنُّون في الدُّنيا أنَّهم على صوابٍ من دينهم ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ في الدُّنيا، ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾: أي: غلب فاستولى عليهم ﴿فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ فهم يرتكبون المعاصيَ غير ذاكرين اللَّهَ، ومقامَهم بين يديه، ومحاسبتَه إيَّاهم عليها، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾: المتحزِّبون له، المتعصِّبون لأوليائه، المنقادون حيث يقودهم، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: أي: الهالكون المغبونون.

(٢٠ - ٢١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: يخالفون، وقيل:

يعادُون، ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾: لا أذلَّ منهم؛ أي: إلى الذُّلِّ يصير أمرهم: بالسَّبي والقتل في الدُّنيا، وعذاب النَّار في الآخرة، ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾: أي: في اللَّوح المحفوظ، وقيل: أي: قضى وقدَّر، ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾: لأنَّ العاقبة المحمودة لهم في الدُّنيا والآخرة، وهم المنصورون بالحجَّة، ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ تعالى ﴿قَوِيٌّ﴾: لا يُغلَب ﴿عَزِيزٌ﴾: لا يمانع (١).

(٢٢) - ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾: أي: يصادقون مَن خالفَ وعادى اللَّه ورسوله، وهو إخبارٌ بمعنى التَّقرير؛ أي: ولو وجدتهم على غير هذا فليسوا بمؤمنين؛ لأنَّ شرطَ الإيمانِ باللَّه محبَّة اللَّهِ، وتحقيقُ محبَّة اللَّه بمعاداة أعدائه، ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي المحادون ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان كما وقع لجماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾: أي: أثبتَه فرسخَ فيها حتَّى استبصروا فيه، فهجروا له الأوطان، ونابذوا العشائر والخلان، ﴿وَأَيَّدَهُمْ﴾؛ أي: قوَّاهم ﴿بِرُوحٍ مِنْهُ﴾؛ أي: بكتابٍ أنزلَه فيه حياةٌ لهم، وقيل: أي: ببرهانٍ منه ونورٍ وهدًى، وقيل: أي: نصرهم جبريلُ على كثيرٍ ممَّن حاربهم، ﴿وَيُدْخِلُهُمْ﴾: أي: في الآخرة ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾؛ أي: رضي عنهم بقَبول أعمالهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾؛ أي: بما أعطاهم من الثَّواب على أعمالهم، ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾: المتحزِّبون

---

(١) التيسير في التفسير (١٤/ ٣٤٤)، ومعالم التنزيل (٨/ ٦٣)، والبسيط (٢١/ ٢٥٨)، وتفسير الجلالين (١/ ٧٢٩).

لنصر دينِه، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بكلِّ محبوبٍ، الآمنون من كلِّ مرهوب(١).

(انتهى تفسير سورة المجادلة).

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٢٦٥)، والكشف والبيان (٩/ ٢٦٤).

(٥٩) سورة الحشر مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مدنيَّة، اشتهرت تسمية هذه السورة «سورة الحشر»، ووجه تسميتها «الحشر» فلوقوع لفظ الحشر فيها. ولكونها فيها حشر بني النضير من ديارهم، وتسمى أيضًا سورة « بني النضير» ووجه تسميتها «سورة بني النضير» فلأن قصة بني النضير ذكرت فيها، وهي الثامنة والتسعون في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة البينة وقبل سورة النصر، وهي أربع وعشرون آية، وأربعُ مئة وخمس وأربعون كلمة، وألفٌ وتسعُ مئة وخمسة عشر حرفًا.

أغراض هذه السورة:

وقع الاتفاق على أنها نزلت في شأن بني النضير ولم يعينوا ما هو الغرض الذي نزلت فيه. ويظهر أن المقصد منها حكم أموال بني النضير بعد الانتصار عليهم، كما سنبينه في تفسير الآية الأولى منها. وقد اشتملت على أن ما في السماوات وما في الأرض دال على تنزيه الله، وكون ما في السماوات والأرض ملكه، وأنه الغالب المدبر. وعلى ذكر نعمة الله على ما يسر من إجلاء بني النضير مع ما كانوا عليه من المنعة والحصون والعدة. وتلك آية من آيات تأييد رسول الله ﷺ وغلبته على أعدائه. وذكر ما أجراه المسلمون من إتلاف أموال بني النضير وأحكام ذلك في أموالهم وتعيين مستحقيه من المسلمين. وتعظيم شأن المهاجرين والأنصار والذين يجيئون بعدهم من المؤمنين. وكشف دخائل المنافقين ومواعيدهم لبني النضير أن

ينصروهم وكيف كذبوا وعدهم، وأنحى على بني النضير والمنافقين بالجبن وتفرق الكلمة وتنظير حال تغرير المنافقين لليهود بتغرير الشيطان للذين يكفرون بالله، وتنصله من ذلك يوم القيامة فكان عاقبة الجميع الخلود في النار. ثم خطاب المؤمنين بالأمر بالتقوى والحذر من أحوال أصحاب النار والتذكير بتفاوت حال الفريقين. وبيان عظمة القرآن وجلالته واقتضائه خشوع أهله.

وتخلل ذلك إيماء إلى حكمة شرائع انتقال الأموال بين المسلمين بالوجوه التي نظمها الإسلام بحيث لا تشق على أصحاب الأموال. والآمر باتباع ما يشرعه الله على لسان رسول الله ﷺ. وختمت بصفات عظيمة من الصفات الإلهية تزكية لحال المؤمنين وتعريضًا بالكافرين(١). وانتظام آخر تلك السُّورة بأول هذه السُّورة: أنَّ آخر تلك السُّورة في ذكر حزب اللَّه، وأوَّلَ هذه في تسبيح كلِّ الخلق للَّه، وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك أوَّلها في تخفيف الأحكام على المؤمنين، وأوَّل هذه في التَّشديد في الدُّنيا والآخرة على الكافرين، وبقيَّة تلك في ذكر المخلصين والمنافقين، وبقيَّة هذه في ذكر تقسيم المخلصين وذكر أحوال المنافقين، وختمُ تلك في مدح أولياء اللَّه تعالى، وختمُ هذه في بيان أسماء اللَّه تعالى.

(١ - ٢) - ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: مر تفسيره في سورة الحديد، ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾: هذا بيانُ قصَّة بني النَّضير وإجلائهم، ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾: ما كنتم تظنُّون أيُّها المسلمون ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾؛ أي: أن يضطرَّ هؤلاء إلى

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ٦٣).

الخروج؛ لمَنَعَتهم وعِدَّتهم وكثرةِ حلفائهم وأعوانهم، ﴿وَظَنُّوا﴾: أي: هؤلاء اليهود ﴿أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: تمنعهم وتدفع عنهم حصونهم من رسول اللَّه ﷺ وأولياءِ اللَّه، ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾: أي: أتاهم عذاب اللَّه، أو أتاهم اللَّه بعذابه من حيث لم يتوهَّموا، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: أي: الخوفَ من النَّبيِّ ﷺ أن يأخذَهم، فيقتلَهم ويسبيَ ذراريهم ويَغنم أموالهم، ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾: التَّخريب: الهدم، والإخراب: تركه لا ساكن فيه والانتقالُ عنه، ومعنى الآية عند بعضهم: أنَّ اليهود كانوا ينقضون ما أعجبهم من أبنية دورِهم، وخشبِها من الأبواب والعُمُد ونحوها ليحملوه معهم، فكان هذا تخريبًا منهم بأيديهم، وكان المؤمنون يخربون الأوَّل فالأوَّل، ليتمكَّنوا من مواضع الحرب، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾: أي: تأمَّلوا يا أولي البصائر ما نزلَ بهؤلاء، والسَّببَ الذي استحقُّوا به ذلك، فاحذروا أن تفعلوا مثلَ فعلهم فتُعاقبوا بمثل عقوبتهم[(١)].

(٣ - ٤) - ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾: ولولا أنْ قضى اللَّه وكتبَ في أمِّ الكتاب وأخبر أنَّه سيُجليهم عن ديارهم لِمَا علمَ أنَّ منهم مَن يؤمنُ أو يلدُ مؤمنًا ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بأن يأمرَكم بقتلهم وأسرهم واسترقاقهم، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ الذي هو لا أشدَّ منه، فليس تأخير العذاب عنهم للعجز، لكنَّ العذاب مُعَدٌّ لهم في الآخرة بأشدِّ ما يكون، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: هذه العذابُ بأنَّهم خالفوا اللَّهَ وعادَوه، ورسولَه أيضًا، ﴿وَمَنْ

(١) الكشف والبيان (٩/ ٢٦٨)، ومعاني القراء للفراء (٣/ ١٤٣).

﴿يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: هي سُنَّته في جميع الكفرة[١].

(٥-٦) - ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ أي: نخلةٍ، ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾: لم تقطعوها، ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: فذلك بإطلاق اللَّه تعالى، لم يمنعْكُم عنه ولم يحرِّمْه عليكم، ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾: أي: ولإخزاء اليهود -أي: إذلالهم وغيظهم- أذِن بذلك، ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾: أي: ما غنمْتُم. والفيءُ: الغنيمةُ تفيء إلى المسلمين؛ أي: ترجع، ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من هؤلاء اليهود، ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: أسرعتم يا مسلمون ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ أي: إبل، والمعنى: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ أشار إلى أنَّ اللَّهَ تعالى يسلِّط رسلَه عليهم، بأن ألقى رعبَه في قلوبِهم، فهابُوه وأذعنوا للجلاء وتركِ الأموال، فجرى سلطان الرَّسول عليهم بتسليط اللَّه تعالى، وذلك سُنَّته في رسله الماضين، كان يسلِّطهم على مَن يشاء، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من هذا وغيره[٢]. ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: قيل: هي فَدَك وبنو النَّضير وبنو قريظةَ وخيبر، ﴿فَلِلَّهِ﴾: أي: فهي للَّهِ، يأمركم فيها بما أحبَّ، ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾؛ يعني: قرابةَ رسول اللَّه ﷺ ﴿وَالْيَتَامَى﴾: أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾: ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ٥٠١ - ٥٠٢)، والنكت والعيون (٥/ ٥٠٠)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٣٥٣).

(٢) تفسير الجلالين(١/ ٧٣٠)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٣٥٦).

الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس وله الباقي، ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾: أي: متداولًا؛ أي: تولَّى اللَّهُ قسمةَ ذلك لئلَّا يختصَّ بأخذه الأغنياء يتداولونه بينهم دون الفقراء ومصارف الخمس، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾: أي: وما أعطاكم من الغنيمة فاقبلوه ﴿وَمَا نَهَاكُمْ﴾؛ أي: عن أخذه، ﴿فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمن عصاه، ولا اتَّقاه[1].

(٨) - ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾: تقديره: كي لا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم ويكونَ للفقراء المهاجرين، وقيل: هو ترجمة عن قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، وقوله تعالى: ﴿أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ دليلٌ في أنَّ الكفَّار يملكون أموال المسلمين بالاستيلاء عليها، فإنَّ اللَّه تعالى سمَّى المهاجرين فقراء -مع أنَّه كانت لهم ديارٌ وأموالٌ- بعدما أُخرجوا من ديارهم وأموالهم واستولَى عليها الكفَّار، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: يطلبون بهجرتهم فضلًا من اللَّه وثوابَ الآخرة ﴿وَرِضْوَانًا﴾: رضًا عنهم، فلا يؤاخذُهم بالتَّقصير، وقيل: ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾: غنيمة في الدُّنيا ﴿وَرِضْوَانًا﴾: في العُقبى، ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: ينصرون دين اللَّه، ويُعِينون رسول اللَّه، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: المحقِّقون أقوالَهم بأفعالهم.

(٩) - ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾: أي: اتَّخذوا المدينة مسكنًا، نزلها الأنصار

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ٥٢٢)، والبسيط (٢١/ ٣٧٨).

قبل المهاجرين، ﴿وَالْإِيمَانَ﴾؛ أي: وتبوَّؤوا الإيمان بالمدينة، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: آمنوا قبل هجرة النَّبيّ ﷺ وأصحابه إليهم، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾: من أهل مكَّة وغيرهم، ومن محبَّتهم إيَّاهم أن نزلوا لهم عن نسائهم، وشاطروهم في أموالهم ومساكنهم، ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾: ولا يجدُ الأنصارُ في قلوبهم حسدًا ممَّا أوتيَ المهاجرون من الفيء، والحاجة: الشرك، والحسدُ في القلب يعمل عملَها في الجسد، وقيل: أي: احتياجًا إليه حتى يحملَهم ذلك على الضِّنِّ به، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: يختارون على أنفسهم المهاجرين ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾؛ أي: فقر وحاجة، ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: أي: ومَن وقاه اللَّهُ بخلَ نفسِه، فلم يَضَنَّ بعرَضِ الدُّنيا وبذَلَهُ لأولياءِ اللَّه تعالى ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون.

(١٠) - ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: هم التَّابعون بإحسان، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾: أي: الصَّحابةِ ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ لسَبْق زمانهم، ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾: أي: حقدًا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: الصَّحابةِ، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[(١)].

(١١) - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم بنو النضير وإخوانهم في الكفر ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ أي: من المدينة لنخرجنَّ معكم، ولا نفترق في سفر ولا حضر، ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾: أي: في خذلانكم ﴿أَحَدًا﴾ سألَنا ذلك ﴿أَبَدًا﴾، وقوله: ﴿وَإِنْ

(١) الدر المنثور (٨/ ١٠٦)، والكشف والبيان" (٩/ ٢٧٩)، زاد المسير (٨/ ٢١٥).

﴿قُوتِلْتُمْ﴾: أي: وإنْ رأيْتُم الصَّواب لأنفسكم في قتال محمَّدٍ وأصحابه **﴿لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾**؛ أي: لنعيننَّكم على قتاله، **﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**: أي: في هذا الوعد.

(١٢) - **﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾**: بل يَثبتون في أوطانهم، ويُظهرون للمؤمنين أنهم معهم، **﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾**: بل يخذلونهم، **﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾**: أي: لينهزمُنَّ فلا يقومون للمؤمنين.

﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾: وهذا دلالة على صدقِ رسول اللَّه ﷺ في دعوى النُّبوَّة؛ فإنَّه أخبرَ عمَّا لم يكن بعدُ فخرجَ على ما أخبرَ، فعُلِمَ أنَّه باللَّه علِم ذلك، أُخرج بنو النضير فلم يخرجوا معهم، وقُوتل بنو قريظة فلم ينصروهم، **﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾** وهذا إخبارٌ عمَّا لم يكن

(١٣ - ١٤) - **﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾**: أي: إنَّكم يا معشرَ المخلِصين في قلوب المنافقين أهيَبُ مِن اللَّه تعالى، فكيف يثبتون لكم؟، وهذا تثبيتٌ من اللَّه تعالى للمؤمنين، وبشارةٌ من اللَّه تعالى بانهزامِ هؤلاء المنافقين لو قاتلوهم، **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾** لسوءِ تمييزهم، ولو ميَّزوا الأمور بعقولهم لعلموا أنَّ اللَّه تعالى أحقُّ بأنْ يُهاب، **﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾**: أي: هؤلاء المنافقون والكفَّار وإن كانوا مجتمعين **﴿إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ﴾** بالحيطان والأسوار والدُّروب والأبواب؛ لجبنهم، يقدِّرون أنَّها تمنعُهم منكم، كما توهَّم بنو النَّضير أنَّ حصونَهم مانعتُهم من اللَّه. **﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾**: أي: أو من خلفِ حيطان، جمع جدار، يستترون بها، يرمونكم بِنبلٍ أو حجارةٍ، **﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾**: قيل: أي: إذا لم يَلْقَوا العدوَّ وصفوا أنفسهم بالشِّدة؛ أي: بأسهُم عند أنفسِهم شديد،

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾: أي: مجتمعين على رأيٍ واحد ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾؛ أي: ضمائرهم مختلفة؛ لاختلافِ أهوائهم وأهواء المنافقين، فلا يبالِي المنافقون بهلاكِ الكفَّار، ولا الكفَّارُ بهلاك المنافقين، وقيل: قلوبَ المنافقين شتَّى لأنَّه ليس لهم دينٌ جامع، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي: لا يستعملون عقولَهم في التَّوحيد والنُّبوة، فيتَّفقون على دينٍ واحد(١).

(١٥ -١٦) - ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾: أي: مَثَلُ هؤلاء في خيبة ظنونهم وجلائهم عن أوطانهم كمثل الذين من قبلهم قريبًا منهم، وهم يهود بني قينقاع، ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي: قاسوا ضرر معصيتهم، وهم بنو النَّضير ذاقوا وبال بغيهم على النَّبيِّ ﷺ، والتَّكثُّر بجمعهم وأموالهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، وقيل: الآية في شأن بني قريظة، وتشبيهِ حالهم ببني النَّضير.

(١٦ -١٧) - ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾: معناه: اغترار هؤلاء بالمنافقين كاغترار الإنسان بالشَّيطان، ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾: قيل: هو للجنس، والمراد منه كلُّ كافر، ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾: وهو كقوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ أَيْ: الْغَاوِي وَالْمُغْوِي، وهي عامَّة للنَّاس، وقيل: هو إنسان بعينه(٢).

---

(١) النكت والعيون (٥/ ٥٠٨)، والبسيط (٢١/ ٣٨٨).

(٢) التيسير في التفسير (١٤/٣٧٠)، والنكت والعيون (٩/ ٥٩٧)، والكشف والبيان (٩/ ٢٨٤)، وجامع البيان (٢٢/ ٥٤٤).

(١٨) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: يا أيُّها الذين آمنوا باللَّه وجميع رسله ولم يفرِّقوا بينهم تفريقَ اليهود بين هؤلاء ونحوهم، ولم يكفروا كفرَ هؤلاء المنافقين، اتَّقوا اللَّه في أوامره فلا تخالفوها، وفي نواهيه فلا ترتكبوها، ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾: أي: ولينظرْ كلُّ واحد منكم ما قدَّم ليوم القيامة، سمَّاه غدًا لأنَّه مستقبلٌ ولأنَّه قريب، والعرب تقول: إن غدًا لناظره قريبٌ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: التَّكرير للتَّأكيد، وقيل: الأوَّل لما قلنا، والثَّاني: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: لا تنظروا ما قدمتم لغد، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من خيرٍ وشرٍّ.

(١٩ - ٢٠) - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾: ومنهم هؤلاء اليهود والمنافقون، تركوا توحيد اللَّه وطاعته، ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾: أي: خذلهم وأذهلهم عن صلاح أنفسهم، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: أي: الخارجون عن طاعة اللَّه، ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ﴾: وهم هؤلاء، ﴿وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: وهم المخلصون. ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾: النَّاجون النَّائلون كل خير.

(٢١) - ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: قيل: أي: لو خوطب بهذا القرآن الجبالُ -وهي ممَّن يحتمل الخطاب- لانقادَتْ لمواعظِه، وأشفقَتْ من الوعيد المذكور فيه، فهؤلاء الكفار أسوأ حالًا من الجماد الذي لا يعقل، وأقسى قلوبًا من الصَّخر، وقيل: أي: لو وضع اللَّه في الجبال الفهم، وأنزل عليها هذا القرآن، لخشع وتصدَّع من هيبة ذلك، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾: أي: نبيِّنها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: يتعظون ويعتبرون.

(٢٢ - ٢٣) - ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: ما

غابَ عن حسِّ العباد وما شاهدوه، ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: مر تفسيرهما في (التَّسمية)، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾: الذي لا يزول ملكُه، ﴿الْقُدُّوسُ﴾: الطَّاهر عن كلِّ عيب ونقص، ﴿السَّلَامُ﴾: المنزَّه عن كلِّ ذمٍّ، والمسلِّم لعباده، والمسلِّم على عباده، ﴿الْمُؤْمِنُ﴾: الشَّاهد بوحدانيته لنفسه، المصدِّق على عبده إيمانَه، المعطي الأمان لأوليائه، ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾: الشَّهيد الأمين، ﴿الْعَزِيزُ﴾: المنيعُ الغالبُ المعِزُّ الشَّديدُ البطش، الذي لا يوجَد مثله، ﴿الْجَبَّارُ﴾: القهَّار ذو الجبروت، الجابرُ كسورَ العباد، ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾: ذو الكبرياء الجليل العظيم المتعظِّم عن أن يظلمَ عباده، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزيهًا لله عمَّا يصفُه به المشركون.

(٢٤) - ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ﴾: المقدِّر، ﴿الْبَارِئُ﴾: الموجِد، ﴿الْمُصَوِّرُ﴾: الخالق للنَّفس من ترابٍ، البارئ من النُّطفة في أصلاب الآباء، المصوِّر في أرحام الأمَّهات، ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: الدَّالة على الصِّفات العُلى، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: مر تفسيره في (سورة الحديد)، وختم السُّورة بهذه الأسماء ليعتقدَ المؤمنون معانيها تحقيقًا لإيمانهم، وخلافًا لأعدائهم[١].

(انتهى تفسير سورة الحشر).

(١) الكشف والبيان (٩/ ٢٩٠)، والوسيط (٤/ ٢٨١)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٣٧٧).

(٦٠) سورة الممتحنة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هي سورة مدنيَّة، عرفت هذه السورة في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف ب «سورة الممتحنة»، ووجه التسمية أنها جاءت فيها آية امتحان إيمان النساء اللاتي يأتين من مكة مهاجرات إلى المدينة، وتسمى أيضًا: «سورة الامتحان»، «وسورة المودة»، وهذه السورة قد عدت الثانية والتسعين في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة المائدة وقبل سورة النساء، وهي ثلاث عشرة آية. وثلاثَ مئةٍ وثمانٍ وأربعون كلمة، وألفٌ وخمسُ مئة وثمانيةَ عشر حرفًا.

أغراض هذه السورة:

اشتملت من الأغراض على تحذير المؤمنين من اتخاذ المشركين أولياء مع أنهم كفروا بالدين الحق وأخرجوهم من بلادهم. وإعلامهم بأن اتخاذهم أولياء ضلال وأنهم لو تمكنوا من المؤمنين لأساءوا إليهم بالفعل والقول، وأن ما بينهم وبين المشركين من أواصر القرابة لا يعتد به تجاه العداوة في الدين، وضرب لهم مثلًا في ذلك قطيعة إبراهيم لأبيه وقومه. وأردف ذلك باستئناس المؤمنين برجاء أن تحصل مودة بينهم وبين الذين أمرهم الله بمعاداتهم أي هذه معاداة غير دائمة. وأردف بالرخصة في حسن معاملة الكفرة الذين لم يقاتلوا المسلمين قتال عداوة في دين ولا أخرجوهم من ديارهم. وحكم المؤمنات اللاء يأتين مهاجرات واختبار صدق إيمانهن وأن يحفظن من الرجوع إلى دار الشرك ويعوض أزواجهن المشركون ما

أعطوهن من المهور، ومبايعة المؤمنات المهاجرات ليعرف التزامهن لأحكام الشريعة الإسلامية. وتحريم تزوج المسلمين المشركات، والنهي عن موالاة اليهود وأنهم أشبهوا المشركين[1]. وانتظامُ ختمِ تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة؛ أنَّ ختم تلك السُّورة في مَدْحِ مَن مَدَحَ اللَّهَ تعالى ونزَّهه، وافتتاحَ هذه في ذمِّ مَن أساءَ القول في اللَّه بغير ما يليق به وصفه، وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك في عقوبات الكافرين، وذكرِ درجات المؤمنين، والتَّمييز بين المخلصين والمنافقين، وهذه في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين، وذكرِ المهاجرات إلى دار الإسلام والمسلمين.

(١) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: لا تتَّخذوا المشركين الذين هم أعدائي وأعداؤكم أولياء تنصرونهم وينصرونكم، ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾: أي: تلقون مودَّتكم إليهم، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾: أي: كيف تتولَّونهم وهم كفروا بما جاءكم من عند اللَّه من الدِّين الحقِّ وعادَوكم عليه. ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾: للمعاداة من أوطانكم، ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾: أي: من أجلِ أنكم آمنتم بربِّكم؛ أي: كيف ترجُون استصلاحهم وقد تأكَّدتْ بينكم العداوة وظهرَت آثارها؟، ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ أي: إن كنتم إنَّما خرجتم من أوطانكم، وهاجرتم إلى حيث أمرتُكم؛ لتجاهدوا أعدائي في سبيلي وإقامة ديني، ولتبتغوا مرضاتي بطاعتي فلا تفعلوا هذا؛ فإنَّه لا يليق بهذا، ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾: تخفون ذلك، ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾: أي: أعلم ما أخفيتُم، وقيل:

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٣٢)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٣٨٤).

أنا أعلم منكم بما أخفيتُم وبما أعلنتم؛ لأنَّكم قد تنسون بعضه، وقد تجهلونه، وأنا لا أنسى ولا أجهل، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ﴾: أي: اتِّخاذَهم أولياء ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾؛ أي: عدلَ عن وسطِ طريق الحقِّ.

(٢ - ٣) - ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ﴾: أي: يصادفوكم ويأخذوكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾؛ أي: يُظهروا العداوة التي يضمرونها، ولا يرعوا لكم ما تقربَّتم به إليهم من إلقاء المودَّة، ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾: أي: يمدُّوا أيديهم بالعقوبة، وألستهم بالشَّتيمة، ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾؛ أي: ويودُّوا، ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾: الذين هم أقرب أرحامكم، وأولى مَن اعتضدتم به ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وإنما ينفع يومئذ الإيمان والعمل الصالح، ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ والتَّفصيل: التَّفريق؛ أي: يفرِّق بين الأرحام ويميِّز، فيصير المؤمنون إلى الجنَّة، والكفَّار إلى النَّار، والفصل كذلك، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: من الخير والشَّرِّ، وهذا وعدٌ ووعيدٌ(١).

(٤) - ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: بضمِّ الألف، وبكسرها، وهما لغتان، ومعناهما واحد، وهو القدوة، ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: يقول: إنَّ إبراهيم كان أباكم، وبه نلتُم الشَّرف والفخر على مَن سواكم، ولكم اقتداء حسنٌ به وبالذين على دينه، ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: الأصنام، ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أي: أنكرنا أن تكونوا على حقٍّ، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾: أي: ظهر، والعداوةُ ظاهرةٌ، والبغضاءُ

---

(١) لطائف الإشارات (٣/ ٥٧٠ - ٥٧١)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٣٨٤).

باطنة؛ فإنَّ العداوة ما يتَّصل بالتَّعدي، والبغضاء ما يتمكَّن في القلب، ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾: أي: هذه العداوة قائمة بيننا إلى أن تؤمنوا، ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾: قيل: لم يكن بينهم وبين قومهم الكفَّارِ مودَّةً إلَّا ما قال إبراهيم لأبيه آزر: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾؛ أي: لأسألنَّ اللَّه تعالى أن يغفر لك ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾؛ أي: وليس مغفرتُك بيدي، ثم بيَّن أنَّه لم يكن ذلك الاستغفارُ لأبيه عن موالاة الكافر، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾: هذا قول إبراهيم ومَن معه، أي: اعتمدنا، ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾: أي: رجعنا بالاعتراف عن ذنوبنا، ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: أي: المرجع في الآخرة[١].

(٥ - ٦) - ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: لا تُظْهِرْ عدوَّنا علينا فيُفتَتَن بنا الكفَّار، فيرَوا أنَّهم على حقٍّ، ونحن على باطل، وقيل: أي: لا تسلِّط علينا عدوَّنا، فيفتنونا عن ديننا، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: هذا ظاهر، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: التَّكرير للتَّأكيد والتَّقرير؛ لأنَّ الأوَّل في التَّبرُّؤ عن الكفَّار، والثَّانيَ في التَّقرب بهذه الدَّعوات، ثم قوله: ﴿لَكُمْ﴾ مع قوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ لا يتنافيان؛ لوجهين: أحدهما: أنَّ معناه: لكم أسوةٌ، وهذه الأسوة حسنةٌ لمن كان منكم يرجو اللَّه، والثَّاني: أنَّ تقديرَه: لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان منكم يرجو اللَّه واليوم الآخر؛ أي: يرجو اللَّه أن يثيبَه به، فيدخلَه الجنَّة يوم القيامة، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن الاقتداء بهم، ووالى الكفَّار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾؛ أي: غنيٌّ عنه وعن نصرته وعن معونته، بل

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ٥٦٦)، والنكت والعيون (٥/ ٥١٨) والوسيط (٤/ ٢٨٤).

هو وليُّ دينه وناصر حزبه، ﴿الْحَمِيدُ﴾: هو المستحقُّ للحمد.

(٧) - ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكَّة من قراباتكم ﴿مَوَدَّةً﴾ بأن يوفِّقهم للإيمان، ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي: فإنَّ اللَّه على ذلك وعلى كلِّ شيء قدير، وهو رحيم بعباده، غفور لِمَا سلَفَ من كفرهم إذا أسلموا.

(٨) - ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: وهم الكفار ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾: بالقول، وحسن المعاشرة، والصِّلة بالمال ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: تعدلوا؛ لأنَّهم إذا لم يُخرجوكم من دياركم ولم يؤذوكم فهذا برٌّ منهم، فالعدل معهم أن تبرُّوهم أنتم أيضًا، وقيل: ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ مِن القسط، وهو الحظُّ؛ أي: تجعلوا لهم حظًّا من أموالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: أي: العادلين[1].

(٩) - ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾: أي: عن موالاتهم، ﴿وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾: أي: عاوَنوا، ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: أي: الواضعون التَّولِّيَ في غير موضعِه.

(١٠) - وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ الآية: وهي قطع موالاة الكفَّار أيضًا، يقول: إذا جاءكم النِّساء من دار الكفر مظهِراتٍ للإيمان والهجرة، ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾: أي: فاختبروهنَّ

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٣٠٢)، والبسيط (٢١/ ٤١٢ - ٤١٣)، وجامع البيان (٢٢/ ٥٧٢).

وفتشوهنَّ بالكشف عمَّا دعاهنَّ إلى ترك ديارهنَّ وإتيانكم، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾: أي: بحقيقة اعتقادهن، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾: أي: فإن انكشف لكم بالامتحان أنهنَّ مؤمناتٌ كما ظهر منهنَّ ذلك بإظهارهنَّ، ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: أي: فلا تردوهنَّ إلى الكفَّار، ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾: نفي الحلِّ من الجانبين إذا أسلمَتِ المرأة والزَّوجُ كافر، ﴿وَآتُوهُمْ﴾: أي: أعطُوا الكفَّار الذين هم أزواجهنَّ ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾؛ أي: ما أعطَوهنَّ من المهور، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾: أي: لا إثم عليكم أن تتزوجوا بهن، ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: أي: التزمْتُم مهورهنَّ، ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾: معناه: ولا تتعلَّقوا بعقد الكوافر؛ أي: لا تتزوَّجوهنَّ إذا كنَّ حربيَّات، ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾: أي: إذا ارتدَّتْ امرأة أحدكم، ولحقَتْ بدار الحرب، فاسألوا مهرها ممَّن تزوَّجها، ﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾: أي: وليسأل كلُّ حربيٍّ أسلمَتْ امرأتُه وهاجرَتْ إلينا مهرَها ممَّنْ تزوَّجها منا، ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: فكان هذا الحكمُ حالَ قيام العهد، ثم نُسِخَ ذلك بآية القتال، فلم يبقَ سؤال المهر لا منَّا ولا منهم، وهذه الآية فيمَن خرجَتْ إلينا من نسائهم، فأمَّا مَن ارتدت من نسائنا -والعياذ بالله- وذهبَتْ إليهم فحكمُها في الآية التي تليها.

(١١) - ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: أي: أحدٌ من زوجاتكم بالردَّة واللُّحوق بهم، ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي: فأصبْتُم غنيمةً، وقيل: أي: فخلَفْتُم مِن بعدِهم فغنِمتُم؛ أي: صار إليكم مالهم، وهو من العَقِب، ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾: أي: فأعطوا المسلمين الذين ارتدَّتْ زوجاتهم

ولحقْنَ بدار الحرب مهورَ زوجاتهم مِن هذه الغنيمة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ثم نسخ هذا الحكم بآية القتال أيضًا(١).

(١٢) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ كما كان يفعل في الجاهلية من وأد البنات أي دفنهن أحياء خوف العار والفقر، ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: لا يستلحقْنَ ولدًا من غير أزواجهنَّ، فيُلحقْنَه بأزواجهنَّ، ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾: أي: ولا يخالفْنَكَ في طاعةٍ تأمر بها. وهي عامَّة في كلِّ الطَّاعات، ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: كما تبايعُ الرِّجالَ وتستغفر لهم.

(١٣) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: ختمَ السُّورة بما بدأ بها، وهم المشركون، ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾؛ أي: من كونها، والثَّوابِ والعقاب فيها، فلذلك لا يؤمنون بها، ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾: أي: هم ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أن يرجعوا إليهم، وقيل: أي: كما يئس أسلافهم الكفَّار الذين هم في القبور من الآخرة أيضًا؛ أي: هؤلاء في الكفر كسلفهم.

(انتهى تفسير سورة الممتحنة).

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥١)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٩٨)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٥٧)، وغريب القرآن (١/ ٤٦٢).

(٦٠) سورة الصف مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مدنيَّة عند عامَّة المفسِّرين، اشتهرت هذه السورة باسم «سورة الصف» وكذلك سميت في عصر الصحابة، وكذلك كتب اسمها في المصاحف وفي كتب التفسير، ووجه التسمية وقوع لفظ "صفًا" فيها وهو صف القتال، وتسمى أيضًا «سورة الحواريين»، وهي السورة الثامنة والمائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة التغابن وقبل سورة الفتح، وهي أربعَ عشرة آيةً، ومئتان وإحدى وعشرون كلمة، وتسعُ مئة وواحدٌ وخمسون حرفًا.

أغراضها:

أول أغراضها التحذير من إخلاف الوعد والالتزام بواجبات الدين. والتحريض على الجهاد في سبيل الله والثبات فيه، وصدق الإيمان. والثبات في نصرة الدين. والائتساء بالصادقين مثل الحواريين. والتحذير من أذى الرسول ﷺ تعريضًا باليهود مثل كعب بن الأشرف. وضرب المثل لذلك بفعل اليهود مع موسى وعيسى عليهما السلام. والتعريض بالمنافقين. والوعد على إخلاص الإيمان والجهاد بحسن مثوبة الآخرة والنصر والفتح(١)، وانتظام آخر تلك السُّورة بأولى هذه السُّورة: أنَّ آخر تلك في ذكر الكفَّار الذين عليهم غضبُ اللَّه، وأوَّل هذه السُّورة في ذكر المسبِّحين الذين لهم رضا اللَّه تعالى، وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك في

(١) التحرير والتنوير(٢٨/١٧٣)، والتيسير في التفسير (٤٠١/١٤).

قطع موالاة أعداء اللَّه، وهذه في الجهاد الذي هو تحقيق معاداة أعداء اللَّه.

(١ - ٤) - ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: هذا التَّسبيح شهادةٌ للَّه تعالى بالرُّبوبيَّة والوحدانيَّة والقدرة والملك، والغنى عن معونة الخليقة؛ بما فيهم من دلائل الصَّنعة، وأعلام الذِّلة، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يمتنع عليه ما يريد، ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي لحكمته تعبَّد خلقَه بالجهاد في إقامة دينه؛ ليعوِّضهم بذلك النَّفعَ الذي لا يعدِلُه نفع، ويعطيَهم النَّعيم الذي لا يبلغُه نعيم، ولو شاء لهداهم أجمعين، ولو شاء لأهلكهم بما شاء من غير مُعين، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: روي أنهم تذاكروا أيُّ الأعمال أحبُّ إلى اللَّه تعالى، فأنزل اللَّه تعالى آيةَ الجهاد، فتباطأ بعضُهم، فنزلت الآية: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: أي: بُغضًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾: أي: مصطفِّين على نسقٍ واحد، ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾: أي: ملزَقٌ بعضُه ببعضٍ، لا فُرْجةَ فيه، وهذا التَّمثيل يقع على حسن المقام، وهذا أهيبُ وأبعدُ من طمع العدوِّ من هزيمتهم، وهذا أيضًا أشبهُ بصفوف الصَّلاة التي خُصَّتْ بها هذه الأمَّة، ويكون التَّمثيل أيضًا بالبنيان على جهة الثَّبات للقتال كالبناء المرصوص.

(٥) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ أَتبعَ الأمرَ بالجهادِ قصَّة موسى وعيسى عليهما السلام، واختلافَ قومهما عليهما فيما أمراهم به من نصر دين اللَّه، وما كان من النَّصر والظَّفر لمن وافقهما على ذلك، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ يحتملُ ما قال: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب:

٦٩]، ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾: أي: لِمَ تؤذونني مع معرفتكم أنِّي رسول اللَّه إليكم؟، أخبر أنَّ الذَّنب في إيذائه مع معرفتهم بنبوَّته أعظمُ؛ فإنَّ العلم بتحريم الشَّيء هو أحدُ الزَّواجر عنه، فكلَّما كانت الزَّواجر أكثر كان الإثم في ارتكابه أكبر، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾: أي: مالوا إلى الباطل ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾؛ أي: خذلهم وحرمَهم توفيق اتِّباع الحقِّ، دلَّ ذلك على أنَّ اللَّه تعالى خالقُ أفعالِ العباد، حسَنِها وقبيحِها، ظاهرِها وباطنِها، وأنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن علم منه اختيارَ الضَّلال، ويهدي مَن علم منه اختيار الاهتداء، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: ما داموا مختارين للفسق، ثابتين عليه(١).

(٦) - ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾: أي: أنا موافِق لِما نزل قبلي من التَّوراة، وفيها صفتي، ولم أتكلَّم بشيء يكذِّب التَّوراة فتنفروا عنِّي، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾: لتؤمنوا به، فتستكمِلوا الثَّواب بإيمانكم بمن كان قبلي وبي وبمن يكون بعدي، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: بالمعجزات، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾؛ أي ظاهر، وليس من اللَّه، وقيل: أي ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾؛ أي: جاء بقيَّةَ بني إسرائيل محمَّدٌ ﷺ بالقرآن وسائر المعجزات ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ مع تقدُّم الدَّلائل والبشارات به.

(٧ - ٨) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: فجعل آياته

---

(١) زاد المسير (٨/ ٢٤٧)، والنكت والعيون (٥/ ٥٢٦)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٤٠١)، وجامع البيان (٢٢/ ٦٠٤).

البيِّنات سحرًا، ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾: أي: يُدْعى على لسان رسول اللَّه ﷺ إلى دين اللَّه تعالى، لا يدعو إلى شيء يردُّه العقل، وهو الدِّين الذي لا يَقبلُ اللَّه دينًا غيره، فمَن دُعِيَ إلى ما لا يَقبلُ اللَّه دينًا غيره، وقد أتاه داعيهِ بالبيِّنات، فردَّه وجعلَ ما أتى به سحرًا، فلا أظلم منه، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: ما داموا مختارين لذلك، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾: أي: يريد هؤلاء الفاسقون الظَّالمون أن يُذْهِبوا نورَ اللَّهِ الذي أرسلَه على محمَّدٍ ﷺ، وهو ما هدى به عبادَه من دينه وكتابه، ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: بقولهم بأفواههم: إنَّه سحرٌ، لا يزيدون على ذلك، ولا يجدون عليه حُجَّة، وهذا شيء لا أوهى منه، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾: أي: قد أتمَّ نورَه للحال، ويُديمه في الاستقبال، حتى يعمَّ الآفاق، ويظهرَ في البلاد، ويهتدي به العباد، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: اليهود والنَّصارى وسائر الكفَّار.

(٩-١١) - ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾: أي: بالرَّشاد ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الذي لا يشوبُه باطلٌ من شرٍّ، أو تفريقٌ بين الرُّسل، أو تشبيهٌ ونحوه، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: أي: ليُعلِيَه على الأديان كلِّها بالحُجج وبالغَلَبة، وعند نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بألَّا يبقَى دينٌ غيرُه، وقيل: ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾؛ أي: ليُطْلِعَ محمَّدًا ﷺ على علم الدِّين كله، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: هو استفهامٌ على معنى الحثِّ والعرض، كقولك: هل أنت ساكت؟ و: هل أنت آكلٌ معي؟ ولمَّا نزلت هذه الآية لم ينزل معها ما بعدَها، وكانوا في شوقٍ إلى معرفتِه ليعملوا به، فبقُوا على ذلك ستَّة عشر شهرًا، ثم نزل: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية: وهو تفسيرُ تلك التِّجارة،

وهذا الحثُّ بمعنى الأمر، بدليل أنَّه قال في جوابه: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالجزم، وتقديرُه: آمنوا به وبرسوله؛ أي: داوموا عليه، ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾: أي: جاهدوا، ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: أي: أنفعُ لكم دينًا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ التِّجارةَ وما فيها من الرِّبح والزِّيادة؛ لأنَّه بذلُ الأنفس والأموال على عوضِ الجنَّة كالمعاوضات[١].

(١٢ - ١٣) - ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: هو جوابُ: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ و﴿وَتُجَاهِدُونَ﴾ لأنَّهما في معنى: آمنوا وجاهدوا.

والمعنى: أي إن تفعلوه يغفر ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾: أي: ولكم خصلةٌ أخرى على جهادكم في الدُّنيا قبل المصير إلى الجنَّة، تحبُّون تلك الخصلة: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ﴾: وهي نصرةٌ على الأعداء ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ لبلادهم، وقيل: ﴿وَأُخْرَى﴾؛ أي: وتجارةٌ أخرى، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذا الوعد.

(١٤) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ أي: انصروا دين اللَّه ورسوله، ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾: أي: لأصفياءِ أصحابه، ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾: قيل: أي: مع اللَّه؛ أي: مع نصرته، ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾: أي: أنصار نبيِّه ودينه، ﴿فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ وقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: قوَّيناهم

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٥/ ١٦٦)، التيسير في التفسير (١٤/ ٤١٢).

﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾؛ أي: أعدائهم، ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾: أي: عالين غالبين، فكذلك أنتم يا أصحاب محمَّدٍ ﷺ يكون لكم الظُّهور على مَن خالفَكم(١).

(انتهى تفسير سورة الصف).

(١) الكشف والبيان (٩/ ٣٠٥)، والوسيط (٤/ ٢٩٤).

(٦٢) سورة الجمعة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مدنيَّة، سميت هذه السورة عند الصحابة وفي كتب السنة والتفاسير «سورة الجمعة» ولا يعرف لها اسم غير ذلك.

ووجه تسميتها وقوع لفظ الجمعة فيها وهو اسم لليوم السابع من أيام الأسبوع في الإسلام، وقد عدت هذه السورة السادسة بعد المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة التحريم وقبل سورة التغابن، وهي إحدى عشرةَ آية، ومئةٌ وخمسٌ وسبعون كلمةً، وسبعُ مئة وستَّة وخمسون حرفًا.

أغراضها:

أول أغراضها ما نزلت لأجله وهو التحذير من التخلف عن صلاة الجمعة، والأمر بترك ما يشغل عنها في وقت أدائها. وقدم لذلك: التنويه بجلال الله تعالى. والتنويه بالرسول ﷺ. وأنه رسول إلى العرب ومن سيلحق بهم. وأن رسالته لهم فضل من الله. وفي هذا توطئة لذم اليهود لأنهم حسدوا المسلمين على تشريفهم بهذا الدين. ومن جملة ما حسدوهم عليه ونقموه أن جعل يوم الجمعة اليوم الفاضل في الأسبوع بعد أن كان يوم السبت وهو المعروف في تلك البلاد. وإبطال زعمهم أنهم أولياء الله. وتوبيخ قوم انصرفوا عنها لمجيء عير تجارة من الشام[١]، وانتظامُ ختم تلك السُّورة بأوَّل هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك السُّورة بذكر مَن آمن بعيسى ومَن

---

(١) التحرير والتنوير(٢٨/٢٠٦).

كفرَ به، وأوّلَ هذه السُّورة بذكر مَن آمنَ بمحمَّد ﷺ ومَن كفرَ به، وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك السُّورة في إيذاءِ أهلِ الكتاب موسى وعيسى عليهما السلام بما قالوا، وهذه السُّورة في إيذائهم محمَّدًا ﷺ والمؤمنين بما قالوا.

(١ - ٢) - ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: ذُكِرَ أنَّ أهلَ الكتاب قالوا للعرب: نحن أهل الكتاب وأنتم أُمِّيُّون لا كتاب لكم، ونحن أبناءُ اللَّه وأحبَّاؤه وأنتم رعاة البَهْم، ولنا السَّبتُ ولا سبتَ لكم، فنزَّه اللَّه تعالى نفسَه عمَّا قالوا فيه، وذبَّ عن المؤمنين ما قالوا فيهم، فقال في الأوَّل: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ الآية، وهو تنزيهُ الخلائق كلِّها تنزيهَ الفطرة، ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ﴾: أي: في العرب الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾: وهو محمَّد ﷺ، أميًّا لا يكتبُ ولا يقرأ من كتاب؛ دلالةً له أنَّه من اللَّه تعالى يُخبِرُ، لا عن كتابٍ يأخذ، ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾: أي: على الأمِّيِّين ﴿آيَاتِهِ﴾؛ أي: آياتِ اللَّهِ التي أُنزِلَتْ عليه، وهي القرآن، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: أي: يطهِّرهم من دنس الكفر. ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: أي: القرآن، فيصير لهم كتاب يَعرفون فيه أقاصيص الأولين، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: أي: ويعلِّمهم مع ذلك ما شرعَه له ممَّا لم يذكرْه في كتابه، ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي: وقد كانوا من قبل في ضلال مبين، وقيل: وما كانوا من قبل إلَّا في ضلال مبين.

(٣) - ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾: أي: من العرب ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾؛ أي: لم يلحقوا، و(ما) زائدة مؤكِّدة؛ أي: لم يسلموا بعدُ، وسيسلمون، وقيل: لم يبلَّغوا، وسيُبلَّغون ويخاطبون فيسلِمون، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: فلا يُعترض، عليه فيما يفعل

﴿الْحَكِيمُ﴾: المصيبُ فيما يفعل.

(٤ - ٥) - ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: تعليم الكتاب والحكمة والاختصاص بالنُّبوَّة، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: أنَّ اللَّه لا يلزمه لعباده شيء، وهو متفضِّل فيما يعطي، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾: أي: اليهودِ الذين أُلزموا أحكام التَّوراة والتَّصديق بما فيها، ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾: أي: لم يلتزموها وكذَّبوا بها بتكذيب محمَّد ﷺ، ففيها البشارة به والإخبار عنه، ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾: أي: كتبًا، جمع سِفْرٍ، فالحمارُ يحمل على ظهره كتبًا فيها العلوم، ولا علم له بما يحمل ولا نفع، فكذا هؤلاء إذ لم ينتفعوا بالتَّوراة فعلمُهم بها وعدمُه سواء، ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بتكذيبِ محمَّدٍ ﷺ؛ أي: بئس القومُ قومٌ هذا مثلُهم، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: ما داموا على اختيارِ ظلمِهم.

(٦ - ٧) - ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: يقول: يا أيُّها اليهود، إن قلتُم ظانِّين: إنَّكم أولياء اللَّه من دون الأميِّين وغيرهم ممَّن ليس من بني إسرائيل، فإنَّ لأولياء اللَّه عند اللَّه كرامةً ومنزلة، ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ لتصيروا إلى الآخرة، فتنالوا ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم أنَّكم أولياء اللَّه، ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أي: ولا يتمنَّونَ الموتَ قطُّ بما عملوا من السَّيِّئات وقدَّموها، واستحقُّوا بها مَقْتَ اللَّه دون ولايته، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: أي: ما قدَّموه من الظُّلم والمعاصي، وفيه دلالةُ صحَّة نبوَّة محمَّد ﷺ؛ حيث أخبر، فكان كما أخبر، وهو

باطنٌ، فدلَّ أنَّه باللَّه عَلِم ذلك (١).

(٨) - ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾: أي: لا ينفعكم الفرار عنه، بل هو آتيكم فيلقاكم وتلقونه، والملاقاة من الجانبين، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾؛ أي: إلى جزاء اللَّه الذي يعلم السِّرَّ والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يخبركم به ويجازيكم عليه.

(٩) - وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: وهذا ردُّ طعنِهم الثَّالث: لنا السَّبت ولا سبتَ لكم، فجعل اللَّه لنا يوم الجمعة، وهو أفضل الأيَّام، وسيِّد الأيام، وفرض فيه صلاة الجمعة، وأمرنا بالسَّعي إليها، فقال: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاةِ﴾؛ أي: أُذِّن للصَّلاة ﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ هي صلاة الجمعة، ﴿فَاسْعَوْا﴾: أي: امضُوا، ولم يُرِدْ به الإسراع، وقيل: أراد به السَّعي بالقلب، وهو الإسراع إليها تبكيرًا، ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ هو الخُطبة، ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾؛ أي: دعوا البيع والشِّراء؛ لأنه إذا أمركَ بترك البيع فقد أمرك بترك الشِّراء؛ لأنَّ البيع يقع عليهما، فهو خير لكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: بمنافع الأمور ومضارِّها (٢).

(١٠) - ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾: أي: فُرِغ منها ﴿فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ﴾؛ أي: فتفرَّقوا في أرض اللَّه ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾؛ أي: طالبين المعاشَ الذي به قِوامُكم، وفضل اللَّه: رزقُ اللَّه الذي تفضَّل به على عباده، وأباحه بالبيع والتِّجارات المشروعة، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ قيل: واشكروا له واحمدوه على ما

---

(١) جامع البيان (٢/ ٢٧٢).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٦)، وجامع البيان (٢٢/ ٦٤٢).

أنعم عليكم من التَّوفيق لأدائها، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: تظفرون بكلِّ مطلوب، وتأمنون كلَّ مرهوب.

(١١) - ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾: أي: وإذا علموا تجارةً تُحمَل من موضع آخر، ﴿أَوْ لَهْوًا﴾: أو شيئًا يُلهي مثلُه ممَّا يَصحب غير التِّجارة، من طبلٍ ونحوه يُؤْذِنون النَّاس بقدومهم ﴿انْفَضُّوا﴾؛ أي: تفرَّقوا عنك ﴿إِلَيْهَا﴾؛ أي: إلى تلك التِّجارة، ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ يا محمَّد ﷺ ﴿قَائِمًا﴾ على المنبر تخطب، ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: من الثَّواب في الآخرة وإدرارِ الرِّزق في الدُّنيا لمن اتَّقى من حيث لا يحتسب ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾؛ أي: أنفع دينًا ودنيا، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: أي: المعطين[1].

(انتهى تفسير سورة الجمعة).

---

(١) الدر المنثور (٨/ ١٦٤)، وتفسير السمعاني (٥/ ٤٣٥)، وجامع البيان (٢٢/ ٦٤٤)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٤٢٥).

(٦٣) سورة المنافقون مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مدنيَّة، سميت هذه السورة في كتب السنة وكتب التفسير «سورة المنافقين» اعتبارًا بذكر أحوالهم وصفاتهم فيها، وقد عدت الثانية بعد المائة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الحج وقبل سورة المجادلة، وهي إحدى عشرةَ آيةً، ومئةٌ وثمانون كلمة، وسبعُ مئة وثمانون حرفًا.

أغراضها:

فضح أحوال المنافقين بعد كثير من دخائلهم وتولد بعضها عن بعض من كذب، وخيس بعهد الله، واضطراب في العقيدة، ومن سفالة نفوس في أجسام تغر وتعجب، ومن تصميم على الإعراض عن طلب الحق والهدى، وعلى صد الناس عنه، وكان كل قسم من آيات السورة المفتتح بإذا خص بغرض من هذه الأغراض. وقد علمت أن ذلك جرت إليه الإشارة إلى تكذيب عبد الله بن أبي ابن سلول فيما حلف عليه من التنصل مما قاله. وختمت بموعظة المؤمنين وحثهم على الإنفاق والادخار للآخرة قبل حلول الأجل[١]، ووده الانتظام أنه ختم تلك السُّورة في ذهاب الخاطئين، وافتتاح هذه السُّورة في مجيء المنافقين، وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك في قبائح أعداء اللَّه تعالى المجاهرين، وهذه في فضائح أعداء اللَّه المنافقين.

(١) - ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾:أي: يقولون

---

(١) التحرير والتنوير(٢٨/ ٢٣٣).

كما يقول المخلصون، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾: كما تلفَّظ به المنافقون، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾: أي: يضمِرون خلافَ ما يُظهرون؛ لأنَّهم لا يعتقدون أنَّك رسول اللَّه، والشَّهادةُ: الإخبارُ عن علم، وعندهم أنَّهم لا يعلمونه رسولَ اللَّه، ولأنَّ الشَّهادة قولٌ عن تحقيق، وهم لا يحقِّقون ذلك، وقيل: كاذبون في أنَّهم أرادوا الإيمان به.

(٢) - ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾: أي: كلَّما اطَّلع منهم على شيء من النِّفاق حلفوا أنَّهم لم يقولوه، فيتستَّروا به كما يُتستَّر بالجُنَّة، ثم معنى الجُنَّة: أنَّه سُترة لِمَا يضمرونه، وقيل: أي: جُنَّةً لأموالهم ودمائهم، يعصمونها بها. ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: قيل: أي: فمنعوا المؤمنين بأيمانهم عن إقامة حكم اللَّه تعالى، فـ(سبيل اللَّه) هاهنا: هو طريق الدِّين وحكم الشَّرع، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: الآن وفي سالف الزَّمان.

(٣) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾: أي: في الظَّاهر ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾؛ أي: في الباطن، ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: أي: ختم اللَّه عليها وخذلهم، فلا يفهمون ما يُخاطَبون به من الزَّجر عن النِّفاق والوعيد عليه، وقيل: أي: لا يتدبَّرون فيه، وقيل: أي: يعملون عملَ مَن لا يفهم.

(٤) - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾: أي: مناظرُهم، وكلُّ واحد منهم مَنظَرٌ بلا مَخْبَرٍ، ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾: لأنَّهم يقولون قولَ المحِقِّ الصَّادِق تلبيسًا وتزويرًا، ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾: وهي جمع خَشَبَة، كالثُّمُر جمع ثَمَرة، و﴿مُسَنَّدَةٌ﴾: التَّسنيد تكثير الإسناد أي: كأنَّها أسندَت إلى مواضع، ومعنى

التشبيه: أنَّ قلوبهم لا تعي خيرًا، ولا تضمر صدقًا، كالخُشُب ليس لها باطنٌ يتضمَّن معنًى ويثمر نفعًا، ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾: وهو وصفٌ لهم بالجبن؛ أي: لجبنهم يحسبون أنَّ كلَّ مَن صاح فإنما يصيح عليهم، وهم المقصودون بها، وقيل: أي: كلَّما نزل القرآن خشوا أن يكون فيهم وعليهم؛ بما قد علموا من الغشِّ والعداوة للنَّبيِّ ﷺ، ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾: أي: الأعداء لك ولأهل دينك ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾؛ أي: لأنَّهم ينقلون الأسرار إلى الكفَّار، ويجبِّنون مَن قدروا عليه من أهل الإيمان، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: أي: أهلكهم اللَّه، وقيل: لعنهم اللَّه، ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: كيف ومن أين يصرفون عن الحقِّ مع وضوح دلائله؟(١).

(٥-٦) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾، أي: عطفوا، ولمَّا نزلَتْ هذه الآيات، وكُشِفَ حالُ ابنِ أبيٍّ قيل له: قد نزلَتْ فيك آياتٌ شِدادٌ، فاذهبْ إلى رسول اللَّه ﷺ يستغفر لك، فلوَّى رأسَه وقال: أمرتموني أن أومن فآمنْتُ، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيْتُ، فما بقي إلَّا أنْ أسجدَ لمحمَّد. فنزلت الآية، ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: أي: يعرضون عمَّا دُعوا إليه، ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾: عن المصير إلى رسول اللَّه ﷺ، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾: لأنَّهم كفار، وهو إخبار عن موتهم على الكفر، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾؛ أي: ما داموا على فسقهم مختارين لذلك.

(٧) - ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾: أي: حتى يتفرَّقوا، ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فلو شاء

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٣٣٧)، والكشف والبيان(٩/ ٣٢٠)، والبسيط (٢١/ ٤٦٩).

لأغنى المؤمنين عن المنافقين وسائر الكفَّار، ولكنَّه تعبَّد المؤمنين بالصَّبر على الضِّيق، وكلَّف المنافقين الإنفاق عليهم؛ إرغامًا لهم وتشديدًا عليهم. ﴿وَلَـٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾: وجوهَ الحِكَم الإلهيَّة(١).

(٨) - ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: أي: ويقولون، ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾: وهذا كان من ابن أُبيٍّ المنافق في غزوة بني المصطلق، وكان خرج فيها مع النَّبيِّ ﷺ بشرٌ كثير من المنافقين، لم يخرجوا في غزاة قطُّ مثلَها، ليس بهم رغبةٌ في الجهاد، بل إصابة عرَض الدنيا، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾: بذاته، ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ بإعزازه، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنَّهم أتباع رسولِه ﷺ ﴿وَلَـٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مواضعَ العزَّة.

(٩) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: أي: لا يشغلكم كما يشغلُ هؤلاء المنافقين، فحمَلَهم الشُّحُّ على أن قالوا: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾، ودعاهم التَّعزُّز بأموالهم وأولادهم وعشيرتهم إلى أن قالوا: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، وقوله: ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾؛ أي: عن أن تذكروا اللَّه الذي رزقَكُم الأموالَ والأولادَ، وله خزائن السَّماوات والأرض، وله العزَّةُ ولرسوله، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾؛ أي: ومَن يشتغل بذكر الأموال والأولاد عن ذكر اللَّه؛ أي: عن أن يذكر قدرة اللَّه وسلطانَه وعزته، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؛ أي: المغبونون في الآخرة والهالكون.

(١٠-١١) - ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾؛ أي: أخرجوا من أموالكم في

---

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٢٣)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٤٣٥).

الوجوه التي أُمرتم بإخراجِها فيها، فإنَّها عطيَّة من اللَّه لكم، فلا تبخلوا بعطيَّته عن أداء فروضِه فيها، وهذا في الزَّكاة، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: أي: مقدِّماتُ الموت، ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: أي: هلَّا أبقيتني في الدُّنيا مدَّة، ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: أي: فأتصدَّق، ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ معناه: إنْ يؤخِّرْني أتصدَّقْ وأكنْ من الصَّالحين بإخراج الحقوق الواجبة في المال من حجٍّ وجهادٍ وقِرَى ضيفٍ وصلةِ رحمٍ ونحوها، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾: أي: قدَّر اللَّهُ مدَّة كلِّ أحدٍ إلى حينه، فإذا جاء لم يُقدَّم ولم يُؤخَّر، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فليس يضيعُ عندَه ما تنفقون[(١)].

(انتهى تفسير سورة المنافقون).

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ٦٧٠)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٤٤٣).

(٦٤) سورة التغابن مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مدنيَّة، سميت «سورة التغابن»، ولا تعرف بغير هذا الاسم، ووجه التسمية وقوع لفظ التغابن فيها ولم يقع في غيرها من القرآن، وهي معدودة السابعة والمائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الجمعة وقبل سورة الصف، وهي ثماني عشرةَ آية، ومئتان وإحدى وأربعون كلمة، وألفٌ وأربعةٌ وسبعون حرفًا.

أغراضها:

واشتملت هذه السورة على التذكير بأن من في السماء ومن في الأرض يسبحون لله، أي ينزهونه عن النقائص تسبيحًا متجددًا. وأن الملك لله وحده فهو الحقيق بإفراده بالحمد لأنه خالق الناس كلهم فآمن بوحدانيته ناس وكفر ناس ولم يشكروا نعمه إذ خلقهم في أحسن صورة وتحذيرهم من إنكار رسالة محمد ﷺ. وإنذارهم على ذلك ليعتبروا بما حل بالأمم الذين كذبوا رسلهم وجحدوا بيناتهم تكبرًا أن يهتدوا بإرشاد بشر مثلهم. والإعلام بأن الله عليم بالظاهر والخفي في السماوات والأرض فلا يجري أمر في العالم إلا على ما اقتضته حكمته. وأنحى عليهم إنكار البعث وبين لهم عدم استحالته وهددهم بأنهم يلقون حين يبعثون جزاء أعمالهم فإن أرادوا النجاة فليؤمنوا بالله وحده وليصدقوا رسوله ﷺ والكتاب الذي جاء به ويؤمنوا بالبعث فإنهم إن آمنوا كفرت عنهم سيئاتهم وإلا فجزاؤهم

النار خالدين فيها. ثم تثبيت المؤمنين على ما يلاقونه من ضر أهل الكفر بهم فليتوكلوا على الله في أمورهم. وتحذير المؤمنين من بعض قرابتهم الذين تغلغل الإشراك في نفوسهم تحذيرًا من أن يثبطوهم عن الإيمان والهجرة. وعرض لهم بالصبر على أموالهم التي صادرها المشركون. وأمرهم بإنفاق المال في وجوه الخير التي يرضون بها ربهم وبتقوى الله والسمع له والطاعة[١]، ووجه الانتظام: أنَّ ختم تلك السُّورة باسم اللَّه، وافتتاحَ هذه السُّورة بأسماء من أسماء اللَّه تعالى، وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك في ذمِّ المنافقين، وآخرُها وعظ المؤمنين، وهذه في ذمِّ الكافرين، وآخرها وعظ المؤمنين[٢].

(١ - ٣) - ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: مر تفسيره في سورة الحديد، ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ﴾: أي: أوجدكم، ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾: قدَّم ذكر الكفَّار لأنَّهم أكثر، ليس بين الجنَّة والنَّار منزلة، وليس بين الطَّاعة والمعصية عمل، وليس بين الكفر والإيمان اسم، وقيل: فمنكم كافرٌ في علم اللَّه تعالى في الأزل، ومنكم مؤمنٌ في علم اللَّه في الأزل، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجزي كلًّا على وفق عمله، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: أي: بحقه، وقيل: للحقِّ، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: فالإنسان على أحسن صورة، ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: أي: إلى جزاء اللَّه مرجع الخلق.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨/٢٥٩).

(٢) الكشف والبيان (٩/ ٣٢٥)، والوسيط (٤/ ٣٠٦)، وزاد المسير (٨/ ٢٧٩).

(٤ - ٦) - ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لا يخفى عليه شيء، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: بضمائر الصُّدور، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾: يخاطب مشركي قريش يقول: ألم يأتكم خبر الذين كفروا من قبلكم من الأمم الماضية؟ ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: نالهم ضرر كفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات الواضحة ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾؛ أي: تعجَّبوا وأنكروا أن يكون اللَّه يرسلُ إلى خلقه بشرًا منهم حتى يكون مَلَكًا، ﴿فَكَفَرُوا﴾: فجحدوا ذلك ﴿وَتَوَلَّوْا﴾؛ أي: أعرضوا عن طاعة اللَّه تعالى وطاعة رسوله، ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾: وكان اللَّه غنيًّا عن إيمانهم، فلم يَنقصوا بكفرهم ومعاصيهم من ملك اللَّه شيئًا. ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن عباده ﴿حَمِيدٌ﴾: مستحِقٌّ للحمد من جميع خلقه، وحميد بحمد الملائكة والرُّسل والمؤمنين.

(٧) - ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: قالوا كاذبين، ﴿أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾؛ أي: بعد الموت يوم القيامة، ﴿قُلْ بَلَى﴾: هو ردٌّ لقولهم ﴿وَرَبِّي﴾؛ أي: وحقِّ ربي ﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾؛ أي: لتخبرنَّ به للجزاء عليه، ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: وبعثهم سهلٌ عليه كابتدائهم(١).

(٨ - ٩) - ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾: أي: القرآن؛ ليستضاءَ به من ظُلمة الضَّلال، ويُهتدَى به لمصالح الدِّين؛ لئلا تذوقوا وبال أمركم، وفي الآخرة العذاب الأليم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي: عالم به يجازيكم

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٣٥٣)، والكشف والبيان (٩/ ٣٣٠).

عليه، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾: أي: ليوم القيامة؛ يجمع اللَّه فيه الأوَّلين والآخرين، ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾: أي: يومُ تفاوت الأجزيَة، يوم يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة لو آمنوا فكانَ التَّغابن هو النَّظر أيُّهما المغبون؟ وأيُّهما الغابن؟، وما مِن أحدٍ إلَّا وله منزلٌ في الجنَّة ومنزلٌ في النَّار، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لهؤلاء الربح، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: لهؤلاء الخسران، وقيل: أشدُّ النَّاس غُبنًا يوم القيامة ثلاثة نفرٍ، عالمٌ علَّم النَّاس، فعملوا بعلمه، وخالف هو علمَه، فدخل غيرُه الجنَّة بعلمِه، ودخل هو النَّار بعمله، وعبدٌ أطاعَ اللَّهَ بقوَّة مال سيِّده، وعصى سيِّدُه اللَّهَ تعالى، فدخل العبدُ الجنَّة بقوَّة مال مالكِه، ودخلَ مالكُه النَّار بمعصيته، ووارث ورث مالًا من أبيه، وأبوه شحَّ به، وعصى اللَّه فيه، فدخل أبوه النَّار ببخلِه، ودخل هو الجنَّة بإنفاقِه في الخير.

(١١) - ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ يحتمِل أنَّه توهَّم بعضُ المشركين أنَّ الإيمان لو كان حقًّا لسلِم المسلمون من المصائب في أبدانهم وأموالهم، فقال اللَّه تعالى: ﴿مَا أَصَابَ﴾ العباد ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: بعلم اللَّه، وقيل: أي: بتخليقه، وقيل: بقضائه، وقيل: بمشيئته، ولو شاء لسلِمَ منها صاحبها، ولكن قد يصيب المؤمنين بالمصائب استصلاحًا لهم، وامتحانًا لصبرهم، وتكثيرًا لمثوباتهم، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾: إلى ما هو صلاحٌ له، وقيل: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾: بأنَّ المصيبة من عند اللَّه ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾، للاسترجاع، وقيل: للصَّبر والرِّضا، ﴿وَاللَّهُ

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: بما يُصلح عبادَه ويردعُهم عن معاصيه، وقيل: بإيمان كلِّ مؤمن عليمٌ(١).

(١٢ -١٣) - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ في كلِّ أمرٍ ونهيٍ من الإيمان والجهاد والهجرة، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي: أعرضتُم عن قبول ذلك ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ وقد بلَّغكم ذلك، وأعذر إليكم، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: المستَحِقُّ للإيمان به ولعبادته، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: وليهاجروا ولا يخافوا ضياع أهاليهم وأولادهم.

(١٤) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾: أي: مَن يعملُ بكم عملَ العدوِّ من المنع عن الخير وهو الجهاد والهجرة؛ تخويفًا لكم عن ضياعهم، ومنعًا لكم بالبكاء ونحوه، ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾: أن تُفْتَتَنوا بهم ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ يريد بالعفو عن الظالم، وبالصفح عن الجاهل، وبالغفران للمسيء، ﴿فإنّ اللّه غفورٌ﴾ للذنب ﴿رَحِيمٌ﴾ بالعباد(٢).

(١٥) - ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي: في دينكم، يمنعكم الأولاد عن إنفاقها في الواجب في الدِّين، والفتنة: تشديد المحنة، ومَن أراد الامتناع عن مطاوعة الأهل والولد، وأراد صيانة ماله عن أن يدخله نقصان مع أداء الحقوق الواجبة فيه، احتاج في ذلك إلى ضبطٍ للنَّفس شديد، وجهاد للشَّيطان كبير، ﴿وَاللَّهُ

---

(١) جامع البيان (٢٣/ ١٢)، والنكت والعيون (٦/ ٢٣)، وزاد المسير (٨/ ٢٨٣).

(٢) النكت والعيون (٦/٢٥)، وتفسير مقاتل (٤/ ٣٥٣)، وجامع البيان (٢٣/ ١٤) والكشف والبيان (٩/ ٣٣٠).

﴿عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: فاعصُوا النَّفس والأهل والولد في الشُّحِّ بالمال والضِّنِّ بالنَّفس عن الجهاد.

(١٦) - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: وهو أنْ يُطاعَ فلا يُعصى، ويُذكَرَ فلا يُنسى، ويُشكَر فلا يُكفَر، شقَّ ذلك على المسلمين مشقَّة شديدة، وخافوا التَّقصير في ذلك، فنزلَتْ هذه الآية: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، فصارت بيانًا أنَّ ذلك الأمر كان بما في استطاعة العبد، وعليها بايع النَّبيُّ ﷺ أصحابَه، فقال: "على السَّمع والطَّاعة فيما استطعتم"[(١)]، ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾: اقبَلوا أمرَ اللَّه وأمرَ رسوله، واعملوا بذلك ما استطعتم، ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في سبيل اللَّه ﴿خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾؛ أي: يكن أنفعَ لكم من الشُّحِّ، ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: ومن سلم من البخل والطمع الذي تدعو إليه النفس، فقد فاز بكل مطلوب.

(١٧ - ١٨) - ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: أي: إن تنفقوا في طاعة اللَّه محتسِبين متقرِّبين به إليه، مخلصين فيه، ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾: أي: يجزِ لكم بالواحد أضعافَه، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: أي: ذنوبَكم، ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾: يقبل اليسير، ويعفو الكثير، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي: السِّرِّ والعلانية، ﴿الْعَزِيزُ﴾: فلا يُمانَع في معاقبةٍ ولا إثابة ﴿الْحَكِيمُ﴾: فكلُّ أفعاله وأقواله على الإصابة.

(انتهى تفسير سورة التغابن).

---

(١) رواه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، والنسائي (١٤١٣)، وابن ماجه (٣٦٠٠).

(٦٥) سورة الطلاق مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مدنيَّة، شاعت تسميتها في المصاحف وفي كتب التفسير وكتب السنة: سورة الطلاق ولم ترد تسميتها بهذا في حديث عن رسول الله ﷺ موسوم بالقبول، وذكر أن عبد الله بن مسعود سماها سورة النساء القصرى، احترازًا عن السورة المشهورة باسم سورة النساء التي هي السورة الرابعة في المصحف، وهي معدودة السادسة والتسعين في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد نزلت بعد سورة الإنسان وقبل سورة البينة، وهي إحدى عشرةَ آية، وهي مئتان وسبع وثمانون كلمة، وألفٌ ومئةٌ وأربعةٌ وسبعون حرفًا.

أغراضها:

الغرض من آيات هذه السورة تحديد أحكام الطلاق وما يعقبه من العدة والإرضاع والإنفاق والإسكان. تتميمًا للأحكام المذكورة في سورة البقرة. والإيماء إلى حكمة شرع العدة. والنهي عن الإضرار بالمطلقات والتضييق عليهن. والإشهاد على التطليق وعلى المراجعة. وإرضاع المطلقة ابنها بأجر على الله. والأمر بالائتمار والتشاور بين الأبوين في شأن أولادهما. وتخلل ذلك الأمر بالمحافظة الوعد بأن الله يؤيد من يتقي الله ويتبع حدوده ويجعل له من أمره يسرًا ويكفر عنه سيئاته، وأن الله وضع لكل شيء حكمه لا يعجزه تنفيذ أحكامه. وأعقب ذلك بالموعظة بحال الأمم الذين عتوا عن أمر الله ورسله وهو حث للمسلمين على العمل بما أمرهم به

الله ورسوله ﷺ لئلا يحق عليهم وصف العتو عن الأمر. وتشريف وحي الله تعالى بأنه منزل من السماوات وصادر عن علم الله وقدرته تعالى[(١)]، وخَتْمُ تلك السُّورة بمدح اللَّه وثنائه، وافتتاحُ هذه السُّورة بخطاب الرَّسول ونداءه، وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك السُّورةَ في الدُّعاء إلى التَّوحيد، وختمها بالأمر بالتَّقوى والطَّاعة والنَّفقة التي هي سبب بقاء التَّوحيد، وهذه السُّورةُ في بيان أحكام الرِّجال والنِّساء المشروعة في حقِّ أهل التَّوحيد، وختمها في دلائل التَّوحيد.

(١) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، وقوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ خطابٌ لأمَّتِه، وقيل: معناه: يا أيُّها النَّبيُّ قلْ لأمَّتك: إذا طلقتم النِّساء، والمراد من ﴿النِّسَاءَ﴾: هي النِّساء المدخولُ بهنَّ، ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: أي: للوقت المعدود لطلاقهنَّ المشروع، وهو طهرٌ لم يجامِعْها فيه، ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾؛ أي: عُدُّوا فصولَ عِدَّتها واحفظوها بالأقراء كانت أو بالأشهر؛ لمعرفة وقت المراجعة ووجوبِ النَّفقة وزوالِ الأحكام المتعلِّقة بقيامها إذا انقضَتْ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾: أي: في العدَّة من بيوتٍ كُنَّ يسكُنَّ فيها مع الأزواج حالةَ النِّكاح[(٢)]، ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾: بأنفسهنَّ أيضًا، ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ هي الزِّنا، فتُخرج للرَّجم، ومعنى هذا: ألَّا تُخرَجَ أصلًا إلَّا أنْ تخرُجَ بنفسها، فتكون قد أتت بفاحشة؛ أي: فعلة قبيحة في الشَّرع، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: أي: وهذه المذكورات معالم شرع اللَّه، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾: أي: يتجاوزها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ٢٩٤).

(٢) بحر العلوم (٣/ ٤٥٩)، والكشف والبيان (٩/ ٣٣٢)، والبسيط (٢١/ ٤٩٤).

نَفْسَهُ﴾ حيث أوردها موارد الهلاك. ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾: أي: أَحْصُوا العدَّة، فعسى اللَّه أن يُحدث لكم رغبةً في المراجعة بعد الطَّلاق، و﴿لَا تَدْرِى﴾ خطاب للنبي ﷺ، وقيل: خطاب للمطلِّق[١].

(٢) - ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: قاربْنَ انقضاء عدتهنَّ، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: هو الرُّجعة ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: هو التَّرك حتى تنقضي العدَّة من غير إضرار، ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: أي: على الرَّجعة، وهو للاستحباب، وقيل: للإيجاب، ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾: أمرٌ للشُّهود بإقامتها للَّه، لا للنَّاس؛ فإنَّها إذا كانت للنَّاس تُرِكَتْ في بعض الأحوال لرضًا أو غضبٍ، وإذا كانت للَّه أقيمَتْ على كلِّ حال، ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أي: إنَّما ينتفع به هؤلاء، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾: فائتَمَرَ بأوامِره وانتهى بنواهيه، ﴿يَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا﴾: أي: لا يَضيقُ عليه بتقواه أمرٌ كان يتَّسع عليه لو لم يتَّقِ.

(٣) - ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: أي: إذا ترك شيئًا طاعةً للَّه عوَّضه اللَّه تعالى خيرًا منه من حيث لا يظنُّ، ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ قال: هو أن يَعلم أنَّ اللَّه هو يرزقه، وهو يعطيه، وهو يمنعه، وقيل: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من شبهات الدُّنيا، والكَرْبِ عند الموت، والأفزاعِ يوم القيامة، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ في الدُّنيا، فاتَّقوا اللَّه، فإنَّ فيها الرِّزق في الدُّنيا والثَّوابَ في الآخرة، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾: أي: مَن فوَّض أمرَه إلى اللَّه، ووثق بما يدبِّره من الأحوال، فاللَّه حَسْبُهُ مدبِّرًا لأمره، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾: أي: منفِذُ أمره، ممضٍ

---

(١) جامع البيان (٢٣/ ٣٢ - ٣٣)، والنكت والعيون (٦/ ٢٩).

له، لا مانع له منه، ولا معترِض عليه، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾: أي: مقدارًا، هو بالغٌ أمرَه إليه، وقيل: أي: قد جعل لكلِّ شيءٍ أجلًا ينتهي إليه، بلا تأخير ولا تقديم، وقيل: هو راجعٌ إلى كلِّ ما ذُكِرَ مِن أوَّل السُّورة إلى هاهنا، من حدود الطَّلاق والعدَّة، أخبر أنَّ لكلٍّ مِن ذلك -من شرائعه وأحكامه- عنده مقدارًا؛ أي: حدًّا فالزموه ولا تتعدَّوه(١).

(٤) - ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾؛ أي: اللَّائي انقطع رجاؤهنَّ لكبرهنَّ من أن يريْنَ دمًا من زوجاتكم المدخول بهنَّ، ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾: أي: شككْتُم في حكم عدتهنَّ أنهنَّ بماذا يعتددْنَ؟ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾: مُقام ثلاثة قروء في التي تحيض، ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾: من الصِّغار اللَّاتي لم يبلغْنَ، واللَّائي بلغْنَ بغير الحيض، كذلك يعتددْنَ بثلاثة أشهر، ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ﴾: أي: والمطلَّقات الحوامل، ﴿أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: وهو اسم لكلِّ ما في البطن من الولد، واحدًا كان أو أكثر، تنقضي عدَّتها كذلك، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾؛ أي: ومَن يَلزم طاعة اللَّه فيما أمره به ونهاه عنه، فذلك وإن ثقل عليه في الحال فإنَّه يجد له يُسرًا في عاقبته؛ لِمَا يأمن من عقوبة المعصية، وينال من ثواب الطَّاعة، ولذا سمَّى اللَّه الطَّاعة اليسرى، والمعصية العسرى، بقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٧]، وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ١٠](٢).

(٥ - ٦) - ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾: أي: هذا كلُّه من أوَّل السُّورة

---

(١) لطائف الإشارات (٣/ ٦٠٠)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٤٦٤).

(٢) بحر العلوم (٣/ ٤٦٢)، والبسيط (٢١/ ٥٠٩).

إلى هاهنا أمرٌ أمركم اللَّه تعالى به، وأنزله في القرآن على رسوله، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾: وهذا يعمُّ هذا الأمر وغيره، ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾: أي: أسكنوا المعتدَّات في مساكنكم، و﴿مِنْ﴾ للتَّبعيض؛ أي: موضعًا من المواضع التي تسكنونها، فأنفقوا عليهنَّ في العِدَّة، ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾: أي: من وسعكم وطاقتكم؛ أي: من سَعتكم وغناكم، والوُجْد والجِدَة، الغنى، والواجدُ: الغنيُّ، ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾: أي: ولا تؤذوهنَّ؛ أي: في السُّكنى والنَّفقة ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾، ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: فتنقضيَ عِدَّتهنَّ، ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾: أي: أرضعَتِ المطلَّقات أولادكم، ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: إذا لم يتطوَّعْنَ بذلك، فإنَّه من النَّفقة، والنَّفقة على الأب، ﴿وَأْتَمِرُوا﴾؛ أي: تشاوروا بجميل في حقِّ الصَّبي ﴿بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: اتَّفقوا فيما بينكم -يعني: الأزواجَ والزَّوجاتِ- بمعروف؛ أي: في أمر الإرضاع على شيءٍ مستحسَنٍ عقلًا وشرعًا، ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾: أي: وإن تضايقْتُم، وهو أن يأبى الرَّجل أن يعطيَ المرأة أجرَ إرضاعها، وأبتِ المرأة أن ترضعَه بغير أجر، أو هي طلبَتِ الكثير وهو يعطي القليل، ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ﴾: أي: للزَّوج ﴿أُخْرَى﴾؛ أي: امرأةٌ أخرى؛ أي: يطلب إرضاعَ الولد من امرأة أخرى بأجرٍ أو بغير أجرٍ على ما يتَّفق.

(٧ - ٩) - ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾: أي: الزَّوج الذي هو والد الرَّضيع، ويحتمِل أن ينفق الزَّوج على معتدَّته، فقد سبق ذكر الكلِّ، ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾: أي: ضُيِّقَ عليه ﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾؛ أي: على قَدْر ما أعطاه اللَّه، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾: أي: قَدْرَ ما أعطاها، ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ

﴿بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾: وهذا وعدٌ لذي العُسْرِ باليسر، ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾: ذكرَ حدودًا في هذه السُّورة، ونهى عن تعدِّيها، ثمَّ ذكر الذين تعدَّوا حدود اللَّه من الماضين وما صنع بهم، وخوَّف هؤلاء مثلَه، وقال: وكم من أهل قرية عتَوا؛ أي: عصَوا وأبَوا، وقيل: العتوُّ: الخروج إلى فاحش الفساد، وقيل: هي من مجاوزة الحدِّ في المعصية، ﴿وَرُسُلِهِ﴾؛ أي: عتَتْ عن أمر رسلِه أيضًا، ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾: أي: جازيناها بذنوبها كلِّها في الدُّنيا ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾؛ أي: منكرًا غليظًا مستعظمًا كالخسف، ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: قاسَتْ ضرر عصيانها، لم يعاقبْها اللَّه تعالى إلَّا بذنوبها، ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾: هلاكًا، وقيل: خسرانًا، حيث باعوا نعيم الآخرة بالعذاب.

(١٠ - ١١) - ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: في الآخرة، وهو بيانُ هذا الخسر، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أن تعصُوه وتتعدَّوا حدودَه، فيفعلَ بكم ما فعل بهم، ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا﴾:أي: كتابَه الذي ذَكر فيه ما أَحَلَّ بالأمم من قبلكم، وما الخلقُ صائرون إليه في المعاد. وقيل: ﴿ذِكْرًا﴾؛ أي: شرفًا وحديثًا، وهما الرَّسول والقرآن، وقيل: ﴿ذِكْرًا رَسُولًا﴾؛ أي: أنزل اللَّه ذكرَه رسولًا، مفعول بالذِّكر؛ أي: قرآنًا يُذكَر فيه الرَّسول، وقيل: أضمر هاهنا فعلًا آخر، وتقديره: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾؛ أي: قرآنًا، وأرسل إليكم رسولًا، ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾: وهي القرآن، ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: أي: الضَّلالات ﴿إِلَى النُّورِ﴾؛ أي: الهدى، والإخراجُ: هو النَّقل من الكفر إلى الإيمان في حقِّ مَن آمنَ بعدَ كفرِه،

والحفظُ عن الوقوع في الكفر في حقِّ مَن كان مؤمنًا، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾: أي: في الجنَّة رزقًا واسعًا طيِّبًا هنيئًا مأمونًا من التَّغيير والانقطاع.

(١٢) - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾: ذكر ملكَه وسلطانَه وقدرتَه تأكيدًا لِمَا سبق من الوعد والوعيد، ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: أي: سبعًا، ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾: قيل: ينزل أمر اللَّه تعالى بين السَّماوات والأرض، يُنزل إلى كلِّ سماء من أمره ما يريد على مَن فيها من الملائكة، وكذلك أنزل أمره إلى الأرض بما يريد أن يتعبَّد به الجنَّ والإنس، ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ أنِّي خلقْتُ هذه الخليقة، وأخبرتكم بها؛ لِيُستدلَّ بها على قدرتي وسلطاني فتعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: علِمَ كلَّ شيء، فلا يخفى عليه شيء، سبحانه وتعالى[١].

(انتهى تفسير سورة الطلاق).

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٤٤٢)، والكشف والبيان (٩/ ٣٤٢). والجامع لأحكام القرآن (٢١/ ٦٣)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٤٧٥).

(٦٦) سورة التحريم مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مدنيَّة، سميت «سورة التحريم» في كتب السنة وكتب التفسير، وهي معدودة الخامسة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن نزلت بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة، وهي اثنتا عشرة آية، ومئتان وتسعُ كلمات، وألفٌ وثمانيةٌ وثمانون حرفًا.

أغراض هذه السورة:

ما تضمنه سبب نزولها أن أحدًا لا يحرم على نفسه ما أحل الله له لإرضاء أحد إذ ليس ذلك بمصلحة له ولا للذي يسترضيه فلا ينبغي أن يجعل كالنذر إذ لا قربة فيه وما هو بطلاق لأن التي حرمها جارية ليست بزوجة، فإنما صلاح كل جانب فيما يعود بنفع على نفسه أو بنفع به غيره نفعًا مرضيًّا عند الله وتنبيه نساء النبي ﷺ إلى أن غيرة الله على نبيه أعظم من غيرتهن عليه وأسمى مقصدًا. وأن الله يطلعه على ما يخصه من الحادثات. وأن من حلف على يمين فرأى حنثها خيرًا من برها أن يكفر عنها ويفعل الذي هو خير. وتعليم الأزواج أن لا يكثرن من مضايقة أزواجهن فإنها ربما أدت إلى الملال فالكراهية فالفراق. وموعظة الناس بتربية بعض الأهل بعضًا ووعظ بعضهم بعضًا. وأتبع ذلك بوصف عذاب الآخرة ونعيمها وما يفضي إلى كليهما من أعمال الناس صالحاتها وسيئاتها. وذيل ذلك بضرب مثلين من صالحات النساء وضدهن لما في ذلك من العظة لنساء المؤمنين

ولأمهاتهم[(١)]، وختمُ تلك السُّورة بثناء اللَّه، وافتتاحُ هذه السُّورة بنداء رسول اللَّه ﷺ، والسُّورتان في ذكر الأزواج والزَّوجات، وختمُها في بيان دلائل التَّوحيد، والحثِّ على الإيمان والطَّاعات.

(١) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾: أي: على نفسك ﴿مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من ملاذِّ الدُّنيا ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾: لطلب رضا زوجاتك؛ أي: هنَّ أحقُّ بابتغاء رضاك منك بابتغاء رضاهنَّ، فإنَّما فضيلتهنَّ بك، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لا يُلزمك ما ألزمْتَ نفسَك من تحريم الحلال عليك، بل يبيح ذلك لك، ويجعل لك منه المخرج.

(٢) - ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾: أي: قدَّر اللَّهُ لكم ما تحلِّلون به أيمانكم وهي الكفَّارة، و﴿لَكُمْ﴾ في معنى: (عليكم)، ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: أي: وليُّكم ومتولِّي مصالحِ دينكم ودنياكم، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾: بمصالحكم ﴿الْحَكِيمُ﴾: فيما يفرضُه عليكم ويَشرَعُه لكم.

(٣) - ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾: أي: إلى حفصة حديثَ مارية. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾: أي: أخبرَتْ بالحديث ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: وأعلم اللَّه نبيَّه ﷺ أنَّ حفصة قد أفشَتْ سرَّه، ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾أي: أعلم حفصةَ بعضَ ذلك، ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾: أي: سكتَ عنه، ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾: جمعَ بينَ اللُّغتين، وهو أنبأ ونبَّأ، ظنَّتْ أنَّ صاحبتَها أخبرَتْهُ بذلك، فقالَتْ: ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾، ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾: ﴿الْعَلِيمُ﴾ اللَّهُ العالِمُ

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ٣٤٥).

بكلِّ شيءٍ، ﴿الْخَبِيرُ﴾ ببواطن الأشياء(١).

(٤) - ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾: خاطب عائشةَ وحفصةَ بذلك ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: أي: مالَتْ عن الحقِّ؛ يعني: فقد كان منكما ما يوجب التَّوبة؛ إذ قد مالَتْ قلوبُكُما عن الحقِّ الواجب للَّه ولرسوله عليكما، ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾: أصله: تتظاهرا؛ أي: تتعاونا على إيذائه، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾: أي: حافظُه ودافعُ الضَّرر عنه، ورادٌّ كيدَ مَن أراده بسوء، ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا ينصره، ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: إنْ أريد به الفرد فقد قيل: هو عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد روي أنَّه قال لحفصةَ: واللَّه لو أمرني رسولُ اللَّهِ بضربِ عنقُكِ لضربْتُ عنقَكِ، وإنْ أريد به الجمعُ فهم خيار المؤمنين، منهم أبو بكر وعمر أبواهما وغيرهما، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾؛ أي: ظُهراءُ، وهم الأعوان.

(٥) - ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾: قيل: في الدُّنيا؛ قالوا: لأنَّه لو طلقهنَّ في هذه الحالة لطلقهنَّ لإلجائهنَّ إيَّاه إلى طلاقهنَّ بإلحاحهنَّ عليه بالأذى والمعصية، فإذا فعلْنَ ذلك استوجبْنَ عداوةَ اللَّهِ، وخرجْنَ من ولايته، وقيل: معناه: ﴿أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ في الجنَّة. ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾: أي: خاضعات للَّه بالطَّاعة، ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾: أي: مصدِّقات للَّه ورسوله، ﴿قَانِتَاتٍ﴾: أي: مطيعات دائمات على الطَّاعة، ﴿تَائِبَاتٍ﴾: أي: لا يصررْنَ على صغيرة، وقيل: راجعاتٍ إلى ما يحبُّه اللَّه تعالى منهنَّ، ﴿عَابِدَاتٍ﴾: أي: كثيرات العبادة بالنَّوافل، ﴿سَائِحَاتٍ﴾: أي: صائمات، وقيل: أي: مهاجراتٍ،

(١) الكشف والبيان (٩/ ٣٤٥)، والبسيط (٢٢/ ١٣) تفسير ابن أبي زمنين (٥/ ٦).

﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾: أي: فيهنَّ بِكْرٌ، وفيهنَّ ثيِّبٌ، كما فيكنَّ الآن، إلى أيِّها مال النَّبيُّ ﷺ(١).

(٦) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾: أي: اجعلوا لأنفسكم وأهليكم وقايةً تستركم من نار جهنَّم، وقيل: أي: مُروهم بطاعة اللَّه تعالى، وانْهَوهم عن معصيته، ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾؛ أي: حطبُها الكفَّار والحجارة؛ أي: حجارة الكبريت، ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ﴾: أي: غلاظ القول والفعل ﴿شِدَادٌ﴾: أي: أقوياء الأنفس، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾: من تعذيبهم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ من ذلك.

(٧ - ٨) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾: أي: يُقال لهم ذلك يوم القيامة، وهو تنبيهٌ لهم اليوم ليتوبوا ويعتذروا، فهو اليومَ نافع، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الدُّنيا، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾: أي: من ذنوبكم، ﴿تَوْبَةً نَصُوحًا﴾؛ أي: خالصة، يُقال: نصح الشَّيءُ: إذا خَلَص، والنَّصيحةُ: إخلاص القول، وقيل: ﴿نَصُوحًا﴾؛ أي: تنصحون فيها للَّه؛ أي: تصدِّقونه فيها، ولا تُدْهِنون، ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: أي: بتوبتكم ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وكان لمن يخالفهم نارٌ وَقودها النَّاس والأحجار، ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾: أي: لا يُخْجِل ﴿النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ ولم يُرِدْ به وقوعَ إيمانهم مع النَّبيِّ ﷺ معًا، بل يراد به وجود الإيمان منهم لوجوده من النَّبيِّ ﷺ، ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أي: يهتدون به إلى الجنَّة،

(١) الكشف والبيان (٩/ ٣٤٩)، ومعالم التنزيل (٨/ ١٦٨)، وجامع البيان (٢٣/ ١٠١).

﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾: نورُ كتبِ طاعتهم، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾: أي: أبقِه لنا إلى الجنَّة ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ذنوبنا، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: مِن إتمام النُّور، ومغفرةِ الذُّنوب، وتبليغ الجنَّة، وكلِّ شيء[1].

(٩) - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾: دعا إلى التَّوبة المؤمنين، وأمر بالجهاد في حقِّ الكفَّار والمنافقين دعوةِ للكلِّ إلى الحقِّ المبين ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسَّيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللِّسان، ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: في إقامة الحدود، ة﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾: أي: في الآخرة ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجع.

(١٠) - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾: أي: بيَّنَ اللَّه تعالى للكافرين شبهًا: أنَّه لا تنفعهم الوُصلة بالنِّكاح وغيره مع اختلاف الدِّين، وفيه نوعُ تنبيهٍ لأزواج النَّبيِّ ﷺ أنَّ وُصلتهُنَّ مع النَّبيِّ ﷺ لا تغني عنهنَّ من اللَّه شيئًا إذا عصيْن وخالفْنَ الأمر، ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾: أي: في نكاح عبدين ﴿مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾: استصلحناهما للرِّسالة والنُّبوَّة، ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: أي: في الدِّين؛ أي: كفرتا ولم تسلِما ولم تنصحا للرَّسولين للمساعدة على الإسلام، ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾: أي: العَبْدان نوح ولوط -عليهما السلام- ﴿عَنْهُمَا﴾: عن المرأتين ﴿مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾؛ أي: لم يدفعا عنهما من عذاب اللَّه شيئًا، ﴿وَقِيلَ﴾ لهما؛ أي: للمرأتين؛ أي: يُقال لهما يوم القيامة: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ من الكفَّار[2].

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٤٤٨)، والتيسير في التفسير (١٤/ ٤٩٣)، والكشف والبيان (٩/

(٢) النكت والعيون (٥/ ٤٧٣)، جامع البيان (٢٣/ ١١٠).

(١١) - ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾: أي: لا يضرُّ المؤمنين كفرُ مَن قرُب منهم، كما لم يضرَّ كفرُ فرعون امرأتَه آسية، ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾: اشتاقَتْ إلى الجنَّة، وملَّتْ صحبة فرعون فسألَتْ ذلك، ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾: أي: كفره ومعاصيه، وقيل: من تعذيبه، ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: فرِّقْ بيني وبينهم بإهلاكهم.

(١٢) - ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ عطف على قوله: ﴿امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾، ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾أي: حفظته، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾: أي: نفخ جبريل بأمرنا فيه؛ أي: في جيب درعها، ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾: أي: من روحٍ خلقناه لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الخصوص، ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾: قولِ جبريل: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩] الآيات، وقيل: أي: بعيسى، فهو روح الله وكلمتُه، ﴿وَكُتُبِهِ﴾: التَّوراةِ والإنجيل والزَّبور والصُّحف، ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾: أي: المطيعين لله تعالى[(١)].

(انتهى تفسير سورة التحريم).

(١) التيسير في التفسير (١٤/ ٥٠١)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٣).

(٦٧) سورة الملك مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سماها النبي ﷺ «سورة تبارك الذي بيده الملك» في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي -ﷺ قال:- «إنَّ سورةً منَ القرآنِ ثلاثونَ آيةً شفعَت لرجلٍ حتَّى غُفِرَ لَهُ وَهيَ سورةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»[١]، وسميت أيضًا «تبارك الملك» بمجموع الكلمتين في عهد النبي ﷺ روي عن ابن عباس «أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ قال له: ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان (أي دفين فيه) يقرأ سورة «تبارك الملك» حتى ختمها فقال رسول الله ﷺ: «هي المنجية تنجيه من عذاب القبر[٢]»، وهذان الحديثان **يذكران في فضلها**، وهي السادسة والسبعون في عداد نزول السور نزلت بعد سورة المؤمنين وقبل سورة الحاقة، وهي ثلاثون آية، وثلاثُ مئة وثلاث وثلاثون كلمة، وألفٌ وثلاثُ مئة وواحدٌ وعشرون حرفًا.

أغراض السورة:

والأغراض التي في هذه السورة جارية على سنن الأغراض في السور المكية.

ابتدئت بتعريف المؤمنين معاني من العلم بعظمة الله تعالى وتفرده بالملك الحق

(١) أخرجه أبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١)، والنسائي في (السنن الكبرى) (١٠٥٤٦)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، وأحمد (٧٩٧٥).

(٢) سنن الترمذي (٢٨٩٠).

والنظر في إتقان صنعه الدال على تفرده بالإلهية فبذلك يكون في تلك الآيات حظ لعظة المشركين ومن ذلك التذكير بأنه أقام نظام الموت والحياة لتظهر في الحالين مجاري أعمال العباد في ميادين السبق إلى أحسن الأعمال ونتائج مجاريها. وأنه الذي يجازي عليها. وانفراده بخلق العوالم العليا خلقًا بالغًا غاية الإتقان فيما تراد له. وأتبعه بالأمر بالنظر في ذلك وبالإرشاد إلى دلائله الإجمالية وتلك دلائل على انفراده بالإلهية. متخلصًا من ذلك إلى تحذير الناس من كيد الشياطين، والارتباق معهم في ربقة عذاب جهنم وأن في اتباع الرسول ﷺ نجاة من ذلك وفي تكذيبه الخسران، وتنبيه المعاندين للرسول ﷺ إلى علم الله بما يحركونه للرسول ظاهرًا وخفية بأن علم الله محيط بمخلوقاته. والتذكير بمنة خلق العالم الأرضي، ودقة نظامه، وملاءمته لحياة الناس، وفيها سعيهم ومنها رزقهم. والموعظة بأن الله قادر على إفساد ذلك النظام فيصبح الناس في كرب وعناء ليتذكروا قيمة النعم بتصور زوالها. وضرب لهم مثلاً في لطفه تعالى بهم بلطفه بالطير في طيرانها. وآيسهم من التوكل على نصرة الأصنام أو على أن ترزقهم رزقًا. وفظع لهم حالة الضلال التي ورطوا أنفسهم فيها. ثم وبخ المشركين على كفرهم نعمة الله تعالى وعلى وقاحتهم في الاستخفاف بوعيده وأنه وشيك الوقوع بهم. ووبخهم على استعجالهم موت النبي ﷺ ليستريحوا من دعوته. وأوعدهم بأنهم سيعلمون ضلالهم حين لا ينفعهم العلم، وأنذرهم بما قد يحل بهم من قحط وغيره(١).

وانتظام آخر تلك السُّورة بأوَّل هذه السُّورة: أنْ ختمَ تلك السُّورة بأنَّ مريم

---

(١) التحرير والتنوير(٢٩/٨).

كانت من القانتين لله تعالى، وافتتاحَ هذه أنَّ الملك بيد الله، وأهل السَّماوات وأهل الأرض كلُّهم قانتون لله، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذمِّ العاصين ومدح المطيعين.

(١ -٢) - ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾؛ أي: تمجَّد وتعالى اللهُ العلي الكبير، المفيض على المخلوقات من فنون الخيرات، الذي بقبضة قدرته ملك السموات والأرض، يتصرف فيهما كيف يشاء قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾، يعزُّ من يشاء ويذل من يشاء، ويحيي ويميت، ويغني ويفقر، ويعطي ويمنع، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي وهو القادر على كل شيء له القدرة التامة، والتصرف الكامل في كل الأمور، من غير منازع ولا مدافع.. ثم بيَّن تعالى آثار قدرته، وجليل حكمته فقال: ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾: أي: موتَ كلِّ ميِّت، وحياةَ كلِّ حيٍّ، فهو خالق الأعيان والصِّفات، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: ليمتحنكم ويختبركم أيها الناس فيرى المحسن منكم من المسيء، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: أي: المنيع فلا يُغالَب إذا عاقب المذنب، ﴿الْغَفُورُ﴾ الذي يستر ذنوب التَّائب[(١)].

(٣) - ﴿الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾: بعضُها فوق بعض، ﴿مَا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾: أي: اختلافٍ واضطراب وتباعُد، كأنَّه يفوت بعضه بعضًا فلا يتساوى، وقيل: ﴿مِن تَفَاوُتٍ﴾ في الدِّلالة على قدرة صانعها وحكمته.

وقال الفرَّاء: التَّفوُّت: الاعوجاج، والتَّفاوت: الاختلاف.

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾: أي: إلى رؤية السَّماء ﴿هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾؛ أي: شقوق، وقال قتادة رحمه الله: مِنْ خَلَلٍ.

---

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٣٩٢).

(٤)﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: أي: دفعتين، ولم يُرِدْ به الاقتصار على مرَّتين، بل أراد به التَّكرار مرَّة بعد مرَّة، ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾: قال ابن عبَّاس: ذليلًا، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: قال قتادة: كالٌّ مُعْيٍ، وهو فعيل بمعنى الفاعل، يُقال: حسَرَ البصرُ: إذا انقطع نظرُه من طول مدًى.

(٥ - ٧) - ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾: أي: كواكبَ كأنَّها السُّرُج، ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾: أي: المصابيحَ ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾: جمع رَجْم؛ أي: يُرْجَم بها مَن يَسترِق السَّمع من الشَّياطين، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: أي: للشَّياطين ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾؛ أي: عذاب جهنَّم الموقَدةِ، ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: من الإنس والجنِّ ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ كذلك ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجعُ، ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾: أي: في جهنَّم ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾؛ أي: لجهنَّم ﴿شَهِيقًا﴾؛ أي: صوتًا من اللَّهب كصوت الحمار، ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: أي: تتعالى وتغلي بهم كما يفور القِدْر، وقال ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تفور بأهلها كما تفور القِدر بعُراقها.

(٨ - ١٠) - ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾: أي: تتميَّز، قال ابن عبَّاس والضَّحَّاك وابن زيد: أي: تتفرَّق. ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾: أي: على الكفَّار، وهو عبارة عن غاية التغيُّظ عليهم، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: أي: جماعة من الكفَّار ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: وهم الزَّبانية توبيخًا لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: رسولٌ مخوِّف مِن هذا، ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾: أريد به الجمع؛ أي: أتانا الرُّسل، ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: ممَّا تقولون من وعدٍ ووعيد وغيرِ ذلك، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾: أي: ما أنتم أيها المُدَّعون للرِّسالة إلَّا في ضلال كبير؛ أي: خطأ عظيم،

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: أي: قال الكفَّار: ولو كنَّا نقبَل ما أتانا من السَّمعيَّات ونتفكَّر في العقليَّات ما وقعنا في جهنَّم، دلَّ على أنَّ كلَّ واحد منهما حجَّة ملزِمة وهو السَّمع والعقل.

(١١ -١٣) - ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾: أي: بذنوبهم، وحَّد لأنَّه جنس، أي: أَعْطِيَتهم، ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: أي: بُعدًا عن الرَّحمة والكرامة، وقيل: هو تحقيق، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: يؤمنون به ويصدِّقونه في الدُّنيا بما غاب عنهم ممَّا يكون في الآخرة، وقيل: أي: يخافونه عند المعصية وقد غاب عنهم الخلقُ، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: أي: للذُّنوب ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: أي: ثوابٌ عظيمٌ في الآخرة، ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾: أمرُ تهديدٍ لا أمرُ تكليف، يقول: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ﴾، في اللَّه وفي رسوله وفي آيات اللَّه ﴿أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾؛ أي: إنْ شئْتُم فنافقوا، وإنْ شئْتُم فصرِّحوا بالكفر وأعلنوه. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: بضمائر القلوب، لا يخفى عليه شيء إنْ أسررْتُم، ولا يزيده وضوحًا إن أعلنْتُم.

(١٤) - ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾: أي: ما خلقَ، ودلَّ على أنَّ اللَّهَ خالقُ أفعال العباد ظاهرِها وباطنِها، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾: أي: العالم بدقائق الأشياء ﴿الْخَبِيرُ﴾؛ أي: العالم بحقائق الأشياء[١].

(١٥ -١٦) - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: أي: ليِّنة منقادة، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: أي: في جوانبها وأطرافها، وفِجاجها، ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾: أي: من رزق اللَّه فيها، ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: أي: إلى جزاء اللَّه المرجعُ بعد

(١) الكشف والبيان (٩/ ٣٥٥)، والبسيط (٢٢/ ٣٧)، وبحر العلوم (٣/ ٤٥١).

البعث، فامشوا فيها طاعة وكلوا منها حلالًا، ﴿أَأَمِنتُمْ﴾ أيُّها المشركون ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾؛ أي: اللَّه الذي في السَّماء سلطانه، ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾: كما خَسف بقارون ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾؛ أي: تدور، والمَوَرَان: الدَّوران والاضطراب بالذَّهاب والمجيء.

(١٧ - ١٨) - ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: أي: حجارة من فوقِكُم كما فُعِلَ بقوم لوط، وقيل؛ أي: ريحًا فيها حجارةٌ وحصباء فيهلككم بذلك، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾: أي: كيف عاقبةُ إنذاري، بأن أحقِّقَه لكم فتعلمون أنَّه لا خُلف لخيري، ولا مانع لعذابي، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: من قبل هؤلاء المشركين، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: أي: إنكاري عليهم وتغييري بالعذاب.

(١٩ - ٢٠) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾: الطَّير: جمع طائر، ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: أي: تصفُّ أجنحتها للطَّيران وتقبضُ مرَّة حتى يتمَّ لها الطَّيران بهذا التَّدبير ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: أي: في الهواء حين تطير ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾. ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾: هيَّأ للطَّير هذا، كما هيَّأ للنَّاس الأرض ذلولًا، والذي هيَّأ لكلٍّ ما يصلحه لم يفعل ذلك عبثًا بل ليكون دلالة على الخالق ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾؛ أي: عالم بما يصلحه ويُقيمه. ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾: أي: فمَن هذا الذي هو شيعةٌ لكم وأنصار تمتنعون بهم ﴿يَنْصُرُكُمْ﴾ من عذاب اللَّه ﴿مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾؛ أي: ممَّن سواه. ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾: أي: ما هم إلا في غرور

(٢١ - ٢٢) - ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾: أي: اللَّهُ تعالى

﴿رِزْقَهُ﴾ الذي خَلق لكم في الأرض، التي جعلَها لكم ذلولًا. ﴿بَل لَّجُّوا فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾: أي: ليس اغترارُهم للجهل بأنَّ اللَّه تعالى هو الخالق الرَّازق الضَّارُّ النَّافع، لكنْ تمادَوا في تمرُّدهم ونفورهم عن الحقِّ. ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾: أي: منكِّسًا رأسَه، ناظرًا إلى الأرض. ﴿أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾: أي: مستويًا منتصبًا، يُبصر مِن كلِّ الجهات. ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: ولا شكَّ أنَّ الماشي مستقيمًا منتصبًا أهدى.

(٢٣ -٢٦) - ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾: ابتدأ خلقكُم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ وهي آلات العلم والمعرفة، ثم أنتم ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ هذه النِّعم؛ لأنَّكم تشركون باللَّه، ولا تخلصون له العبادة. ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: خلقكم ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ أي: تُبعثون وتُجمَعون للحساب والجزاء. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: يقولون ذلك استهزاء[1]. ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: علمُ وقته ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: مخوِّف ظاهر، وعليَّ الإنذار الذي أُمِرْتُ به دون الإعلام عن وقته الذي لم يُعْلمْني اللَّه به.

(٢٧ -٢٨) - ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أي: وإذا رأوا العذابَ الذي وُعِدوه في الحشر قريبًا منهم ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ﴾؛ أي: وردَ عليهم منه ما ساءَهم؛ أي: أحزنَهم، وهو خلاف سَرَّهم، وخصَّ الوجوه بالذِّكر؛ لأنَّ الوجه هو الذي يظهر عليه أثر المسرَّة والمساءة. ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ

(١) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٤٦)، والكشف والبيان (٩/ ٣٦١).

تَدَّعُونَ﴾: أي: وتقول لهم الملائكة والأنبياء والمؤمنون: ﴿هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾؛ أي: تجتمعون على الدُّعاء به. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾: أي: قل يا محمَّد للذين يقولون فيك: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]: إنْ أماتني اللَّه ﴿وَمَن مَعِيَ﴾ من الأصحاب، ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ وأخَّر في آجالنا. ﴿فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾: أي: ينجيهم ويؤمِّنهم ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي: لا فَرَج لكم في موتنا ولا نجاة لكم به من العذاب، إنَّما ذلك بالإيمان.

(٢٩ - ٣٠) - ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾: ذو الرَّحمة بخلقه ﴿آمَنَّا بِهِ﴾: صدَّقناه ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ لعِلْمنا أنَّه لا يفعل بنا إلَّا ما هو صلاحنا من إحياءٍ وإماتة.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: إذا نزل بكم العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ منَّا ومنكم. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾: أي: غائرًا في الأرض ذاهبًا. ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾: جارٍ على وجه الأرض، تراه العيون، وقيل: ﴿مَعِينٍ﴾: مسرِع في الجري.

(انتهى تفسير سورة الملك).

(٦٨) سورة القلم مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هي سورة مكيَّة، سميت هذه السورة في معظم التفاسير سورة «ن والقلم» على حكاية اللفظين الواقعين في أولها، أي سورة هذا اللفظ، وتسمى عند بعض المفسرين سورة «ن» بالاقتصار على الحرف المفرد الذي افتتحت به مثل ما سميت سورة «ص» وسورة «ق»، وفي بعض المصاحف سميت «سورة القلم»، وهذه السورة هي ثانية السور نزولًا، نزلت بعد سورة العلق، وبعدها سورة المزمل، ثم سورة المدثر، وآياتها اثنتان وخمسون، وكلماتها ثلاثُ مئة، وحروفها ألف ومئتان وسبعون.

أغراضها:

جاء في هذه السورة الإيماء بالحرف الذي في أولها إلى تحدي المعاندين بالتعجيز عن الإتيان بمثل سور القرآن، وهذا أول التحدي الواقع في القرآن إذ ليس في سورة العلق ولا في المزمل ولا في المدثر إشارة إلى التحدي ولا تصريح. وابتدئت بخطاب النبي ﷺ تأنيسًا له وتسلية عما لقيه من أذى المشركين. وإبطال مطاعن المشركين في النبي ﷺ. وإثبات كمالاته في الدنيا والآخرة وهديه وضلال معانديه وتثبيته. وأكد ذلك بالقسم بما هو من مظاهر حكمة الله تعالى في تعليم الإنسان الكتابة فتضمن تشريف حروف الهجاء والكتابة والعلم لتهيئة الأمة لخلع دثار الأمية عنهم وإقبالهم على الكتابة والعلم لتكون الكتابة والعلم سببًا لحفظ القرآن.

ثم أنحى على زعماء المشركين مثل أبي جهل والوليد بن المغيرة بمذمات كثيرة وتوعدهم بعذاب الآخرة وببلايا في الدنيا بأن ضرب لهم مثلًا بمن غرهم عزهم وثراؤهم، فأزال الله ذلك عنهم وأباد نعمتهم. وقابل ذلك بحال المؤمنين المتقين وأن الله اجتباهم بالإسلام، وأن آلهتهم لا يغنون عنهم شيئا من العذاب في الدنيا ولا في الآخرة.

ووعظهم بأن ما هم فيه من النعمة استدراج وإملاء جزاء كيدهم. وأنهم لا معذرة لهم فيما قابلوا به دعوة النبي ﷺ من طغيانهم ولا حرج عليهم في الإنصات إليها. وأمر رسوله ﷺ بالصبر في تبليغ الدعوة وتلقي أذى قومه، وأن لا يضجر في ذلك ضجرًا عاتب الله عليه نبيه يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[(١)]، وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك في خطاب الرَّسول، وافتتاحَ هذه في ثناء الرَّسول، وانتظامها: أنَّ تلك السُّورة في ثناء اللَّه وذمِّ مَن جحده ومدحِ مَن وحَّده، وهذه في ثناء رسول اللَّه ﷺ ومدحِ مَن اتَّبعه وذمِّ مَن عاداه وحسده.

(١-٥)- ﴿ن﴾ الله أعلم بمراده ﴿وَالْقَلَمِ﴾ هو القلم الذي كتب به على اللوح المحفوظ. وقيل: هو قسم من اللَّه بنفسِه، وتقديره: وخالقِ القلم، قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: وما يكتبون من أعمال الخلق، ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾: هو المقسَم عليه؛ أي: لسْتَ يا محمَّد مجنونًا كما يقول مشركو مكَّة بهتانًا وعدوانًا؛ إذ كان اللَّه أنعم عليك بوفور العقل واستكمال خصال الخير ما لم ينعم على أحد من خَلْقه بمثله. ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: أي: غير مقطوع، وقيل: غير

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩/٥٩).

منقوص، وقيل: غير ممتنٍّ به عليك. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: ولا مدحَ فوقَه، فما وصَفه اللَّه بالعظم مَن يدري نهايته؟ وهو تنزيهٌ له عن كلِّ عيبٍ يكون في الأخلاق، ووصفٌ بالتَّحلِّي بكلِّ محاسن الأخلاق. ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾: وهذا وعدٌ له ووعيدٌ لأعدائه، يقول: فسترى أنت وسيرى هؤلاء الذين يجحدون نبوَّتك، وينسبونك إلى الجنون[١].

(٦-١٦)-﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾: تقدير الكلام: أيّكم المفتون؛ أي: المُبتلَى بالجنون، وأنَّه الذي لا يفكِّر في عاقبة أمره، ولا يُحسن النَّظر لنفسه، وسيَظهر في العاقبة أن هذه الصِّفة لهم لا لك. ﴿الْمَفْتُونُ﴾ مصدرٌ بمعنى الفَتْن والفُتُون؛ كالمعقول والمجلود، والميسور والمعسور وقيل: ﴿الْمَفْتُونُ﴾: الشَّيطان؛ لأنَّه مفتون في دينه، ومعناه: بأيِّكم الشَّيطان الذي يكون منه مسُّ الجنون. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: وينكشف لكم أيضًا في العاقبة الضَّالُّ من المهتدي من الفريقين. ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾: أي: المكذبين بالبعث والحساب. ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ أي: لو تلين فيَلينون. ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾: هو الوليد بن المغيرة. وعليه أكثر المفسِّرين.

﴿كُلَّ حَلَّافٍ﴾: كثير الحَلِف بالأصنام والآباء. ﴿مَهِينٍ﴾: دنيء ضعيف حقير، ﴿هَمَّازٍ﴾: غيَّاب وقَّاع في النَّاس، وقال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا: مغتاب. ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: كثيرِ المشي بالنَّميمة. ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: كثير المنعِ نفعَه عن غيرِه،

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٤)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٧٧)، ومعاني القرآن" للأخفش (٢/ ٥٤٧).

وقيل: بخيلٍ بالطَّعام. ﴿مُعْتَدٍ﴾: أي: ظالم متجاوزٍ حدودَ اللَّه في معاملاته. ﴿أَثِيمٍ﴾: أي: مرتكبٍ للإثم فيما بينه وبين اللَّه. ﴿عُتُلٍّ﴾: جافٍ غليظ.، أو قاسٍ لئيم العِشْرة. ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾: أي: مع ذلك، ﴿زَنِيمٍ﴾أي: لا أصلَ له، أو هو الدَّعيُّ. ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾: استفهام بمعنى التَّوبيخ، ومعناه: ولا تطعْهُ بأن كان، أو لأن كان. ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: ويجوز على الوجهين اتِّصاله بقوله: ﴿أَنْ كَانَ﴾، ويجوز أن يكون هذا ابتداءً، وقوله: ﴿أَنْ كَانَ﴾ متَّصلًا بقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ﴾. ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾: الخرطوم: الفم وطرف الأنف، والمعنى: سنسم هذا الكافر بسِمَةٍ لا تفارقه أبدًا؛ أي: سنُلحق به عارًا لا يفارقُه في الدُّنيا والآخرة، وخَصَّ ذكرَ الخرطوم لأنَّ ذلك ممَّا لا يَنكتِم كما ينكتم إذا كان في سائر البدن.

(١٧-٢٥)- ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾: أي: اختبرنا هؤلاء المشركين المانعين الخيرَ بالأولاد والأموال ليشكروا، لا ليطغَوا ويمنعوا خيره.﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: أي: البستان، وكان بأرض اليمن في قرية يُقال لها: ضروان، ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾: أي: حين حلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾؛ أي: ليقطعُنَّ ثمارها، ويجوز في النَّخيل والأعناب والزُّروع. ﴿مُصْبِحِينَ﴾: داخلين في أوَّل صباح النَّهار قبل انتشار المساكين.﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: أي: ما قالوا: إن شاء اللَّه، أو أنَّهم لا يستثنون من الثَّمَرة شيئًا للمساكين؛ أي: أقسموا لَيَصْرِمُنَّ جميعَ الثَّمَر ولا يتركون منه شيئًا. ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: أتى هذه الجنَّة أمرٌ من أمر اللَّه تعالى ليلًا فاستأصلها. ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾: أي: في حال نومِهم. ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾: أي: الجنَّة

﴿كَالصَّرِيمِ﴾ أي: سوداء محترقة كالليل. ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾: أي: لمَّا أصبح أصحابُ الجنَّة نادى بعضهم بعضًا: ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾؛ أي: امضوا لِصرام بستانكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾؛ أي: إن كنتم مريدين صرامَه. ﴿فَانْطَلَقُوا﴾: أي: ذهبوا في هذا الوقت ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾؛ أي: يخفضون أصواتهم في الكلام، ويتسارُّون بهذا الحديث. ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾: أسرِعوا قبل أن يحضر المساكين. ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾: أي: مع القدرة على الإعطاء، ومع السَّعة التي لا عذر معها في المنع، وقيل: على فقرٍ وفاقة إليها[١].

(٢٦-٣٩)- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾: أي: فلمَّا أتوا الجنَّة ورأوها محترقة. ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾؛ أي: قال بعضهم لبعض: إنَّا ضللنا طريقنا، فليسَتْ هذه هي. وقيل: بل أرادوا: إنَّا لضالُّون عن الصَّواب؛ أي: في غدوِّنا على نيَّة منع المساكين، فلذلك عوقبنا بهلاكها. ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: أي: تنبَّهوا أنَّهم ما أخطؤوا طريق بستانهم، وقالوا: ما ضللنا الطَّريق، لكنَّ الله تعالى حرمَنا ثمارَها بسوء نيَّتنا، ويكون هذا اعترافًا بالذَّنب.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: أي: أعدَلُهم وأنبلهم. ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قيل: هلَّا تعظِّمون الله تعالى بتفويض الأمر إليه، والتَّبرِّي من الحول والقوَّة والتَّعليقِ بالاستثناء. ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: اشتغلوا بالتَّسبيح، واعترفوا بالذَّنب، وهو نيَّة المنع أو ترك الاستثناء. ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ

---

(١) جامع البيان (٢٣/ ١٧٤)، والنكت والعيون (٦/ ٦٨).

﴿يَتَلَاوَمُونَ﴾: أي: يلوم كلٌّ واحدٍ منهم صاحبَه على ترك نهيه عنه. ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾: مفرِطين في المعصية، مجاوِزين لحدِّ الطَّاعة، ثم انقطعوا بآمالهم إلى اللَّه تعالى فقالوا: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾: قال الحسنُ رحمه اللَّه: لا أدري أكان ذلك إيمانًا منهم أم ما يكون من المشرك عند البلاء؟. ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾: أي: كذلك نعذِّب مَن فعل فعلَهم بما به عذَّبناهم. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: أي: للمشركين ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: يتفكَّرون في العواقب فيعلمون ذلك. ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: ذكر أوَّلًا: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ وذلك للمشركين، وذكر بعد ذلك ما يكون للمتَّقين أنَّهم لم يتعزَّزوا بجنَّات الدُّنيا ونعيمها، ولم يمنعوا حقَّ المساكين منها، وأعطاهم اللَّه تعالى جنَّات النَّعيم في الآخرة. ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾: استفهام بمعنى النَّفي؛ أي: لا نسوِّي بينهم. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: تعجب منهم حيث يسوون المطيع بالعاصي، ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾. أي: تقرؤونه وتدرسونه. ﴿نَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أي: إن لكم ما تشتهون وتطلبون، وهذا توبيخ للمشركين. ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾أي: هل لكم عهود ومواثيق مؤكدة من جهتنا ثابتة إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ أي: إن لكم الذي تريدونه وتحكمون به.

(٤٠-٤٧) - ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾: أي: سَلْ هؤلاء المشركين يا محمَّد أيُّهم الضَّامن لهم من اللَّه بهذا.؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ في هذا القول يشهدون لهم بصحَّته. ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ هؤلاء ليفعلوا بهم يوم القيامة ذلك ﴿إِنْ كَانُوا

صَادِقِينَ﴾ في دعواهم. ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾: أي: فليأتوا بهم في هذا اليوم الذي يُكشَف فيه عن أهوال وشدائدَ، والعرب تقول للأمر إذا اشتدَّ: قام على ساق. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾: أي: ويدعى هؤلاء المشركون إلى السُّجود ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك. ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾: أي: ذليلةً. ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾؛ أي: تغشاهم ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾؛ أي: في الدُّنيا[1] ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾؛ أي: ولهم سلامة الآلات ولا يسجدون، قال كعبُ الأحبار: واللَّه ما نزلت هذه الآية إلَّا في المتخلِّفين عن الجماعات. ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾: أي: فكِلْ يا محمَّد هؤلاء المكذِّبين بهذا القرآن إليَّ. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: أي: سنُدْنيهم من عذابنا ونقمتنا بالإمهال قليلًا. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: من حيث يغترُّون بطول الإمهال ولا يدرون تقريبي إيَّاهم من العذاب والنكال. ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾؛ أي: أمهلهم ولا أعاجلهم بالعذاب. ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾؛ أي: أخذي بالعذاب شديدٌ قويٌّ. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾: استفهام بمعنى النَّفي؛ أي: لستَ تطمع في شيء من أموالهم في تبليغ الوحي فيثقلَ عليهم فيمتنعوا لذلك.

(٤٧-٥٢) - ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: أعندهم اللوح المحفوظ؟ الذي فيه نبأ ما هو كائن، فهم يكتبون منه ما فيه، ويجادلونك به، ويزعمون أنهم على كفرهم بربهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به. ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: أي: لِمَا حكم عليك مِن تبليغ الرِّسالة باحتمال أذى

(١) التفسير الكبير (٢٠/ ٨٥).

قومك، ولا تَضِقْ به صدرًا، واترك معاجلتهم بالعذاب. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾: أي: كيونس عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذ لم يصبر على أذى قومه وخرج مغاضبًا، فضيَّق اللَّه عليه، فالتقمَه الحوتُ. ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: معناه: واذكره إذ نادى وهو مكظوم؛ أي: مملوءٌ حزنًا وغضبًا. ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: أي: لو لا أنَّ اللَّه تعالى أنعمَ عليه بإجابة دعائه وقَبول عذره. ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾: أي: لألقي بالأرض العارية عن النَّبات والبناء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾بزلَّته. ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾: أي: اصطفاه لدعائه وعَذَرَه. ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي: من المرسلين إلى مئة ألف أو يزيدون؛ فإنَّ الصَّالحين اسمُ الرُّسل. ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بأبصارِهِم﴾أي: ليَعينونك؛ أي: يُصيبونك بأعينهم. ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾؛ أي: حين يسمعون القرآنَ؛ لِمَا فيه مِن سبِّهم، وتسفيه أحلامِهم، وعجزهم عن معارضته. ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾: أي: إنَّ محمَّدًا لمجنون، وكلامه كلام مجنون. ﴿وَمَا هُوَ﴾: أي: وما كلامه والذي يقرؤه كلام مجنون. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: ما هذا القرآن إلَّا ذكر؛ أي: تذكير للعالمين كلِّهم(١).

(انتهى تفسير سورة القلم).

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٢٤).

(٦٩) سورة الحاقة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت «سورة الحاقة» في عهد النبي ﷺ، وبهذا الاسم كتبت في المصاحف وكتب السنة وكتب التفسير، وقد عدت هذه السورة السابعة والسبعين في عداد ترتيب النزول. نزلت بعد سورة تبارك وقبل سورة المعارج، وهي إحدى وخمسون آية، ومئتان وثمانٍ وخمسون كلمة، وألفٌ ومئةٌ وعشرة أحرف.

أغراضها:

اشتملت هذه السورة على تهويل يوم القيامة، وتهديد المكذبين بوقوعه. وتذكيرهم بما حل بالأمم التي كذبت به من عذاب في الدنيا ثم عذاب الآخرة وتهديد المكذبين لرسل الله تعالى بالأمم التي أشركت وكذبت. وأدمج في ذلك أن الله نجى المؤمنين من العذاب، وفي ذلك تذكير بنعمة الله على البشر إذ أبقى نوعهم بالإنجاء من الطوفان. ووصف أهوال من الجزاء وتفاوت الناس يومئذ فيه. ووصف فظاعة حال العقاب على الكفر وعلى نبذ شريعة الإسلام، والتنويه بالقرآن. وتنزيه الرسول ﷺ وعن أن يكون غير رسول. وتنزيه الله تعالى عن أن يقر من يتقول عليه. وتثبيت الرسول ﷺ. وإنذار المشركين بتحقيق الوعيد الذي في القرآن[١]، وانتظامُ ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّه قال في ختم تلك:

(١) التحرير والتنوير(٢٩/١١١).

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: عِظَةٌ، وأعظم العِظَات ذكرُ يوم القيامة، وما فيها في القسَم على حال رسول اللَّه ﷺ، وما فيها من العقوبات، فافتتح هذه السُّورة بذلك، وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك أوَّلُها في القسَم على خُلُق رسول اللَّه ﷺ، وباقيها في أجزية موافقيه ومخالفيه أيضًا في الدُّنيا والآخرة، وهذه آخرُها في القسَم على ذلك، وباقيها في أجزية موافقيه ومخالفيه أيضًا في الدُّنيا والآخرة.

(١-٥) - ﴿الْحَاقَّةُ﴾: أي: القيامة، وسُمِّيت بها لأنَّها تَحُقُّ كلَّ إنسان بعمله من خير أو شر؛ أي: تجعله حقيقًا. ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾: استفهام بمعنى التَّعجُّب، وهو تفخيم لشأنها. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾: أي: وما أعلمَكَ يا محمَّد أيَّ شيءٍ فيها من الأهوال وشدائد الأحوال، وهو تفخيم آخر. ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾: أي: بالقيامة، وسُمِّيَتْ بها لأنَّه تقرعُ قلوب العباد لهجومها عليهم. ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾: أي: بالصَّيحة المتجاوِزة حدَّ الصَّيحات في الهول، حتَّى لم تحتملها قلوب القوم. فـ(الطَّاغية) وصفٌ لتلك الصَّيحة؛ لمجاوزتها القَدْر المعتاد.

(٦ - ٧) - ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾: أي: باردةٍ، من الصِّرِّ. ﴿عَاتِيَةٍ﴾؛ أي: مجاوزةٍ للقَدْر في شدَّة العُصوف. ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: اللَّهُ تعالى أدامَها عليهم منقادةً لأمرِه فيهم، لا تَفْتُر. ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾: أي: متتابعةً لا تنقطع. وقيل: ﴿حُسُومًا﴾؛ أي تَحسِم كلَّ شيءٍ تأتي عليه؛ أي: تقطَعه وتستأصلُه، وعلى هذا يكون قوله: ﴿حُسُومًا﴾ صفةً للرِّيح، لا للَّيالي والأيَّام. ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾: وهو خطاب السَّامع، ومعناه: يراهم مَن يراهَم في هذه اللَّيالي والأيام مصرَّعين، والصَّرعى: جمع صريع، كالأسرى جمع

أسير. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾؛ أي: أصول نخل، وهي جمع نخلة. ﴿خَاوِيَةٍ﴾: أي: خالية الأجواف، وهذه صفةٌ لهم بعِظَم الخِلْقة(١).

(٨-١١) - ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾: أي: مِن نفسٍ باقية. وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾: أي: ومَن عنده ومَن معه. ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾: أي: وقرى قوم لوط المنقلِبة بأهلها. ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾: أي: الخطيئة؛ أي: جاؤوا بالخطيئة. ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: خالفوه وكذَّبوه ﴿فَأَخَذَهُمْ﴾: أي: ربُّهم ﴿أَخْذَةً رَابِيَةً﴾: أي: بالغةً زائدةً على القَدْر المعروف عند النَّاس في العذاب. ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ يعني: تجاوز الحدَّ المعروف في العِظَم حتَّى غرَّق الأرض إلَّا مَن شاء اللّه، وهو ماء الطُّوفان في زمن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾: أي: حملنا أجدادكم، وهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والمسلمون من ولده وزوجاتهم. ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾: أي: في السَّفينة التي اتَّخذها نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمرنا.

(١٢ - ١٣) - ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾؛ أي: عِظَة، فقد أنجينا بها المؤمنين، وأغرقنا الكافرين؛ لتقتدوا أنتم بالفرقة النَّاجية دون الهالكة. ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾: أي: ولتحفظَ هذه التذكرةَ أُذُنٌ حافظة، وتكونَ مودَعة في صدورهم. ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: وهي النَّفخة الأولى حتَّى لا يبقى حيوان إلَّا مات.

(١٤) - ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾: أي: رفعتا عن موضعهما ﴿فَدُكَّتَا﴾ ثنَّى لأنَّ الجبال ذُكِرَتْ جملةً، فصارت شيئًا واحدًا. ومعنى: ﴿فَدُكَّتَا﴾ أي: زُلزلتا.

(١) الدر المنثور (٨/ ٢٦٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٦١).

(١٥ - ١٧) - ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾: أي: تقع صيحة القيامة وتقوم السَّاعة، وذلك من النَّفخة الأخرى. ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: أي: انصدعت ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾: أي: شديدة الضَّعف بانتقاض تركيبها وعدمِ استمساكها. ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾: أي: والملائكة حينئذ على أطرافها ونواحيها. ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾: أي: ينزل العرشُ إلى عرصة القيامة لفصل القضاء بين الخلق، قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هم ثمانية صفوف من الملائكة.

(١٨ - ١٩) - ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾؛ أي: للحساب ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾: أي: لا تخفى فعلةٌ أو خصلة منكم على اللَّه. ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾: أي: فهو من أهل الجنَّة، فقد غُفرت سيِّئاته، فإذا وقف على ذلك استبشر وقال: ﴿هَاؤُمُ﴾. أي: تعالوا تناولوا وخذوا. ﴿اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ لأنَّه ليس فيه ما يكرهه أو يستحيي منه. والهاء للاستراحة والوقف.

(٢٠ - ٢٤) - ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾: أي: علمْتُ وأيقنْتُ واعتقدْتُ ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾: الهاء للاستراحة أيضًا؛ أي: علمْتُ أنَّ اللَّه تعالى سيحاسبني واجتهدْتُ في الطَّاعات، وجانبْتُ السَّيِّئات. ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾: أي: ذات رضًا، وهي صفةٌ جامعة لكلِّ خير. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: أي: رفيعة ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾؛ أي: ثمارها قريبةُ التَّناول. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: أي: يقال لهم فيها: كلوا واشربوا ﴿هَنِيئًا﴾؛ أي: سائغًا لا مكروهَ فيه ولا أذى. ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾: أي: جزاءً لكم بما قدَّمتم من الأعمال الصَّالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾؛ أي: الماضية في الدُّنيا(١).

(١) الكشاف (٤/ ٦٠٣)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٠).

(٢٥ -٢٨) - ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾: أي: الكافر الذي يُعطَى كتابه بشماله، وفيه سيِّئاته كلُّها. ﴿فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾: هذا الكتاب، والهاء للاستراحة. ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: وليتني لم أعلم ما حسابي، أهو خير أم شرٌّ؟ ﴿يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾: أي: المهلِكةَ القاطعة؛ أي: يا ليْتَ الموتة التي كانت في الدُّنيا لم يكن بعدها بعثٌ ولا حسابٌ. ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾: أي: ما نفعني ما جمعته إذا لم أنفقه في سبيل اللَّه ووجوه مرضاته.

(٢٩ -٣١) - ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾: والهاء للاستراحة أيضًا، ومعناه: ذهبَتْ عنِّي حجَّتي. ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾: أي: يُقال للزَّبانية: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾؛ أي: شدُّوه بالأغلال. ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾: أي: أدخلوه مغلولًا.

(٣٢) - ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾: أي: ثم اجعلوه في سلسلةٍ من سلاسل النَّار. ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾؛ أي: فأدخِلوه في سلسلة.

(٣٣ -٣٦) - ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾: أي: يعذَّب بهذا العذاب لكفره. ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾: أي: كان مع كفره لا يحرِّض غيره من أهله وغيرهم على إطعام المحتاجين. ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾: أي: قريبٌ يَرِقُّ لِمَا ناله ويدفعه عنه أو يخفِّفه عليه. ﴿وَلَا طَعَامٌ﴾: أي: فليس له طعام ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: قيل: هو ما يسيل من صديد أهل النَّار وقيحهم، وكأنَّه غُسالة أجسادهم.

(٣٧ - ٤٠) - ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾: أي: المذنبون الذين لا

يستحقُّون المغفرة. ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾. (لا) ردُّ كلام الكفرة؛ أي: ليس الأمر كما يقولون. وهو قول الفرَّاء. ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: من عجائب خلق الله ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ من ذلك، وهو قسمٌ بكلِّ شيءٍ. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: أي: تلاوةُ رسول كريم أكرمه الله تعالى بالرِّسالة، وهو محمَّد ﷺ، وقيل: هو جبريل، والأظهر أنَّه هاهنا سيدنا محمَّدٌ ﷺ.

(٤١ - ٤٤) - ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾: أي: ليس هذا القرآن قولًا من رجل شاعر؛ لأنَّ هذا القول مُباينٌ لصنوف الشِّعر كلِّها. ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾: أي: ليس لكم هَمُّ الإيمان أصلًا، فلذلك تُعرِضون عن التدبُّر فيه ولو تدبَّرتم فيه عرفتُم أنَّه ليس بقول شاعر. ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾؛ أي: وليس هو بقول كاهن تأتيه الشَّياطين، ويلقون إليه ما سمعوه من أخبار السَّماء. ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾: أي: ليس لكم هَمُّ التَّذكير لِما يُتلى عليكم، ولو تذكَّرتم علمْتُم أنَّه ليس بقول كاهنٍ. ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: إن هذا القرآن الموصوف بتلك الصفات الجليلة هو تنزيل رب العالمين، الذي يربي عباده بنعمه الدينية والدنيوية، ومن أجل هذه التربية التي ربى بها عباده، إنزاله هذا القرآن، الذي قد اشتمل على مصالح الدارين، ورحم الله به العباد رحمة لا يقدرون لها شكورًا. ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾: أي: ولو تكلَّف علينا محمَّدٌ قولًا تقوَّله علينا لم نقله كذبًا وزورًا.

(٤٥ - ٤٧) - ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾: أي: لأخذنا بيده اليمنى لإقامة العقوبة عليه. ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ هو عرق في القلب متَّصل بالظَّهر، إذا قُطع ذلك مات الإنسان. ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾: أي: ولو

عاقبناه لم يكن أحدٌ منكم يتهيَّأ له أن يحجزنا عنه؛ أي: يمنعنا[١].

(٤٨ -٥٢) - ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي: وإن القرآن العظيم لعظةٌ لمن همُّه التَّقوى. ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾: أي: به، وذلك لا يُخرجه من أن يكون تذكرة. ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: أي: وإنَّ القرآن حسرةٌ على الكفَّار إذ لم يؤمنوا به، فيتخلَّصون يومئذ. ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾: أضيف الحقُّ إلى اليقين لِمَا مرَّ في آخر سورة الواقعة؛ أي: هو من اللَّه تعالى حقًّا يقينًا. ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: أي: فنزِّه اللَّه تعالى يا محمَّد عمَّا يصفه به المشركون، واذكره بأسمائه العظام كما يقوله المخلصون.

(انتهى تفسير سورة الحاقة).

(١) النكت والعيون (٦/ ٨٦)، والبسيط (٢٢/ ١٩٠).

(٧٠) سورة المعارج مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت هذه السورة في كتب السنة وبعض التفاسير «سورة سأل سائل»، وسميت في معظم المصاحف وفي معظم التفاسير «سورة المعارج». وتسمى أيضًا «سورة الواقع». وهذه الأسماء الثلاثة مقتبسة من كلمات وقعت في أولها، وأخصها بها جملة «سأل سائل»؛ لأنها لم يرد مثلها في غيرها من سور القرآن إلا أنها غلب عليها اسم «سورة المعارج» لأنه أخف، وهي السورة الثامنة والسبعون في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الحاقة وقبل سورة النبأ، وهي ثلاث وأربعون آية، ومئتان وسبعَ عشرةَ كلمة، وتسعُ مئة وسبعةٌ وخمسون حرفًا.

أغراضها:

حوت من الأغراض تهديد الكافرين بعذاب يوم القيامة، وإثبات ذلك اليوم ووصف أهواله. ووصف شيء من جلال الله فيه، وتهويل دار العذاب وهي جهنم. وذكر أسباب استحقاق عذابها. ومقابلة ذلك بأعمال المؤمنين التي أوجبت لهم دار الكرامة وهي أضداد صفات الكافرين. وتثبيت النبي ﷺ، وتسليته على ما يلقاه من المشركين. ووصف كثير من خصال المسلمين التي بثها الإسلام فيهم، وتحذير المشركين من استئصالهم وتبديلهم بخير منهم [١]، وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّه ذكر في ختم تلك السُّورة حسرة للكافرين، وفي افتتاح هذه عذاب

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٥٣).

الكافرين، وانتظام السُّورتين أنَّهما في ذكر يوم القيامة، وما فيه لأهل الكفر والإيمان من العقوبة والكرامة.

(١ - ٢) - ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قيل: أي: دعا داعٍ بعذابٍ واقعٍ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾؛ أي: بعذابٍ لا محالة هو واقع بالكفَّار يوم القيامة. ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾: أي: ليس لهذا العذاب مَن يدفعه عن هؤلاء الكفَّار.

(٣ - ٤) - ﴿مِنَ اللَّهِ ذِى الْمَعَارِجِ﴾: أي: هذا العذاب من اللَّه تعالى ذي المعارج: جمعُ مَعْرَج بفتح الميم والرَّاء، وهو المصعد، والعروج: الصُّعود، والمعارجُ: الدَّرجات، والأظهر: أنَّها معارج السَّماء التي تعرج فيها الملائكة، وقد ذكرها في الآية: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وهو قول مجاهد وغيره. ﴿وَالرُّوحُ﴾: قال الحسن رحمه اللَّه: هو جبريل صلوات اللَّه عليه. ﴿إِلَيْهِ﴾: أي: إلى اللَّه تعالى، ومعناه: إلى حيث أمرَ اللَّه. ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: قال مجاهد: أي: من أسفل الأرضين السَّبع إلى ما فوق السَّماوات السَّبع مسيرةُ خمسين ألفَ سنة لعروج غيرهم، وهم يعرجون في مدَّة قليلة. وقيل: هذا اليوم يوم القيامة، ومقداره خمسون ألف سنةٍ على اعتبار أيَّام الدُّنيا.

(٥ - ١٠) - ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾: أي: على تبليغ الرِّسالة، وعلى أذى الكفَّار صبرًا لا شكوى فيه. ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾: أي: تعتقده الكفَّار غيرَ كائن، كما يقال: هذا بعيد عن الصَّواب؛ أي: هو خطأ لا صواب فيه. ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾: أي: نعلَمه كائنًا، وكلُّ آتٍ قريبٌ. ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾: أي: مثل الفضَّة إذا أذيبَتْ، وقال الضَّحَّاك: المهل: الشَّيء الأسود. ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ

﴿كَالْعِهْنِ﴾: أي: الصُّوفِ الملوَّن؛ أي: يلين من صلابتها ويصير كذلك. ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: قال الفرَّاءُ: أي: لا يسأل ذو قرابة عن قرابته: ما حاله؟

(١١ - ١٦) - ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾؛ أي: يعرَّفونهم، حتَّى يصير كلُّ إنسان بصيرًا بصاحبه. ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾: أي: يتمنَّى المشرك ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾؛ أي: لو أَمْكَنه أن يبذل عن نفسه بذلًا يتخلَّص به ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ﴾؛ أي: امرأته ﴿وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ﴾؛ أي: أقربِ قبيلته التي ينتمي إليها ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾؛ أي: تضمُّه إلى رحلها، وتُنزله فيه لقُرب قرابته. ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: من النَّاس بعُدوا أو قربوا. ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾: أي: يخلِّصه الافتداء. ﴿كَلَّا﴾: أي: لا ينجيه الافتداء من عذاب اللَّه. ﴿إِنَّهَا لَظَى﴾: أي: هي جهنَّم المتلظِّية نيرانُها؛ أي: الملتهبة. ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾: ومعناه: تنزع بشدَّة تلظِّيها جلدة الرَّأس وأطرافَ البدن كلِّها من الأيدي والأرجل ونحوهما[١].

(١٧ - ١٩) - ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾: أي: تدعو لظًى إلى نفسِها مَن أدبرَ في الدُّنيا عن طاعة اللَّه تعالى، وتولَّى عن الإيمان باللَّه تعالى. ﴿وَجَمَعَ﴾: أي: الأموال ﴿فَأَوْعَى﴾؛ أي: جعلها في وعاء حابسًا حقَّ اللَّه تعالى؛ أي: كفر باللَّه تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾: أريد به الجنس والجمع، الهَلُوعُ: الضَّجور، وقيل: الهلعُ: شدَّة الحرص.

(٢٠ - ٢٥) - ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: أي: أصابه المكروه ﴿جَزُوعًا﴾. الجزوع: الضَّجور. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾: أي: أصابه الغنى ﴿مَنُوعًا﴾ وهذا طبعُه، وهو

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٤).

مأمور بمخالفة طبعه، وموافقةِ شرعه. ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾: أي: صلواتهم الخمس ﴿دَائِمُونَ﴾؛ أي: محافظون عليها في أوقاتها، وقيل: هم الذين لا يتركون فرضهَا، ولا يقطعون ما اعتادوا من نفلِها. ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: قيل: هي الزَّكاة. وقيل: هي الزَّكاة وسائر الواجبات، وقيل: النَّوافل. والسَّائل والمحروم فسَّرتا في الذَّاريات.

(٢٦ - ٣١) - ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: أي: يوم الجزاء، ويوم الحساب، ويوم القضاء، وهو يوم القيامة، وإذا صدَّقوا به استعدُّوا له. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾: أي: خائفون، فإذا خافوه لم يَعْصوه. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾: لأن المغفرة في حقِّ المؤمن معلَّقة بالمشيئة. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾: أي: نسائهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾؛ أي: إماؤهم ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: على ترك التَّحفُّظ عنها. ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾: أي: طلب الاستمتاع وراء النِّكاح وملك اليمين. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾: أي: المتعدُّون حدَّ الشَّرع، ودخل في هذا تحريمُ وطءِ الذُّكران والبهائم.

(٣٢ - ٣٤) - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾: ويدخل فيه أمانات الشَّرع وأمانات العباد. ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: أي: وعهودهم، ويدخل فيه عهود الخلق والنُّذور والأيمان. ﴿رَاعُونَ﴾: أي: حافظون. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾: أي: يقيمون شهاداتهم لله تعالى، لا يحابُون، ولا يكتمون، ولا يغيِّرون. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: والمحافظة عليها: تركُ تضييعها؛ كأنَّك تحفظُها وهي

تحفظك[١].

(٣٥ - ٣٨) - ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾: قال زيد بن أسلم: أي: بثوابٍ لم تره عينٌ، ولا تسمعُ به أذنٌ، ولا يخطر على قلب. ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾: أي: مسرعين، وقيل: المهطِعُ: المقبِلُ ببصره على الشَّيء لا يُزايله، وذلك من نظر العدو. ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾: أي: جماعات في تَفرِقة، واحدتُهم: عِزَةٌ، وأصله: عِزْوة، وهي جماعة يُعْزَون إلى أبٍ واحد؛ أي: ينتسِبون. ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ مع هذا ﴿أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كالمؤمنين الذين وصفناهم بهذه الأعمال.

(٣٩ - ٤١) - ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾: أي: من النُّطفة. ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾: وهي مطالعُ الشَّمس ومغاربُها في السَّنة. ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾: على أن نَذهب بهم ونجيءَ بخيرٍ منهم في الفضل والمال وغير ذلك. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: أي: ما يفوتُنا ما نريد منهم وبهم من خيرٍ وشرٍّ، فليس تأخيرنا معاقبتَهم لعجزنا، بل لحكمةٍ، وهذا وعدٌ للنَّبيِّ ﷺ، ووعيدٌ لأعدائه.

(٤٢ - ٤٤) - ﴿فَذَرْهُمْ﴾: أي: فدعهم يا محمَّد ﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾؛ أي: فيما هم فيه، فإنَّه اشتغالٌ بالباطل الذي لا يأتي بنفع، بل بضرٍّ وتعبٍ، يتصرَّف فيه صاحبه عن غير عاقبة حميدة، وعن قريب يلاقون يومَهم هذا الذي يوعدون به، وهو يوم تكون السَّماء كالمهل، وكذا وكذا. ﴿يَوْمَ

(١) جامع البيان (٢٣/ ٢٧٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٢٣).

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: أي: القبور ﴿سِرَاعًا﴾ متبادرين إلى موقف الحساب. ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في سرعتهم ﴿إِلَى نُصُبٍ﴾: أي: الصَّنم الذي يُنصَب فيُعبَد، وجمعه: الأنصاب. ﴿يُوفِضُونَ﴾؛ أي: يسرعون. ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾: أي: ذليلةً، نصبٌ على الحال. ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: أي: يغشاهم هوان المذنبين. ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾: فيكذِّبون به، فيقولون: متى هذا العذاب الواقع؟[(١)].

(انتهى تفسير سورة المعارج).

(١) التيسير في التفسير (١٥/ ٢٠).

(٧١) سورة نوح مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، وبهذا الاسم سميت في المصاحف وكتب التفسير، وقد عدت الثالثة والسبعين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد نزول أربعين آية من سورة النحل وقبل سورة الطور، وهي ثمان وعشرون آية، ومئتان وستٌّ وعشرون كلمة، وتسعُ مئة وثمانية وثلاثون حرفًا.

أغراضها:

أعظم مقاصد السورة ضرب المثل للمشركين بقوم نوح وهم أول المشركين الذين سلط عليهم عقاب في الدنيا، وهو أعظم عقاب أعني الطوفان. وفي ذلك تمثيل لحال النبي ﷺ مع قومه بحالهم. وفيها تفصيل كثير من دعوة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى توحيد الله ونبذ عبادة الأصنام وإنذاره قومه بعذاب أليم واستدلاله لهم ببدائع صنع الله تعالى وتذكيرهم بيوم البعث. وتصميم قومه على عصيانه وعلى تصلبهم في شركهم. وتسمية الأصنام التي كانوا يعبدونها.

ودعوة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على قومه بالاستئصال. وأشارت إلى الطوفان. ودعاء نوح بالمغفرة له وللمؤمنين، وبالتبار للكافرين كلهم. وتخلل ذلك إدماج وعد المطيعين بسعة الأرزاق وإكثار النسل ونعيم الجنة(١)، وانتظامُ ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك في وعيد النَّبيِّ ﷺ قومَه، وافتتاح هذه السُّورة في إنذار نوح،

---

(١) التحرير والتنوير(٢٩/١٨٦).

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في وعيد الكافرين ووعد المؤمنين.

(١ - ٣) - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾: أي: أمرناه أن أنذر قومك، أي: خوِّف قومَك، والإرسال يدلُّ عليه. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: وجيع. ﴿قَالَ يَاقَوْمِ﴾: أي: يا قومي، أضافهم إلى نفسه إظهارًا للشَّفقة ولأنَّه لا يريد بهم إلَّا الخير. ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: أي: مخوِّفٌ لكم عذابًا أليمًا ينزل بكم إنْ أصرَرْتم على كفركم. ﴿مُبِينٌ﴾: مظهِرٌ بلسانٍ تعرفونه ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحِّدوه. ﴿وَاتَّقُوهُ﴾: ولا تخالفوا أمرَه ولا نهيَه. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فيما أبيِّنُه لكم.

(٤) - ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: ﴿مِنْ﴾ أي: يغفر لكم ذنوبَكم. ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي: إلى منتهَى آجالكم في الدُّنيا في عافية، فلا يعاقبكم بالغرق ولا بغيره. ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ﴾: أي: الوقتَ الذي أجَّله لعذابكم ﴿لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أحكامَ اللَّه في خلقِه.

(٥ - ٧) - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾: أي: بلَّغهم ما أُرسلَ به إليهم فعصَوه وكذَّبوه، وقال: يا ربِّ إنِّي دعوت قومي إلى ما أمَرْتني به أن أدعوَهم إليه من عبادتك وتقواك ليلًا ونهارًا مواصلةً كلَّما أمْكَنني. ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾: أي: لم يزدادوا عند دعائي إلَّا فرارًا عن إجابتي. ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾: أي: إلى أن تغفرَ لهم، يعني: إلى أن يفعلوا ما يستحقُّون به غفران الذُّنوب السَّالفة. ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾: لئلَّا يسمعوا كلامي. ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾: أي: تغطَّوا بثيابهم، وجعلوا رؤوسهم فيها؛ لئلَّا يروا وجهي، ولئلَّا يقع عليهم بصري، مظهِرين أنَّهم غيرُ قابلين وعظي. ﴿وَأَصَرُّوا﴾:

أي: أقاموا على شركهم. ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾: أي: تعظَّموا عن إجابتي تعظُّمًا.

(٨ - ١٠) - ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾: أي: مجاهرةً على رؤوس الملأ في المحافل. ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾: أي: دعوتُهم فيما بيني وبينهم سرًّا وعلانية، وهو أن يخلوَ بالواحد فالواحد منهم، فيسرَّ إليه الدَّعوة. ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾: أي: آمنوا باللَّه واسألوه مغفرةَ ذنوبكم، إنَّه لم يزل غفَّارًا للذُّنوب لمن ينيب إليه ويتوب.

(١١ - ١٢) - ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾: أي: كثيرَ الدُّرور، وهو الانصباب. ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾: أي: يَزِدْ في أموالِكم وبنيكم من المدد. ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾: أي: بساتين في الدُّنيا. ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾: أي: جاريةً لمنافعكم فيها وفي غيرها لمزارعكم وأشجاركم.

(١٣ - ١٤) - ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: أي: ما لكم يا قوم لا تخافون للَّه عظمة وقدرةً أن يأخذَكم على إصراركم واستكباركم فلا تقدرون على دفع ذلك؟ والرَّجاء يكون للطَّمع والخوف، وهاهنا للخوف. ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: أي: تاراتٍ وكرَّاتٍ؛ نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً(١).

(١٥ - ١٦) - ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾: أي: بعضُها فوق بعض. ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾: أي: جعل القمر نورًا يهتدي به أهل الأرض في اللَّيل، وجعل الشَّمس سراجًا يضيء لهم في نهارهم ليتوصَّلوا به إلى التَّصرُّف في معايشهم، يُجري ذلك كلَّه على نظام واحد

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٨٦).

معروف، يدلُّ على أنَّهما مسخَّران لقادرٍ عالمٍ حيٍّ مريدٍ مختارٍ، لا يشبه شيئًا من المخلوقات.

(١٧ - ٢٠) - ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾: أي: أخرج أباكم من الأرض لأنَّه خلقَه من طينها، وأنتم منه، فكان إنباتًا لكم. ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾: أي: في الأرض بعد الموت ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ منها بعد البعث. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾: أي: بسطها لكم ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾؛ أي: طرقًا واسعة لتتصرَّفوا فيها.

(٢١ - ٢٢) - ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ﴾: أعاد قوله: ﴿رَبِّ﴾ لطول الكلام. ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾؛ أي: خالفوا أمري، ولم يجيبوني، ولم يتَّبعوني. ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾: المراد به الجمع، وهم الكُبراء والأغنياء. ﴿لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ﴾؛ أي: لم يزددْ بسبب ماله وولده ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾؛ أي: في أمر الآخرة بترك صرفه إلى وجوه الخيرات. ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾: أي: كبيرًا؛ أي: احتالوا لصدِّ النَّاس عنِّي.

(٢٣) - ﴿وَقَالُوا﴾: أي: الرُّؤساء لأتباعهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾؛ أي: أصنامكم على العموم. ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: هذه الأصنام الخمسة على الخصوص، أمَّا ودٌّ فكان لدُومة الجندل، وأمَّا سواعٌ فلهُذَيلٍ، وأمَّا يغوثُ فلبني غطيفٍ حيٍّ من مراد، وأمَّا يعوقُ فلهَمْدانَ، وأمَّا نسرٌ فلذي الكَلَاع من حِميَرَ.

(٢٤ -٢٥) -﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾: أي: صاروا سببًا لضلال كثير من النَّاس.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: دلَّ هذا على أنَّ أفعال العباد مخلوقةٌ للَّه تعالى.

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾: كلمتان: (مِن) و(ما)، و(ما) صلةٌ زائدة، وتقديره: من خطيئاتهم. ﴿أُغْرِقُوا﴾؛ أي: بسبب ذنوبهم وإصرارهم عليها أغرقوا بالطُّوفان. ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾: أي: صُيِّروا في عذاب النَّار، وهو دليل على عذاب القبر. ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ﴾: أي: لأنفسهم. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: من غير الله ﴿أَنْصَارًا﴾ يعينونهم ويمنعونهم من عذاب الله؛ أي: ممَّا كانوا يُعِدُّونه لذلك من الأولاد والأتباع.

(٢٦ -٢٧) - ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾:

أي: أحدًا يدور في الأرض بالذَّهاب والمجيء، وقيل: ﴿دَيَّارًا﴾؛ أي: صاحبَ دار.

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾: فيكون منهم الإفساد دون الإصلاح. ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾: أي: إلَّا مَن إذا بلغ فجَر وكفَر.

(٢٨) - ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾: قال ابن عبَّاس: وكان أبواه مسلمين. لَمْك بنُ مَتُّوشَلَخ وسَمْحا بنتُ أنوش. ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: قال ابن عبَّاس: عامَّة المؤمنين والمؤمنات.

﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾؛ أي: مسجدي وقيل: سفينتي. ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: المشركين ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾؛ أي: هلاكًا(١).

(انتهى تفسير سورة نوح).

---

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٢٣٦)، والكشف والبيان (١٠/ ٤٨).

(٧٢) سورة الجن مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت في كتب التفسير وفي المصاحف «سورة الجن»، وتسمى أيضًا: «سورة قل أوحي إلي»، ووجه التسميتين ظاهر، وقد عدت السورة الأربعين في نزول السور نزلت بعد الأعراف وقبل يس، وهي ثمان وعشرون آية، ومئتان وستٌّ وثمانون كلمة، وألفٌ وثمانيةٌ وثمانون حرفًا.

أغراضها:

إثبات كرامة للنبي ﷺ بأن دعوته بلغت إلى جنس الجن وإفهامهم فهم معان من القرآن الذي استمعوا للنبي ﷺ وفهم ما يدعو إليه من التوحيد والهدى، وعلمهم بعظمة الله وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد. وإبطال عبادة ما يعبد من الجن. وإبطال الكهانة وبلوغ علم الغيب إلى غير الرسل الذين يطلعهم الله على ما يشاء. وإثبات أن لله خلقًا يدعون الجن وأنهم أصناف منهم الصالحون ومنهم دون ذلك بمراتب، وتضليل الذين يتقولون على الله ما لم يقله، والذين يعبدون الجن، والذين ينكرون البعث، وأن الجن لا يفلتون من سلطان الله تعالى. وتعجبهم من الإصابة برجوم الشهب المانعة من استراق السمع، وفي المراد من هذا المنع والتخلص من ذلك إلى ما أوحى الله إلى رسوله ﷺ من في شأن القحط الذي أصاب المشركين لشركهم ولمنعهم مساجد الله، وإنذارهم بأنهم سيندمون على

تألبهم على النبي ﷺ ومحاولتهم منه العدول عن الطعن في دينهم[١]. وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ نوحًا دعا للمؤمنين والمؤمنات من أمَّة محمَّد ﷺ ومنهم مؤمنو الجنِّ، قال تعالى خبرًا عنهم: ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾، وانتظام السُّورتين في المعنى: أنَّهما في الدَّعوة إلى التَّوحيد، ونجاةِ مَن أجاب إليه، وهلاكِ مَن لم يُجب.

(١) ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾؛ أي: قلْ يا محمَّد ﷺ لأمَّتك: أوحَى الله تعالى إليَّ أنَّه استمع -أي: إلى قراءتي- نفرٌ من الجنِّ. ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾: أي: عجيبًا في نظمِه معجزًا لا يُقدَر على مثله

(٢ - ٣) - ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾: أي: يدلُّ مَن تدبَّره على السَّداد. ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾: أي: صدَّقنا أنَّه من عند الله، ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾: من خلقه. ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾: أي: سلطانه وملكه. ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾: أي: زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾ كما يقوله المبطلون.

(٤ - ٦) - ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ﴾: أي: جاهلنا؛ أي: الخفيفُ القَدْر والوزن والعقل. ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾: أي: قولًا جائرًا يجور فيه عن الحقِّ والصَّواب. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: كنَّا نظنُّ قبل أن نسمع القرآن أنَّ إبليس وغيره من الجنِّ والإنس لا يَجْتَرِئون على الكذب على الله تعالى، وأنَّ سفيهَنا صادقٌ فيما كان يكذب على الله تعالى، إلى أن سمعنا القرآن، فعلمنا أنَّه وسائرَ مَن اتَّبعه وأطاعه كاذبون على الله تعالى، فرجعنا عنه[٢].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢١٧).

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٧٢)، والكشف والبيان (١٠/ ٥٠).

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾: أخبر عن طائفة من العرب أنَّهم كانوا يستجيرون بالجنِّ، يقول: كان رجال من الإنس يلتجئون في أسفارهم إذا نزلوا واديًا مُقْفِرًا موحشًا يخافون فيه على أنفسهم من الجنِّ أن يتخبَّطوهم أو ينالوهم بسوء، فيقولون: نعوذ بسيِّد هذا الوادي من سفهائه. على هذا أكثر المفسِّرين. ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾: يعني: أنَّ الإنس زادوا الجنَّ غيًّا لتعوُّذهم بهم، وقيل: ﴿رَهَقًا﴾: فسادًا وجهلًا، وقيل: سفهًا وطغيانًا.

(٧ - ٨) - ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾: يقول اللَّه تعالى: وأنَّ هؤلاء الجنَّ ظنُّوا كما ظننتم معاشر الإنس ﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾؛ أي: رسولًا إلى خلقه، وقيل: أي: لن يبعث اللَّه أحدًا بعد الموت للحساب والجزاء. ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾: قيل: أي: التَمَسْناها وطلبناها، وأردناها لاستراقِ السَّمع منها. ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾: أي: حفَظةً، جمعُ حارس، كالسَّلَف جمع سالف. ﴿شَدِيدًا﴾: أي: شِدادًا، ووحَّد لأنَّ ظاهر لفظه لفظُ الواحد، وهو كقولهم: سلَفٌ صالحٌ؛ أي: أسلافٌ صالحون. ﴿وَشُهُبًا﴾: أي: كواكب مضيئة كشهب النَّار تُرجَم بها الشَّياطين.

(٩ - ١٠) - ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾: أي: من السَّماء قبل هذا ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾؛ أي: لاستماع أخبار السَّماء. ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾؛ أي: يُرِدِ الاستماع ﴿يَجِدْ لَهُ﴾؛ أي: لنفسه ﴿شِهَابًا رَصَدًا﴾؛ أي: معدًّا لرجمه. ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: إذ حُرسَتِ السَّماء من ذلك. ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: أي: خيرًا وصلاحًا[1].

---

(١) جامع البيان (٢٣/ ٣١٤)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٩٢).

(١١ -١٢) - ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾: أي: قالت الجنُّ: كان منَّا قبل استماع القرآن مؤمنون بالأنبياء المتقدِّمين، صالحون في الإيمان، متقدِّمون في عمل الخير.

﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾: أي: مؤمنون دون الطَّبقة الأولى. ﴿كُنَّا طَرَائِقَ﴾: طريقة: جماعة. ﴿قِدَدًا﴾: أي: فرقًا قطعًا مختلفين كفَّارًا ومؤمنين، والقِدَدُ: جمع قِدَّة، وهي القطعة، من قَدَدْتُ السير؛ أي: قطَعْتُه. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾: أي: قد علمنا ﴿أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: لن نفوته في الأرض إن أقمنا فيها. ﴿وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾: ولن نفوته ولو هربنا إلى البحار أو إلى السَّماء.

(١٣ -١٤) - ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾: أي: القرآنَ الدَّال على الرُّشد ﴿آمَنَّا بِهِ﴾؛ أي: صدَّقنا به. ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾: أي: نقصًا من الثَّواب ﴿وَلَا رَهَقًا﴾؛ أي: فوتَ الثَّواب وبطلانَه أصلًا، فإنَّ الرَّهَق له وجوه، ومنها الفساد، وقيل: ﴿رَهَقًا﴾؛ أي: مؤاخَذةً من غير ذنبٍ، أو بذنبِ غيرِه. ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾: أي: بعد استماع القرآن. والقاسطون: الكافرون الجائرون عن الحقِّ. ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ وهو اسم للجنس فصار للجمع ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا﴾؛ أي: قصدوا، وقيل: طلبوا، وقيل: اتَّبعوا. ﴿رَشَدًا﴾: أي: هدًى.

(١٥ -١٧) - ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: أي: صاروا في حكم اللَّه تعالى وقودًا لجهنَّم، يُلقَون فيها ويُحرَّقون بها ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾: انقطع كلام الجنِّ، وهذا ابتداءُ كلام من اللَّه تعالى، يقول: لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾: قيل: عذبًا كثيرًا، وقيل: نافعًا كثيرًا. ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: أي: لنمتحنهم فيه بالشُّكر. ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ

﴿رَبِّهِ﴾: عن ذكر إنعامه ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾؛ أي: يُدخله عذابًا شاقًّا شديدًا، وقد تصعَّد الشَّيء؛ أي: شقَّ.

(١٨ -١٩) - ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾: أي: وأُوحيَ إليَّ أنَّ المساجد، وهي البيوت المبنيَّة للصَّلاة فيها للَّه تعالى، وهو المستحِقُّ للعبادة فيها. ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾: أي: لا تعبدوا، وقيل: أي: لا تدعوا غيره إلهًا. ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾: أي: أُوحي إليَّ أنَّه لَمَّا قام عبد اللَّه؛ أي: محمَّد رسول اللَّه. ﴿يَدْعُوهُ﴾: أي: يعبد اللَّه ويصلِّي له. ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾: أي: قاربَتِ الجنُّ أن يكونوا على رسول اللَّه ﷺ متراكبين؛ شهوةً لِمَا سمعوه منه، وحرصًا على التَّمكُّن منه. على هذا أكثر المفسِّرين. وقيل: ﴿لِبَدًا﴾؛ أي: ركامًا[(١)].

(٢٠ -٢٢) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾: أي: قل يا محمَّد للمشركين: إنَّما أعبد خالقي ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ مِن خلقِه. ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾: أي: كفرًا؛ فإنَّه ضارٌّ ﴿وَلَا رَشَدًا﴾؛ أي: إيمانًا، فإنَّه هدًى؛ أي: لا أملك إدخالَكم في الكفر أو الإيمان، إنَّما ذلك إلى اللَّه تعالى. ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾: أي: لن يدفع عنِّي عذابَه أحدٌ ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾؛ أي: ملجأً، وقيل: ﴿مُلْتَحَدًا﴾؛ أي: مَعْدِلًا أعدِلُ عن اللَّه تعالى إليه.

(٢٣ -٢٤) - ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾: أي: لا أجد شيئًا ينجيني منه إلَّا أن أبلِّغ ما يأتيني من اللَّه ومن رسالاته التي أمرني بأدائها. ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: ردَّ أمر اللَّه ورسوله ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وهذا واحدٌ، للفظةِ (مَن)

---

(١) التفسير الكبير (٣٠/ ١٤٤)، والكشف والبيان (١٠/ ٥٤).

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: وهذا جمع، لمعنى (مَن) لأنَّه جنس. ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾: أي: هذه النَّار يوم القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾؛ أي: أهُم أم المؤمنون؟ أي: الكافر لا ناصر له يومئذ، والمؤمن ينصرُه اللَّه تعالى وملائكته وأنبياؤه.

(٢٥ -٢٨) - ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾: أي: ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ من إدخال النَّار ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾؛ أي: غايةً بعيدة. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾: أي: ربِّي. ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾؛ أي: لا يُطْلِع. ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾: أي: إلَّا مَن اختاره اللَّه تعالى لرسالته. ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾: أي: يدخل بين يدي الرَّسول ومِن خلفه ملائكة حفَظَةً له، يحرسونه عن أن يَقْرَبه الشَّيطان عند إنزال الوحي. ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾: أي: ليَظْهرَ إبلاغُ الرُّسلِ قومَهم ما أُمروا بإبلاغه محفوظًا عن التَّغيير، والعلم كنايةٌ عن الظُّهور. ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: أي: ليَظهر ما عَلِم اللَّه بما عند الأنبياء من الوفاء بما حُمِّلوا ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾: وليظهر أنَّ اللَّه قد علم بعددِ كلِّ ذي علم، ولم يَخْفَ عليه شيء[١].

(انتهى تفسير سورة الجن).

---

(١) التيسير في التفسير (١٥/ ٥٩)، والكشف والبيان (١٠/ ٥٦).

(٧٣) سورة المزمل مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هي مكيَّة إلَّا قولَه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ إلى آخر السُّورة فإنَّها مدنيَّة، وليس لهذه السورة إلا اسم «سورة المزمل»، ووجه تسميتها بهذا ظاهر، وترتيب هذه السورة في النزول الثالثة، نزلت بعد المدثر وقبل القلم، السور وهي ثماني عشرة آية، ومئةٌ وتسعٌ وتسعون كلمة، وثمانِي مئةٍ وأربعةٌ وعشرون حرفًا.

أغراضها:

الإشعار بملاطفة الله تعالى رسوله ﷺ بندائه بوصفه بصفة تزمله، واشتملت على الأمر بقيام النبي ﷺ غالب الليل والثناء على طائفة من المؤمنين حملوا أنفسهم على قيام الليل. وعلى تثبيت النبي ﷺ بتحمل إبلاغ الوحي. والأمر بإدامة إقامة الصلاة وأداء الزكاة وإعطاء الصدقات. وأمره بالتمحض للقيام بما أمره الله من التبليغ وبأن يتوكل عليه. وأمره بالإعراض عن تكذيب المشركين. وتكفل الله له بالنصر عليهم وأن جزاءهم بيد الله. والوعيد لهم بعذاب الآخرة. ووعظهم مما حل بقوم فرعون لما كذبوا رسول الله إليهم. وذكر يوم القيامة ووصف أهواله. ونسخ قيام معظم الليل بالاكتفاء بقيام بعضه رعيًا لأعذار الملازمة. والوعد بالجزاء العظيم على أفعال الخيرات. والمبادرة بالتوبة وأدمج في ذلك أدب قراءة القرآن وتدبره. وأن أعمال النهار لا يغني عنها قيام الليل[١]، وانتظام آخر تلك السُّورة

(١) التحرير والتنوير(٢٩/ ٢٥٥)، والتيسير في التفسير (١٥/ ٧٠).

هذه السُّورة: أنَّ آخر تلك في إرسال كلِّ الرُّسل، وأوَّل هذه في إرسال محمَّد المصطفى ﷺ، وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك في دعوة الجنِّ، ووعِدِ مَن أجاب منهم، ووعيدِ مَن لم يُجِبْ، وهذه في دعوة الإنس، ووعدِ مَن أجاب منهم، ووعيد مَن لم يُجِبْ.

(١-٤) - ﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾: أصله المتزمِّل، فأُدغِمَتِ التَّاء في الزَّاي، وهو الملتفُّ بثيابه. ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾: أي: تهجَّدْ باللَّيل واسهرْ للصَّلاة فيه ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من اللَّيل تستريح فيه. ﴿نِصْفَهُ﴾: يعني: أو قم نصفَه. ﴿أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾: أي: من النَّصف. ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾: أي: على النِّصف ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾: أي: في صلاة اللَّيل، والتَّرتيل: أداء الحروف وحفظُ الوقوف.

(٥-٦) - ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: أي: قرآنًا ذا قَدْرٍ ووزنٍ؛ لِحُسْنِ نَظْمه ومعانيه، ليس بالسَّخيف ولا بالضَّعيف. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾: أي: قيامَ اللَّيل. ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾: بفتحِ الواوِ وقصرِ الألف، مِن الوَطْء بالقدم؛ أي: قيامُ اللَّيل للصَّلاة أشدُّ ثقلًا على الإنسان، وهو أعظم للثَّواب ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أي: القراءةُ باللَّيل أقومُ من القراءة بالنَّهار؛ أي: أشدُّ استقامةً واستمرارًا على الصَّواب.

(٧-٨) - ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾: أي: تصرُّفًا كثيرًا، أو تقلُّبًا في حوائجك وأمور دنياك، ففرِّغ نفسك باللَّيل لعبادة ربِّك. ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾: أي: وصلِّ لربِّك باللَّيل والنَّهار. ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾: أي: وانقطِعْ بعبادتك وعملك وطاعاتك وآمالك إليه وحده. ﴿تَبْتِيلًا﴾: بناه على: بتِّل نفسَك تبتيلًا، لموافقةِ الفواصل.

(٩ - ١٠) - ﴿ربِّ المشرقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ بالخفض وصفًا لقوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾.﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾: أي: قائمًا بأمورك كافيًا لمهمِّك. ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: أي: واصبرْ يا محمَّد على ما يقول هؤلاء المشركون في اللَّه. ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: قيل: أي: أَظْهِر عليهم أنَّك واجدٌ عليهم، لكنْ لا تخاصمهم ولا تُسمعهم القبيحَ ولا تَدَعْ دعاءهم إلى اللَّه.

(١١ -١٢) - ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾: أي: كِلْ هؤلاء المكذِّبين إليَّ. ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾: أي: التنعُّمِ في الدُّنيا. ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾: أي: أَنْظِرهم. ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾: أي: عندنا في الآخرة قيودًا سودًا من النَّار. كذا قاله المفسِّرون في الأنكال. ﴿وَجَحِيمًا﴾: أي: نارًا مستعرة.

(١٣ - ١٤) - ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: أي: يَغُصُّ به آكلُه، يَنْشَبُ في حلقه فلا يَسُوغ. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: أي: هذا العذاب لهم يوم تتحرَّك الأرض والجبال باضطراب شديد، وهي الزَّلزلة. ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا﴾: أي: رملًا مجتمعًا، ويُقال للشَّيء المجموع: كُثْبَة. ﴿مَهِيلًا﴾: هال الدَّقيق ونحوَه يَهيلُ هَيلًا؛ أي: أسالَ، والمفعول منه: مَهِيلًا؛ أي: تصير الجبال رملًا إذا حُرِّكَ أسفلُه يُحرَّك أعلاه فهو لا يتماسك، بعد أن كانت أوتادَ الأرض[١].

(١٥ -١٦) - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾: وهو محمَّدٌ ﷺ. ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾: أي: يوم القيامة بإجابةِ مَن أجاب وتكذيب مَن كذَّب. ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾: وهو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾: أي:

(١) التيسير في التفسير (١٥/ ٧٠)، وجامع البيان (٢٣/ ٣٨٥).

الذي جعلناه رسولًا إليه، ومعنى عصاه: ردَّ أمرَه فلم يقبلْه. ﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾: أي: أخذنا فرعون؛ أي: عاقبناه. ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾: أي: عقوبةً شديدةً، وهو الغرق، والوبيل: الثَّقيل الشَّديد.

(١٧-١٩) - ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾: أي: إن لم تتَّقوا اليوم في الدُّنيا فكيف تتَّقون يومًا يجعل الولدان شيبًا؛ أي: إن لم تتَّقوا اليوم لن ينفعكم الاتِّقاء يوم القيامة. ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾؛ أي: منشقٌّ بسبب ذلك اليوم. ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾: أي: كان ما وعَد اللَّه من كون هذا اليوم على ما فيه من الشَّدائد ممَّا يفعله اللَّه ويحققه. ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾: أي: إنَّ هذه السُّورة تذكير وعظة. ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: أي: فقد سَهُل التَّذكير واتَّضح سبيلُ الآخرة، فمَن شاء أَمْكَنه أن يتَّخذ لنفسه سبيلًا إلى نيل رضا اللَّه وثوابه.

(٢٠) - ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾؛ أي: اللَّيل. ﴿أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾؛ أي: أقلَّ من الثُّلثين. ﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾: أي: وتقوم نصفَ اللَّيل وثلثَ اللَّيل. ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾: أي: من أصحابك يفعلون كذلك. ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: أي: هو يزيد وينقص، وهو العالم بمقاديرهما على الحقيقة، وأنتم تعلمون ذلك بالتحرِّي المؤدِّي إلى الخطأ أحيانًا. ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾: أي: لن تقدروا على حفظ هذه المقادير. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: رجع بكم من تثقيلٍ إلى تخفيفٍ، ومن تعسيرٍ إلى تيسيرٍ، بأنْ أزالَ عنكم هذا الفَرْض، وأسقط عنكم مؤنة حفظ التَّقدير. ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾: أي: فصلُّوا باللَّيل قَدْر ما تيسَّر عليكم، والصَّلاة تُسمَّى قرآنًا لِمَا فيها من القراءة، وقيل: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ

﴿الْقُرْآنِ﴾ هو على حقيقة القراءة في صلاة الليل. ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾: يَشُقُّ عليهم قيام اللَّيل. ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾: أي: يسافرون للتِّجارات. ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يغزون فيَشقُّ عليهم قيام اللَّيل في السَّفر. وقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ هو للتَّطوُّع منه، وهو فائدة التَّكرار، والقليلُ فرض عنده، والزِّيادة عليه نفل. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: دوموا على إقامة الصَّلوات الخمس. ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: المفروضة؛ فإنَّكم إذا دمتم على ذلك أدركْتُم الفائت من أجر قيام اللَّيل. ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾؛ أي: فتطوَّعوا بما يمكن من وجوه البرِّ بالمال. ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾: أي: كلُّ ما قدَّمْتُم في الدُّنيا زادًا لأنفسكم ليوم معادكم من أنواع الخير من الصَّلاة والزَّكاة والصَّوم والاعتكاف والحجِّ والعمرة والجهاد، نفلًا وفرضًا وجدتُم ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾؛ أي: أكثر نفعًا، ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾؛ أي: أجزل ثوابًا. ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾: أي: من السَّيئات والتَّقصير في الحسنات. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يستر ذنوبكم، ويرحمكم، ولا يعذِّبكم.

(انتهى تفسير سورة المزمل).

(٧٤) سورة المدثر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، تسمى في كتب التفسير «سورة المدثر»، ووجه تسميتها بهذا الاسم ظاهر، وترتيب هذه السورة في النزول الثانية، نزلت بعد العلق وقبل المزمل، وهي خمس وخمسون آية، ومئتان وستٌّ وخمسون كلمة، وألف وخمسة أحرف.

أغراضها:

جاء فيها من الأغراض تكريم النبي ﷺ والأمر بإبلاغ دعوة الرسالة. وإعلان وحدانية الله بالإلهية. والأمر بالتطهر الحسي والمعنوي. ونبذ الأصنام. والإكثار من الصدقات. والأمر بالصبر. وإنذار المشركين بهول البعث. وتهديد من تصدى للطعن في القرآن وزعم أنه قول البشر وكفر الطاعن نعمة الله عليه فأقدم على الطعن في آياته مع علمه بأنها حق. ووصف أهوال جهنم. والرد على المشركين الذين استخفوا بها وزعموا قلة عدد حفظتها. وتحدي أهل الكتاب بأنهم جهلوا عدد حفظتها. وتأييسهم من التخلص من العذاب. وتمثيل ضلالهم في الدنيا. ومقابلة حالهم بحال المؤمنين أهل الصلاة والزكاة والتصديق بيوم الجزاء[(١)]، وانتظامُ ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك بالأمر بالاستغفار، وهو يكون عن السَّيئات، وعن التَّقصير في الطَّاعات، وافتتاحُ هذه بالأمر بالإنذار، وهو على السَّيئات والتَّقصير في الطَّاعات، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر الإيمان

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٩٣).

وأعمال البرِّ والإحسان، ووعيد أهل الكفر والكفران، والختم بذكر الغفران، وهذه السُّورة وتلك السُّورة على ذلك كلِّه آيتان[١].

(١ - ٤) - ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾: أي: يا أيُّها المتلفِّف بالدِّثار، قُم إلى الكفَّار، وأنذرهم بالنَّار. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أي: ربَّك الذي هو مقيم بمصالحك فعظِّمه، ولا تشرك به شيئًا ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: قال ابن عبَّاس: ونفسك فطهِّر من الإثم، ألا ترى أنَّه يُقال: إنَّه نقيُّ الثِّياب.

(٥ - ٦) - ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾:أي: الأصنام. وقال الكسائيُّ: الرُّجز بالضَّم: الوثن، وبالكسر: العذاب؛ أي: اهجر ما يؤدِّي إلى العذاب. ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ أي: ولا تمنُنْ على ربِّك بحسناتك لتستكثرَها.

(٧-١٠) - ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أي: على ما فُرِض عليك، وعلى ما يقول المشركون. ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾: أي: نُفخ في الصُّور. ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: حينئذ. ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾: أي: صعب في نفسِه؛ لِمَا فيه من الشَّدائد والأهوال ومَخُوفِ الأحوال. ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾: لأنَّهم يُناقَشون في الحساب، وتُسودُّ وجوههم.

(١١-١٣) - ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ وهذا وعيدٌ للوليد بن المغيرة، وتطييبٌ لقلب النَّبيِّ ﷺ، وقال الحسن: ﴿وَحِيدًا﴾؛ أي: عاريًا، وقيل: خلقتُه منفردًا بخَلْقِه، لم يَشْرَكني فيه أحد. ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾: أي: كثيرًا له مدَدٌ. ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾: أي: حضورًا[٢].

---

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٦٧)، والوسيط (٤/ ٣٧٩).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٨٣٨)، والنكت والعيون (٦/ ١٤٠).

(١٤ -١٦) - ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾: أي: بسَطْتُ له في العيش، ومكَّنْتُ له في البلد الذي هو فيه مقبول القول، فيُرجَع إلى رأيه، ويُصدَر عنه أمره. ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾: أي: في ماله وولده وجاهه ونعمته، من غير شكر. ﴿كَلَّا﴾: أي: لا يكون هذا. ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾: أي: معاندًا مخالفًا، ﴿كَانَ﴾ إخبارٌ عن قديم معاندته.

(١٧ -٢٠) - ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ أي: سأُغشيهِ مشقَّةً من العذاب، وقيل: هو عقَبةٌ في النَّار يكلَّف صعودها. ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾: أي: في أمر النَّبيِّ ﷺ. ﴿وَقَدَّرَ﴾: في نفسه أنَّه يَظفَر بحجَّة يردُّ بها ما جاء به. ﴿فَقُتِلَ﴾: أي: فلزمَتْه الحجَّة، وضاق عليه الاحتيال، وقيل: خُزِيَ ولُعِنَ. ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾: وذلك لأنَّه إذا قَدَّرَ أن يقول: هو شِعرٌ، وجدَه مخالفًا للشِّعر، وإذا قَدَّرَ أن يقولَ: هو كَهانة، وجده مخالفًا لها، ولم يتهيَّأ له الصَّدُّ عنه من حيث قدَّر. ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾: ثم أعاد النَّظر عسى أن يتضح له ما لم يتضح أوَّلًا. ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾؛ أي: فخُذل أيضًا في هذه المرَّة، وخُزِيَ ولُعِنَ ولزمَتْه الحُجَّة، وإنَّما كرَّر لأنَّ عقاب التَّقدير الثَّاني غيرُ عقاب التَّقدير الأوَّل.

(٢١ -٢٥) - ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾: أي: أعاد النَّظر ثالثةً استفراغًا لمجهوده. ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾؛ أي: قبَض وجهه. ﴿وَبَسَرَ﴾: أي: كرَّه وجهَه إذ لم يحصل له بالتَّفكُّر ما يريد. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: أي: عمَّا جاء به النبي محمَّد ﷺ. ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: أي: تَعظَّمَ عن الانقياد له معاندًا بعد لزوم الحجَّة وعجزه عن المعارضة. ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: أي: يُتعلَّم ويُؤخَذ عن الغير. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾: أي: ما هذا إلَّا

كلام الخلق.

(٢٦ - ٣٠) - ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾: أي: سأدخلُه سقر، وهي دركةٌ من دركات النَّار. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾: مبالغةٌ في وصفها، وتنبيهٌ على شدَّة عذابها. ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي: لا تُبقي شيئًا من اللَّحم والدَّم والشَّعر والبَشَر إلَّا أحرقته، ولا تذر شيئًا من العذاب إلَّا عذَّبتهم به. ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾: أي: هي محرِّقة لأبشارهم؛ أي: لجلودهم إحراقًا يسوِّدها. ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: أي: وُكِّلَ بسقرَ تسعةَ عشر ملكًا على بابها، يُلقون فيها أهلها.

(٣١) - ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ﴾: خزنتَها ﴿إِلَّا مَلَائِكَةً﴾؛ أي: لا تُطيقهم البشر لشدَّة أمرهم واستحكام قوَّتهم. ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾: أي: عددَهم هذا. ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: ابتلاءً واختبارًا لينظروا ويتفكَّروا ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: أي: ليستيقنوا بنبوَّة محمَّد ﷺ وصِدْقِه، لموافقة كتبهم في ذكرهم أنَّهم بهذا العدد، وذلك لا يُعلَم إلَّا بوحي. ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾: أي: الذين آمنوا بمحمَّد ﷺ من قريش وسائرِ العرب يصدِّقون به كما صدَّقوا بما قبله، ويَكِلوا حكمةَ ذلك إلى اللَّه تعالى. ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: أي: ولئلَّا يرتاب؛ أي: لا تبقى لهم ريبةٌ؛ أي: شكّ في صحَّة نبوَّة محمَّد ﷺ لوضوحِ الدِّلالة عليها. ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: أي: المنافقون ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾؛ أي: المشركون: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾: أي: وصفًا بأنْ جعلهم بهذا العدد استهزاء منهم. ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: كما أضلَّ هؤلاء المنافقين والمشركين حتَّى قالوا ما قالوا استهزاءً، فكذا يضلُّ اللَّه مَن

يشاء من عباده، وهو الذي علِم منه اختيار الضَّلالة. ﴿وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ﴾: كما هدى هؤلاء المؤمنين لتصديق هذا ورؤيةِ الحكمة في ذلك، كذلك يهدي مَن يشاء من عباده، وهو الذي علِم منه اختيار الهدى والاهتداء. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾: أي: فيهم كثرةٌ لا يحصيها غير اللَّه، فليس قصرُهم على هذا العدد لقلَّة جنوده. ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾: أي: وما الجنود إلَّا وعظًا وتذكيرًا للخلق ليتأمَّلوا فيتَّقوا، ولا حاجة بي إليهم، وأنا قادر على تعذيبهم بدونهم(١).

(٣٢ - ٣٦) - ﴿كَلَّا﴾ هاهنا بمعنى: أَلَا، للتَّنبيه، وقيل: هو رَدٌّ؛ أي: ليس الأمر كما ظنُّوا أنَّهم يقاومون هؤلاء الخزنة ﴿وَالْقَمَرِ﴾ أقسم به تنبيهًا على منافعه ومصالحه. ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾: أي: ولَّى ومضى، ودبَرَ: جاء بعد النَّهار. ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾: أي: أضاء. ﴿إِنَّهَا﴾: أي: سقرَ والنَّارَ ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾: جمع الكبرى؛ أي: الدَّواهي والعظائم. ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾: أي: إنذارًا.

(٣٧ -٤٢) - ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾: أي: لمن استطاع منكم. ﴿أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾: أنْ يفعل شيئًا أو يتركه. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: أي: كلُّ خَلْقٍ محتبَسٌ يوم القيامة بالحساب على أعماله، فيتخلَّصُ مَن تَثقلُ موازينُ طاعاته، ويَعلق مَن خفَّتْ موازينُه. ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾: فإنَّهم في الجنَّات غير محاسَبين. ﴿فِى جَنَّاتٍ﴾: أي: هم مشرفون في جنات، والمجرمون في السُّفل في جهنَّم. ﴿يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾: أي: ما أدخلَكم. وهذا استفهام يفيد توبيخٌ.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٤)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠٤).

(٤٣ -٤٧) - ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾: كما يصلِّي المؤمنون. ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾: كما يطعم المسلمون. ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾: أي: نقول الباطل والزُّورَ في آيات اللَّه، ونتَّبعُ كلَّ مَن فعل ذلك. والخوضُ: الشُّروع في الباطل والقبيح. ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: أي: لا نصدِّق بيوم الحساب والجزاء. ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾: أي: الموت على هذه الحالة، وسمِّي به لأنَّه يزول به ما كان من الشُّكوك في أمور الآخرة لِمَن كان يشكُّ فيها.

(٤٨ -٥٠) - ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾: لأنَّها للمؤمنين ممَّن دون الكافرين. ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾: أي: فما لهؤلاءِ المشركين يُعرضون عن التَّذكرة بالقرآن، وهو استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ. ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾: أي: ليسوا ببشرٍ ذوي عقول، لكنَّهم حُمُرٌ لا عقولَ لها، فتَنفِر وتهرب راكبةً رؤوسَها، لا فكرَ لها.

(٥١ -٥٢) - ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أي: من أَسَدٍ؛ لأنَّه يَقْسِرُ السِّباع؛ أي: يقهَرُها. ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾: أي: يتمنَّى كلُّ واحد منهم أن ينزَّل عليه كتابٌ من السَّماء فيه أنَّ محمَّدًا حقٌّ، ودعواه النُّبوَّةَ صدقٌ. وهذا جهلٌ منهم وتحكُّم.

(٥٣ - ٥٦) - ﴿كَلَّا﴾: قيل: حقًّا، وقيل: أَلَا، وقيل: لا يُعطَون ما يريدون لأنهم لا يخافون الآخرةَ، وقيل: لا يؤمنون لو أوتوا صُحُفًا منشَّرة، ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾: بل لا يؤمنون بالآخرة. ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾: أي: هو تذكرة ووعظ. ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾: أي: هو ممكَّن من ذلك. ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾:

وهو مَن علِم منه اختيارَ التَّذكُّر. ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾: أي: هو أهلٌ أن يَتَّقي عبادُه محارمَه. ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾: أي: أهلٌ أن يغفرَ لمن اتَّقاه[1].

(انتهى تفسير سورة المدثر).

(١) التيسير في التفسير (١٥/ ١١٠).

(٧٥) سورة القيامة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، عنونت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة بـ «سورة القيامة» لوقوع القسم بيوم القيامة في أولها ولم يقسم به فيما نزل قبلها من السور، وعدت الحادية والثلاثين في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة القارعة وقبل سورة الهمزة، وهي أربعون آية، ومئة وأربعٌ وستُّون كلمة، وستُّ مئة وستون حرفًا.

أغراضها:

اشتملت على إثبات البعث. والتذكير بيوم القيامة وذكر أشراطه. وإثبات الجزاء على الأعمال التي عملها الناس في الدنيا. واختلاف أحوال أهل السعادة وأهل الشقاء وتكريم أهل السعادة. والتذكير بالموت وأنه أول مراحل الآخرة. والزجر عن إيثار منافع الحياة العاجلة على ما أعد لأهل الخير من نعيم الآخرة[١]، وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّه حَثَّ في ختم تلك السُّورة على التَّقوى ليغفر بذلك لهم الذُّنوب والأوزار، وينجِّيهم بذلك يوم القيامة من عذاب النَّار، فأنكَروا القيامة، فأقسم اللَّه تعالى عليه في افتتاح هذه السُّورة، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في بيان التَّوحيد، وبطلان الشِّرك، ووعد المؤمنين، ووعيد الكافرين.

(١ - ٢) - ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: ﴿لَا﴾ صلة، و﴿أُقْسِمُ﴾ تأكيد،

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٣٧).

وقيل: ﴿لَا﴾ ردٌّ كلام الكفار، و﴿أُقْسِمُ﴾ إثبات، ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ أي: أقسم بالقيامة تحقيقًا لكونها وتعظيمًا لِمَا يكون فيها، وأقسم بالنَّفس اللَّوامة تنبيهًا على الأعجوبة العظيمة في خلقِها، وما تُعبِّدَت به من الأمانات التي أبتِ السَّماوات والأرضون والجبال أن يحملْنَها وأشفقْنَ منها، والمقصود بها هي: هو كلُّ نفسٍ بَرَّةٍ أو فاجرة، تلوم نفسها يوم القيامة؛ إنْ كانت محسِنة أَلَا ازدادت إحسانًا للثَّواب، وإنْ كانت مسيئةً لامَتْ نفسها أَلَا أحسنَتْ لدفع العذاب.

(٣ - ٤) - ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾: هاهنا موضع القسَم؛ أي: إنَّكم مبعوثون مجموعةً عظامكم بعدَما صارَتْ رميمًا. ﴿بَلَى﴾ وهو ردٌّ عليهم ﴿قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾؛ أي: نجمعُها قادرين على ذلك.

(٥ - ٦) - ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾؛ أي: ليركَب رأسَه في الفجور، فيمضيَ قُدُمًا في المعاصي، لا يمنعه تفكُّر في وعيد، والأمامُ: كنايةٌ عن هذا؛ لأنَّ مَن ركب رأسَه مضى أمامَه. ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾: أي: متى هو؟ على وجه الاستهزاء والتَّكذيب.

(٧ - ٩) - ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾: بكسر الراء؛ أي: دَهِش وفَزِعَ وحارَ. وبفتحها، أي: شَخَصَ ولَمَع، ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾: أي: ذهب ضوؤه، ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾: قيل: جُمع بينهما في إذهاب ضوئهما، وقيل: يُجمعان، ويقرنان، ويقرَّبان من النَّاس، فيُلجمهم العرق لشدَّة الحرِّ فيها.

(١٠ -١٢) - ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾: أي: يقول هذا الإنسان المنكر يوم القيامة: ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾؟ أي: لا فِرار، وقيل: أي: إلى أين الفِرار؟ ﴿كَلَّا

﴿لَا وَزَرَ﴾: أي: ليس كما توهَّموا أنَّ لهم مفرًّا يهربون إليه، بل ليس لهم ملجأ يأوون إليه. وأصل الوزَر: الجبل، وكانوا إذا نابهم أمرٌ مُخوف تحصَّنوا بالجبال، فأخبر أنَّه لا ملجأ لهم في الآخرة. ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾: أي: إلى حكم اللَّه ينتهي يومئذ الخلق، لا ينازعُه منازعٌ، ولا يغالبُه مغالِبٌ، و﴿الْمُسْتَقَرّ﴾: أي: المصير والمنتهى(١).

(١٣-١٥) - ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: أي: يُخبَّر يومئذ بما قدَّم من أعماله وأخَّر من آثاره، فاستنُّوا به مِن بعدِه. ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾: والهاء في ﴿بَصِيرَةٌ﴾ للمبالغة، كما في علَّامة، والبصيرةُ: الحجَّة. ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾: أي: أي: يشهد على نفسه يوم القيامة بسيِّئاته، وإن كان أرخى ستوره وأغلق أبوابه في الدُّنيا حين عملَها احتجابًا عن الخلق.

(١٦-١٨) - ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾: أي: لا تحرِّك بالقرآن لسانك مستعجلًا به قبل استتمامه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾؛ أي: في قلبك؛ لتحفظه ولا يفوتَك منه شيء. ﴿وَقُرْآنَهُ﴾: أي: أن يقرأه عليك جبريل بأمرنا إلى أن تحفظه على مهلٍ، لا يلحقك فيه مشقَّة. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾: أي: قرأه عليك جبريل. ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾: أي: قراءته؛ أي: فاستمعه وتَلَقَّه.

(١٩-٢٣) - ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾: أي: بيانَ معانيهِ وأحكامه وشرائعه، و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الإخبار، لا لترتيب الوجود؛ أي: ثم نخبرك أنَّا نبيِّن معناه لك كما أنزلناه عليك. ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس الأمر كما تظنُّون أنَّه لا بعث ولا نشور ولا جزاء

---

(١) جامع البيان (٢٣/ ٤٨٨)، والكشف والبيان(١٠/ ٨٥).

ولا حساب. ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: أي: الدُّنيا؛ ميلًا إلى دواعي الطِّباع. ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾: أي: تَدَعون العمل لها والتَّدبر فيها. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾: وهي وجوه المؤمنين يوم القيامة. ﴿نَاضِرَةٌ﴾: أي: مشرقةٌ بالنَّعيم. ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: أي: يتجلَّى لهم ربهم فينظرون إليه، وهو حجَّة قاطعة على رؤية المؤمنين اللَّه تعالى، وكذا فسَّره أكثر الصَّحابة ومَن بعدهم من أهل العلم.

(٢٤ - ٢٧) - ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: أي: عابسةٌ متكرِّهة، وهي وجوه الكفار. ﴿تَظُنُّ﴾: أي: يتيقَّن أربابها ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾؛ أي: داهيةٌ كاسرةٌ للفَقار. ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾: أي: النَّفس، وهي الرُّوح ﴿التَّرَاقِيَ﴾: جمع تَرْقُوَة، وهي العظمُ بين الصَّدر والعنق. يعني: بلغت الحلقومَ. ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾: أي: قالت الملائكة: مَن الذي يصعد بروحه؟ -من الرُّقي

(٢٨ - ٢٩) - ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۝ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾. ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾: أي: أيقن هذا المحتضَر أنَّه فراق الرُّوح والجسد، وفراق الأهل والولد. ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أي: شدَّة أمر الدنيا بأمر الآخرة.

(٣٠ - ٣٣) - ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾: أي: إلى حيث أَمر اللَّه تعالى سوقَ هذا الميت. وقيل: أي: إلى حكمه وجزائه. ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾: هي في حقِّ أبي جهل، وأنه هو المراد بها، أي: ما صدَّق اللَّهَ ورسولَه هذا الملعون، ولا صلَّى للَّه معظِّمًا له. ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ﴾ اللَّه ورسولَه ﴿وَتَوَلَّى﴾: أي: أعرض عن الحقِّ. ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾: أي: يتبختر، ويتمطَّى أصله: يتمطَّط؛ أي: يتمدَّد،

قُلِبَتْ إحدى الطَّائين ياء، كما في التَّقصِّي والتَّقضِّي[١].

(٣٤ - ٤٠) - ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ۝ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾: هي كلمةُ تهديد وتذكير مفردًا ومكرَّرًا، وقيل: معناه: وَليَكَ الشَّرُّ؛ أي: قرُب منك. ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾: ﴿الْإِنْسَانُ﴾ هو أبو جهل ها هنا، ﴿أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾؛ أي: مهملًا لا يُؤمَر ولا يُنهَى، ولا يُثاب ولا يُعاقب، وهو استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ، ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾: والنُّطفة: هي ماءٌ قليلٌ منها يكون الولد. ﴿مِنْ مَنِيٍّ﴾ وهو الماء الدَّافق، ﴿تُمْنَى﴾؛ أي: تُلقَى في الرَّحم. ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾: أي: دمًا منعقدًا شديدَ الحمرة. ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾: أي: فخلق اللَّه منه بشرًا سويًّا مهيَّئًا صالحًا للتَّكليف. ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾: أي: من المنيِّ. ﴿الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾: والذي فعَل هذا لم يفعله ليُهمَل ويعطَّل، بل ليَتعبَّدَ ويُكلَّف ويُجزى على الإحسان والإساءة، وذلك يكون في الدَّار الآخرة. ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾: ومَن قدر على إنشائه ابتداءً من غير شيء قدرَ على جمع العظام بعدما صار رميمًا، فرجع آخرُ السُّورة إلى أوَّلها.

(انتهى تفسير سورة القيامة).

(١) جامع البيان (٢٣/ ٥١٦ - ٥٢١).

(٧٦) سورة الإنسان مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت في زمن أصحاب رسول الله ﷺ «سورة هل أتى على الإنسان»، وتسمى «سورة الدهر» في كثير من المصاحف، وتسمى «سورة الأمشاج»، لوقوع لفظ الأمشاج فيها ولم يقع في غيرها من القرآن، وتسمى «سورة الأبرار»؛ لأن فيها ذكر نعيم الأبرار، وهي الثامنة والتسعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الرحمن وقبل سورة الطلاق، وهي إحدى وثلاثون آية، ومئتان وثلاثٌ وأربعون كلمة، وألفٌ وثلاثُ مئة وخمسون حرفًا.

فضلها:

ما روي عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كانَ النبيُّ ﷺ يَقْرَأُ في الجُمُعَةِ في صَلاةِ الفَجْرِ الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ، وهلْ أتَى علَى الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ»(١).

أغراضها:

التذكير بأن كل إنسان كون بعد أن لم يكن فكيف يقضي باستحالة إعادة تكوينه بعد عدمه. وإثبات أن الإنسان محقوق بإفراد الله بالعبادة شكرًا لخالقه ومحذر من الإشراك به. وإثبات الجزاء على الحالين مع شيء من وصف ذلك الجزاء بحالتيه والإطناب في وصف جزاء الشاكرين. وأدمج في خلال ذلك الامتنان على الناس بنعمة الإيجاد ونعمة الإدراك والامتنان بما أعطيه الإنسان من التمييز بين

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩١) ومسلم (٨٨٠).

الخير والشر وإرشاده إلى الخير بواسطة الرسل فمن الناس من شكر نعمة الله ومنهم من كفرها فعبد غيره. وتثبيت النبي ﷺ على القيام بأعباء الرسالة والصبر على ما يلحقه في ذلك، والتحذير من أن يلين للكافرين، والإشارة إلى أن الاصطفاء للرسالة نعمة عظيمة يستحق الله الشكر عليها بالاضطلاع بها اصطفاه له وبالإقبال على عبادته. والأمر بالإقبال على ذكر الله والصلاة في أوقات من النهار(١)، وانتظام آخر تلك السُّورة بأوَّل هذه السُّورة: أنَّها في ذكر خلق الإنسان وأصله وحكمته، وانتظام السُّورتين: أنَّهما جميعًا في ذكر البدء والإعادة، ومصير أهل الشَّقاوة والسَّعادة.

(١) - ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾: هو استفهام على وجه التَّقرير، بمعنى: قد أتى، كقولك لآخر: هل وعظْتُك؟ هل أعتُّك؟ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾: هو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والحينُ: أربعون سنة في هذه الآية، وقيل: أكثر من ذلك. ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ هو ما كان قبل وجود آدم من الزَّمان؛ لأنَّه آخِرُ ما خلق اللَّه تعالى من أهل الأرض من أصناف الخليقة، و﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ على هذا معناه: لم يكن هو شيئًا؛ لأنَّه لم يكن موجودًا، وإنَّما قيل: أتى عليه حينٌ، وهو غير موجود

(٢) - ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾: هذا على ولد آدم. ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾؛ أي: هذا الإنسان ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ تخرج من بين الصُّلب والتَّرائب. ﴿أَمْشَاجٍ﴾ وهي جمع مَشِيْجٍ، ومعناه: الأخلاط، والمَشَجُ بالفتح:

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٧١).

الخَلْط، وهو مصدر، وبالكسر: الخِلْط، وهو اسم، وهو اختلاط ماء الرَّجل وماء المرأة. ﴿نَبْتَلِيهِ﴾؛ أي: لنبتليَه ونتعبَّده، لا لنهملَه ونعطله. ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: أي يسمع الأصوات ويرى الذَّوات، فيستدلُّ بالمخلوقات على الخالق، وقيل: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: تعدادٌ لنعمة السمع والبصر، واستبداءٌ لشكرهما(١).

(٣-٥) - ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾: أي: بيَّنا له الطَّريقة التي يلزمُه سلوكُها، والطَّريقة التي يجب عليه العدول عنها. ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾: إمَّا سالكًا طريقة أهل الهدى، وإمَّا سالكًا طريقة أهل الضَّلال. ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ﴾: أي: في جهنَّم يُوثَقون بها. ﴿وَأَغْلَالًا﴾: تُشَدُّ بها أيديهم إلى أعناقهم. ﴿وَسَعِيرًا﴾: أي: نارًا مُوقَدة عليهم. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾: لَمَّا خلق اللَّه تعالى الخَلْقَ للابتلاء ظهرَ منهم الكفَّار فذكر وعيدَهم، والأبرار فذكر مواعيدهم. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾: جمع بَرٍّ وتعني: الصَّادقين في الإيمان. ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾: الكأس: لا تُسمَّى كأسًا إلا إذا كان فيها شراب؛ أي: إنَّ أهل الطَّاعة يدخلون الجنَّة، ويُنعَّمون فيها بأنواع النِّعم، منها أنَّهم يُسقَون من كأس ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾؛ أي: مزاج ما فيها من الشَّراب كافورٌ. وقيل: له رائحة تُستلذُّ وتستطاب رائحته، ويُشمُّ منه ريحُ الكافور من غير أن يكون فيه كافور؛ يعني: أنَّ له طعمًا ككافور الدُّنيا.

(٦-٧) - ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾: أي: هذا الشَّراب من عينٍ في الجنَّة

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢١٤).

يشربُ بها عبادُ اللَّه. وقيل: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾؛ أي: يُروَى بها. ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾؛ أي: المؤمنون القائمون بشروط العبادة والعبوديَّة. ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: أي: يُسِيلونها، وقيل: يقودونها حيث شاؤوا. ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾: صفة الأبرار، وقيل: صفة عباد اللَّه، وتقديره: الذين يوفون بعهد اللَّه. ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾: أي: كان في حكم اللَّه أنَّ شرَّه يكون منتشرًا؛ أي: شدائده، وسمَّاها شرًّا لكراهتها على الأنفس، مع أنَّها كلَّها حكمة وصوابٌ، وهو معاملة اللَّه تعالى عبادَه، وانتشاره: ظهوره في حقِّ الكلِّ، وطيران الطَّائر: انتشارُه.

(٨) - ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾: يجوز أن يكون الإطعام عبارةً عن وجوه المواساة بأيِّ شيءٍ كان، والتَّخصيصُ به لِمَا أنَّه أعظم وجوهها. ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾: قيل: على حبِّ الطَّعام. ﴿مِسْكِينًا﴾: عاجزًا عن الاكتساب لزمانةٍ به قد أسكنته عنه. ﴿وَيَتِيمًا﴾: صغيرًا مات أبوه محتاجًا. ﴿وَأَسِيرًا﴾؛ أي: مأسورًا، وقيل: مملوكًا، وقيل: هو الأسير من المشركين، والاسم يتناول كلَّ ذلك؛ لأنَّ الأسر هو الشَّدُّ والإيثاق.

(٩-١٠) - ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: للتَّوجُّه إلى اللَّه تعالى والتَّقرُّب به إليه. ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً﴾: بالمال ولا بالنَّفس ﴿وَلَا شُكُورًا﴾: باللِّسان، وقال ابن عبَّاس: لا نريد منكم هديَّة ولا ثناء. ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾: أي: نخاف يوم القيامة أن يعاقبَنا اللَّه فيه. ﴿عَبُوسًا﴾؛ أي: شديدًا هائلًا تَعبِسُ فيه وجوه الكفَّار. ﴿قَمْطَرِيرًا﴾؛ أي: منقبضًا لا فسحة فيه ولا

انبساط (١).

(١١ - ١٣) - ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾: أي: حفظهم، ومنع عنهم شرَّ ذلك اليوم العبوس القمطرير. ﴿وَلَقَّاهُمْ﴾؛ أي: أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾؛ أي: نعمةً، وحسنَ لونٍ في الوجوه ﴿وَسُرُورًا﴾: في القلوب. ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾: على الطَّاعة، وعن المعصية. ﴿جَنَّةً﴾: يتنزَّهون فيها ﴿وَحَرِيرًا﴾ يلبسونه. ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾: أي: في الجنَّة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: جمع أريكة، وهي السَّرير. ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾: أي: في الجنَّة ﴿شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾؛ أي: أذى من حرٍّ ولا بردٍ، كما كانوا يتأذَّون بها في الدُّنيا. والزَّمهريرُ: البرد الشَّديد، وقيل: أي: لا يرون صيفًا ولا شتاءً.

(١٤) - ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾: أي: ظلال الشَّجر؛ أي: شجر الجنَّة قريبة منهم حتَّى صارت بمنزلة المَظَلَّة عليهم، وإنْ كان لا شمسٌ فيها لتظلَّهم منها. ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾: أي: وسُهِّلَ لهم اجتناء ثمرها كيف شاؤوا؛ متَّكئين وقاعدين وقائمين.

(١٥ - ١٦) - ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾: أي: وتدور الخدم عليهم ﴿بِآنِيَةٍ﴾: جمع إناء، كالأغطية جمع غطاء، ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾ ممَّا يكون في الآخرة على ما اللَّهُ أعلمُ به مِن وصفها. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾: القوارير: جمع قارورة، والقوارير من فضَّة معناها: أنَّ قواريرَ كلِّ أرض من تربتها، فعلى هذا قوارير الجنَّة من تربة الجنَّة، وهي فضَّة، ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾: أي: هي

---

(١) العين (٥/ ٢٥٨)، وتفسير مقاتل (٤/ ٥٢٥)، والكشف والبيان (١٠/ ٩٨).

مقدَّرة على مقدار ريِّ الشَّارب، لا يزيد ولا ينقص، و(قدَّروا) فعلُ الطَّائفين، وصاروا مذكورين بذكر قوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾، والهاء والألف في ﴿قَدَّرُوهَا﴾ كنايةٌ عن الآنية والأكواب.

(١٧ - ١٩) - ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾: أي: ويُسقَى الأبرار ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في الجنَّة. ﴿كَأْسًا﴾؛ أي: خمرًا في إناء ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾: وذلك أنَّهم كانوا يستلذُّون من الشَّراب ما يُمزَج بالزَّنجبيل الطَّيِّبَةِ رائحتُه، وقيل: الزَّنجبيلُ: عينٌ يُمزَج بها شرابُ الأبرار. ﴿عَيْنًا فِيهَا﴾: أي: من عين؛ أي: هي جارية لا تنقطع ليس كشراب الدُّنيا. ﴿تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾: عرَّفها الله بهذا الاسم الملائكة وأهل الجنَّة، ولله أنْ يسمِّي ما شاء بما شاء، وماءٌ سلسبيلٌ؛ أي: عَذْبٌ طَيِّب. ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾؛ أي: يخدمُهم وُصَفاء لا يشيبون. ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ أي: لا يموتون. ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾: أي: ظننتهم في حُسنهم وصفاء ألوانهم لؤلؤًا منثورًا؛ أي: مبدَّدًا مصبوبًا.

(٢٠ - ٢١) - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: أي: وراء هذا الفضل نعيمٌ كثيرٌ لا يوصَفُ كثرته وجلاله. و﴿ثَمَّ﴾: هنالك، وقيل: أي: ما هنالك. ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: يعني: لا يزولُ، ولا يُزال، وقيل: أزليًّا أبديًّا[١].

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ﴾: أي: فوقهم، والسُّندس: الدِّيباج الرَّقيق الفاخر الحسن. ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ والإستبرق: الدِّيباج الغليظ الذي له بريق، أي: يتصرَّفون في فاخر اللِّباس ولذيذ الطَّعام والشَّراب. وقوله تعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾

---

(١) جامع البيان (١/ ٤١٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٦).

أي: ليس من أهل الجنَّة أحد إلا وفي يده ثلاثة أسورة: واحد من فضة، وآخر من ذهب، والثَّالث من اللُّؤلؤ. ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: قيل: أي: ما يُسقون من عين الكافور وعين الزَّنجبيل شرابٌ طهورٌ؛ أي: نظيفٌ لا قذًى فيه ولا أذًى، ولا شيءَ مِمَّا يخالط أشربة الدُّنيا.

(٢٢ -٢٦) - ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾: أي: على أعمالكم. ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾: أي: مقبولًا مَرْضيًّا عندنا. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾: بما فيه من الوعيد والوعد. ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: لِمَا حَكم به عليك ربُّك مِن تبليغ الرِّسالة واحتمال الأذيَّة. ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾: الإثمُ هو الرُّكون للمعاصي، والكفور: الجحود للنِّعمة، وهما صفة واحدة. ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾؛ أي: في الصَّلاة له طرفي نهارك وهما: صلاة الفجر والظهر والعصر. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾: أي: وتهجَّد باللَّيل تذلُّلًا له. ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾؛ أي: صَلِّ للَّهِ أكثرَ ليلِكَ، واجعلْ نومَك في الأقل منه.

(٢٧) - ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: أي: إنَّ هؤلاء المشركين المتمرِّدين على اللَّه تعالى بترك الانقياد لك وقَبولِ ما أنزل إليك، يميلون إلى هذه الدُّنيا المعجَّلة. ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾: أي: أمامَهم، ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾: وهو يوم القيامة؛ لأنَّ شدائدها وأهوالها تثقُل على الكفَّار.

(٢٨ -٣١) - ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ﴾؛ أي: هؤلاء ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾: أي: خلْقَهم، وقيل الأسر: قوَّة المفاصل، وشَدَّ اللَّهُ تعالى أسرَه؛ أي: قوَّى خَلْقَه. ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾: قيل: بدلنا أمثالهم في الخلق أضدادًا لهم. ﴿إِنَّ هَذِهِ

﴿تَذْكِرَةٌ﴾: أي: هذه السُّورة عظة وتذكير؛ أي: مَن فعَل فعلهم أُثِيْبَ ثوابهم. ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: أي: فمَن شاء أن يتَّخذ إلى طاعة ربِّه سبيلًا -أي: طريقًا- فهو ممكَّن لا مانع له منه، ولا شبهةَ تَعْرِض له، مع هذا التَّذكير البليغ. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: أي: وما تشاؤون اتِّخاذ السبيل إلى اللَّه تعالى إلَّا بمشيئة اللَّه، وإنَّما يشاء اللَّه ذلك ممَّن علم منه اختياره. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: عالمًا بمصالح عباده، وبما يكون منهم من اختيار كلِّ شيء، وعمل كلِّ شيء، ﴿حَكِيمًا﴾: مصيبًا في أفعاله وأقواله. ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: قيل: في جنَّته؛ لأنَّها برحمته تعالى تُنال. ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: الكافرين الواضعين العبادةَ في غير موضعِها، الظَّالمين أنفسَهم بإيرادها النَّار [١].

(انتهى تفسير سورة الإنسان).

---

(١) التيسير في التفسير (١٥/ ١٦٠).

(٧٧) سورة المرسلات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت «سورة المرسلات»، وتسميتها بهذا الاسم ظاهر، وهي السورة الثالثة والثلاثون في عداد ترتيب نزول السور، نزلت قبل سورة ق وبعد سورة الهمزة، وهي خمسون آية، ومئة وإحدى وثمانون كلمة، وثماني مئة وأحد وعشرون حرفًا.

فضلها:

ما روي عن أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «يا رسولَ اللَّهِ قد شِبتَ، قالَ: شيَّبتني هودٌ، والواقعةُ، والمرسلاتُ، وعمَّ يتَسَاءَلُونَ، وإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»(١).

أغراضها:

اشتملت على الاستدلال على وقوع البعث عقب فناء الدنيا ووصف بعض أشراط ذلك. والاستدلال على إمكان إعادة الخلق بما سبق من خلق الإنسان وخلق الأرض. ووعيد منكريه بعذاب الآخرة ووصف أهواله. والتعريض بعذاب لهم في الدنيا كما استؤصلت أمم مكذبة من قبل. ومقابلة ذلك بجزاء الكرامة للمؤمنين. وإعادة الدعوة إلى الإسلام والتصديق بالقرآن لظهور دلائله(٢)، وختمُ تلك السُّورةِ بوعيد الظَّالمين، وافتتاحُ هذه السُّورة بالقسَم على وقوع ذلك الوعيد في يوم الدِّين،

---

(١) خرجه الترمذي (٣٢٩٧)، والحاكم (٣٣١٤).

(٢) التحرير والتنوير(٢٩/٤١٩).

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في بيان خلق الإنسان، وما خُلِقَ له في الدُّنيا، وما يراه في العُقبى، وفي ذكر المؤمنين والكفَّار، والجنَّة والنَّار.

(١ - ٦) - وقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾: أقسم اللَّه تعالى بالرِّياح أرسلها لواقحَ. قوله ﴿عُرْفًا﴾؛ أي: جاريات بعضُها في أثَرِ بعضٍ، كَعُرْفِ الفرس. ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾: الرِّياح أيضًا، والعُصُوفُ: شدَّة الهبوب. ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾: الرِّياح أيضًا، تنشر السَّحاب للغيث، وتبسطه في الهواء. ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾: أي: آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾: أي: الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء والرسل يلقون الوحي إلى الأمم ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾: أي: إذا أُرسلَتْ بالرَّحمة كانت إعذارًا، وإنْ أُرسلَتْ بالعذاب كانت إنذارًا.

(٧ - ١٥) - ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾: القسم لهذا؛ أي: الذي توعدون به كائن لا محالة. ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: أي: مُحِيَتْ آثارُها؛ أي: أُذْهِبَتْ أنوارُها. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾: أي: جُعِلَ لها فروج؛ أي: شُقوق بعدَ أن كان لا فُروج لها. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾: أي: قُلعَتْ من أصولها. ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾: أي: جُمِعَتْ لميقاتها الذي ضُرِبَ لها في إنزال العقوبة بمن كذَّبهم وجحدهم. ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾: وهو تعجيبٌ مِن هذا اليوم، وتعظيمٌ لأمره؛ أي: أُجِّلَتِ الرُّسل لإحلال العذاب بمن كذَّبهم. ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾: أي: ليوم القيامة الذي يفصل فيه الحكم، ويفصل فيه بين المحقِّ والمبطل في الجزاء. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾: تعجيبٌ آخر، وتعظيمٌ آخر لأمره. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي: شدَّة عذابٍ، ووادٍ في

جهنَّم للمكذِّبين بالله ورسله.

(١٦ - ٢٤) - ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقرير؛ أي: قد أهلكنا الأوَّلين ممَّن فعلوا فعلَهم. ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾: وهم هؤلاء إنْ أصرُّوا على كفرهم وتكذيبهم. ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: أي: كذلك سُنَّتُنا في الذين يكتسبون سبب ذلك. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: ﴿وَيْلٌ﴾: وادٍ في جهنَّم يسيل فيه الصَّديد والقيح. ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾: أي: ضعيف، وقيل: حقير، وهو النُّطفة. ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾: أي: الماء ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾: وهو رحم المرأة؛ أي: مقرٍّ يتمكَّن فيه الماء. ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾؛ أي: مقدارٍ علمه الله لكونه فيه. ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ يعني: قدَّرنا -بالتَّشديد- فنِعْمَ المقدِّرون، وأريد به: تقديرُ خلقه، وجوارحه، ومدَّةِ حمله وحياته، وقيل: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتَّخفيف: مِن القُدْرة، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ مر تفسيره.

(٢٥ - ٢٨) - ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾؛ أي: ضِمامًا ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾: أي: تَضُمُّ الأحياءَ في المنازل، والأمواتَ في القبور. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: أي: جبالًا ثوابت. ﴿شَامِخَاتٍ﴾: أي: عاليات هي أوتاد الأرض وفيها المنابت والمعادن. ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾: أي: جعلنا لكم سقيًا صافيًا عذبًا. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي: يومَ الفصل [١].

(٢٩ - ٣١) - ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: أي: تقول الملائكة

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٨١)، وجامع البيان (٢٣/ ٥٩٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٢).

للمكذِّبين يوم القيامة انطلقوا إلى النار التي كنتم بها تكذبون؛ أي: سيروا.

﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ﴾: هو دخانُ جهنَّم. ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾: أي: ثلاث فِرَقٍ، وقيل: الظِّل عين النَّار ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾؛ أي: مُظِلَّ من حرِّ ذلك اليوم، وحرِّ النَّار. ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾: ولا يسترُ ولا يُكِنُّ مِن لهبِ جهنَّم.

(٣٢ - ٣٤) - ﴿إِنَّهَا تَرْمِي﴾: أي: النَّارُ ﴿بِشَرَرٍ﴾: في العِظَم ﴿كَالْقَصْرِ﴾ المبنيِّ من القصور. ﴿كَأَنَّهُ﴾: أي: كأنَّ الشَّرَر ﴿جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾: وهي جمع جَمَل. ﴿صُفْرٌ﴾: أي: سُوْدٌ، وسواد الإبل يضرب إلى الصُّفرة. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ مر تفسيره.

(٣٥ - ٣٧) - ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾: أي: لا ينطقون بحجَّة، وقد ينطقون، ولا يكون لهم عُذْرٌ، ولو كان لَأُذِنَ لهم فيه. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ مر تفسيره.

(٣٨ - ٤٠) - ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾: أي: يومٌ يُفْصَل فيه بين المبطل والمحقِّ والمحسن والمسيء بالجزاء. ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾: معاشر الكفَّار ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ الذين كانوا قبلكم. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾: فإنْ كان لكم احتيالٌ في التَّخلُّص من عذابي فاحتالوا؛ أي: ولا حيلة. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ مر تفسيره.

(٤١ - ٤٥) - ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾: وهم الذين يخالفون هذا، فإنَّهم اتَّقوا الكُفرَ والمعاصي. ﴿فِي ظِلَالٍ﴾: جمع ظِلٍّ، وهو الظِّلُّ الظَّليل في الجنَّة.. ﴿وَعُيُونٍ﴾: جاريةٍ في الجنَّة. ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: لا يتناولونها عن جوعٍ، ولا عن امتلاء، بل عن شهوة. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدُّنيا؛ أي: يُقال لهم

ذلك. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾: فأحسِنوا تُجزَوا بهذا. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ مر تفسيره.

(٤٦-٥٠) ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾: خطاب للكفَّار بصيغة الأمر على جهة التَّهديد. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ مر تفسيره. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾: أي: صلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾؛ أي: لا يصلُّون. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ مر تفسيره. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: إذا كان هؤلاء لا يؤمنون بهذا الحديث الذي هو القرآن مع إعجازه ووضوحه فبأي حديث بعد القرآن يريدون أن يؤمنوا؟ (١).

(انتهى تفسير سورة المرسلات).

---

(١) الكشف والبيان (١٠/ ١١١)، والمحرر الوجيز (٥/ ٤٢١).

(٧٨) سورة النبإ مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وكتب التفسير وكتب التفسير السنة «سورة النبأ» لوقوع كلمة «النبأ» في أولها، وتسمى أيضًا «سورة عم يتساءلون»، و«سورة عم» وتسمى «سورة التساؤل» لوقوع «يتساءلون» في أولها. وتسمى «سورة المعصرات»، وعدت السورة الثمانين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة المعارج وقبل سورة النازعات، وهي أربعون آية، ومئة وثلاث وسبعون كلمة، وسبعُ مئة وسبعون حرفًا.

أغراضها:

اشتملت هذه السورة على وصف خوض المشركين في شأن القرآن وما جاء به مما يخالف معتقداتهم، ومن ذلك إثبات البعث، وسؤال بعضهم بعضًا عن الرأي في وقوعه مستهزئين بالإخبار عن وقوعه. وتهديدهم على استهزائهم. وفيها إقامة الحجة على إمكان البعث بخلق المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان بعد موته وبالخلق الأول للإنسان وأحواله. ووصف الأهوال الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين مع مقابلة ذلك بوصف نعيم المؤمنين. وصفة يوم الحشر إنذارًا للذين جحدوا به والإيماء إلى أنهم يعاقبون بعذاب قريب قبل عذاب يوم البعث. وأدمج في ذلك أن علم الله تعالى محيط بكل شيء ومن جملة الأشياء أعمال الناس[١]،

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٦).

وانتظام ختم تلك بافتتاح هذه: أنَّهما في ذكر اسم القرآن الحديث، والنَّبأ العظيم، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر تهيئة أسباب المعاش، وتمشية أحوال العباد.

(١ - ٢) - ﴿عَمَّ﴾: في معنى: لأيِّ شيءٍ؟، وأصلُه (عَنْ مَا) أُدغمَت النُّون في الميم، وحذفت الألف تخفيفًا في الاستفهام بكثرة الاستعمال، وهو استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ. ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: أي: يسألُ بعضُهم بعضًا؛ يعني: المشركين. ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ معناه: عَمَّ تتحدَّثُ قريشٌ في القرآن، وقيل: هو البعث بعد الموت، صاروا فيه مختلفين؛ مصدِّقين ومكذِّبين.

(٣ - ٥) - ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾: ففي القرآن: قال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو كَهانة، وقال بعضهم: هو مفترًى، وقال بعضهم: هو أساطير الأولين، وكذا وكذا، وفي البعث: منهم مَن جحدَه، ومنهم مَن شكَّ فيه، ومنهم مَن قال: تشفع لنا فيه الآلهة. ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: أي: ليس كما يقولون: إنَّه باطل، بل هو حقٌّ، وسيعلمون ذلك. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: التَّكريرُ للتَّأكيد والتَّقرير، وقيل: التَّساؤل كان بين الكفَّار والمؤمنين في وقت القيامة.

(٦ - ٨) - ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقرير، وهو تعدادٌ للنِّعَم، واستبداءٌ للشُّكر، واستدعاءٌ إلى الإيمان. ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: أي: للأرض لئلَّا تميد بكم. ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أي: أصنافًا وضروبًا، ذكورًا وإناثًا، أغنياء وفقراء، أصحَّاء ومرضى، أقوياء وضعفاء، ويُعرَف كلُّ شيءٍ بضدِّه.

(٩ - ١٣) - ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾؛ أي: راحةً لأبدانكم، وقيل:

﴿سُبَاتًا﴾؛ أي: قَطْعًا لأعمالكم. ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: أي: غطاءً، وقيل: سكنًا. ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾: أي: وقتًا للتَّعيُّش والاضطراب لطلب الرِّزق. ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾: أي: سبع سماوات رفعناها فوقكم كالبناء. ﴿شِدَادًا﴾: جمع شديدة؛ أي: وثيقةً دائمةً كذلك على ممرِّ الزَّمان. ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾: أي: مصباحًا وقَّادًا؛ يعني: الشَّمس.

(١٤ -١٦) - ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾أي: من الرِّياح. ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾: أي: منصبًّا ومتتابعًا. ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ﴾: أي: بالماء ﴿حَبًّا﴾: وهو واحد الحبوب ﴿وَنَبَاتًا﴾؛ أي: كلأً. ﴿وَجَنَّاتٍ﴾: أي: بساتينَ ﴿أَلْفَافًا﴾: ملتفَّةَ الأشجار والثِّمار.

(١٧ -١٩) - ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾: أي: وقتًا جُعل لهم يُفصَل فيه بين المحقِّ والمبطِل، والمحسِن والمسيء. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾: أي: جماعات. ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾: قيل: تفتح لنزول الملائكة، وقيل: تتصدَّع. ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾: أي: طرقًا كالأبواب حين تتشقَّقُ بعد أن كانت شدادًا لا فطورَ فيها.

(٢٠ - ٢٣) - ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: أي: صارت خيالًا كالسَّراب الذي يَتخيَّل لصاحبه شيئًا وليس بشيء. ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: أي: طريقًا عليه ممرُّ الخلق، فهي ترصدهم؛ أي: تحفظهم. ﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾: أي: للمتمرِّدين المتجاوِزين القَدْرَ في المعاصي مرجعًا. ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾: أي: ماكثين فيها أزمانًا كثيرة. ﴿أَحْقَابًا﴾: هو زمانٌ من الدَّهر لا قَدْرَ له[١].

(٢٤ -٢٥) - ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾:

---

(١) العين (٣/ ٥٣)، وجامع البيان (٢٣/ ٢٥)، والكشف والبيان (١٠/ ١١٦).

ثم بعد هذه المدَّة يُعذَّبون بعذاب آخر ﴿بَرْدًا﴾، قيل: بردًا يسكِّن عنهم حرَّها، ﴿وَلَا شَرَابًا﴾: يزيل عطشهم ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾؛ أي: لكن ماءً حارًّا ﴿وَغَسَّاقًا﴾: ماءً يسيل من أجساد أهل النَّار.

(٢٦ -٢٧) - ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾: أي: جزاهم اللّه بذلك جزاءً وافقَ أعمالهم وفاقًا. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾: أي: لا يخافون، وقيل: أي: لم يكونوا مؤمنين يأمَلون حسابًا وثوابًا بعده.

(٢٨ - ٣٠) - ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾: أي: تكذيبًا. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾: أي: حفظناه كتابًا؛ أي: كتبه الملائكة بأمرنا حجَّة عليهم. ﴿فَذُوقُوا﴾: أي: فيُقال لهم: فذوقوا ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾؛ أي: لا يُنقَصون من هذا العذاب، بل يزادون عليه ما هو أشدُّ إيلامًا منه.

(٣١ - ٣٤) - ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: أي: مخلَصًا. ﴿حَدَائِقَ﴾: أي: بساتين، وهي بدل عن الأول ﴿وَأَعْنَابًا﴾: عطف عليه. ﴿وَكَوَاعِبَ﴾: أي: نواهد. وهي صفة الحور العين. ﴿أَتْرَابًا﴾: جمع تِرْبٍ، أي: هُنَّ على سنٍّ واحد. ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: أي: مملوءةً.

(٣٥ - ٣٦) - ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: أي: كلامًا لا فائدة فيه ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾؛ أي: لا يكذِّبُ بعضُهم بعضًا. ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾: أي: كافيًا كثيرًا، يقال: أحسبْتُه؛ أي: أعطيْتُه ما يكفيه وأكثرتُه حتى قال: حسبي.

(٣٧ -٣٨) - ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: أي: لا يقدِرُ أحدٌ أن يخاطبَه بشفاعةٍ لأحد إلَّا بإذنه. ﴿يَوْمَ يَقُومُ

﴿الرُّوحُ﴾: قال أكثر المفسِّرين: أي: جبريل، وقال ابن عبَّاس: ﴿الرُّوحُ﴾: خَلْق عظيم، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: يصفُّون ﴿صَفًّا﴾: كصفِّ بني آدم في الصَّلاة. ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾: فلا يتكلَّمون بالشَّفاعة إلَّا لمن ﴿أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ منهم بالشَّفاعة ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾؛ أي: يشفع لمن يستحقُّه، وهو المؤمن دون الكافر. وقيل: ﴿صَوَابًا﴾؛ أي: كلمة التَّوحيد في الدنيا.

(٣٩ - ٤٠) - ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾: أي: لا باطلَ فيه، فهو يوم العدل والإنصاف. ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾: أي: مرجعًا بالعمل الصَّالح، فإنَّ ذلك ممكِنٌ له. ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ﴾: أيُّها الكفَّار ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ في الآخرة، فإنَّ قيام السَّاعة قريب. ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: أي: يرى، وقيل: يجد، ﴿الْمَرْءُ﴾؛ أي: المؤمن. ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾: كلُّ كافرٍ: ﴿يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾: لم أُخلَق، فلم أكلَّف وبقيْتُ ترابًا[١].

(انتهى تفسير سورة النبأ).

---

(١) التيسير في التفسير (١٥/ ١٩٤).

(٧٩) سورة النازعات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت في المصاحف وأكثر التفاسير «سورة النازعات» بإضافة سورة إلى النازعات بدون واو، وجعل لفظ «النازعات» علمًا عليها لأنه لم يذكر في غيرها، وتسمى بسورة «والنازعات» بإثبات الواو على حكاية أول ألفاظها، وتسمى «سورة الساهرة» لوقوع لفظ «الساهرة» في أثنائها ولم يقع في غيرها من السور، تسمى سورة الطامة، أي لوقوع لفظ الطامة فيها ولم يقع في غيرها، وهي معدودة الحادية والثمانين في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة النبأ وقبل سورة الانفطار، وهي ستٌّ وأربعون آية، ومئة وتسع وسبعون كلمة، وسبعُ مئة وأربعة وسبعون حرفًا.

أغراضها:

اشتملت على إثبات البعث والجزاء، وإبطال إحالة المشركين وقوعه. وتهويل يومه وما يعتري الناس حينئذ من الوهل وإبطال قول المشركين يتعذر الإحياء بعد انعدام الأجساد. وعرض بأن نكرانهم إياه منبعث عن طغيانهم فكان الطغيان صادًا لهم عن الإصغاء إلى الإنذار بالجزاء فأصبحوا آمنين في أنفسهم غير مترقبين حياة بعد هذه الحياة الدنيا بأن جعل مثل طغيانهم كطغيان فرعون وإعراضه عن دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وإن لهم في ذلك عبرة، وتسلية لرسول الله ﷺ. وانعطف الكلام إلى الاستدلال على إمكان البعث بأن خلق العوالم وتدبير نظامه أعظم من إعادة

الخلق. وأدمج في ذلك إلفات إلى ما في خلق السماوات والأرض من دلائل على عظيم قدرة الله تعالى. وأدمج فيه امتنان في خلق هذا العالم من فوائد يجتنونها وأنه إذا حل عالم الآخرة وانقرض عالم الدنيا جاء الجزاء على الأعمال بالعقاب والثواب. وكشف عن شبهتهم في إحالة البعث باستبطائهم إياه وجعلهم ذلك أمارة على انتفائه فلذلك يسألون الرسول ﷺ عن تعيين وقت الساعة سؤال تعنت، وأن شأن الرسول أن يذكرهم بها وليس شأنه تعيين إبانها، وأنها يوشك أن تحل فيعلموها عيانًا وكأنهم مع طول الزمن لم يلبثوا إلا جزءًا من النهار(١)، وختمُ تلك السُّورة وافتتاح هذه السُّورة في ذكر يوم القيامة، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر قيام السَّاعة، وجزاء أهل المعصية وأهل الطَّاعة.

(١ - ٥) - ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾، هو قسمٌ بالملائكة، ووُصفوا بصفاتٍ شتَّى، فأمَّا ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾: فإنَّها تنزع أرواح بني آدم، فإذا نزعَتْ أرواح الكفَّار، نزعتها بشدَّة، وتقدير ﴿غَرْقًا﴾: إغراقًا.

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: فالملائكة تقبضُ روحَ المؤمن بسهولةٍ، كما يُنْشَطُ العِقالُ مِن يدِ البعير. ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾: فالملائكة تسبح بين السَّماء والأرض إذا نزلَتْ؛ أي: تُسرع كالسَّابح في الماء، ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾: فالملائكة تسبق الجنَّ باستماع الوحي. ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾: فلأنَّ اللَّه تعالى أقامَهم بتدبير أمورٍ في الرِّياح والأمطار والأرزاق والأعمال.

(٦ - ٩) - ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾: أي: يوم يُنفَخ في الصُّور النَّفخة

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠).

الأولى، فتضطرب لها الدُّنيا وتُزلزَل حتَّى يموت كلُّ من عليها. ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾؛ أي: النَّفخةُ الثَّانية، فتبعَث النَّاس للحساب. و﴿الرَّاجِفَةُ﴾: اسم للزَّلزلة الأولى، و﴿الرَّادِفَةُ﴾: الزَّلزلة الثَّانية تَردُفُها؛ أي: تتبعُها. ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: أي: شديدةُ الاضطراب، وهي قلوب أهل النَّار. ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾: أي: أبصارُ أصحابِ هذه القلوب خاشعةٌ؛ أي: ذليلةٌ بما علاها من التَّغيُّر والتَّحيُّر.

(١٠ - ١١) - ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾: استفهامٌ بمعنى الإنكار؛ أي: أفنُرَدُّ بعد موتنا إلى أوَّل الأمر، فنعودَ أحياء كما كنَّا؟ وقال ابن عبَّاس: ﴿الْحَافِرَةِ﴾: الدُّنيا. ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾: أي: أنرَدُّ إلى الحياة بعدَ أن صرنا عظامًا بالية.

(١٢ - ١٤) - ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: أي: رجعةٌ فيها خَسَار، وهو الهلاك والمصير إلى النَّار. ﴿خَاسِرَةٌ﴾: كاذبة غير كائنة. ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: أي: صيحة واحدة؛ أي: لا يلحَقُ اللَّهُ تعالى في إحيائهم تعبٌ، إنَّما هو أن يُنفَخ في الصُّور. ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أحياء ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: أي: بوجه الأرض بعد أن كانوا في بطنِها[١].

(١٥ - ٢٠) - ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ وهذا تسلية للنَّبيِّ ﷺ فيما يعامله به قومُه من الجحود وإنكار البعث، ويقول: إنَّ قوم موسى فعلوا كذلك، وقد أهلكْتُهم. ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾: أي: المباركِ المطهَّر.

---

(١) النكت والعيون (٦/ ١٩٦)، والدر المنثور (٨/ ٤٠٨)، والعين (٤/ ٧)، مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٥).

﴿طُوًى﴾: اسمٌ للوادي، ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾؛ أي: قال: اذهب، أُضمِرَ لدلالة النِّداء عليه. ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾: وهذا القول اللَّين الذي أُمرَ به في سورة طه أي: هل لك ميلٌ إلى أن تتطهَّر من دنس الكفر بالإيمان والزَّكاة والطُّهر؟.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾: أي: أدلَّك على ما فيه رضاء ربِّك ﴿فَتَخْشَى﴾؛ أي: تخاف عقابه. ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾: أي: المعجزة العظمى، وهي العصا صارت حيَّة، وأمَّا اليد فكانت مجموعة إليها، فكانت آية.

(٢١ - ٢٥) - ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾: فلم يصدِّق أنَّها من عند اللَّه، وخالَف أمره. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾: أي: أعرض عمَّا دعاه إليه موسى بجدٍّ فيه. ﴿فَحَشَرَ﴾: أي: فجمع قومَه ﴿فَنَادَى﴾ فيهم. ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾؛ أي: كلُّ ربٍّ هو دوني، وكان لهم أصنامٌ يعبدونها. ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾: أي: عاقبه اللَّه تعالى نكالًا له بخطيئته.

(٢٦ - ٢٩) - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾: والعبرة للكلِّ، وإنَّما خصَّ به مَن يخشى لأنَّه هو المنتفِع بها. ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ، وهو خطاب لمنكري البعث. ﴿بَنَاهَا﴾: أي: رفع السَّماء فوقكم كالبناء المسقَّف. ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾: أي: أعلى سقفَها ﴿فَسَوَّاهَا﴾: فلا تفاوت فيها، وقيل: فلا فطور فيها، وقيل: هيَّاها. ﴿وَأَغْطَشَ﴾: أي: أظلمَ. ﴿لَيْلَهَا﴾: أي: ليلَ السَّماء، وأضافه إليها لأنَّه يكون بغروب الشَّمس. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾: بإبراز النَّهار، وأضاف الضُّحى إلى السَّماء لأنه يكون بطلوع شمسها.

(٣٠ - ٣٣) - ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾: أي: مَدَّها وبسطها. ﴿بَعْدَ

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: مع ذلك. ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾؛ أي: من الأرض ﴿مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ انظر كيف دلَّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتًا للأنام ومتاعًا للأنعام، من العشب والشَّجر والحَبِّ والثَّمر والعصف والحطب واللِّباس؛ لأنَّ النَّار من العيدان وهي من الماء، والملح من الماء ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ هي الإبل والبقر والغنم (١).

(٣٤ -٣٦) - ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ قال ابن عبَّاس: أي: القيامة، ومعناها: الهائلة العظمى التي تفوق كلَّ هائلة. ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ﴾: أي: مجيء الطَّامَّة يكون في اليوم الذي يتذكَّر الإنسان فيه ما عمل في الدُّنيا من خيرٍ وشرٍّ بما وجده في كتابه. ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾: أي: أُظْهِرَتْ ﴿لِمَنْ يَرَىٰ﴾؛ أي: لكلِّ ذي بصرٍ، وهذا يدلُّ على أنَّ الكلَّ يرونها، ثمَّ الكفَّار يُعذَّبون بها.

(٣٧ - ٤١) - ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾: أي: جاوزَ الحدَّ فتمرَّد وكذَّب وجحد. ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: أي: اختارَها، وأغفل الآخرة فلم يَعمل لها. ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾: أي: مأواه. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾: أي: علم أنَّ له مقامًا يوم القيامة لحساب ربِّه قبلَ ذلك وخافه. ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾: أي: منع نفسه من اتِّباع هواها. ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾: أي: مأواه.

(٤٢ -٤٦) - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾: أي: يسألك هؤلاء المشركون عن السَّاعة التي فيها الطَّامة الكبرى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾؛ أي: متى قيامُها؟. ﴿فِيمَ

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٧٩)، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٣٢)، والبسيط (٢٣/ ١٨٤).

﴿أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾: أي: فلسْتَ أنت مِن ذكراها وعلمها في شيء، فلا يسألُنَّكَ ولا تسألَنِّي. ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾؛ أي: ينتهي إلى اللَّه تعالى علمُ وقتها. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾: خَصَّ مَن يخشى به لأنَّه هو المنتفع بالإنذار. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾: أي: السَّاعة ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾؛ أي: في الدُّنيا. ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾: ضحى تلك العشيَّة، أو بعضَ يومٍ.

(انتهى تفسير سورة النازعات).

(٨٠) سورة عبس مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت هذه الصورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة «سورة عبس»، وتسمى «سورة الصاخة». و«سورة السفرة»، وتسمى سورة «الأعمى»، وكل ذلك تسمية بألفاظ وقعت فيها لم تقع في غيرها من السور، وعدت الرابعة والعشرين في ترتيب نزول السور. نزلت بعد سورة (والنجم) وقبل سورة (القدر)، وهي أربعون آية، ومئة وثلاث وثلاثون كلمة، وخمسُ مئة وخمسة وثلاثون حرفًا.

أغراضها:

تعليم الله رسوله ﷺ الموازنة بين مراتب المصالح ووجوب الاستقراء لخفياتها كيلا يفوت الاهتمام بالمهم منها في بادىء الرأي مهمًّا آخر مساويًا في الأهمية أو أرجح. ولذلك يقول علماء أصول الفقه: إن على المجتهد أن يبحث عن معارض الدليل الذي لاح له. والإشارة إلى اختلاف الحال بين المشركين المعرضين عن هدي الإسلام وبين المسلمين المقبلين على تتبع مواقعه. وقرن ذلك بالتذكير بإكرام المؤمنين وسمو درجتهم عند الله تعالى. والثناء على القرآن وتعليمه لمن رغب في علمه. وانتقل من ذلك إلى وصف شدة الكفر من صناديد قريش بمكابرة الدعوة التي شغلت النبي ﷺ عن الالتفات إلى رغبة ابن أم مكتوم. والاستدلال على إثبات البعث وهو مما كان يدعوهم إليه حين حضور ابن أم مكتوم وذلك كان من

أعظم ما عني به القرآن من حيث إن إنكار البعث هو الأصل الأصيل في تصميم المشركين على وجوب الإعراض عن دعوة القرآن توهمًا منهم بأنه يدعو إلى المحال، فاستدل عليهم بالخلق الذي خلقه الإنسان، واستدل بعده بإخراج النبات والأشجار من أرض ميتة. وأعقب الاستدلال بالإنذار بحلول الساعة والتحذير من أهوالها وبما يعقبها من ثواب المتقين وعقاب الجاحدين. والتذكير بنعمة الله على المنكرين عسى أن يشكروه. والتنويه بضعفاء المؤمنين وعلو قدرهم ووقوع الخير من نفوسهم والخشية، وأنهم أعظم عند الله من أصحاب الغنى الذين فقدوا طهارة النفس، وأنهم أحرياء بالتحقير والذم، وأنهم أصحاب الكفر والفجور(١)، وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك بعتاب النَّبيِّ ﷺ على السُّؤال عن قيام السَّاعة لسؤال الكفَّار، وافتتاحَ هذه بعتابه على تولِّيه عن ابن أمِّ مكتوم باستمالة الكفَّار، وانتظام السُّورتَيْن: أنَّهما في ذكر الدُّنيا وما أعطانا اللَّه تعالى فيها، وذكر الآخرة وما يكون للأولياء والأعداء فيها.

(١ - ٧) - ﴿عَبَسَ﴾؛ أي: كلحَ النبي محمَّدٌ ﷺ ﴿وَتَوَلَّى﴾؛ أي: أعرضَ. وهذا تشريفٌ للنَّبيِّ ﷺ في ذكرِه على صيغة المغايبة، وهي فوق المخاطبة. ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾؛ أي: بأنْ جاءَه الضَّرير. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يا محمَّد ﴿لَعَلَّهُ﴾؛ أي: لعلَّ الأعمى ﴿يَزَّكَّى﴾ أصلُه: يتزكَّى، أدغمَت التَّاء في الزَّاي، و﴿يَزَّكَّى﴾ معناه: يزداد طهارة بما يتعلَّم منك، ويزول عنه دنس الجهل. ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾: أي: يتَّعظ، وأصله: يتذكر، أُدغمَت التَّاء في الذَّال. وذكر (لعلَّ) ليس للتَّشكيك، بل للتَّرقيق.

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/١٠٢).

﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ أي: يعتبر فينفعه الاعتبار والاتعاظ، ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾: أي: مَن كان غنيًّا بالمال، وجيهًا في الحال. ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾: أي: تتعرَّض، من الصَّدد، وهو القرب. ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾: يعني: لا يتزكَّى؛ أي: ليس عليك شيءٌ بألَّا يتطهَّر بالإيمان، ويبقى على نجاسة الكفر(١).

(٨ - ١٦) - ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾: أي: يَجِدُّ ويَحرص في قُرْبك والاستفادة منك. ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾: أي: يخاف اللَّه تعالى. ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾: أصلُه: تتلهَّى؛ أي: تشتغل، وإلى غيره تُقبِل. ﴿كَلَّا﴾: قيل: أي: لا تعدْ إلى مثلِه، وقيل: أي: حقًّا. ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي: تذكيرٌ ووعظ. ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾: أي: فمَن شاء من الخَلْق أَمكنه أن يتَّعظ به لوضوحه. ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾: أي: هذه التَّذكرة مُثْبتةٌ ﴿فِي صُحُفٍ﴾: جمع صحيفة، وهي ما يكتب فيه الشَّيء ﴿مُكَرَّمَةٍ﴾؛ أي: عند الملائكة وعند المؤمنين، وإن كان يستخِفُّ بها الكافر، وقيل: منزَّهة عن الخطأ والباطل. ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾: قيل: هي رفيعة المكان لأنَّها في السماء السابعة. ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾؛ أي: في أيدي الملائكة المطهَّرين. ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾: أي: ملائكةٍ كَتَبَة، وقد سَفَر يَسْفِر؛ أي: كتَب، والسِّفْر -بالكسر-: الكتاب. ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾: أي: كرامٍ عند اللَّه مطيعين للَّه تعالى.

(١٧ - ١٩) - ﴿قُتِلَ﴾؛ أي: لُعِنَ، ﴿الْإِنْسَانُ﴾: قيل: هو الإنسان الذي اشتغلَ به النَّبيُّ ﷺ عن ابن أمِّ مكتوم، وقيل: هو جنس الكافر، وقال ابن عبَّاس: هو عتبةُ بن أبي لهبٍ. ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾: قيل: هو على التَّعجُّب؛ أي: ما أشدَّ كفرَه،

---

(١) البسيط (٢٣/ ٢٢١)، والنكت والعيون (٦/ ٢٠٥).

وهو استفهام بمعنى التَّوبيخ. ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: بيان لأصله على وجه السُّؤال لِمَا بعده من الجواب، والمراد به التَّقرير. ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾: وهو ماء مَهين قذر. ﴿فَقَدَّرَهُ﴾؛ أي: فأوجده مقدَّرًا على هذه الهيئة الإنسانيَّة.

(٢٠ -٢٣) - ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾: أي: خروجُه من بطن أمِّه، وقيل: هو سبيل الإسلام. ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾: أي: جعل له قبرًا. ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾: أي: يحييه للوقت الذي يشاء. ﴿كَلَّا﴾أي: حقًّا. ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾: أي: لم يفعل هذا الإنسان ما أمره اللّه تعالى به من الإيمان والطَّاعة، فيستحقَّ التَّعظيم والتَّقديم.

(٢٤ -٣١) - ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾:أي: بقلبه نظرَ تدبُّرٍ إلى طعامه. ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾. أي: أنزلناه من السماء نزولًا متدفقًا. ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾: أي: فتقناها بالنَّبات ﴿شَقًّا﴾؛ أي: فتقًا. ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾: هي حبوب الأطعمة. ﴿وَعِنَبًا﴾: وهو ما يكون في الكروم، ﴿وَقَضْبًا﴾:أي: رُطبًا. ﴿وَزَيْتُونًا﴾: الثمر المعروف ﴿وَنَخْلًا﴾ الشجر المعروف، ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾: أي: بساتين غلاظ الأشجار. ﴿وَفَاكِهَةً﴾: ما يُتفكَّه به من الثِّمار. ﴿وَأَبًّا﴾ هو ما تأكلُه الأنعام، وقيل: الكلأ[(١)].

(٣٢ - ٣٧) - ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ هي الإبل والبقر والغنم. ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾أي: هي النَّفخة الثَّانية، وقيل: هي يوم القيامة. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾أي: يهرب حذرًا من مطالبتهم إيَّاه ممَّا بينهم من التَّبعات، وقيل:

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٥١٥)، والعين (٤/ ١٣٥).

لئلا يرَوه وما به من الهوان. ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ﴾: أي: زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾؛ أي: أولاده. ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: أي: شأنٌ في نفسه يغنيه عن غيره. وقيل: ﴿يُغْنِيهِ﴾؛ أي: يصدُّه عنهم.

(٣٨ -٤٢) - ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾: أي: مضيئة من آثار الوضوء، وهي وجوه المؤمنين. ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾: أي: أصحاب هذه الوجوه ضاحكون مسرورون. ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾: وهي وجوه المشركين. ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: أي: التُّراب الذي يعلو وجوه الكفَّار. ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾: أي: سواد، وقيل: ﴿غَبَرَةٌ﴾: ظُلمة، و﴿قَتَرَةٌ﴾؛ أي: ذلة. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾: أي: أصحابها الكفَّار والأشرار.

(انتهى تفسير سورة عبس).

(٨١) سورة التكوير مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، تسمى «سورة إذا الشمس كورت»، وأكثر التفاسير يسمونها «سورة التكوير» وتسمى «سورة كورت»، وهي معدودة السابعة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الفاتحة وقبل سورة الأعلى، وهي ثماني وعشرون آية، ومئة وأربع كلمات، وأربعُ مئة وخمسة وعشرون حرفًا.

أغراضها:

اشتملت على تحقيق الجزاء صريحًا، وعلى إثبات البعث وابتدئ بوصف الأهوال التي تتقدمه وانتقل إلى وصف أهوال تقع عقبه. وعلى التنويه بشأن القرآن الذي كذبوا به لأنه أوعدهم بالبعث زيادة لتحقيق وقوع البحث إذا رموا النبي ﷺ بالجنون والقرآن بأنه يأتيه به شيطان[(١)]، وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح السُّورة: أنَّ ختم تلك السُّورة ببيان اختلاف أوصاف الوجوه يوم القيامة، وافتتاح هذه السُّورة بظهور أمورٍ تكون عند وقوع يوم القيامة، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر الملائكة والقرآن، والكفر والإيمان.

(١ - ٤) - ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: أي: لُفَّتْ وألقيَتْ وأُذْهِبَ نورُها، ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾: أي: انتثرَتْ، وقيل: انقضَّتْ، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: أي: قُلِعَتْ وبتَّتْ وسُيِّرَتْ في الهواء، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: هي جمع

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٤٠).

عُشَرَاء، كالنِّفاس جمع نُفَسَاء، والعُشَراءُ: النَّاقة التي قد أتى على حملها عشرةُ أشهر، وهي أنفَس الأموال عند العرب، وكانوا يحبسونها إذا بلغت هذه الحالة، ويعطِّلون ما دونها، أخبر أنَّ هذه الحوامل على عزَّتها عند أهلها تُعطَّل وتُهمَل؛ لِشدَّة ما يُرَى من الهول النَّازل بالنَّاس يومئذ.

(٥ - ٦) - ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾؛ أي: جُمعَتْ واختلطَتْ بالنَّاس، وبعضها ببعض؛ لهول قيام السَّاعة، وهذا قبل القيامة، وقال ابن عبَّاس: حشرُها: موتُها. ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: السَّجْر في اللُّغة لشيئين: - لِلْمَلْء؛ قال تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]. - وللإحماءِ؛ يُقال: سجَرْتُ التَّنورَ. ﴿سُجِّرَتْ﴾؛ أي: يبسَتْ وغارَتْ مياهُها، فلم يبقَ فيها شيءٌ.

(٧ - ٩) - ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: هذا وما بعدها بعد قيام الساعة، و﴿زُوِّجَتْ﴾؛ أي: قُرِنَتْ. ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾: أي: المدفونةُ حيَّة، وكانوا يفعلون ذلك في البنات آنفةً منهنَّ، وفرارًا عن تحمُّل مؤنتهنَّ، وخشيةَ الإملاق بسببهنَّ، وقيل: ﴿سُئِلَتْ﴾؛ أي: سُئِلَتْ عن سبب قتلها، والمسؤول والدها[١].

(١٠ - ١١) - ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾: أي: صحف الأعمال، تُنْشَر فيُعطاها النَّاس منشورة بأيمانهم وشمائلهم. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾أي: كُشِفَتْ عمَّن فيها من الملائكة، ثم طُوِيَتْ، وقيل: قُلِعَتْ كما يُقْلَع السَّقف.

(١٢ - ١٦) - ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾؛ أي: أُوْقِدَتْ وزِيدَ في إحمائها.

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٦٠٢).

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: أي: أُدنيَتْ، وقيل: أُدْنُوا منها، لا أنَّها تُزال عن موضعِها.
﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ أي: علمَ كلُّ إنسانٍ ما أحضرَ هناك من الأعمال خيرِها وشرِّها، وذكَر ما كان نسيه. ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾: قسمٌ بالنُّجوم الخمسة. الخنَّسُ: جمع خانس، وقد خَنَسَ يَخْنُسُ خُنوسًا؛ أي: تأخَّر. الكنَّسُ: جمع كانس، وقد كَنَسَ يَكْنِسُ كنوسًا؛ أي: استتر.

(١٧ - ١٩) - ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾: قيل: أي: أدبر. وقيل: أي: أقبل ظلامُه. ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: أي: انبلج. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: أي: الذي ذكره محمَّد ﷺ من أمر السَّاعة لقولُ رسولٍ كريم، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أضاف القولَ بالقرآن إليه لأنَّه هو الذي نزَل به من عند الله بأمره. وقيل: ﴿إِنَّهُ﴾؛ أي: القرآن، كنَى عن معلومٍ لا مذكورٍ.

(٢٠ - ٢٢) - ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾؛ أي: ذي قدرةٍ على ما تكلَّف، لا عجز له ولا ضعف. ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾: أي: وجيه، والمكانةُ: الجاه والمنزلة. ﴿مُطَاعٍ﴾: أي: تطيعه ملائكة السَّماوات؛ لعلمهم بمنزلته عند الله. ﴿ثَمَّ﴾: أي: هناك، يعني: في السَّماوات. ﴿أَمِينٍ﴾: أي: مُؤتَمنٍ على وحي الله تعالى. ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾: أي: محمَّد ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾: بل هو أعقل العقلاء.

(٢٣ - ٢٥) - ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾: أي: محمَّدٌ ﷺ رأى جبريلَ على صورته، فتيقَّن أنَّه رسولُ الله إليه، وأنَّه بُعِثَ إلى الخلق رسولًا. ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾: أي: بناحية مطلع الشَّمس، وهو مبين؛ أي: من جهته تُرى الأشياء وتَظهر، فكان البيان واقعًا من جهتِه، فكان مُبينًا. ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ﴾؛ أي: على الوحي ﴿بِضَنِينٍ﴾.

بالضَّاد؛ أي: ببخيلٍ فيكتمَه عنكم، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أي: لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له.

(٢٦ - ٢٩) - ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾: أي: معرِضين عن هذا البيان بعد بلوغ الغاية. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾: أي: ليس القرآن إلَّا ذكرًا لِمَا به الحاجة إليه لكلِّ الإنس والجنِّ. وقيل: أي: إلَّا عِظة لهم، فيتَّعظون بما ذُكِّروا أن يتَّعظوا به.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾: أي: نَفْعُ هذا الذِّكر لمن أراد أن يستقيم من اعوجاج الكفر. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾: أي: الاستقامة. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: قال أبو جهل لعنه اللَّه: الأمر إلينا؛ إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم. فنزلَتِ الآية[1].

(انتهى تفسير سورة التكوير).

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ١٧٢)، والوسيط (٤/ ٤٣٢).

(٨٢) سورة الانفطار مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت هذه السورة «سورة الانفطار» في المصاحف ومعظم التفاسير، وسميت في بعض التفاسير: «سورة إذا السماء انفطرت»، ووجه التسمية وقوع جملة: إذا السماء انفطرت في أولها فعرفت بها، وسميت في قليل من التفاسير «سورة انفطرت»، وقيل: تسمى «سورة المنفطرة» أي السماء المنفطرة، وهي معدودة الثانية والثمانين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة النازعات وقبل سورة الانشقاق، وهي تسعَ عشرةَ آية، وثمانون كلمة، وثلاثُ مئة وأربعةٌ وعشرون حرفًا.

أغراضها:

واشتملت هذه السورة على: إثبات البعث، وذكر أهوال تتقدمه، وإيقاظ المشركين للنظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله تعالى وعن النظر في دلائل وقوع البعث والجزاء. والأعلام بأن الأعمال محصاة. وبيان جزاء الأعمال خيرها وشرها.

وإنذار الناس بأن لا يحسبوا شيئا ينجيهم من جزاء الله إياهم على سيىء أعمالهم[(١)]، **وانتظام السُّورتين:** أَنَّهما في ذكر الأمور التي تكون عند قيام السَّاعة، والجزاء الذي يكون فيها لأهل المعصية ولأهل الطَّاعة.

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٧٠)، والتيسير في التفسير (١٥/ ٢٤٧).

(١ - ٥) - ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾: أي: انشقَّتْ. ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾: أي: تساقطَتْ. ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾: أي: سُيِّلَ بعضها في بعضٍ؛ لتزَلْزُل الأرض وتصدُّعِها. ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: أي: جُعِلَ أعلاها أسفلَها، وظاهرُها باطنَها، وأخرجَتْ أمواتها. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ أي: قدَّمَتْ من طاعةٍ وتركَتْ.

(٦ - ٨) - ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾: أي: يا أيُّها الإنسان المنكِر للبعث، ما الذي صَيَّرَكَ مغترًّا بربِّك مع إقرارك بأنَّه هو ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾؛ أي: قوَّم أعضاءَكَ ﴿فَعَدَلَكَ﴾؛ أي: سوَّى مزاجك. ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾؛ أي: مِن حُسنٍ ودَمامةٍ، وطولٍ وقصرٍ، وأنوثةٍ وذكورةٍ، ونحو ذلك.

(٩ - ١٢) - ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾: أي: بالحساب، وقيل: بالجزاء يومَ القيامة. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾: أي: ملائكةً يحفظون أعمالكم ويكتبونها، فتُخرج لكم يوم القيامة، فتحاسبون عليها وتجازَون بها. ﴿كِرَامًا﴾: أي: كرامًا على اللَّه بطاعته ﴿كَاتِبِينَ﴾؛ أي: أعمالكم. ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾: أي: لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم، فيُثْبتونها

(١٣ - ١٩) - ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: أي: إنَّ المطيعين في نعيم الجنَّة. ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾: أي: الكفَّار ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾؛ أي: النَّار الموقدة. ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾: أي: يدخلونها يوم القيامة الذي هو يوم الجزاء ويوم الحساب ويوم القضاء. ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾: أي: بخارجين، بل هم حاضروها مخلَّدين. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾: وهذا تهويل وتعظيم لأمره. ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ

الدِّينِ﴾: مبالغة وتأكيد له. ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾: أي: يوم لا يملك فيه أحدٌ لأحدٍ شيئًا يدفع عنه ما يريد اللَّه إنزاله من عذابه. ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾: أي: هو القاضي فيه دون غيره سبحانه وتعالى[1].

(انتهى تفسير سورة الانفطار).

(١) التيسير في التفسير (١٥/ ٢٤٧).

(٨٣) سورة المطففين مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، وقيل: مدنيَّة، وقال ابن عبَّاس: نزلت بين مكَّة والمدينة في مهاجره، فأضيفت إلى المدينة، سميت هذه السورة في كتب السنة وفي بعض التفاسير «سورة ويل للمطففين»، وسميت في كثير من كتب التفسير والمصاحف «سورة المطففين» اختصارًا، وهي معدودة السادسة والثمانين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة العنكبوت وقبل سورة البقرة، وهي ستٌّ وثلاثون آية، ومئة وتسع وستون كلمة، وسبع مئة وتسعة وثلاثون حرفًا.

أغراضها:

اشتملت على التحذير من التطفيف في الكيل والوزن وتفظيعه بأنه تحيل على أكل مال الناس في حال المعاملة أخذًا وإعطاء. وأن ذلك مما سيحاسبون عليه يوم القيامة، وقوبل حالهم بضده من حال الأبرار أهل الإيمان ورفع درجاتهم وإعلان كرامتهم بين الملائكة والمقربين وذكر صور من نعيمهم. وانتقل من ذلك إلى وصف حال الفريقين في هذا العالم الزائل إذ كان المشركون يسخرون من المؤمنين ويلمزونهم ويستضعفونهم وكيف انقلب الحال في العالم الأبدي[١]، وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه: أنَّها في الوعيد، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في الوعيد والمواعيد لأهل الكفر وأهل التَّوحيد.

---

(١) التحرير والتنوير (١٨٩/٣٠).

(١) - ﴿وَيْلٌ﴾: هو وادٍ في جهنَّم، ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾؛ أي: المنقِصين الكيلَ، يُقال: إناء طُفاف: إذا كان ناقصًا عن الامتلاء، ويُقال: هذ طفُّ المكيالِ وطِفَافُه: إذا قارب مَلْأه ولم يُملأ.

(٢ - ٦) - ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾: أي: إذا اكتالوا لأنفسهم على النَّاس؛ أي: ما كان لهم على النَّاس. ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾؛ أي: يستكملون؛ أي: يقبضون على التَّمام. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾: أي: كالوا لهم ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾؛ أي: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾؛ أي: ينقصون. ﴿أَلَا يَظُنُّ﴾: أي: ألا يوقن ﴿أُولَئِكَ﴾؛ أي: المطففون ﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾: يوم القيامة ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: وهو يوم القيامة. ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾: منتصبين ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: في موضع الحساب.

(٧ - ٩) - ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾: هو فعِّيل من السَّجن، وهو للمبالغة، ولبيان أنَّ السِّجن فيه للخلود، وقيل: إنَّه جبٌّ في جهنَّم، وقيل: السِّجِّينُ: الأرض السَّابعة، وفيها إبليس وذرِّيته لعنهم اللَّه. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾: هذا تهويل له. ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾: أي: مكتوب، وقيل: مُعلَّم.

(١٠ - ١٣) - ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑩ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ⑪ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾: أي: مجاوزٍ للحدِّ. ﴿أَثِيمٍ﴾؛ أي: مكتسِب للإثم. ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أحاديث المتقدِّمين.

(١٤ - ١٥) - ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس الأمر كما يقول: إنَّه أساطير الأوَّلين ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: غَطَّى على قلوبهم ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: متقادمُ اعتدائهم وإثمهم. وقيل: ﴿رَانَ﴾؛ أي: غلَب، وقيل: طبَع. ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ

﴿يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾: فإذا كان الكفَّارُ محجوبين عن رؤية اللَّه تعالى كان ذلك دليلَ أنَّ المؤمنين يرونَه جَلَّجَلَالُهُ.

(١٦ - ٢١) - ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾: أي: لَدَاخلو النَّارِ الموقدة. ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ في الدُّنيا. ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾: أي: المطيعين الذين لا يطفِّفون ويؤمنون بالبعث. ﴿الْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾: أي: لفي مراتبَ عاليةٍ، والفعِّيل للمبالغة، والجمع بالواو والنُّون تشبيهًا بما يعقِلُ؛ دلالةَ تعظيمِ شأنِها. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ عملُهم مكتوب في لوحٍ من زَبَرْجَدةٍ خضراء، مُعلَّقٌ تحت العرش، ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾؛ أي: يشهد عملَ الأبرار مقرَّبو كلِّ سماء إذا رُفِع من الأرض.

(٢٢ - ٢٤) - ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾: أي: في نعيم الجنَّة. ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: أي: على السُّررِ. ﴿يَنظُرُونَ﴾: إلى ما أعطاهم اللَّه تعالى من الملك والكرامة. ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾: أي: البِشْرَ والفرح بما أُعطُوه.

(٢٥ - ٢٦) - ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾: الرَّحيقُ: الخمر الصَّافية. ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾: أي: توجد ريح المسك عند خاتمة شربه. ﴿وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾؛ أي: فليتبادر المتبادرون، وقيل: فليَسْتبِق المستبِقون، وقيل: فليعمل العاملون[١].

(٢٧ - ٣٢) - ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾: أي: ومزاج الرَّحيق من عينٍ في الجنَّة

(١) جامع البيان (٢٤/ ٢١٨) والوسيط (٤/ ٤٤٨)، والكشف والبيان (١٠/ ١٥٦).

تُسمَّى: تسنيمًا؛ من يتسنَّم الجدار؛ أي: يعلوها، وقيل: لأنَّه أعلى أشربة أهل الجنَّة، من السَّنام. ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾: أي: المقرَّبون يشربون التَّسنيم صِرْفًا، والأبرار -وهم أصحاب اليمين وهم دونهم- يشربونه ممزوجًا بالرَّحيق. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: أي: أشركوا ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾: في الدُّنيا استهزاء بهم. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾: أي: يشير بعضهم إلى بعض بالعَيْنِ طعنًا فيهم وعيبًا لهم. ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾: أي: ناعمين مُعجَبين بحالهم. ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾: أي: رأوا المؤمنين ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾؛ أي: هم على ضلالٍ، فقد تركوا اللَّذات، وهجروا الشَّهوات، وتحمَّلوا المشاقَّ؛ لِمَا يرجونه في الآخرة من الثَّواب والكرامات.

(٣٣ - ٣٦) - ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾: أي: وما أُرْسِل الكفَّار رقباء على المؤمنين يحفظون أموالهم ويَرقبون أعمالَهم، بل أُمِروا بإصلاح أنفسِهم، واشتغالُهم بذلك أولى بهم مِن تتبُّع غيرهم. ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾: والمؤمنون في الجنَّة، والكفَّار في النَّار. ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: أي: هل جُوزوا على سوء أفعالهم جزاءَ أمثالهم، وهو استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ[(١)].

(انتهى تفسير سورة المطففين).

---

(١) والوسيط (٤/ ٤٤٩)، والكشف والبيان (١٠/ ١٥٧).

(٨٤) سورة الانشقاق مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت في زمن الصحابة: «سورة إذا السماء انشقت»، وسماها المفسرون وكتاب المصاحف «سورة الانشقاق» باعتبار المعنى كما سميت السورة السابقة «سورة التطفيف» و«سورة انشقت» اختصارًا، وقد عدت الثالثة والثمانين في تعداد نزول السور نزلت بعد سورة الانفطار وقبل سورة الروم، وهي ثلاث وعشرون آية، ومئة وسبع كلمات، وأربعُ مئة وستَّة وثلاثون حرفًا.

أغراضها:

ابتدئت بوصف أشراط الساعة وحلول يوم البعث واختلاف أحوال الخلق يومئذ بين أهل نعيم وأهل شقاء[(١)]، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر السَّاعة وما فيها.

(١ - ٥) - ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾: أي: تصدَّعَتْ؛ قيل: لنزول الملائكة، وقيل: للسُّقوط والانتقاض. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾: أي: سمعَتْ وأطاعَتْ. ﴿وَحُقَّتْ﴾: أي: وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع لأمر اللَّه تعالى. ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾؛ أي: بُسِطَتْ باندكاك جبالها وآكامها، حتى تصيرَ قاعًا صفصفًا. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾؛ أي: الكنوزَ والمعادن، وهذا عند قرب السَّاعة، وقيل: ألقَتْ

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٢١٧).

الأمواتَ، وهذا عند البعث. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾أي: وَسَمِعَت السموات في تصدّعها وتشققها لربها وأطاعت له في أمره إياها.

(٦) – ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾: هو خطابٌ للجنس، ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾: أي: كَادٌّ تَعِبٌ، وقيل: أي: ساعٍ سعيًا شديدًا، وعاملٌ في دنياك عملًا تصير به ﴿إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ فيحاسبُك به. ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾: أي: ملاقي كدحِكَ؛ أي: جزائه، أو ملاقي ربِّك.

(٧ - ٩) – ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: أي: كتاب أعماله. ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾: وهو أن تُعرَض عليه أعماله، حسَنُها وسيِّئُها، فتُقبل منه الحسنات، ويُتجاوز عنه السَّيئات. ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾:أي: إلى الحور العين فرِحًا بما أعطاه اللَّه تعالى، وقيل: ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾: إلى زوجتِه في الدُّنيا.

(١٠ -١٣) – ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾: أي: تُجعَل شماله من وراء ظهره. ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾: أي: يقول: يا ثبوراه، يا هلاكاه، وهو هلاك دائم، من المثابرة وهي المداومة. ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾: أي: ويَدْخُل، من التَّصلية وهي الإدخال. ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾: قيل: منعَّمًا مستريحًا عن التَّعب بأداء العبادات.

(١٤ -١٥) – ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾: أي: لن يرجعَ إلى ربِّه، ولن يُبعَث. والحور: الرُّجوع، والمحاورة: مراجعة الكلام. ﴿بَلَى﴾: أي: ليحورَنَّ ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾؛ أي: بما كان يعمل في الدُّنيا.

(١٦ -١٨) – ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾: ﴿لا﴾: رَدٌّ لقول الكفَّار، و﴿أُقْسِمُ

بِالشَّفَقِ﴾؛ أي: الحمرةِ بعد غروب الشَّمس والبياضِ بعدها. ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: وما جَمع اللَّيلُ؛ أي: الحيواناتِ كلها، فسكنَتْ باللَّيل، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾: أي: امتلأ وتمَّ واستوى، أقسم بهذه الأشياء لتعلُّق المصالح والمنافع للعباد بها إظهارًا لقَدْرها.

(١٩) - ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: أي: لتركبُنَّ أيُّها النَّاس، والرُّكوبُ: اللُّزوم و﴿عَنْ﴾: بمعنى بعد، وقيل ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾؛ أي: شدَّةً بعد شدَّةٍ.

(٢٠ - ٢٥) - ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: استفهام بمعنى التَّوبيخ. ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾: كذلك، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: ليس تركهم الإيمان والسُّجودَ لقصور البيان، بل لتقليدهم أباءهم في التَّكذيب. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: أي: ينطوون عليه، وحقيقته: يجمعون في صدورهم، وقد أوعيْتُ الشَّيء في الوعاء؛ أي: جمعتُه فيه. ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: ضع لهم الوعيد مكان البشارة. ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: صدَّقوا بعد التَّكذيب، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ أي: الطَّاعات، ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي: غير منقوص، وقيل: أي: غير مقطوع[١].

(انتهى تفسير سورة الانشقاق).

(١) التيسير في التفسير (١٥/٢٧٦).

(٨٥) سورة البروج مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورةُ مَكيَّةٌ، وسميت في المصاحف وكتب السنة وكتب التفسير «سورة البروج»، ووجه تسميتها بهذا ظاهر، ومعدودة السابعة والعشرين في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة «والشمس وضحاها» وقبل سورة «التين»، وهي اثنتان وعشرون آية، ومئة وتسع كلمات، وأربعُ مئة واثنان وستُّون حرفًا.

من أغراض هذه السورة:

ابتدئت أغراض هذه السورة بضرب المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة بأنهم مثل قوم فتنوا فريقًا ممن آمن بالله فجعلوا أخدودًا من نار لتعذيبهم ليكون المثل تثبيتًا للمسلمين وتصبيرا لهم على أذى المشركين وتذكيرهم بما جرى على سلفهم في الإيمان من شدة التعذيب الذي لم ينلهم مثله ولم يصدهم ذلك عن دينهم وإشعار المسلمين بأن قوة الله عظيمة فسيلقى المشركون جزاء صنيعهم ويلقى المسلمون النعيم الأبدي والنصر.

والتعريض للمسلمين بكرامتهم عند الله تعالى. وضرب المثل بقوم فرعون وبثمود وكيف كانت عاقبة أمرهم ما كذبوا الرسل، فحصلت العبرة للمشركين في فتنهم المسلمين، وفي تكذيبهم الرسول ﷺ والتنويه بشأن القرآن[(١)]، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في وعد المؤمنين ووعيد الكافرين.

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٣٧).

(١ - ٢) - ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾: أقسمَ اللَّه تعالى بالسَّماء ذات البروج، وهي المنازل العالية، وقيل: القصور. ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾: أكثرُ المفسِّرين على أنَّه يوم القيامة.

(٣) - ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾. قيل: إنَّ الشَّاهد يوم الجمعة، وقيل يوم الأضحى، وقيل: يوم عرفة، وقيل: يوم القيامة، وقيل: الشَّاهد أعضاء بني آدم تشهد عليهم يوم القيامة، وقيل: الشَّاهد هو الحجر الأسود.

(٤) - ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾: وهو الشَّقُّ العظيم، وفي قصَّتهم حثُّ المؤمنين على الصَّبر وتحمُّلِ أذى الكفَّار.

(٥ - ٦) - ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾: أي: الحطبِ، وذكرُه دليلٌ على كثرة حطبها. ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾: قيل: أي: الكفَّارُ قعودٌ على شفيرها، وأنَّث لِذكرِ النَّار.

(٧ - ٩) - ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾: أي: والكفَّار حضورٌ، وهم الجبابرة يرَوْن ما تفعل أتباعُهم بالمؤمنين، لا تأخذُهم رقَّة، وهو غاية القسوة والمبالغة في السَّطوة. ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾: أي: وما عابَ وما كره الكافرون من المؤمنين إلَّا إيمانهم باللَّهِ. ﴿الْعَزِيزِ﴾: صفة لـ ﴿للَّه﴾ تعالى، وهو المنيعُ الذي لا يُغْلَب، ﴿الْحَمِيدِ﴾ بحمدِ المؤمنين، وفي عقول جميع المكلَّفين، والمستحِقُّ للحمد على الحقيقة. ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: وأشار بهذا كلِّه إلى أنَّه لو شاءَ لمنعَهم عن ذلك، لكن لم يمنع محنةً لأوليائه. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: لا يخفى عليه شيءٌ، فهو يجازي كلًّا على وفقِ عملِه[1].

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ٢٢٠) والوسيط (٤/ ٤٥٠).

(١٠ -١١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: أي: أحرقوهم، ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾: ماتوا مصرِّين على ذلك، وفيه بيانُ سَعة رحمة اللَّه، أنَّهم لو تابوا لعفا عنهم. ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾: أي: لهم عذابٌ في جهنَّم لكفرهم، وعذاب بإحراقهم المؤمنين في الأخدود، وقيل: ﴿الْحَرِيقِ﴾ من أسماء النَّار أيضًا كالسَّعير، فجُعِلَ لهم في الآخرة عذابُ جهنَّم وعذابُ الحريق، فيجوز أن يكونا دركتَيْن فيها، أو مكانَيْن فيها. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾: وهذا في المؤمنين الذين صبروا على ذلك العذاب.

(١٢ -١٣) - ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: أي: أَخْذَه وانتقامه. ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾: أي: يَبدأُ الخلقَ، ويعيدُه بالبعث بعد الموت.

(١٤ -١٥) - ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾: للمؤمنين التَّائبين. ﴿الْوَدُودُ﴾: المتودِّد إلى عباده بغفرانه، وسائرِ وجوه إحسانه، وقيل: ﴿الْوَدُودُ﴾: الذي يتودَّد إلى خلقِه بما يعطيهم من النَّعيم في دينهم ودنياهم. ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾: أي: ذو المُلك، وقيل: هو ذو العرش العظيم. ﴿الْمَجِيدُ﴾: المجدُ: الرِّفعةُ والعُلُوُّ والشَّرف، فيجوز أن يُوصَف به اللَّه، ويجوز أن يُوصَف به العرش.

(١٦ -٢٢) - ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾: لا يمنعُه عنه مانع، ولا يمانعُه فيه ممانِع، يكرم مَن يشاء ويُهين مَن يشاء، ويضلُّ مَن يشاء ويهدي مَن يشاء. ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾: هو استفهام بمعنى التَّقرير؛ أي: قد أتاك حديث الجنود، وما أحلَلْتُ بهم من نقمتي.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾: وفرعون من المتأخِّرين، وثمود من المتقدِّمين، وذكرُهم ذِكرُ أمثالهم من الأوَّلين، وهو وعدٌ للنَّبيِّ ﷺ وللمؤمنين، ووعيد للكافرين. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾: أي: ليس كفر هؤلاء لقصور البيان ولخفاء حال الجنود عليهم في ماضي الزَّمان، لكن يكذِّبونك عنادًا. ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾: قيل: أي: واللَّه قادر عليهم، فهم في قبضتِه وقهرِه وقدرته. ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾: أي: ليس كما يقولون: إنَّه مفترًى، وإنَّه أساطير الأولين، ولكنَّه قرآنٌ عالي القَدْرِ عندَ اللَّه تعالى. ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾: أي: كلُّ واحد من القرآن واللوح محفوظٌ عن التَّبديل والتَّغيير(١).

(انتهى تفسير سورة البروج).

(١) تفسير مقاتل (٤/ ١١٠)، والكشف والبيان (١٠/ ١٥٧).

(٨٦) سورة الطارق مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، وسميت في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف «سورة الطارق» لوقوع هذا اللفظ في أولها، وعددها في ترتيب نزول السور السادسة والثلاثين. نزلت بعد سورة «لا أقسم بهذا البلد» وقبل سورة: «اقتربت الساعة»، وهي ستَّ عشرةَ آيةً، وإحدى وستُّون كلمةً، ومئتان واثنان وأربعون حرفًا.

أغراضها:

إثبات إحصاء الأعمال والجزاء على الأعمال وإثبات إمكان البعث بنقض ما أحاله المشركون ببيان إمكان إعادة الأجسام، وأدمج في ذلك التذكير بدقيق صنع الله وحكمته في خلق الإنسان. والتنويه بشأن القرآن. وصدق ما ذكر فيه من البعث لأن إخبار القرآن به لما استبعدوه وموهوا على الناس بأن ما فيه غير صدق. وتهديد المشركين الذين ناوؤا المسلمين. وتثبيت النبي ﷺ ووعده بأن الله منتصر له غير بعيد[١]، وانتظامُ ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ تلك في ذكر المحفوظ، وهذه في ذكر الحافظ، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر السَّماء والنُّجوم، والقرآن ونزولِه على النُّجوم، وذكرِ وعيد الكافرين، ووعد المؤمنين.

(١ - ٣) - ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾: أقسم اللَّه تعالى بالسَّماء والطَّارق؛ أي: والآتي ليلًا، وهو مُبهَم، ففسَّره، وقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ

---

(١) التحرير والتنوير (٣/٢٥٨).

﴿الثَّاقِبُ﴾: قال قتادة رحمه الله: الطَّارقُ: النَّجم؛ لظهوره باللَّيل وخفائِه بالنَّهار.
﴿الثَّاقِبُ﴾: أي: المضيءُ، والعرب تقول للموقِد: أَثْقِبْ نارَك؛ أي: أَشْعِلْها حتَّى تضيء.

(٤) - ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾: القسَمُ واقعٌ على هذا، ﴿لَمَّا﴾ مشدَّدة، ومعناه: إلَّا؛ أي: ما كلُّ نفسٍ إلَّا عليها حافظ. ﴿حَافِظٌ﴾ أي: يحفظُ عملَها ورزقَها وأجلَها، فإذا استوفى الإنسانُ ذلك كلَّه قبضَه، وهذا كلُّه بيانُ أنَّ ما خلقَه اللَّهُ ليهملَه، بل هو متعبَّد بما كلَّفه.

(٥ - ٧) - ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾: أي: فليتدبَّرْ بعقلِه، ولينظر بقلبِه هذا الإنسان المكذِّب بالبعث ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾؛ أي: مماذا خُلِقَ؟ ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾: أي: مَنِيٍّ خارجٍ بسرعةٍ، والاندفاقُ: السَّير بسرعة، وأصله: الانصباب، والدَّفْق: الصَّبُّ. ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾: أي: صُلب الرِّجال وترائب المرأة، وهو موضع الزيادة من صدر المرأة، جمع تَريبة.

(٨ - ١٠) - ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ أي: على إعادته حيًّا بالبعث بعد الموت. وهو الأصح لأنَّ السِّباق والسِّياق له. ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾: أي: تُكْشَف الأسرارُ، وأصلُ الابتلاءِ: الاختبارُ، لكن الاختبار يكون للكشف بالابتداء، و﴿السَّرَائِرُ﴾: جميعُ ما كان يسترُه العبد من الخلق من طاعة ومعصية، وخير وشرٍّ.
﴿فَمَا لَهُ﴾: أي: لهذا الإنسان ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ على دفع ما حلَّ به من العذاب، ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾: يعينُه ويمنعُه من اللَّه إن أراد تعذيبَه.

(١١ - ١٢) - ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: أقسمَ بالسَّماء ذات الرَّجع،

و﴿الرَّجْعِ﴾: المطر، والجمع: الرُّجعان، وقيل: ﴿ذَاتِ الرَّجْعِ﴾؛ أي: تبتدئ بالمطر، ثم ترجع به في كلِّ عام. ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾: أي: الانشقاق بالنَّبات والأشجار.

(١٣ - ١٧) - ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾: أي: ما أخبرتُكُم به من البعث بعد الموت وكذا وكذا في هذه السُّورة فصلٌ؛ أي: قاطع للمِراء والتَّنازع، ومنه فصلُ الخصومات، ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾: أي: باللَّعب، نقيض الجِد. ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: أي: إنَّ هؤلاء المشركين المكذِّبين بالبعث يحتالون لدفع ما أتيتَهم به يا محمَّد من الحقِّ بالتَّمويه على الضَّعَفة، ويمكرون بك، ويقصدون إهلاكَكَ. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: أي: وأنا اللَّهُ أنقضُ عليهم كيدَهم، وأُبطِلُ احتيالهم، ويكون هذا جزاءً لهم على فعلِهم. ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾: أي: فلا تَعْجَل في طلب هلاكِهم. ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾: أي: انتظر انتقامي منهم، وإعلائي إيَّاك عليهم. ﴿رُوَيْدًا﴾: أي: مدَّةً قليلة، فعن قريبٍ ترى ذلك بهم، وحُقِّقَ ذلك يومَ بدر[١].

(انتهى تفسير سورة الطارق).

---

(١) الكشف والبيان (١٠/ ١٥٨).

(٨٧) سورة الأعلى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، هذه السورة وردت تسميتها في السنة سورة: "سبح اسم ربك الأعلى"، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قام مُعاذٌ فصَلَّى العِشاءَ فطَوَّلَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: أَفَتَّانٌ أنت يا مُعاذُ؟! أين أنت عن سبِّح اسمَ ربِّك الأعلى، والضُّحى، وإذا السَّماءُ انفطَرَت»(١)، وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما جاء رسول الله ﷺ المدينة حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى»(٢)، وسمتها عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «سبح»، قالت: «كان النبي ﷺ يقرأ في الوتر في الركعة الأولى سبح»(٣)، وسماها أكثر المفسرين وكتاب المصاحف «سورة الأعلى» لوقوع صفة الأعلى فيها دون غيرها، **وهذه الأحاديث تذكر في فضلها أيضًا**، وهي معدودة ثامنة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة التكوير وقبل سورة الليل، وهي تسعَ عشرةَ آية، واثنتان وسبعون كلمة، ومئتان وستَّة وثمانون حرفًا.

أغراضها:

اشتملت على تنزيه الله تعالى والإشارة إلى وحدانيته لانفراده بخلق الإنسان وخلق ما في الأرض مما فيه بقاؤه. وعلى تأييد النبي ﷺ وتثبيته على تلقي الوحي.

---

(١) صحيح البخاري(٦١٠٦).

(٢) صحيح البخاري(٣٩٢٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٤٦٢)، والنسائي (١٧٠٢)، وابن ماجه (١١٧٢)، وأحمد (٢٩٠٥).

وأن الله معطيه شريعة سمحة وكتابًا يتذكر به أهل النفوس الزكية الذين يخشون ربهم، ويعرض عنهم أهل الشقاوة الذين يؤثرون الحياة الدنيا ولا يعبأون بالحياة الأبدية. وأن ما أوحي إليه يصدقه ما في كتب الرسل من قبله وذلك كله تهوين لما يلقاه من إعراض المشركين[(١)]، وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختْمَ تلكَ في وعيد الكفَّار الذين يَصِفون اللَّهَ بما لا يليقُ به، وافتتاح هذه بالأمر بمدحِ اللَّهِ تعالى ووصفِه بما يليقُ به، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر البدء والإعادة، وجزاءِ أهل السَّعادة وأهل الشَّقاوة.

(١) - ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾: وهذا أمرٌ للنَّبيِّ ﷺ، ومعناه: نزِّه اسمَ ربِّك عن أن يُسمَّى به غيرُه، ﴿الْأَعْلَى﴾؛ أي: العالي على كلِّ شيءٍ بمُلْكِه وسُلْطانِه وقدرته.

(٢ - ٣) - ﴿الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى﴾: أي: صنع الأشياء على ما أرادَ من الحكمة وحسن التَّدبير. ﴿وَالَّذِى قَدَّرَ﴾: أي: قدَّر الخلق على الهيئات التي أراد أن يكون عليها، وقدَّر أرزاق العباد وآجالهم وأفعالهم. ﴿فَهَدَى﴾: أي: أرشدَ إلى توحيده وعبادته، ودلَّ بذلك على قدرته وإلاهيَّته ووحدانيَّته.

(٤ - ٦) - ﴿وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾: النَّباتَ والزُّروع والثِّمار ممَّا يأكل النَّاس والأنعام. ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً﴾؛ أي: جعلَه بعد اهتزازه وخضرته ونضرته يابسًا هشيمًا. ﴿أَحْوَى﴾: أي: أسود لاحتراقه، والحُوَّة: السَّواد، والأحوى: الأسود. ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾: أي: سنجعلُكَ قارئًا للقرآن بإنزال جبريل عليك بالوحي وقراءته

(١) التحرير والتنوير (٣/٢٧٢)، والتيسير في التفسير (١٥/٣١٥).

عليك. ﴿فَلَا تَنْسَى﴾: أي: تذكُرُه ولا تنساه بحفظِه في قلبِكَ.

(٧) - ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أي: فيُنسَخُ العملُ به فيُتْرَكُ لنسخِه. ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾: أي: رفعَ الصَّوت بالقراءة وإخفاءَ الصَّوت فيها، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك.

(٨ - ١٠) - ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾: أي: نوفِّقُكَ للطَّاعات. ﴿فَذَكِّرْ﴾: أي: عِظْ بالقرآن ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾: وكان فيمَن يذكِّرهم مَن لا تنفعُه الذِّكرى، فكان الطَّمع منقطِعًا عن تذكيرهم. ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾: أي: سيتَّعظ بوعظك ﴿مَنْ يَخْشَى﴾؛ أي: مَن يخافُ اللَّه تعالى، فإنَّما يتتفعُ به ذلك.

(١١ - ١٢) - ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾: أي: يتجنَّب الذِّكرى فلا يقبَلُها ﴿الْأَشْقَى﴾؛ أي: الشَّقيُّ، وقيل: أي: المُفْرط في الشَّقاوة، فإنَّ الأشقياء متفاوتون. ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ﴾: أي: يدخلها. ﴿النَّارَ الْكُبْرَى﴾: هي نار جهنَّم، والنَّار الصُّغرى: هي نار الدُّنيا.

(١٣ - ١٥) - ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: فيستريحَ ﴿وَلَا يَحْيَى﴾: فينتفعَ بحياته. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾: أي: صار زاكيًا وعملَ صالحًا. ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾: أي: لافتتاح الصلاة ﴿فَصَلَّى﴾: الفاء للتَّعقيب وهذا في صدقة الفطر وصلاة العيد.

(١٦ - ١٩) - ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: أي: لا تطلبون الفلاح في الآخرة، بل تختارون الدُّنيا على الآخرة، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾: أي: أنفع ﴿وَأَبْقَى﴾؛ أي: أَدْوَمُ. ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾: جمع صحيفة. ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ أي: ما ذكرنا من التَّرغيب والتَّرهيب في هذه السورة فقد ذكرنا ذلك في

صحف الأنبياء المتقدِّمين، صحف موسى: هي الألواح التي كتب فيها التَّوراة، وصحف إبراهيم: كتابٌ أنزل على إبراهيم[١].

(انتهى تفسير سورة الأعلى).

(١) التيسير في التفسير (١٥/ ٣١٥) تفسير مقاتل (٤/ ١١٣).

(٨٨) سورة الغاشية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت في المصاحف والتفاسير «سورة الغاشية»؛ لوقوع لفظ «الغاشية» في أولها. وتسمى أيضًا: «هل أتاك حديث الغاشية»، وربما سميت «سورة هل أتاك» بدون كلمة حديث الغاشية، وهي معدودة السابعة والستين في عداد نزول السور نزلت بعد سورة الذاريات وقبل سورة الكهف، وهي ستٌّ وعشرون آية، واثنتان وتسعون كلمة، وثلاثُ مئة وأحدٌ وسبعون حرفًا.

أغراضها:

اشتملت هذه السورة على تهويل يوم القيامة وما فيه من عقاب قوم مشوهة حالتهم، ومن ثواب قوم ناعمة حالتهم وعلى وجه الإجمال المرهب أو المرغب. والإيماء إلى ما يبين ذلك الإجمال كله بالإنكار على قوم لم يهتدوا بدلالة مخلوقات من خلق الله وهي نصب أعينهم، على تفرده بالإلهية فيعلم السامعون أن الفريق المهدد هم المشركون. وعلى إمكان إعادته بعض مخلوقاته خلقًا جديدًا بعد الموت يوم البعث. وتثبيت النبي ﷺ على الدعوة إلى الإسلام وأن لا يعبأ بإعراضهم. وأن وراءهم البعث فهم راجعون إلى الله فهو مجازيهم على كفرهم وإعراضهم[١]، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر المؤمنين والكفَّار، ومصير هؤلاء إلى الجنَّة، ومصير هؤلاء إلى النَّار.

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٩٤).

(١ - ٦) - ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقرير؛ أي: قد أتاكَ خبرُ القيامة التي تَغْشَى النَّاس بالأهوال؛ أي: تجلِّلُهم، يعني: تَعمُّهم. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾؛ أي: ذليلةٌ لِمَا اعترى أصحابها من الخزي والهوان، خافضةٌ أبصارها. ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ في الدُّنيا؛ أي: تعِبة. ﴿تَصْلَىٰ﴾: من الاصلاء، وهو الإدخال. ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾: أي: قد أُحْمِيَتْ مُددًا طويلة، فلا حرَّ يعدِلُ حرَّها. ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾: أي: من عينِ ماءٍ قد انتهى حرُّها، فهذا شرابُهم. ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ﴾: بالهاء والميم اللَّتين هما لجمع العقلاء. ﴿إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾: شجرة في النَّار يأكلون منها، وقيل: هو نبت يُقال لرَطْبه: الشِّبْرِق، وإذا يبسَ: فهو ضريع، وهو سمٌّ.

(٧ - ١١) - ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾؛ لأنَّ ضريع الدُّنيا الذي هو مرعًى للسَّوائم لا يُسْمِن ولا يُشْبع، فكيف ضريعُ جهنَّم؟! ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾: أي: أقوام يومئذ ناعمون في الجنَّة. ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾: أي: لمساعيهم في الدُّنيا حامدون في الجنَّة؛ لِمَا نالوا من ثوابها، وقيل: أي: راضون بثواب سعيهم. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: أي: رفيعةِ المنازلِ، درجاتُها بعضُها فوقَ بعضٍ. ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾: واللَّاغية: اللَّغو، كالخائنة هي الخيانة، والكاذبة هي الكذب، وهو كلُّ كلام لا فائدة فيه.

(١٢ - ١٦) - ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾: أي: عين الشَّراب جاريةٌ على وجه الأرض من غير أخدود، تجري لهم حيث أرادوا إجراءها. ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾: أي: في الهواء عاليةً، ليرى المؤمنُ إذا جلسَ عليها جميعَ ما أعطاه ربُّه في الجنَّة من

المُلْك والنَّعيم. ﴿وَأَكْوَابٌ﴾: هي كِيْزانٌ لا عُرى لها، جمع كوب. ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾: أي: معدَّةٌ لأهلِها، كالرَّجل يلتمسُ من الرَّجل شيئًا، فيقول: هو هاهنا موضوع؛ أي: مُعَدّ. ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾: أي: وسائد، وواحدتها نُمْرُقة ونمرِقة بالضَّم والكسر. ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾؛ أي: هي البُسُط، وهي جمع زِرْبِيَة وزِرْبِي(١).

(١٧ - ٢٠) - ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ طويلةً، ثم تبرُك فترْكَب ويُحْمَل عليها، ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ بلا عمد ثم نجومُها تكثر هذه الكثرةَ، فلا تدخل في حساب الخَلْق، ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ وجعلت رواسي وأوتادًا. ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: أي: بسطت فهي كلُّها بساطٌ واحدٌ يُبسَطُ من الأفق إلى الأفق، وقيل: هي تنبيهٌ على البعث بعد الموت، ومحاجَّةٌ بها مع منكري البعث.

(٢١ - ٢٤) - ﴿فَذَكِّرْ﴾؛ أي: عِظْ يا محمَّد ﷺ هؤلاء المكذِّبين بالبعث بما تورِدُه عليهم من الحُجج، ولا يضيقَنَّ صدرُك بإصرارهم على إنكارهم. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾: أي: إنَّما اختارك اللَّه تعالى لهذا، فاصبر عليه ودُمْ على ما اختارك له ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾: أي: بمسلَّطٍ تحملهم على الإيمان جبرًا، وتدخله في قلوبهم كرهًا، إنَّما عليك التَّذكير والإرشاد والتَّبصير. ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾: أي: إلَّا مَن أعرض عن إجابتك، وكفر بربِّك، فتكون مسلَّطًا عليه بما يؤذَنُ لك في قتاله وسَبْيه وقتله. ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾: بك، وعلى يدك، وبما يصيِّره إلى عذاب النَّار، وهو العذاب في الدَّرك الأسفل من النَّار.

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ١١٣)، والكشف والبيان (١٠/ ١٦٠).

(٢٥ -٢٦) - ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾: أي: فإنَّ إلينا رجوعهم في الآخرة. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾: أي: وإذا رجعوا إلينا حاسبناهم على أعمالهم، وجزيناهم بها جزاء أمثالهم.

(انتهى تفسير سورة الغاشية).

(٨٩) سورة الفجر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، لم يختلف في تسمية هذه السورة «سورة الفجر» بدون الواو في المصاحف والتفاسير وكتب السنة، وقد عدت العاشرة في عداد نزول السور. نزلت بعد سورة الليل وقبل سورة الضحى، وهي اثنتان وثلاثون آية، ومئة وسبعٌ وثلاثون كلمة، وخمسُ مئة وثمانيةٌ وستُّون حرفًا.

أغراضها:

حوت من الأغراض ضرب المثل لمشركي أهل مكة في إعراضهم عن قبول رسالة ربهم بمثل عاد وثمود وقوم فرعون. وإنذارهم بعذاب الآخرة. وتثبيت النبي ﷺ مع وعده باضمحلال أعدائه. وإبطال غرور المشركين من أهل مكة إذ يحسبون أن ما هم فيه من النعيم علامة على أن الله أكرمهم وأن ما فيه المؤمنون من الخصاصة علامة على أن الله أهانهم. وأنهم أضاعوا شكر الله على النعمة فلما يواسوا ببعضها الضعفاء وما زادتهم إلا حرصًا على التكثر منها. وأنهم يندمون يوم القيامة على أن لم يقدموا لأنفسهم من الأعمال ما ينتفعون به يوم لا ينفع نفسا مالها ولا ينفعها إلا إيمانها وتصديقها بوعد ربها. وذلك ينفع المؤمنين بمصيرهم إلى الجنة[1]، وانتظام السُّورتين: أنَّها في إهانة الأعداء، وكرامة الأولياء.

(١ - ٣) - ﴿وَالْفَجْرِ﴾: أقسمَ اللَّهُ تعالى بالفجر، وهو الصُّبح. ﴿وَلَيَالٍ

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٣١٢).

﴿عَشْرٍ﴾: قيل: هو قسم بعشر عاشوراء، وقيل: هو العشر الأواخر من شهر رمضان، وقيل: هي عشر ذي الحجَّة، وفيها الأيَّام الفاضلة والمناسك، ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾: الشَّفعُ: الخلْقُ، والوتر: الخالق. وقيل: الشَّفع: الزَّوج، والوتر: الفرد، من كلِّ عدد.

(٤ - ٧) - ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: هو قسمٌ بليلة النَّحر؛ لأنَّه يسري فيه الحاجُّ إلى المزدلفة، ومعناه: يُسْرَى فيه، كما يُقال: ليل نائم؛ أي: يُنام فيه، وقيل: ﴿يَسْرِ﴾؛ أي: يمضي، وقيل: هو كلُّ ليلٍ. ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾: أي: قسم لذي عقل، وهو استفهام بمعنى التَّقرير. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أي: ألم تعلم يا محمَّد ﷺ علمًا يوازي العيان في الإيقان؟ وهو استفهامٌ بمعنى التَّقرير. ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾: قالوا: هما عادان: عاد الأولى وعاد الثَّانية، وعاد الأولى هم إرم، وقوله تعالى: ﴿إِرَمَ﴾: بدلٌ عنه وترجمة له، ﴿إِرَمَ﴾: قبيلة من عاد. فكان في معنى: مررْتُ بقريشٍ بني هاشم منهم، وقيل: ﴿إِرَمَ﴾: أمَّة عاد، وقيل: هو أبوهم الأكبر. ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾:أي: ذا الطَّول، يقال: رجل مُعَمَّدٌ؛ أي: طويل. وقيل: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾؛ أي: ذات عُمُد لبيوت الوَبر[(١)].

(٨ - ٩) - ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾هو وصف عاد؛ أي: لم يُخلَق في سائر البلاد مثلُهم في قوَّتهم وطول قامتهم. ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ﴾: أي: قطعوا الجبال بيوتًا. ﴿بِالْوَادِ﴾: أي: بوادي القُرى.

(١٠ - ١٤) - ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ﴾: أي: ذي الجنود الذين كانوا

---

(١) الكشف والبيان (٢٩/ ٣٢٧)، والكشاف (٤/ ٧٤٨).

يشدُّون أمره. ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾: صفة عاد وثمود وفرعون؛ أي: تمرَّدوا في بلادهم. ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾: الكفر والمعاصيَ وظلم النَّاس. ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾: مجاز عن إيقاع العذاب بهم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ المرصاد والمَرْصَد: الطَّريق الذي يُرْصَد فيه المارُّ؛ أي: يُرْقَب ويُحْفَظ، ومعناه: أنَّ اللَّهَ تعالى يحفَظُ كلَّ إنسان وما يعمل، ويجزيه به؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرٌّ.

(١٥ -١٨) - ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾:هو أميَّة بن خلف، قتله بلال يوم بدر. ﴿ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾؛ أي: امتحنه بالإنعام عليه والتَّوسعة في دنياه؛ ليتعبَّده بالشُّكر. ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾:بالأموال والأولاد ﴿وَنَعَّمَهُ﴾: ربَّاه ناعمًا. ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾: أي: إنَّ لي عنده منزلةً، ولديه كرامة، فلهذا تفضل عليَّ. ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾: امتحنه بالضِّيق ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾؛ أي: ضَيَّقَ عليه ليتعبَّده بالصَّبر. ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾: أي: هنْتُ على ربِّي فلذلك أذلَّني بالفقر. ﴿كَلَّا﴾: ليس كما يقول، بل الكرامة في الطَّاعة، والهوان في المعصية.

﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ أي: كلَّا، لم أُهِنْكَ أنْ قَدَرْتُ عليك رزقَكَ، ولكنْ أهنْتُكَ بأنَّك كنْتَ في الدُّنيا لا تكرم اليتيم. ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾: أي: لا تحثُّون، ولا تحرِّضون على إطعام المساكين.

(١٩ -٢١) - ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾: أي: الميراث، ومعناه: يأكلون تراث اليتيم الذي يَلُونه، والمراد من الأكل: إتلافُه في وجوه الحوائج، وخصَّ الأكل لأنَّه هو المقصود الأعظم بالمال. ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾؛ أي: شديدًا، وقيل: أي: كثيرًا. ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: أي: كثيرًا. ﴿كَلَّا﴾: أي: ما ينبغي أن يكون

هكذا. ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: أي: دُقَّتْ، وقيل: أي: سُوِّيَتْ، من قولهم: ناقة دَكَّاءُ؛ أي: مستوية الظَّهر. ﴿دَكًّا دَكًّا﴾: التَّكرار للتَّأكيد والتَّقرير، وقيل: أي: دكًّا بعدَ دَكٍّ، وقيل: معناه: تزلزلت؛ لأنَّ الدَّقَّ والتَّسوية يقع بها.

(٢٢ - ٢٤) - ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: أي: ملائكة ربك بأمره، وقيل: أي: عذابُ ربك، ﴿وَالْمَلَكُ﴾: أي: الملائكة، ﴿صَفًّا صَفًّا﴾: أي: صفًّا بعد صفٍّ، أهلُ كلِّ سماءٍ صفٌّ على حِدَة. ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾: أي: يجيءُ بها سبعون ألف مَلَكٍ، يقودونها بسبعين ألف زمام. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ﴾: أي: يتَّعظُ ويتوب هذا ﴿الْإِنْسَانُ﴾ الذي كان همُّه الدُّنيا. ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾: أي: ومن أينَ له نفعُ الاتِّعاظ؟ ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾: أي: يا ليتني قدمت في الدُّنيا عملًا صالحًا يُنالُ به الثَّواب، ويُخلَص به من العذاب[1].

(٢٥ - ٣٠) - ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ ﴿لَا يُعَذِّبُ﴾ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا عَذَابَ اللَّهِ الْكَافِرَ يَوْمَئِذٍ، ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ أحدٌ؛ أي: لا يُشَدُّ بالسَّلاسل والأغلال كما يُشَدُّ هو. ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾: أي: النَّفس المطمئنة المنقادة لأمر ربِّها الواثقةُ بوعده. ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾: أي: إلى ثواب ربِّك. ﴿رَاضِيَةً﴾: من اللَّه بما أُعْطِيْتِ. ﴿مَرْضِيَّةً﴾: عند اللَّه بما عمِلْتِ. ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾: أي: مع عبادي، وبين عبادي، وهم خواصِّي. ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، جعلنا الله من أهلها.

(انتهى تفسير سورة الفجر).

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٩)، والبسيط (٢٠/ ٢٤٥)، وجامع البيان (٢٤/ ٣٩١).

(٩٠) سورة البلد مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، وقيل: مدنيَّة، سميت هذه السورة «سورة لا أقسم» وسميت في المصاحف وكتب التفسير «سورة البلد». وهو إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وإما لإرادة البلد المعروف وهو مكة، وقد عدت الخامسة والثلاثين في عدد نزول السور، نزلت بعد سورة ق وقبل سورة الطارق، وهي عشرون آية، واثنتان وثمانون كلمة، وثلاثُ مئة وسبعة وثلاثون حرفًا.

أغراضها:

حوت من الأغراض التنويه بمكة. وبمقام النبي ﷺ بها. وبركته فيها وعلى أهلها والتنويه بأسلاف النبي ﷺ من سكانها الذين كانوا من الأنبياء، والتخلص إلى ذم سيرة أهل الشرك. وإنكارهم البعث. وما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه، وما أهملوه من شكر النعمة على الحواس، ونعمة النطق، ونعمة الفكر، ونعمة الإرشاد فلم يشكروا ذلك بالبذل في سبل الخير وما فرطوا فيه من خصال الإيمان وأخلاقه. ووعيد الكافرين وبشارة الموقنين(١)، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر الإنسان، وجزاء أهل الإساءة وأهل الإحسان.

(١ - ٢) - ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾: ﴿لَا﴾ ردٌّ؛ أي: ليس هو كما يتوهَّمه هذا الإنسان أنَّه لا يقدر عليه أحدٌ، ﴿أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ الذي أنت فيه يا محمَّد

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٣٤٦).

ﷺ، وهو مكَّة. ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾: أي: لا تؤاخذ بما عملْتَ فيه، وليس عليك فيه ما على النَّاس، والمعني بذلك: نبي اللَّه ﷺ، أحل اللَّه له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء، ويحيي من شاء.

(٣ - ٤) - ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾: وهو قسم بآدمَ وكلِّ أولاده، وقد كرَّمهم اللَّه تعالى وفضَّلهم على كلِّ خلقه. وقيل: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾: هم المؤمنون من أولادِه، والكفَّار سُمُّوا أنعامًا فخرجوا منهم. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: على هذا وقع القَسَم، وقيل: هو للجنس. وقيل: هو إنسان بعينه، والكبدُ: الشِّدَّة والمشقَّة.

(٥ - ٧) - ﴿أَيَحْسَبُ﴾: الإنسان ﴿أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾؛ أي: أيظنُّ أنْ لن يقهرَه قاهر، ولن يغلبَه غالبٌ؟. ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾: أي: كثيرًا، تلبَّد بعضُه على بعض؛ أي: تراكب. ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾: حين فعل ذلك، بل رآه اللَّه تعالى، وسيجزيه على ما فعل إذا أنفقَه في الشَّرِّ دون الخير.

(٨ - ١١) - ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ﴾؛ أي: لهذا الإنسان، استفهام بمعنى التَّقرير. ﴿عَيْنَيْنِ﴾: يبصر بهما ﴿وَلِسَانًا﴾: ينطق به ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾: يستعين بهما على الإبانة باللِّسان وينتفع بهما في غير ذلك. ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾: أي: بيَّنا له الطَّريقين الخير والشر. ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: أي: لم يعمل ما به يَتجاوَزُ العقبة، وقيل: ﴿الْعَقَبَةَ﴾: عقاب جهنم، وقيل: هو الصِّراط[1].

(١٢ - ١٦) - ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾: أي: ما اقتحامُ العقبة؟ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: إخراج المال في فكِّ الرِّقاب بإعطاء المكاتَب ما يؤدِّي به مكاتبَتَه. ﴿أَوْ

(١) البسيط (٢٠/ ٢٤٧)، وجامع البيان (٢٤/ ٣٩٣).

إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾: أي: مجاعة، ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: أي: قرابةٍ.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: أي: فقرٍ شديد، وهي من التُّراب؛ أي: الذي لصِقَ بالتُّراب؛ لقربِه وعدمِ ما يبسطه على الأرض.

(١٧ - ٢٠) - ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: مع هذا يكون مؤمنًا، فإنَّه لو كان كافرًا، لم يكن لصدقته قَبول ونفع، و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الإخبار عنه، لا لترتيب الوجود؛ أي: ثم أُخبرُكم أنَّ هذا لمن كان مؤمنًا. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: أي: مَن كان من المؤمنين الذين يوصِي بعضُهم بعضًا بالصَّبر على الطَّاعة وعن المعصية في المحنة، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾: أي: بالرَّحمة على خلق اللَّه تعالى. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: أي: اليمن والخير والسَّعادة، وقيل: أصحاب اليمين الذين يُعطَون كتبَهم بأيمانهم، ويُسلَك بهم طريق اليمين إلى الجنَّة. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: أي: الشُّؤم والشَّرِّ والشَّقاوة، وقيل: هم أصحاب الشِّمال الذين يُعطَون كتبَهم بشمائلهم، ويُسلَكُ بهم شمالًا إلى النَّار. ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾: أي: مُطبَقة، فلا يَخلُص إليهم رَوحٌ، ولا يُخفَّف عنهم كرب.

(انتهى تفسير سورة البلد).

(٩١) سورة الشمس مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت هذه السورة في المصاحف وفي معظم كتب التفسير «سورة الشمس»، ووجه تسميتها بهذا ظاهر، وعدت السادسة والعشرين في عدد نزول السور نزلت بعد سورة القدر، وقبل سورة البروج، وهي سِتَّ عشرة آية، وأربعٌ وخمسون كلمة، ومئتان وخمسون حرفًا.

أغراضها:

تهديد المشركين بأنهم يوشك أن يصيبهم عذاب بإشراكهم وتكذيبهم برسالة محمد ﷺ كما أصاب ثمودَ بإشراكهم وعتوهم على رسول الله ﷺ الذي دعاهم إلى التوحيد. وقدم لذلك تأكيد الخبر بالقسم بأشياء معظمة وذكر من أحوالها ما هو دليل على بديع صنع الله تعالى الذي لا يشاركه فيه غيره فهو دليل على أنه المنفرد بالإلهية والذي لا يستحق غيره الإلهية وخاصة أحوال النفوس ومراتبها في مسالك الهدى والضلال والسعادة والشقاء[١]، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر الطَّريقين والفريقين؛ قال في تلك السُّورة: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، وقال في هذه السُّورة: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

(١ - ٨) - ﴿وَالشَّمْسِ﴾: أقسم اللَّه تعالى بالشَّمس. ﴿وَضُحَاهَا﴾: الضُّحى: ارتفاع النَّهار، وأضاف إلى الشَّمس لأنَّ الضُّحى يكون بارتفاع الشَّمس،

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٣٦٦).

فكأنَّه قال: والشمس وما يكون بها من الضُّحى، وقيل: ﴿وَضُحَاهَا﴾؛ أي: ونهارها، سمَّاه باسم جزء منه، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾: أي: تبعَها؛ لأنَّه ابتدأ بالقسم بشمس النَّهار، ثم ثنَّى بالقمر الذي ينير باللَّيل. ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾: أي: جلَّا الشَّمسَ وأظهرَها؛ لأنَّه بمجيء النَّهار ترتفع الشَّمس وتُرَى. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾: أي: يغطِّي الشَّمس بغروبها. ﴿وَالسَّمَاءِ﴾: أقسم اللَّه بالسَّماء ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾؛ أي: ومَن بناها، وهذا قسم بنفسه جَلَّجَلَالُهُ، وقيل: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾؛ أي: والذي أبقاها مبنيَّة، وهو القدرة. ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾: أي: بسطها، والطحوُ: كالدَّحْوُ[(١)].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾: وهي نفسُ الإنسان ومَن سوَّاها؛ أي: هيَّأها بهذه البنيةِ الصَّالحة للتَّكليف. ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾: أي: عرَّفها وبيَّنَ لها ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾: فسادَها وصلاحَها. والإلهام مطلقًا: هو إلقاء الشَّيء في القلب من غير فكرٍ، والمراد هاهنا: الإلقاء في القلب بعد السَّماع والتَّفكُّر.

(٩ - ١٠) - ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾: وقع القسم على هذا، أي: نجا من كلِّ مرهوب ووصل إلى كلِّ محبوب مَن زكَّى النَّفس؛ أي: طهَّرها وأنماها، ورفعها في الطَّاعة. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾: أي: يئسَ من ذلك كلِّه مَن أهمل النَّفس في المعاصي، وقيل: أي: قد أفلح مَن زكَّى اللَّهُ نفسَه فهداها، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾؛ أي: دسَّى اللَّه نفسَه فأضلَّها[(٢)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٤٣٢)، وجامع البيان (٢٤/ ٣٩٥).

(٢) جامع البيان (٢٤/ ٤٤٤)، معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٣١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٧٦).

(١١ -١٥) - ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾: أي: وممَّن دسَّى نفسَه قومُ صالح كذَّبوا رسولهم بطغيانهم، وهو مجاوزتُهم حدَّ العبوديَّة، وقيل: ﴿بِطَغْوَاهَا﴾؛ أي؛ بعذابها المجاوزِ حدَّ مثلِه. ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾: أي: نهض وثار أشقى ثمود، وهو عاقر النَّاقة، واسمه: قُدَار بن سالف. ﴿فَقَالَ لَهُمْ﴾: أي: لثمودَ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾؛ أي: صالح. ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ أي: خلُّوا بينها وبين شربها، واحذروا خلاف أمر اللَّه تعالى فيها. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: أي: فكذَّبوا صالحًا بما توعَّدهم به من العذاب. ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أي: قتلوها. ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: أرجف بهم، وأصل الدَّمدمةِ: الغضبُ. ﴿بِذَنبِهِمْ﴾: أي: ما أهلكهم ظالمًا، بل باستحقاقهم ذلك بذنوبهم. ﴿فَسَوَّاهَا﴾: أي: فسوَّى الدَّمدمة عليهم جميعًا، فلم يُفلِتْ منهم أحد، وقيل: فسوَّى الصَّيحة. وقيل: أي: فسوى المنازل في الأرض. ﴿وَلَا يَخَافُ﴾: أي: اللَّه ﴿عُقْبَاهَا﴾؛ أي: عاقبة هذه الفِعلة؛ أي: فعَل ذلك غيرَ خائف أن يلحقه تَبِعة مِن أحدٍ فيها، فإنَّه فعل ذلك في ملكه، وملكُه لا يُسأل عمَّا يَفعل وهم يُسألون.

(انتهى تفسير سورة الشمس).

(٩٢) سورة الليل مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت هذه السورة في معظم المصاحف وبعض كتب التفسير «سورة الليل»، وعدت التاسعة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الأعلى وقبل سورة الفجر، وهي إحدى وعشرون آية، وإحدى وسبعون كلمة، وثلاثُ مئة وثلاثة أحرف.

أغراضها:

احتوت على بيان شرف المؤمنين وفضائل أعمالهم ومذمة المشركين ومساويهم وجزاء كل. وأن الله يهدي الناس إلى الخير فهو يجزي المهتدين بخير الحياتين والضالين بعكس ذلك. وأنه أرسل رسوله ﷺ للتذكير بالله وما عنده فينتفع من يخشى فيفلح ويصدف عن الذكرى من كان شقيًّا فيكون جزاؤه النار الكبرى وأولئك هم الذين صدهم عن التذكر إيثار حب ما هم فيه في هذه الحياة. وأدمج في ذلك الإشارة إلى دلائل قدرة الله تعالى وبديع صنعه(١)، وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر اللَّيل والنَّهار، والمؤمنين والكفَّار.

(١ - ٤) - ﴿وَاللَّيْلِ﴾: أقسم اللَّه باللَّيل. ﴿إِذَا يَغْشَى﴾: أي: يغطي الأشياء بظُلمته. ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾: أي: أضاء فانكشفَ بضوئه ما كان الليلُ غطاه. ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾: أي: ومَن خلق الذَّكر والأنثى، أقسم بنفسه

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٣٧٨).

جَلَّجَلَالُهُ. ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾: القسم على هذا؛ أي: مختلِفٌ متباعِد بعضُه من بعضٍ، لا يستوي سعيُ المؤمن وسعي الكافر، وسعيُ المطيع وسعي العاصي.

(٥ - ٦) - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾: وهذا بيان اختلاف سعي الفريقين، والسُّورة نزلت في أبي بكر الصِّدِّيق رضى اللَّه عنه وفي أميَّة بن خلف. ﴿أَعْطَى﴾: يتناول كلَّ وجوه الإنفاق في الخير فرضِها ونفلها. ﴿وَاتَّقَى﴾: أي: خافَ اللَّهَ، ولم يخالف أمرَه ولا نهيَه. ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾: قيل: هي الجنَّة، تأنيث الأحسن.

(٧ - ١١) - ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾: أي: فسنسهِّل عليه الطَّاعات التي هي سبب اليسر. ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾: فلم يعطِ. ﴿وَاسْتَغْنَى﴾: أظهر من نفسِه الغنى عن اللَّه تعالى وعن ثوابه. ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾: أي: الجنة، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾: أي: للمعاصي، وقيل: لعقوبات المعاصي. ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾: أي: هلكَ وماتَ، من الرَّدى وهو الهلاك، وقيل: أي: إذا أسقط في النَّار.

(١٢ - ١٦) - ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾: أي: منَّا البيان والإرشاد، ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾: أي: فلا يضرُّنا ضلالُ مَن ضلَّ، ولا ينفعنا اهتداءُ مَن اهتدى. ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾: أي: تتلهَّب. ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾: أي: لا يدخلها فيصلى سعيرها. ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾: أي: الشَّقي، والشَّقيُّ: الكافر. ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾: بآيات اللَّه ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن طاعة اللَّه[١].

(١٧ - ٢١) - ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾: وهو الأكمل تقوى، وهو صفة أبي بكر الصِّدِّيق رضى اللَّه عنه. ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾: أي: يتطهَّر بذلك ويتزايد

(١) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٣٤).

خيرًا. ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾: أي: لا يُعطي مالَه أحدًا ولا يصطنع بالإعتاق ونحوه لصنيعةٍ عنده لأحد يجزيه بها ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ﴾؛ أي: لكن طلبًا لرضا الله. ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾: أي: ولسوف يعطيه الله تعالى من الجزاء والكرامة ما يبلغ رضاه ويزيد، وهو كرامة لا يفوقُها كرامة.

(انتهى تفسير سورة الليل).

(٩٣) سورة الضُّحَى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وفي كثير من كتب التفسير وفي «جامع الترمذي» «سورة الضحى» بدون واو، وعدت هذه السورة الحادية عشرة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الفجر وقبل سورة الانشراح، وهي إحدى عَشْرَةَ آية، وأربعون كلمة، ومئة وتسعة وخمسون حرفًا.

أغراضها:

إبطال قول المشركين إذ زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبي ﷺ قد انقطع عنه. وزاده بشارة بأن الآخرة خير له من الأولى على معنيين في الآخرة والأولى. وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه. وذلك يغيظ المشركين. ثم ذكره الله بما حفه به من ألطافه وعنايته في صباه وفي فتوته وفي وقت اكتهاله وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نفع لعبيده وثناء على الله بما هو أهله[١]، وانتظام السُّورتين: أنَّ الأولى في القسَم باللَّيل والنَّهار على شرف أفضل الأمم، ووعدِه أنَّه يبلغ غايةَ الرِّضا، وهذه في القَسَم باللَّيل والنَّهار على شرف أفضل النَّسَم، ووعده أنَّه يبلغ غايةَ الرِّضا.

(١ - ٢) - ﴿وَالضُّحَى﴾ أقسَمَ بصدر النَّهار، وقيل: بالنَّهار كلِّه. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾: أي: سكَن.

(٣ - ٤) - ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾: القسم على هذا؛ أي: ما قطع عنك

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٤).

وحيَه قطْعَ التَّارك لك، والوداع والتَّوديع أصله الوَدْع، وهو التَّرْك. ﴿وَمَا قَلَى﴾: أي: وما قلاك، يعني: ما أبغضَكَ، والقلا: البُغْض. ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾:أي: ما أعدَّ اللَّهُ لك في الآخرة من المقام المحمود، والحوض المورود، والخير الموعود، خيرٌ لك من نعم الدُّنيا وكرامتها، فليس يقطع عنك كرامةً في الدُّنيا ولا في الآخرة.

(٥ - ٦) - ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾: أي: الثَّوابَ الجزيل في العُقبى، وقيل: لا يخزيك في أمَّتك، ويؤتيك مرادَكَ فيهم. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾: استفهام بمعنى التَّقرير؛ أي: قد وجدَكَ؛ أي: علِمَكَ ورآك، يبيِّن أنَّه قد تولَّاه وكفاه، وكلَّ خير أعطاه، من مبتدأ أمرِه إلى منتهاه، فكيف يكون وَدَعَه وقلاه؟

(٧ - ٨) - ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾: أي: غير واقفٍ على وظائف العبادة. ﴿فَهَدَى﴾: أي: علَّمك اللَّهُ تعالى، وبيَّنَ الشَّرائع. ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾: أي: فقيرًا عن المال فأغناك.

(٩ - ١١) - ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: فاذكر يتمَكَ. ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾: واذكر عيلَتَكَ، وهذا في حقِّ سائل المال للحاجة. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: أي: بنعَمِ اللَّهِ كلِّها فحدِّث النَّاس وانشرها بينهم شاكرًا ذاكرًا[(١)].

(انتهى تفسير سورة الضحى).

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٤٠٨)، والتيسير في التفسير (١٥/ ٣٩٣).

(٩٤) سورة الشرح مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكيةٌ، سميت في معظم التفاسير «سورة ألم نشرح»، وسميت في بعض التفاسير «سورة الشرح»، وقد عدت الثانية عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الضحى بالاتفاق وقبل سورة العصر، وهي ثماني آيات، وسبعٌ وعشرون كلمةً، ومئةُ حرف وحرفان.

أغراضها:

احتوت على ذكر عناية الله تعالى لرسوله ﷺ بلطف الله له وإزالة الغم والحرج عنه، وتفسير ما عسر عليه، وتشريف قدره لينفس عنه، فمضمونها شبيه بأنه حجة على مضمون سورة الضحى تثبيتًا له بتذكيره سالف عنايته به وإنارة سبيل الحق وترفيع الدرجة ليعلم أن الذي ابتدأه بنعمته ما كان ليقطع عنه فضله، وكان ذلك بطريقة التقرير بماض يعمله النبي ﷺ وأتبع ذلك بوعده بأنه كلما عرض له عسر فسيجد من أمره يسرًا كدأب الله تعالى في معاملته فليتحمل متاعب الرسالة ويرغب إلى الله عونه (١)، وانتظام السورتين: أنهما في تعدادِ نِعَم اللَّه تعالى على رسوله المصطفى.

(١) - ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: قد شرَحْنا لك صدرك، يعني: وسَّعناه بالإيمان والتوحيد، وقيل: أتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فشقَّ

---

(١) التيسير في التفسير (١٥/ ٣٩٣)، والتفسير الكبير" (٣١/ ١٩٩)، روح المعاني (٢٩/ ١٠٦).

بطنه وأبدى عن قلبه، ثم جاء بدلوٍ من ماء زمزمَ فغسله وأنقاه مما فيه، ثم جاء بطستٍ من ذهب قد مُلئ علمًا وإيمانًا فوضعه فيه.

(٢ - ٤) - ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾: وهو قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وهو زلةٌ لا نعرفها نحن بعينها، وهي تركُ الأفضل مع إتيان الفاضل، والأنبياء يعاتَبون بمثلها لعلوِّ مقامهم. ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾: أي: أثقله حتى جعله نِقْضًا -بالكسر-؛ أي: مهزولًا. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: أي: ذكَرناك للرسل في كتبهم، ولك المقامُ المحمود ودرجةُ الوسيلةِ والفضيلة على كلِّ البرية.

(٥ - ٦) - ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾: عرَّف العسرَ بالألف واللام، وكرَّر قوله: ﴿يُسْرًا﴾ منكَّرًا فدلَّ أنهما يسران؛ إذ لو كان الثاني هو الأولَ لعرَّفه؛ لأن النكرة إذا أُعيدت عرِّفت.

(٧ - ٨) - ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الفرائض ﴿فَانْصَبْ﴾؛ أي: فاتعب في النوافل ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾؛ أي: ادعُه بحوائجك. وقيل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من أمور نفسك ﴿فَانْصَبْ﴾ في عبادة ربك ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ في سؤال حوائجك، وقيل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من دعوة الخَلْق إلينا ﴿فَانْصَبْ﴾ في عبادتنا ولا تطلبْ راحةَ نفسك ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾: سَلْ حوائجك منا(١).

(انتهى تفسير سورة الشرح).

(١) التيسير في التفسير (١٥/ ٣٩٩).

(٩٥) سورة التين مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورةُ مكية، سميت في معظم كتب التفسير ومعظم المصاحف «سورة والتين» بإثبات الواو تسمية بأول كلمة فيها. وسماها بعض المفسرين «سورة التين» بدون واو لأن فيها لفظ «التين»، وعدت الثامنة والعشرين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة البروج وقبل قريش، وهي ثماني آياتٍ، وأربعٌ وثلاثون كلمةً، ومئة وتسعة وخمسون حرفًا.

أغراضها:

احتوت هذه السورة على التنبيه بأن الله خلق الإنسان على الفطرة المستقيمة ليعلموا أن الإسلام هو الفطرة، وأن ما يخالف أصوله بالأصالة أو بالتحريف فساد وضلال، ومتبعي ما يخالف الإسلام أهل ضلالة. والتعريض بالوعيد للمكذبين بالإسلام، والإشارة بالأمور المقسم بها إلى أطوار الشرائع الأربعة إيماء إلى أن الإسلام جاء مصدقًا لها وأنها مشاركة أصولها لأصول دين الإسلام. والتنويه بحسن جزاء الذين اتبعوا الإسلام في أصوله وفروعه. وشملت الامتنان على الإنسان بخلقه على أحسن نظام في جثمانه ونفسه[(١)]، وانتظام السورتين: أن تلك في ذكر فضائل النبي ومعانيه، وهذه السورة في ذكرِ مُواليه ومُعاديه.

(١ - ٣) - ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ أقسم الله تعالى بالتين والزيتون، يعني:

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٢٠).

الفاكهتين المأكولتين. ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: قيل: جبل ذو أشجار، وقيل: هو الجبل الذي كلَّم اللَّه عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿سِينِينَ﴾: جمع سينينة، وهو شجرةٌ مثمرةٌ. ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: أي: هو مكة، ومعناه: ذو الأمن.

(٤ - ٥) - ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: القسَم على هذا، وهو أمر مشاهَدٌ فلا حاجة إلى تأكيده بالقسم، إنما حاصل القسم على ما يتمُّ به الكلام، و﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ أي: تعديلٍ وتسويةٍ، وهيَّأناه أحسنَ هيئةٍ يَصلح معها التصرُّف. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ يعني: إلى أرذل العمر. و﴿الْإِنْسَانَ﴾ في معنى الناس لأنه جنس، فيصحُّ استثناء المؤمنين منهم.

(٦ - ٨) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: في شبابهم وقوتهم ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غيرُ منقوص. ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾: أي: فما يحملُك أيها الإنسان أن تكذِّب بعد هذا بالحساب والجزاء وقد علمتَ أن اللَّه خلَقك في هذه الهيئة. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾: أي: بأقضى القاضين، يعذِّب المكذِّبين ويثيب المطيعين المصدِّقين.

(انتهى تفسير سورة التين).

(٩٦) سورة العلق مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، اشتهرت تسمية هذه السورة في عهد الصحابة والتابعين باسم «سورة اقرأ باسم ربك»، وسميت في المصاحف ومعظم التفاسير «سورة العلق» لوقوع لفظ «العلق» في أوائلها، وكذلك سميت في بعض كتب التفسير، «سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق»، وتسمى: «سورة اقرأ»، وهي أول سورة نزلت في القرآن، ونزل بعده سورة المدثر، وهي ثماني عشرةَ آيةً، واثنتان وسبعون كلمة، ومئتان وثمانون حرفًا.

أغراضها:

تلقين النبي ﷺ الكلام القرآني وتلاوته إذ كان لا يعرف التلاوة من قبل. والإيماء إلى أن علمه بذلك ميسر لأن الله الذي ألهم البشر العلم بالكتابة قادر على تعليم من يشاء ابتداء. وإيماء إلى أن أمته ستصير إلى معرفة القراءة والكتابة والعلم. وتوجيهه إلى النظر في خلق الله الموجودات وخاصة خلقه الإنسان خلقًا عجيبًا مستخرجًا من علقة فذلك مبدأ النظر. وتهديد من كذب النبي ﷺ وتعرض ليصده عن الصلاة والدعوة إلى الهدى والتقوى. وإعلام النبي ﷺ أن الله عالم بأمر من يناوؤنه وأنه قامعهم وناصر رسوله. وتثبيت الرسول على ما جاءه من الحق والصلاة والتقرب إلى الله. وأن لا يعبأ بقوة أعدائه لأن قوة الله تقهرهم(١)، وانتظام

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٣٤).

السورتين: أنهما في بيان خلق الإنسان وجزاءِ الإساءة والإحسان، وهذه أولُ سورة نزلت من القرآن.

(١ - ٥) - ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾أي: الاسم الذي نزَّله عليك في كتابه وعلى لسان جبريل، وقيل: اقرأ ما يوحَى إليك من القرآن بتسميتك للّه متبرِّكًا باسمه، ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ يحتمِل خَلْقَ كلِّ شيء، ويحتمل خصوصَ ما ذكر بعده، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ جمع علقةٍ، وهو الدم الجامد، وجُمع لأن ﴿الْإِنْسَانَ﴾ أُريدَ به الجنس وهم أولادُ آدم، ﴿اقْرَأْ﴾: كرر للمبالغة ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ فإن ربك لا أكرم منه، ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾: قيل: علَّم الخطَّ بالقلم، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ بالخط، وقيل: علَّم سوى الخطِّ علومًا أُخرَ لم يكن يعلمها، وقيل: علَّم آدم ما لم يعلم.

(٦ - ٨) - ﴿كَلَّا﴾ أي: حقًّا، وقال أكثر أهل اللغة: هو ردٌّ ما قبله، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾؛ أي: يُفرِط في المعصية ويتمرَّد ويركب رأسه، ﴿أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾: أي: رأى نفسه قد كثُر ماله فاستغنى به عن غيره، وقيل: استغنى بعشيرته وأنصاره، ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾: أي: الرجوعُ، فهو يحاسبه على طغيانه، ويسأله من أين جمع وفيما أنفق.

(٩ - ١٤) - ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾: وهذا تعجيبٌ من أبي جهل ونهيِه رسولَ اللّه ﷺ عن الصلاة في الكعبة. ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾: أي: أرأيت يا محمد إن كان المنهيُّ عن الصلاة مهتديًا بصلاته وتعظيمِه ربَّه وأمرِ غيره بتقوى اللّه، أَيَحْسُنُ منعُه عن الصلاة؟ وهذا

تعجيبٌ أيضًا، ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾: وهو تعجيبٌ آخرُ أيضًا: أرأيتَ إن كان الناهي عن الصلاة مكذِّبًا بالحق متولِّيًا عنه غيرَ قابلٍ له، أيَصْلُح له هذا؟ و﴿أَرَأَيْتَ﴾ كلمةُ تعجيب، ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾: وهذا وعيدٌ لأبي جهل؛ أي: ألم يعلم أن اللَّه يرى فعله ويسمعُ قوله فيجازيه على قوله وفعله؟(١).

(١٥ - ١٩) - ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما يقول أبو جهل أنه يقدر على أن يطأ رقبته، ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عن هذا القول ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾؛ أي: لنأخذنَّ بناصيته فنَجُرَّنَّه إلى النار؛ أي: تفعل ذلك ملائكتنا بأمرنا ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾: الوصف بالكاذبة الخاطئة راجعٌ إلى صاحبها، ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾: أي: أهلَ مجلسه، والنَّدِيُّ والنادي: المجلس، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: أي: ملائكةَ العذاب، وسُمُّوا زبانيةً لأنهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم، والزَّبْن: الرفع. ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما يقول أبو جهل أنه يقدر على قهرك، ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ فيما يأمرك به من ترك الصلاة. ﴿وَاسْجُدْ﴾ للَّه تعالى ﴿وَاقْتَرِبْ﴾؛ أي: تقرَّبْ إلى اللَّه تعالى بما يمكنك من الطاعة، وقيل: أي: اقترب إلى كرامة اللَّه تعالى بالسجود(٢).

(انتهى تفسير سورة العلق).

---

(١) التفسير الكبير (٣١/ ٢٠٣)، وروح المعاني (٢٩/ ١٠٩).

(٢) التيسير في التفسير (١٥/ ٤٣٢).

(٩٧) سورة القدر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هي سورة مكية، سميت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة «سورة القدر»، وتسمى أيضًا: «سورة ليلة القدر»، وهي الخامسة والعشرون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة عبس وقبل سورة الشمس، وهي ستُّ آيات، وثلاثون كلمةً، ومئةٌ وثلاثةَ عشر حرفًا.

أغراضها:

التنويه بفضل القرآن وعظمته بإسناد إنزاله إلى الله تعالى، والرد على الذين جحدوا أن يكون القرآن منزلًا من الله تعالى. ورفع شأن الوقت الذي أنزل فيه ونزول الملائكة في ليلة إنزاله، وتفضيل الليلة التي توافق ليلة إنزاله من كل عام. ويستتبع ذلك تحريض المسلمين على تحين ليلة القدر بالقيام والتصدق[١]، ونظم السورتين: أن تلك في ذكر القرآن، وهذه في ذكر الليلة التي فيها أنزل القرآن.

(١) - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي: القرآن وهو كناية عن معلوم غيرِ مذكور، ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وليلة القدر: ليلةُ التقدير، وهو تقدير الأعمال والأرزاق والآجال، وهي ليلةٌ جليلةُ القَدْر عظيمةُ الأمر، فهي خير من ألف شهر.

(٢ - ٣) - ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾: أي: أيُّ ليلة هي في عِظَمها وقَدْرها وفضلها وعجائبِ ما فيها. ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: قيل:

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٤٥٦)، والتيسير في التفسير (١٥/ ٤٣٢).

العمل فيها بطاعة الله أفضلُ من العمل في ألف شهرٍ ليس فيها ليلة القدر.

(٤ - ٥) - ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾؛ أي: إلى الدنيا، وقيل: إلى سماء الدنيا، ﴿وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ قيل: أي: جبريل، كما قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: أي: بأمر ربهم، ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾: أي: بكلِّ أمر، أي: تنزل الملائكة بكلِّ ما يقضي الله تعالى من أمور العالم في تلك السنة؛ من عملٍ ورزقٍ وحياةٍ وموتٍ، ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾: أي: ليلةُ القدر سلامةٌ من الشرور والبلايا والآفات، وقيل: من كلِّ أمر مَخُوفٍ سلامةٌ هي، ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾: أي: إلى مطلع الفجر نزولُ الملائكة والسلامُ على أهل الإسلام والسلامةُ من الآفات.

(انتهى تفسير سورة القدر).

(٩٨) سورة البينة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية في قول الجمهور، ووردت تسمية هذه السورة في كلام النبي ﷺ: «لم يكن الذين كفروا».

فضلها:

عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: "لم" يكن الذين كفروا قال: وسماني لك؟ قال: نعم. فبكى»(١)، وسميت هذه السورة في معظم كتب التفسير وكتب السنة سورة لم يكن بالاقتصار على أول كلمة منها، وسميت في أكثر المصاحف «سورة القيمة» وكذلك في بعض التفاسير. وسميت في بعض المصاحف «سورة البينة»، و«سورة أهل الكتاب»، وسميت سورة «البرية» وسميت «سورة الانفكاك»، وهي تسع آيات وأربعٌ وتسعون كلمةً وثلاثُ مئة وثمانيةٌ وتسعون حرفًا.

أغراضها:

توبيخ المشركين وأهل الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول ﷺ.

والتعجيب من تناقض حالهم إذ هم يتظرون أن تأتيهم البينة فلما أتتهم البينة كفروا بها.

وتكذيبهم في ادعائهم أن الله أوجب عليهم التمسك بالأديان التي هم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٠)، ومسلم (٧٩٩).

عليها. ووعيدهم بعذاب الآخرة. والتسجيل عليهم بأنهم شر البرية. والثناء على الذين آمنوا وعملوا الصالحات. ووعدهم بالنعيم الأبدي ورضى الله عنهم وإعطائه إياهم ما يرضيهم. وتخلل ذلك تنويه بالقرآن وفضله على غيره باشتماله على ما في الكتب الإلهية التي جاء بها الرسول ﷺ من قبل وما فيه من فضل وزيادة[١]، وانتظام السورتين: أن تلك السورة في ذكر الليلة التي أُنزل فيه القرآن، وفي هذه السورة ذكرُ المصدِّقين والمكذِّبين بالقرآن.

(١) - ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: أي: اليهودُ والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: ومِن عبَدةِ الأوثان، و﴿مِنْ﴾ ليس للتبعيض بل للتجنيس، ﴿مُنْفَكِّينَ﴾:أي: غيرَ منتهِينَ عن الكفر، وقيل: زائلين والانفكاك: الزوال، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ﴾: أي: حتى أتَتْهم، مستقبلٌ بمعنى الماضي، ﴿الْبَيِّنَةُ﴾: الحجةُ الظاهرة، والمراد بها: الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ هاهنا.

(٢ - ٣) - ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾: ترجمةٌ عن البينة، وتقديره: هو رسولٌ من الله، ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾: هي التي عند الله في أم الكتاب الذي نُسخ منه ما أُنزل على الأنبياء من الكتب، ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾: أي: مستقيمة، وهي كتب الأنبياء، والقرآنُ مصدِّقٌ لها كلِّها، وقيل: ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾؛ أي: أحكام عادلة.

(٤ - ٥) - ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾: للحسد والبغي، لا لقصورِ البيان والوحي، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أي: إلا أن يوحدوا الله ويطيعوه، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾: أي:

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٤٦٨).

مستقيمين مائلين عن الباطل إلى الحق، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾: قيل: دينُ الملَّة القيِّمة، وقيل: دين الشريعة القيِّمة، وكأنه إضافةُ الشيء إلى نفسه، وقيل: دين القائمين لله بالتوحيد.

(٦ - ٨) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾: أي: شر الخليقة، وقيل: من البَرَى وهو التراب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾: أي: خير الخليقة، ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: أي: بساتينُ إقامة، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: لا يموتون فيها ولا يُخرجون عنها، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: فقبِلَ أعمالهم وأحسنَ جزاءهم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾: إذ آتاهم أفضلَ مما كان منهم، ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾: أي: خافه ولم يُعْجَب بعمله، ولم يَمْنُنْ به على ربه (١).

(انتهى تفسير سورة البينة).

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩٠).

(٩٩) سورة الزلزلة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية في قول ابن عباس ومجاهد والواقديِّ وهو الصحيح، سميت هذه السورة في كلام الصحابة سورة: إذا زلزلت، وسميت في كثير من المصاحف ومن كتب التفسير «سورة الزلزال»، وسميت بسورة «زلزلت»، ولكن تسميتها سورة الزلزلة تسمية بالمعنى لا بحكاية بعض كلماتها، وقد عدت الرابعة والتسعين في عداد نزول السور نزلت بعد سورة النساء وقبل سورة الحديد، وهي ثماني آيات، وستٌّ وثلاثون كلمةً، ومئةٌ وخمسةٌ وخمسون حرفًا.

أغراضها:

إثبات البعث وذكر أشراطه وما يعتري الناس عند حدوثها من الفزع. وحضور الناس للحشر وجزائهم على أعمالهم من خير أو شر وهو تحريض على فعل الخير واجتناب الشر[١]، وانتظام السورتين: أنهما في الخِيَار والشِّرار، والمؤمنين والكفار.

(١ - ٣) - ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: أي حرِّكت تحريكًا شديدًا، ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ جمع ثِقْلٍ، قيل: كنوزَها، فهذا قبل قيام الساعة، وقيل: أي: مَوتاها، ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾: أي: يقولون ذلك للهيئة والتعجب.

(٤ - ٦) - ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: أي: تخبر بما عُمل عليها، تقول

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٢٦١)، ومعالم التنزيل (٨/ ٤٩٦ - ٤٩٧).

للمؤمن: وحَّدَ الله عليّ وصلَّى وصام وحجَّ وزكى، وتقول للكافر: كفَر عليّ وأشرك وسرق وزنا، حتى ودَّ الكافر أنه سيق إلى النار ولا يسمعُ ذلك، وقيل هو على حقيقة الإخبار، فيضع الله فيها تمييزًا ونطقًا فتتكلَّم به كما تنطق الجوارح. وقيل: هو الإخبار بظهور الآثار، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: أي: أمَرَها، وقيل: سخَّرها، و﴿لَهَا﴾ بمعنى: إليها. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: أي: يرجع الناس متفرِّقين من أقطار الأرض، ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي: في كتبهم التي نُسخت أعمالهم فيها، فيقرؤونها ويجازَون عليها.

(٧ - ٨) - ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: أي: وزنَ نملة صغيرة، وقيل: هي ذراتُ الهواء في شعاع الشمس ﴿خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ أي: يَرى ذلك مكتوبًا في كتابه محصًى عليه، وقيل: يرى ثوابه وعقابه، وقيل: ﴿يَرَهُ﴾؛ أي: يُصِبْه جزاءُ عمله[١].

(انتهى تفسير سورة الزلزلة).

---

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٢٦١)، ومعالم التنزيل (٨/ ٤٩٦ - ٤٩٧).

(١٠٠) سورة العاديات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، سميت في المصاحف «سورة العاديات» بدون واو، وكذلك في بعض التفاسير فهي تسمية لما ذكر فيها دون حكاية لفظه، وسميت في بعض كتب التفسير «سورة والعاديات» بإثبات الواو، وعدت الرابعة عشرة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة العصر وقبل سورة الكوثر، وهي إحدى عشرةَ آية، وأربعون كلمة، ومئة وسبعة وستون حرفًا.

أغراضها:

ذم خصال تفضي بأصحابها إلى الخسران في الآخرة، وهي خصال غالية على المشركين والمنافقين، ويراد تحذير المسلمين منها. ووعظ الناس بأن وراءهم حسابًا على أعمالهم بعد الموت ليتذكره المؤمن ويهدد به الجاحد. وأكد ذلك كله بأن افتتح بالقسم، وأدمج في القسم التنويه بخيل الغزاة أو رواحل الحجيج[(١)]، وانتظام السورتين: أنهما في ذكر الإنسان، وجزاءِ الإساءة والإحسان.

(١ - ٢) - ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾: أقسم اللَّه تعالى بخيول الغُزاة تشريفًا لهم، ومعناه: والخيلِ التي تعدو فتَضْبَح أي: تَسْمعُ من أفواهها صوتًا ليس بصهيلٍ ولا حَمحمة، وقيل: هو شدة النَّفَس عند العَدْو. ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾: أي: تَقدحُ قدحًا، هي الخيلُ أيضًا تقدح النارَ بحوافرها في شدةِ عَدْوها، وقيل: هذا مجازٌ عن

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٤٩٨).

تهييجها الحرب بين أصحابها.

(٣ - ٥) - ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾: هي الخيل أيضًا تُغِير على عدوِّها صباحًا، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾: أي: هيَّجن بالمَغار -أي: موضعِ الغارة- غبارًا، وقيل: النَّقْع: الغبار المرتفع. ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾: أي: الخيلُ توسَّطن بالمغار والوادي جَمْعَ الأعداء بركبانهن؛ أي: اقتحمت بالغزاة في صفوفِ العُداة، بدون الخوف والمبالاة.

(٦ - ٨) - ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾: قيل: هو للجنس، والكَنُود: الكَفُور، والأرض الكنود: التي لا تُنبت شيئًا، ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾: أي: على نفسه شاهدٌ أنه كذلك مُبِين من نفسه ذلك، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾: أي: لحب المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: لبخيل، والمتشدِّد: البخيل أيضًا.

(٩ - ١١) - ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾: أي: هذا الإنسان، ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾: أي: قُلِبَ فاستُخرج ما فيها من الأموات، و﴿مَا﴾ بمعنى: مَن، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾: أي: ميِّز فأُبرز ما في القلوب حتى عُلم ذلك علمًا حقيقيًّا؛ كالشيء المحصَّل الذي عرف المقصد فيه. ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾: العلم واقع على هذا، والمعنى أن الله عليم بهم وبأعمالهم وجزائها خبيرٌ حينئذ[(١)].

(انتهى تفسير سورة العاديات).

(١) معالم التنزيل (٨/ ٤٩٤).

(١٠١) سورة القارعة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه سورة مكية، اتفقت المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة على تسمية هذه السورة «سورة القارعة»، ووجه تسميتها بهذا ظاهر، وعدت الثلاثين في عداد نزول السور نزلت بعد سورة قريش وقبل سورة القيامة، وهي إحدى عشر آيةً، وستٌّ وثلاثون كلمة، ومئة وستون حرفًا.

أغراضها:

ذكر فيها إثبات وقوع البعث وما يسبق ذلك من الأهوال. وإثبات الجزاء على الأعمال وأن أهل الأعمال الصالحة المعتبرة عند الله في نعيم، وأهل الأعمال السيئة التي لا وزن لها عند الله في قعر الجحيم[١]، وانتظام السورتين: أنهما في ذكر يوم القيامة وما فيه لأهل الهوان وأهل الكرامة.

(١ - ٤) – قوله تعالى ﴿الْقَارِعَةُ﴾: أي: تأتيكم القارعة وهي القيامة، وهي التي تقرع القلوبَ بشدةِ المخافة، ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾: أي: أيُّ شيءٍ القارعةُ؟، ويذكر هذا للتعجيب والتفخيم، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾: أي: وما أَعْلَمَك بمقدارِ أهوالها حتى تشاهدُها. ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾: جمع فراشة، وهي طائر ضعيف يقع في السُّرج، والمبثوثُ؛ أي: المفرَّق.

(٥-١١) – ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ أي: كالصوف في تفرُّقها

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٠).

وصِغَر أجزائها، ﴿الْمَنفُوشِ﴾؛ أي: المبسوط. ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: أي: وزنُ حسناته، وقيل: (موازين): جمع موزون؛ أي: رجَحَت حسناته على سيئاته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾: أي مَرْضيَّة، وقيل: ﴿رَاضِيَةٍ﴾؛ أي: ذاتِ رضًا، والعِيشة هي العَيش؛ كالخِيفة هو الخوف. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: أي: قلَّت حسناته ورجَحت سيئاته على حسناته، ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾: أي: فمصيرُه جهنم، فهي التي تضمُّه كالأم تضمُّ ولدها، ﴿هَاوِيَةٌ﴾؛ أي: هالكة، وهو من قول العرب: هوت أمُّه. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾: أي: وما يدريك يا محمد ما هي؟، والهاء الأخيرة هاءُ استراحة، وهو تهويل لأمرها، ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾: أي: هي نار أُطيل إحماؤها.

(انتهى تفسير سورة القارعة).

(١٠٢) سورة التكاثر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه سورةٌ مكية، كان أصحاب رسول الله ﷺ يسمونها «المقبرة»، وسميت في معظم المصاحف ومعظم التفاسير «سورة التكاثر»، وسميت في بعض المصاحف «سورة ألهاكم»، وقد عدت السادسة عشرة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الكوثر وقبل سورة الماعون، وهي ثماني آياتٍ وثمانٍ وعشرون كلمةً، ومئة وعشرون حرفًا.

أغراضها:

اشتملت على التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام بإيثار المال والتكاثر به والتفاخر بالأسلاف وعدم الإقلاع عن ذلك إلى أن يصيروا في القبور كما صار من كان قبلهم وعلى الوعيد على ذلك. وحثهم على التدبر فيما ينجيهم من الجحيم. وأنهم مبعوثون ومسؤولون عن إهمال شكر المنعم العظيم[(١)]، وانتظام السورتين: أنهما في ذكر القيامة وأهوالها ومختِلف أحوالها.

(١ - ٢) - ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾: أي: شغلكم وأغفلكم التباهي بالكثرة في العدد والأموال، وقيل: هو على الاستفهام بمعنى التوبيخ؛ أي: أَلْهَاكم ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾؛ أي: دام بكم هذا الاشتغال حتى أتاكم الموت وأنتم مصرُّون عليه فـ﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾؛ أي: دخلتم القبور وأنتم على ذلك.

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٥١٨).

(٣ - ٥) - ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس الأمرُ على ما أنتم عليه﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: عند الموت في وقتِ ما يبشَّر به المحتضَر من جنةٍ أو نار، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: ما تلقَونه من العذاب في الآخرة، ﴿كَلَّا﴾: أعاد الكلمة -وهي للزجر- ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾: أي: علمًا يقينيًّا.

(٦ - ٨) - ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾: وهذا علمُ اليقين، وهو قبل دخولها، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾: إذا دخلتُموها، وقيل: لتروُنَّها ثم لتَرَوُنَّها، فإذا تكرَّر في غير مرة وقع عينَ اليقين ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾: ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا لترتيب الإخبار لا للوجود، ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ يعني: عما أنعمَ اللَّه عليكم بمحمد ﷺ، وقيل: عن الصحة والفراغ، وقيل: لتسألُنَّ عن النعيم: عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن[١].

(انتهى تفسير سورة التكاثر).

---

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٢٦٣).

(١٠٣) سورة العصر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، سميت في مصاحف كثيرة وفي معظم كتب التفسير «سورة العصر» وسميت في بعض كتب التفسير «سورة والعصر» بإثبات الواو على حكاية أول كلمة فيها، أي سورة هذه الكلمة، وقد عدت الثالثة عشرة في عداد نزول السور نزلت بعد سورة الانشراح وقبل سورة العاديات، وهي ثلاث آيات، وأربعَ عشرةَ كلمةً، وأحد وسبعون حرفًا.

أغراضها:

اشتملت على إثبات الخسران الشديد لأهل الشرك ومن كان مثلهم من أهل الكفر بالإسلام بعد أن بلغت دعوته، وكذلك من تقلد أعمال الباطل التي حذر الإسلام المسلمين منها. وعلى إثبات نجاة وفوز الذين آمنوا وعملوا الصالحات والداعين منهم إلى الحق. وعلى فضيلة الصبر على تزكية النفس ودعوة الحق[١]، وانتظام السورتين: أنهما في الترغيب والترهيب.

(١ - ٣) - ﴿وَالْعَصْرِ﴾ أقسم اللَّه بصلاة العصر. وقيل: أقسم اللَّه بالدهر، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾: القسمُ على هذا، و﴿الْإِنْسَانَ﴾ اسم جنس ومعناه الجمع، ولهذا صحَّ الاستثناء منهم، والمعنى: إن الناس كلَّهم لفي خسر، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: قيل: هو خسرُ الأعمال وأنهم لا ينتفعون بها، وقيل:

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٥٢٨).

﴿لَفِى خُسْرٍ﴾: لفي عقوبة بذنوبهم، وقيل: لفي هلَكةٍ ونُقصان، وقيل: لفي غَبْنٍ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: إن حُمل الإنسان على كلِّ بني آدم فالاستثناءُ متصل به، وإن كان على الكفار فالاستثناءُ منقطع بمعنى: "لكن"، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾: أي: أوصى بعضهم بعضًا باتِّباع الحق، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: على الحق والثبات عليه.

(انتهى تفسير سورة العصر).

(١٠٤) سورة الهمزة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، سميت هذه السورة في المصاحف ومعظم التفاسير «سورة الهمزة» بلام التعريف، وتسمى أيضًا: «سورة الحطمة» لوقوع هذه الكلمة فيها، وعدت الثانية والثلاثين في عداد نزول السور نزلت بعد سورة القيامة وقبل سورة المرسلات، وهي تسع آيات وثلاثٌ وثلاثون كلمةً ومئةٌ وثلاثون حرفًا.

أغراضها:

فغرض هذه السورة وعيد جماعة من المشركين جعلوا همز المسلمين ولمزهم ضربًا من ضروب أذاهم طمعًا في أن يلجئهم الملل من أصناف الأذى، إلى الانصراف عن الإسلام والرجوع إلى الشرك[(١)]، وانتظام السورتين: أنهما في وعيد الكفار بالعذاب والخَسَار.

(١) - ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ الهمزة: الكثيرُ الطعن على غيره بغيرِ حق، العائبُ له بما ليس فيه، واللمزة: المشير إليه بالاستهزاء والضحك، وقيل: الهمزة: الطعان، واللمزة: المغتاب، وقيل: الهمزة باللسان، واللمزة بالعين.

(٢) - ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾: أي: أحصاه، والتشديد لكثرة المعدود، وقيل: ﴿وَعَدَّدَهُ﴾؛ أي: كثَّره.

(٣ - ٧) - ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾: أي: أيظن أن ماله هذا قد بقَّاه في

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٥٣٦).

الدنيا؟، ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما يتوهَّمه، ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾: أي: ليُطرحَنَّ حقًّا، ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾: وهي من أسماء جهنم، سُميت بها لأنها تَحْطِمُ كلَّ ما أُلقي فيها؛ أي: تَدقُّه وتكسره، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾: وهذا تفخيم لشأنها، ﴿نَارُ اللَّهِ﴾: أي: أعدَّها اللَّه تعالى لأهلها ﴿الْمُوقَدَةُ﴾؛ أي: قد أُوقدت منذ سبعة آلاف سنة، ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾: أي: تُحرقهم حتى تصل إلى أجوافهم، وتُشرفَ على أفئدتهم وتعلوَ عليها، وينالهم بذلك الألمُ الشديد، وقيل: يبلغ ألمها الأفئدة.

(٨ - ٩) - ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾: أي: إن هذه النارَ على كلِّ همزةٍ لمزةٍ، أو على أصحاب هذه الأفئدة وهم الكفار، مطبَقةٌ لا تنفرج ولا يدخلها رَوحٌ، ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾: معناه: تُطرح العمدُ على أبوابها وتمدُّ عليهم لاستحكام يأسهم، وقيل: ﴿فِي عَمَدٍ﴾؛ أي: بعمدٍ[١].

(انتهى تفسير سورة الهمزة).

(١) التيسير في التفسير (١٥/٤٧٨).

(١٠٥) سورة الفيل مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، سميت في جميع المصاحف وكتب التفسير: سورة الفيل، وقد عدت التاسعة عشرة في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة "الكافرون"، وقبل سورة الفلق. وقيل: قبل سورة قريش، وهي خمسُ آيات، وثلاث وعشرون كلمة، وثلاثةٌ وسبعون حرفًا.

أغراضها:

وقد تضمنت التذكير بأن الكعبة حرم الله وأن الله حماه ممن أرادوا به سوءًا أو أظهر غضبه عليهم فعذبهم لأنهم ظلموا بطمعهم في هدم مسجد إبراهيم وهو عندهم في كتابهم، وذلك ما سماه الله كيدًا، وليكون ما حل بهم تذكرة لقريش بأن فاعل ذلك هو رب ذلك البيت وأن لا حظ فيه للأصنام التي نصبوها حوله. وتنبيه قريش أو تذكيرهم بما ظهر من كرامة النبي ﷺ عند الله إذ أهلك أصحاب الفيل في عام ولادته. ومن وراء ذلك تثبيت النبي ﷺ بأن الله يدفع عنه كيد المشركين فإن الذي دفع كيد من يكيد لبيته لأحق بأن يدفع كيد من يكيد لرسوله ﷺ ودينه، ومن وراء ذلك كله التذكير بأن الله غالب على أمره، وأن لا تغر المشركين قوتهم ووفرة عددهم ولا يوهن النبي ﷺ تألب قبائلهم عليه فقد أهلك الله من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعًا[١]، وانتظام السورتين: أنهما في عقوبة الكفرة؛ هذه في الدنيا

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٤٤).

وتلك في الآخرة، وفي هذه السورة تذكيرُ قريش المنةَ في تنحية الحبشة عن بلادهم، ومنعِهم عن هدم الكعبة التي بها فخرُهم وعزُّهم، وفيها حثٌّ على الإيمان بمحمد ﷺ؛ إذ بسببه جرى ذلك معجزةً له، ودلالةً على مجيء مَن يعظِّم البيت ويُقيم مناسكه.

(١ - ٣) - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أي: ألم تعلم يا محمد بالأخبار الشائعة علمًا يوازي العِيان في الإيقان؟ وهو استفهام بمعنى التقرير؛ أي: قد علمتَ، والمراد به هو وقريش، ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: وهم الحبَشة الذين قصدوا البيت ليخرِّبوه، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾: استفهام بمعنى التقرير أيضًا؛ أي: قد ضلَّل كيدهم؛ أي: أبطل مكرهم، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾: جمع طائر ﴿أَبَابِيلَ﴾؛ أي: جماعاتٍ في تفرقةٍ يَتبعُ بعضُها بعضًا، وقيل: ﴿أَبَابِيلَ﴾: متقطِّعةً.

(٤ - ٥) - ﴿تَرْمِيهِمْ﴾: أي: ترمي الطيرُ، ﴿بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ السجيل هو كلُّ شديد، وقيل: هو من حجر وطين، وقيل: هو ما كتبه اللَّه عليهم في اللوح المحفوظ من السِّجِلِّ وهو الكتاب، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾: قيل: هو ورق الحنطة. وقيل: هو التِّبن، وقيل: هو الشعير إذا قُضب، ﴿مَأْكُولٍ﴾: أي: أُكل لبُّه وبقي قشرُه، وقيل: أي: أكلتهُ البهائم ثم راثَتْه، فيبس وتفرَّقت أجزاؤه؛ أي: تقطعت أوصالهم فصاروا كذلك[(١)].

(انتهى تفسير سورة الفيل).

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٢٩٦)، والنكت والعيون (٦/ ٣٤١).

(١٠٦) سورة قريش مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، سميت هذه السورة «سورة لإيلاف قريش»، وسميت في المصاحف وكتب التفسير «سورة قريش» لوقوع اسم قريش فيها ولم يقع في غيرها، وقد عدت التاسعة والعشرين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة التين وقبل سورة القارعة، وهي أربع آيات وسبعَ عشرةَ كلمة وثلاثةٌ وستون حرفًا.

أغراضها:

أمر قريش بتوحيد الله تعالى بالربوبية تذكيرًا لهم بنعمة أن الله مكن لهم السير في الأرض للتجارة برحلتي الشتاء والصيف لا يخشون عاديًا يعدو عليهم. وبأنه أمنهم من المجاعات وأمنهم من المخاوف لما وقر في نفوس العرب من حرمتهم لأنهم سكان الحرم وعمار الكعبة. وبما ألهم الناس من جلب الميرة إليهم من الآفاق المجاورة كبلاد الحبشة. ورد القبائل فلا يغير على بلدهم أحد، فأكسبهم ذلك مهابة في نفوس الناس وعطفًا منهم [(١)]، وانتظام السورتين: أنهما في ذكر البيت الحرام وما له من القَدْر والاحترام.

(١ - ٣) - ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾: اللام هي لام التعجُّب؛ أي: اعجَبوا من كفر قريشٍ مع إيلافنا إياهم، ﴿إِيلَافِهِمْ﴾: تكريرٌ للتأكيد والتقرير، ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾: أي: لَزِموا رحلة الشتاء والصيف وداموا عليها، وقيل: ألزمهم اللَّه

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٥٤).

رحلةَ الشتاء والصيف وأدامها لهم، ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾: أي: فلْيوحِّدوا وليطيعوا، ﴿رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾: الذي نالوا به ما نالوا من الحرمة والنعمة؛ شكرًا له على ابتداء هذه المنَّة.

(٤) - ﴿الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي: بعد جوع ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾: أي: بعد خوف. وقيل: أي: أطعمهم على حاجتهم إليه لجوعهم، وآمنهم في الطرق على خوفهم.

(انتهى تفسير سورة قريش).

(١٠٧) سورة الماعون مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، سميت هذه السورة في كثير من المصاحف وكتب التفسير «سورة الماعون» لورود لفظ الماعون فيها دون غيرها، وعدت السابعة عشرة في عداد نزول السور بناء على أنها مكية، نزلت بعد (سورة التكاثر) وقبل (سورة الكافرون)، وهي سبع آيات، وخمس وعشرون كلمة، ومئة واثنا عشر حرفًا.

أغراضها:

من مقاصدها التعجيب من حال من كذبوا بالبعث وتفظيع أعمالهم من الاعتداء على الضعيف واحتقاره والإمساك عن إطعام المسكين، والإعراض عن قواعد الإسلام من الصلاة والزكاة لأنه لا يخطر بباله أن يكون في فعله ذلك ما يجلب له غضب الله وعقابه(١)، وانتظام السورتين: أنهما في ذكر العبادة والعبودة.

(١-٥) - ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ أي: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾؛ أي: بالحساب. وقيل: أي: بالجزاء، وقيل: بحكم الله. ﴿فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾: أي: يدفعه بعنفٍ عن نفسه فلا يواسيهِ ولا يطعمه، ويدفعه عن حقه، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾: أي: لا يحثُّ غيرَه على طعام المحتاج، لا يحسن بنفسه ولا يأمر به غيره، وهو نهاية اللؤم وخساسة الطبع وقساوة القلب، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾: أي: للمنافقين الذين هم يُدخلون أنفسهم في جملة

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٥٦٤).

المصلين صورةً، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: أي: غافلون لأنهم لا يريدون بذلك قربةً إلى اللَّه تعالى، ولا تأديةً لفرضه، فهم ينخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون.

(٦ - ٧) - ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾: أي: يظهرون للناس أنهم قائمون بفرائض اللَّه مؤدُّون لها متقربون إلى اللَّه تعالى بها، ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾: أي: الزكاة، وقيل: هو ما يتداولونه بالعارية من نحو الفأس والقِدْر والدَّلو، وقيل: ﴿الْمَاعُونَ﴾: هو كلُّ ما فيه منفعة(١).

(انتهى تفسير سورة الماعون).

(١) النكت والعيون (٦/ ٣٤٣).

(١٠٨) سورة الكوثر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، سميت هذه السورة في جميع المصاحف، وفي جميع التفاسير أيضًا «سورة الكوثر» وتسمى «سورة النحر»، ووجه تسميتها بهذا ظاهر، وهي ثلاث آيات وعشرُ كلمات واثنان وأربعون حرفًا.

أغراضها:

اشتملت على بشارة النبي ﷺ بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة. وأمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة. وأن ذلك هو الكمال الحق لا ما يتطاول به المشركون على المسلمين بالثروة والنعمة وهم مغضوب عليهم من الله تعالى لأنهم أبغضوا رسوله، وغضب الله بتر لهم إذا كانوا بمحل السخط من الله. وإن انقطاع الولد الذكر ليس بترًا لأن ذلك لا أثر له في كمال الإنسان(١)، وانتظام السورتين: أنهما في ذمِّ مَن عادَى رسولَ الله ﷺ.

(١) - ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾: أي: إنَّا أعطيناك الخير الكثير، والقرآنُ أفضلُه، والراجح أنه نهر الكوثر: وعن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الكوثر، فقال: هو نهر أعطاكه اللَّه تعالى في الجنة(٢).

(٢) - ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي: فأدِّ شكرَ اللَّه تعالى على هذه النعمة بأنْ

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم (٣٣٥٩).

تتقرب إليه بما تتقربُ إليه العباد من صلاةٍ ونسك، وقيل: صلِّ صلاةَ الأضحى وانحرِ البُدْن، وقيل: هو الصلاة في مواقف الحج والنحرُ بها أيضًا.

(٣) - ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. أي: إن مُبْغضك هو الأبتر لا أنت؛ أي: هو الذي يُبتر ذِكْرُه فلا يُذكرُ في الدنيا ولا في الآخرة بخير، فأما أنت فقد رفعنا لك ذكرك.

(انتهى تفسير سورة الكوثر).

(١٠٩) سورة الكافرون مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، عنونت هذه السورة في جميع المصاحف، معظم التفاسير «سورة الكافرون»، وتسمى هي وسورة قل هو الله أحد المقشقشتين لأنهما تقشقشان من الشرك أي تبرئان منه يقال: قشقش: إذا أزال المرض، وتسمى أيضًا سورة الإخلاص فيكون هذان الاسمان مشتركين بينها وبين سورة "قل هو الله أحد"، وتسمى «سورة العبادة» و«سورة الدين»، وقد عدت الثامنة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الماعون وقبل سورة الفيل، وهي ستُّ آيات، وستٌّ وعشرون كلمةً، وأربعةٌ وتسعون حرفًا.

أغراضها:

أن رسول الله ﷺ كان يطوف بالكعبة فاعترضه الأسود بن المطلب بن أسد، والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف، والعاص بن وائل. وكانوا ذوي أسنان في قومهم فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد سنة وتعبد ما نعبد سنة فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرًا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه وإن كان ما نعبد خيرًا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره، فأنزل الله فيهم: قل يا أيها الكافرون السورة كلها، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فيئسوا منه عند ذلك (وإنما عرضوا عليه ذلك؛ لأنهم رأوا حرصه على أن يؤمنوا فطمعوا أن يستنزلوه إلى

الاعتراف بإلهية أصنامهم، وعن ابن عباس: فيئسوا منه وآذوه وآذوا أصحابه، وبهذا يعلم الغرض الذي اشتملت عليه وأنه تأييسهم من أن يوافقهم في شيء مما هم عليه من الكفر بالقول الفصل المؤكد في الحال والاستقبال وأن دين الإسلام لا يخالط شيئا من دين الشرك[١]، وانتظام السورتين: أن تلك في ذكر النعمة والشكرِ بالصلاة والنحر، وهذه في التوحيد ومخالفةِ أهل الكفر.

(١ - ٣) - ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. كان هذا خطابًا لأقوام بأعيانهم كان اللَّه علِم منهم أنهم لا يؤمنون، فقال له: قل لهم ذلك، ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: أي: ما تعبدونه من الأصنام، آيَسهم من نفسه، وأعلمهم استبصارَه في دينه وضعفَ بصائرهم في دينهم، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾: أي: ما أعبده.

(٤ - ٥) - ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾: هذا التكرير للتأكيد والتقريرِ لقطع أطماعهم؛ كقول الرجل: واللَّه لا أفعل ثم لا أفعل هذا، وقيل: معناه: لا أعبد الساعةَ ما تعبدون، ولا أنتم عابدون الساعةَ مَن أعبدُه، ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم، ولا أنتم في المستقبل عابدون مَن أعبده. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾: أي: لكم دينكم الباطلُ وما تستحقُّون عليه من عذاب اللَّه، ولي دين الحق وما أستحقُّه عليه بوعد اللَّه تعالى من ثواب[٢].

(انتهى تفسير سورة الكافرون).

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٠).

(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٢٩٩).

(١١٠) سورة النصر مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مدنية، سميت هذه السورة «سورة إذا جاء نصر الله والفتح» وسميت في المصاحف وفي معظم التفاسير «سورة النصر» لذكر نصر الله فيها، فسميت بالنصر المعهود عهدًا ذكريًّا، وعن ابن مسعود أنها تسمى «سورة التوديع»، وأنها آخر سورة نزلت من القرآن فتكون على قوله السورة المائة وأربع عشرة نزلت بعد سورة براءة ولم تنزل بعدها سورة أخرى، وهي ثلاث آيات، وتسعَ عشرة كلمة، وسبعةٌ وسبعون حرفًا.

أغراضها:

والغرض منها الوعد بنصر كامل من عند الله أو بفتح مكة، والبشارة بدخول خلائق كثيرة في الإسلام بفتح وبدونه، والإيماء إلى أنه حين يقع ذلك فقد اقترب انتقال رسول الله ﷺ إلى الآخرة. ووعده بأن الله غفر له مغفرة تامة لا مؤاخذة عليه بعدها(١)، وانتظام السورتين: أنه آيسه في تلك عن إيمان قوم من الكافرين ووعده في هذه إيمانَ أفواجٍ كثيرة من المؤمنين.

(١ - ٣) - ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾: أي: إذا أتاك نصرُ اللَّه إياك على قومك، ﴿وَالْفَتْحُ﴾: وهو فتح مكة، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾: وهم قبائل العرب من نزار واليمن، ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾: وهو الإسلام، ﴿أَفْوَاجًا﴾: أي: زمرًا زمرًا لا

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٠).

واحدًا واحدًا، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: فاذكر اللَّه شاكرًا له بما آتاك، ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾: واسأل مغفرتَه وعفوه عن تقصيرٍ عسى وقع منك، ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾: كثيرَ قبول التوبة عن عباده، لم تَزَلْ تلك صفةً له.

(انتهى تفسير سورة النصر).

(١١١) سورة المسد مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

وهذه السورة مكية، سميت هذه السورة في أكثر المصاحف «سورة تبت» وسميت في بعض المصاحف وبعض التفاسير «سورة المسد»، وسماها جمع من المفسرين «سورة أبي لهب» على تقدير: سورة ذكر أبي لهب.، وعدت السادسة من السور نزولا، نزلت بعد سورة الفاتحة وقبل سورة التكوير، وهي خمس آيات، وثلاثٌ وعشرون كلمة، وأحد وثمانون حرفًا.

أغراضها:

زجر أبي لهب على قوله: «تبا لك ألهذا جمعتنا؟ ووعيده على ذلك، ووعيد امرأته على انتصارها لزوجها، وبغضها النبي ﷺ[١]، وانتظام السورتين: أن تلك في ذكر نصر الأنبياء، وهذه في ذكر هلاك الأعداء.

(١-٢) - ﴿تَبَّتْ﴾.أي: خسرت، والخسران يرجع إلى الضلال والهلاك، ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: أضاف التَّبَاب إلى اليد ومعناه: كلُّ بدنه على معنى: خسر ما عملَتْ يداه؛ أي: خسر عملَه فهو في ضلال وهلاك. وأبو لهب عمُّ رسول اللَّه ﷺ، وذكر بالكنية دون الاسم لا تشريفًا له بل إشارةً إلى أنَّ مَرْجِعه إلى لهب النار، ﴿وَتَبَّ﴾: أي: تَبَّ أبو لهب، ومعنى التكرار: إضافةُ الأول إلى يديه والثاني إليه؛ لأن الأول دعاء والثاني خبر بمعنى: وقد تبَّ، وهو كما يقال: أهلكك اللَّه وقد

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٠).

أهلك، ﴿وَتَبَّ﴾ وهو إخبار عن عقاب ينزل به بعدُ. ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ﴾. أي: نَفَع ودفع، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: قيل: هو الولد.

(٣ - ٤) - ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾: أي: سيدخل هو في الآخرة نار جهنم، وهي ذاتُ توقُّدٍ، ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾: أي: هو وامرأته، وهي أم جميل بنتُ حربِ بن أمية، أختُ أبي سفيان بن حرب. ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: أي: وامرأته كذا، وقيل: إنها كانت تعيِّر رسول اللَّه ﷺ بالفقر ثم كانت تحتطب للؤمها وبخلها مع كثرة مالها فعيَّرها اللَّه بذلك.

(٥) - ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾: أي: من ليفٍ لينٍ من جريد النخل، والمسد: كل ما ضُفِر وفُتل، وقيل: هو حبل من ليف كانت تحتطِبُ به في الدنيا تجعله في عنقها عند حملها إياه[١].

(انتهى تفسير سورة المسد).

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ٧٢١)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٠٣ - ١٠٤).

(١١٢) سورة الإخلاص مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

وهي سورة مدنية، المشهور في تسميتها في عهد النبي ﷺ وفيما جرى من لفظه وفي أكثر ما روي عن الصحابة تسميتها «سورة قل هو الله أحد»، فعن أبي مسعود الأنصاري وعن أم كلثوم بنت عقبة «أن رسول الله ﷺ قال: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»[(١)]، **وهذا الحديث يذكر في فضلها**، وسميت في أكثر المصاحف وفي معظم التفاسير «سورة الإخلاص» واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى، أي سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الإلهية، وسميت في بعض المصاحف «سورة التوحيد» لأنها تشتمل على إثبات أنه تعالى واحد، وتسمى أيضًا: «سورة الأساس» لاشتمالها على توحيد الله وهو الأساس، وعدت السورة الثانية والعشرين في عداد نزول السور نزلت بعد سورة الناس وقبل سورة النجم وهي خمس آيات، وهي خمسَ عشرةَ كلمةً، وسبعةٌ وأربعون حرفًا.

أغراضها:

إثبات وحدانية الله تعالى. وأنه لا يقصد في الحوائج غيره وتنزيهه عن سمات المحدثات. وإبطال أن يكون له ابن. وإبطال أن يكون المولود إلهًا مثل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وانتظام السورتين: أن تلك في وعيد مَن ترك التوحيد وهذه في تعليم

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٨١١).

التوحيد[١].

(١) - ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. أي: قل يا محمدُ لهؤلاء الذين سألوك عن ربِّك هو أحدٌ؛ أي: واحد لا شريك له ولا نظير له، وليس بذي أبعاضٍ وأجزاء، وأنه كان ولا شيء معه غيره، وقوله تعالى: ﴿أَحَدٌ﴾ يدل على أنه واحدٌ في ذاته لا انقسام له، وأنه واحد في صفاته لا نظير له ولا شبيه له، وأنه واحد في أفعاله لا شريك له.

(٢) - ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ الكبير الذي ليس فوقه أحد، والمصمود إليه في الحوائج؛ أي: المقصود، وقيل: هو الباقي بعد فناء الخلق، وقيل هو الدائم الذي لم يَزَلْ ولا يزالُ.

(٣ - ٤) - ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: لم يلد أحدًا ولم يلده أحدٌ، نفى بهذا عن نفسه صفات المخلوقين من الحدوث وحلولِ الأعراض فيه، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: أي: نظيرًا أو شبيهًا، وقيل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾؛ أي: صاحبةً، وقيل: لم يكافِئْه بنعمته أحد[٢].

(انتهى تفسير سورة الإخلاص).

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٦١٢)، والتيسير في التفسير (١٥/٥٣٣).

(٢) التيسير في التفسير (١٥/٥٤١).

(١١٣) سورة الفلق مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مدنية، سمى النبي ﷺ هذه السورة: قل أعوذ برب الفلق فعن عقبة بن عامر قال: اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكب فوضعت يدي على قدمه فقلت: أقرئني يا رسول الله سورة هود وسورة يوسف، فقال: لن تقرأ شيئًا أبلغ عند الله من «قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس [(١)]»، وجاء في كلام بعض الصحابة تسميتها مع سورة الناس «المعوذتين»، وسميت في أكثر المصاحف ومعظم كتب التفسير «سورة الفلق»، وعدت العشرين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الفيل وقبل سورة الناس، وهي خمسُ آيات، وثلاثٌ وعشرون كلمةً، وثلاثة وسبعون حرفًا.

أغراضها:

والغرض منها تعليم النبي ﷺ كلمات للتعوذ بالله من شر ما يتقى شره من المخلوقات الشريرة، والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشر، والأحوال التي يستتر أفعال الشر من ورائها لئلا يرمى فاعلوها بتبعاتها، فعلم الله نبيه هذه المعوذة ليتعوذ بها، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يتعوذ بهذه السورة وأختها ويأمر أصحابه بالتعوذ بهما، فكان التعوذ بهما من سنة المسلمين [(٢)]، وانتظام هذه السورة بالسورة التي قبلها:

---

(١) سنن النسائي برقم (٩٥٢).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/٦٢٥)، والتيسير في التفسير (١٥/٥٤١).

أنه قال في تلك: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وهو الذي يُقصد إليه في قضاء الحاجات ودفعِ الآفات، وقال في هذه السورة: استَعِذْ باللَّه يدفعْ عنك المكاره والبليَّات.

(١) - ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي: قل يا محمد: أَمْتنِعُ وأعتصمُ وأحترِزُ بربِّ الصُّبح، وسمِّي به لأنه ينفلقُ عن الظُّلمة؛ أي: ينشقُّ، وعلى هذا أكثرُ المفسرين، وقيل: الفلق: الخلق انفلقوا عن آبائهم وأمهاتهم.

(٢ - ٣) - ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: من شرِّ ما خلق من الناس والجن والشياطين والسباع والحيات ونحوها من الأشياء الضارة، فإنَّ مضارَّ هذه الأشياء شرورٌ؛ لأنَّها تؤذي، ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: أي: من شرِّ ليل مظلم إذا دخل، ﴿إِذَا وَقَبَ﴾؛ أي: أقبلَ.

(٤ - ٥) - ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾: أي: السَّواحر اللاتي تنفُثْنَ في عُقَد الخيط حين يَرْقِينَ عليه، والنفثُ هو النفخ بالشَّفة ولا ريقَ معه، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: لأن الحاسد يعمل الحيَلَ في الإضرار بالمحسود، وقيل: هو أمرٌ له بالاستعاذة من حسد اليهود، وقد كانوا موصوفين بشدة الحسد له. وقيل: هو في حسد المشركين له، والأصح: أنه يعم كل حاسد.

(انتهى تفسير سورة الفلق).

(١١٤) سورة الناس مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مدنية، سورة الفلق وسورة الناس تسميان «المعوذتين»، و«المشقشقتين» وتسمى أيضًا: «سورة المعوذة الثانية» وسميت «سورة قل أعوذ برب الناس»، و«سورة الناس»، وقد عدت الحادية والعشرين من السور، نزلت عقب سورة الفلق وقبل سورة الإخلاص، وهي ستُّ آيات، وعشرون كلمةً، وثمانون حرفًا.

أغراضها:

إرشاد النبي ﷺ؛ لأن يتعوذ بالله ربه من شر الوسواس الذي يحاول إفساد عمل النبي ﷺ وإفساد إرشاده الناس ويلقي في نفوس الناس الإعراض عن دعوته. وفي هذا الأمر إيماء إلى أن الله تعالى معيذه من ذلك فعاصمه في نفسه من تسلط وسوسة الوسواس عليه، ومتمم دعوته حتى تعم في الناس. ويتبع ذلك تعليم المسلمين التعوذ بذلك، فيكون لهم من هذا التعوذ ما هو حظهم من قابلية التعرض إلى الوسواس، ومع السلامة منه بمقدار مراتبهم في الزلفى(١)، وانتظام السورتين: أنهما في الاستعاذة، وانتظام هذه السورة التي هي ختم القرآن بالفاتحة التي هي افتتاحُ القرآن: أن الفاتحة في بيانِ التوحيد وسؤالِ الثبات عليه، وهذه السورة في الاستعاذة من الشيطان لئلا يزيلَك عنه، وكلُّ القرآن في بيان التوحيد

(١) التحرير والتنوير(٣٠/٦٣٢)، والتيسير في التفسير(١٥/٥٤٥).

ومدحِ أهلها وذكرِ الوعدِ عليها، وفي بيان الكفر والمعاصي وذمِّ أهلها وذكرِ الوعيد عليها، وسورة الإخلاص في تصحيح التوحيد، والمعوِّذتان في الاستعاذة عمَّن قصد إذلالك وإزالتك عن التوحيد.

(١ - ٦) - ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾: أي: قل يا محمد ﷺ: أعتصم وأمتنع وأستأمن وأستجير بمالك الناس ومدبِّرهم ومربِّيهم ومُصلحهم، ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾: أي: سيدِهم والمتصرِّف فيهم وقاهِرهم والقادرِ عليهم، ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾: أي: المستحِقِّ عبادتَهم، والملجأ لهم في شدائدهم، والقادرِ على إيجادهم وإعدامهم، ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾: أي: الموسوس، والوسوسة: الدعوة إلى الشر عن خُفية، وأصل الوسوسة: الصوتُ الخفيُّ، ﴿الْخَنَّاسِ﴾ هو الذي يكثر منه الخُنوس وهو الاختفاء ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي: صدور الخلق، يعني: أن إبليس يوسوس ويُوْقع خواطرَ السوء في قلوب الجنِّ والإنس جميعًا(١).

(انتهى تفسير سورة الناس).

تم تفسير كتاب الله ﷻ، والحمد لله رب العالمين.

راجي عفو ربه:

محمد فراج طه

---

(١) الكشاف (٤/ ٨٢٤)، وجامع البيان (٩/ ٤٩٩) الكشف والبيان (٣٠/ ٥٥٠)، والبسيط (٢٤/ ٤٧٢)، ومعالم التنزيل (٨/ ٥٩٧)، ومعاني القرآن" للفراء (٣/ ٣٠٢).

الخاتمة

الحمد لله والصلاة، والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فإن علم التفسير من أجل العلوم وأشرفها؛ لتعلقه بأفضل كتاب أُنزل وهو القرآن الكريم على أفضل بشر أُرسل وهو محمد ﷺ هذا الكتاب الذي لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

والاشتغال بهذا العلم -علم التفسير- من أعظم القُرَب التي يتقرب بها العبد لربه ﷻ؛ فلذا أحببت أن أساهم بشيء ولو كان قليلًا في خدمة كتاب الله ﷻ فجمعت هذا التفسير الذي يتميز بسهولة العبارة ووضوح المراد، وذلك من خلال تفسير كل آيات القرآن الكريم ما تركت شيئًا منها؛ ليسهل الوصول إلى معنى اللفظة القرآنية من غير عناء، فذكرت التعريف بالسورة، ثم فضلها إن ذكر في فضلها حديثٌ ثابتٌ صحيحٌ، ثم ذكرت المناسبة بين السورة ومَنْ تقدمها، وبينها وبين التي تليها، ثم شرعت في التفسير مراعيًا الاختصار قدر الطاقة من غير إخلال بالمعاني، وإذا كان هناك سبب نزول لبعض الآيات أذكره اختصارًا، ثم أحيل هذا لمظانه من الكتب المعتمدة في أسباب النزول، وإذا كانت هناك قراءة أخرى أذكرها إن كان ذكرها يوضح المراد ويظهر المعنى، وحرصت أيضًا أن أستشهد بالأحاديث النبوية الثابتة الصحيحة في تفسير بعض آي القرآن.

ومن أجل الكتب التي اعتمدت عليها في هذا التفسير:

التيسير في التفسير للإمام أبي حفص النسفي، والتحرير والتنوير للشيخ

الطاهر بن عاشور، وجامع البيان للإمام للطبري، والنكت والعيون للإمام للماوردي، وتفسير لطائف الإشارات للإمام القشيري، وتفسير الجلالين للإمام للسيوطي، وتفسير الوسيط والوجيز والبسيط للإمام للواحدي، وتفسير الوسيط للشيخ طنطاوي، وتفسير الإمام مقاتل، وتفسير ابن أبي حاتم، - رحمهم الله جميعًا - وغير ذلك من الكتب المعتمدة في هذا الفن.

فأسأل الله أن يكتب لي أجره، وأن يرزقني الصدق والإخلاص في القول والعمل، وأن ينفع به عموم المسلمين، وكل مَنْ طالعه ووجد فيه بغيته، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ والحمد لله رب العالمين.

راجي عفو ربه:

محمد فراج طه

المراجع والمصادر

(١)- إبراز المعاني من حرز الأماني، المؤلف: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دون ذكر سنة الطبع.

(٢)- الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

(٣)- أسباب النزول، للواحدي، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، ط: ٢، الدمام، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.

(٤)- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، لمحمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة القاهرة، ط: ٤، ١٤٠٨ هـ.

(٥)- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت –لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.

(٦)- إعراب القرآن للنحاس، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

(٧)- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر

–بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٨) – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤ هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي –القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ، وفتح القدير ٥/ ٥٢٩.

(٩) – البدر المنير، لابن الملقن، ت: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، ط: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.

(١٠) – البرهان في أصول الفقه، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي ركن الدين الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

(١١) – البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: عيسى البابي الحلبي ١٩٥٧ م.

(١٢) – تأويلات أهل السنة، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(١٣) – تفسير الثعلبي، ت: صلاح باعثمان، حسن الغزالي، زيد مهارش، أمين باشة، دار التفسير، جدة، ٢٠١٥ م.

(١٤) – تحبير التيسير في القراءات العشر، المؤلف: شمس الدين أبو الخير بن الجزري محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، الناشر: دار الفرقان – الأردن / عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(١٥) – التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، بن

جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

(١٦) – تفسير ابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي بن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

(١٧) – تفسير ابن فورك، المؤلف: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ)، دراسة و، تحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، الناشر: جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.

(١٨) – تفسير أبي الليث السمرقندي، ت: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد الموجود ود. زكريا عبد المجيد النوتي، ط: دار الكتب العلمية ١٩٩٣ م.

(١٩) – التَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحَسن عَلي بن أحمَد بن محمَّد الواحدي(ت ٤٦٨ هـ) وزارة التعليم العالي جامعة الإمام محمد بن سعود الإِسلامية عمادة البحث العلمي، أشرف على طباعته وإخراجه د. محمَّد بن صالح بن عبد الله الفوزان

(٢٠) – التفسير البياني للقرآن الكريم، المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)، دار النشر: دار المعارف – القاهرة، دون ذكر سنة الطبع.

(٢١) – تفسير البيضاوي، مؤسسة شعبان، بيروت، وبهامشه حاشية الشهاب، دار صادر بيروت.

(٢٢) – تفسير التستري، المؤلف: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ) جمعها: أبو بكر محمد البلدي المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

(٢٣) – تفسير التستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، ت: محمد باسل عيون السود، دار

الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

(٢٤) – تفسير الجلالين المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة. دون ذكر سنة طبع.

(٢٥) – التفسير الحديث، المؤلف: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة الطبعة الأولى: ١٣٨٣ هـ.

(٢٦) – تفسير الخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.

(٢٧) – تفسير السمرقندي، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، دون ذكر رقم الطبعة وسنة الطبع ودار النشر.

(٢٨) – تفسير السمعاني، المؤلف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(٢٩) – تفسير العز بن عبد السلام، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٣٠) – تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى ابن محمد المري الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة،

الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٣١) - تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

(٣٢) - تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ محاسن التأويل ٩/ ٤٦٤.

(٣٣) - تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ)، المحقق: ميكلوش موراني، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م وتفسير عبد الرزاق.

(٣٤) - التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، دون ذكر سنة الطبع.

(٣٥) - تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

(٣٦) - التفسير المنير للزحيلي، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

(٣٧) - التفسير الوجيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٣٨) - التفسير الوسيط لطنطاوي، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة –القاهرة، الطبعة: الأولى١٩٩٧م.

(٣٩) – التفسير الوسيط للواحدي، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(٤٠) – تفسير عبد الرزاق، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة و، تحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

(٤١) – تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، ط: دار الكتب العلمية ١٩٧٨ م.

(٤٢) – تفسير مجاهد بن جبر، ت: محمد عبد السلام أبو النيل، ط: دار الفكر الإسلامي الحديثة، القاهرة، ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م.

(٤٣) – تفسير مجاهد، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)،المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

(٤٤) – تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)،المحقق: عبد الله محمود شحاته، لناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

(٤٥) – التفسير والمفسرون، المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، دون ذكر سنة الطبع.

(٤٦) – التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، المؤلف: محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع أبو بكر معين الدين بن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفى: ٦٢٩هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(٤٧) – تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي، المؤلف: أبو الليث نصر ابن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

(٤٨) – تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، دون ذكر سنة الطبع.

(٤٩) – تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

التيسير في التفسير تأليف الإمام أبي حفص النسفي نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (٤٦١ – ٥٣٧ هـ) تحقيق ماهر أديب حبوش وآخرون دار النشر: دار اللباب للدراسات الإسلامية وتحقيق التراث، اسطنبول. سنة الطبع: ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

(٥٠) – التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، ط: دار الكتاب العربي ١٩٨٤ م.

(٥١) – جامع البيان، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

(٥٢) – الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح

الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

(٥٣) – جزء فيه تفسير القرآن برواية أبي جعفر الترمذي، المؤلف: أَبُو جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيُّ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ نَصْرٍ الشافعي التِّرْمِذِيّ الرملي الفقيه (المتوفى: ٢٩٥هـ)، المحقق: حكمت بشير ياسين، الناشر: مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(٥٤) – حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي الموسومة بـ(عنايه القاضي وكفاية الراضي)، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر –بيروت، دون ذكر سنة الطبع.

(٥٥) – حجة القراءات، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة بن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دون ذكر سنة الطبع، والناشر.

(٥٦) – الحجة في القراءات السبع، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق –بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ.

(٥٧) – الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ت: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة الكويت، دار الشروق، ط: ٤، بيروت، ١٤٠١ هـ.

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، دون سنة الطبع.

(٥٨) – الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر –بيروت، دون ذكر سنة الطبع.

(٥٩) – الروايات التفسيرية في فتح الباري، المؤلف: عبد المجيد الشيخ عبد الباري، رسالة دكتوراة. قال مؤلفها: عزمت على جمع تلك الروايات في مكان واحد وترتيبها وتخريجها وبيان درجتها من الصحة، الناشر: وقف السلام الخيري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م.

(٦٠) – روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، دون ذكر سنة الطبع.

(٦١) – زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ ه.

(٦٢) – زاد المسير، لابن الجوزي، ت: محمد زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط وعبد القادر، ط: المكتب الإسلامي، ١٩٦٨ م.

(٦٣) – السبعة في القراءات، المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

(٦٤) – السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ت: د. شوقي ضيف، ط: دار المعارف بمصر.

(٦٥) – سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، دون ذكر سنة الطبع.

(٦٦) – سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، دون ذكر سنة الطبع.

(٦٧) – سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي

أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م.

(٦٨) - السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(٦٩) - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

(٧٠) - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت -، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٧١) - صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٧٢) - صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، دون ذكر سنة الطبع.

(٧٣) - فتح الباري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر:

دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه

(٧٤) - وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٧٥) - فتح القدير للشوكاني، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

(٧٦) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي -بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

(٧٧) - الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

(٧٨) - لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

(٧٩) - اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

(٨٠) - لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة

- ١٤١٤ هـ.

(٨١) - لطائف الإشارات، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة، دون ذكر سنة الطبع.

(٨٢) - المبسوط في القراءات العشر، المؤلف: أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ أبو بكر (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق، عام النشر: ١٩٨١ م.

(٨٣) - محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

(٨٤) - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

(٨٥) - المستدرك، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

(٨٦) - معالم التنزيل، المؤلف: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

(٨٧) - معالم السنن، المؤلف: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء

البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

(٨٨) – معانى القرآن للأخفش، المؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م.

(٨٩) – معاني القرآن للفراء، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف و الترجمة – مصر الطبعة: الأولى، دون ذكر سنة الطبع.

(٩٠) – معترك الأقران في إعجاز القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(٩١) – معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، المؤلف: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

(٩٢) – معرفة القراء الكبار، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م، وطبقات ابن الجزري ١/ ٤٢٣.

(٩٣) – مفاتيح الغيب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

(٩٤) – مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين

(المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٩٥) - منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية دراسة نظرية تطبيقية، تأليف الدكتور حسين بن علي الحربي، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

(٩٦) - النشر في القراءات العشر، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد ابن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى، دون ذكر سنة الطبع.

(٩٧) - النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، دون ذكر سنة الطبع.

(٩٨) - الهداية الى بلوغ النهاية، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

فهرس الجزء الثالث

مقدمة.. ١
(٣٠) سورة الروم مكية... ٣
(٣١) سورة لقمان مكية... ٢٢
(٣٢) سورة السجدة مكية ٣٥
(٣٣) سورة الأحزاب مدنية.. ٤٦
(٣٤) سورة سبأ مكية ٧٥
(٣٥) سورة فاطر مكية... ٩٦
(٣٦) سورة يس مكية... ١١٤
(٣٧) سورة الصافات مكية ١٣٢
(٣٨) سورة ص مكية.. ١٥٧
(٣٩) سورة الزمر مكية.. ١٧٨
(٤٠) سورة غافر مكية ٢٠٤
(٤١) سورة فصلت مكية... ٢٢٩
(٤٢) سورة الشورى مكية... ٢٤٧
(٤٣) سورة الزخرف مكية... ٢٦٥
(٤٤) سورة الدخان مكية.. ٢٨٣
(٤٥) سورة الجاثية مكية.. ٢٩٣
(٤٦) سورة الأحقاف مكية ٣٠٣

(٤٧) سورة محمد مدنية...٣١٥
(٤٨) سورة الفتح مدنية ٣٢٧
(٤٩) سورة الحجرات مدنية ٣٤٠
(٥٠) سورة ق مكية...٣٤٩
(٥١) سورة الذاريات مكية ٣٦٠
(٥٢) سورة الطور مكية ٣٦٩
(٥٣) سورة النجم مكية ٣٧٩
(٥٤) سورة القمر مكية...٣٩٠
(٥٥) سورة الرحمن مكية ٤٠٠
(٥٦) سورة الواقعة مكية ٤١٣
(٥٧) سورة الحديد مدنية..٤٢٦
(٥٨) سورة المجادلة مدنية...٤٤٠
(٥٩) سورة الحشر مدنية...٤٥١
(٦٠) سورة الممتحنة مدنية..٤٦١
(٦٠) سورة الصف مدنية...٤٦٨
(٦٢) سورة الجمعة مدنية..٤٧٤
(٦٣) سورة المنافقون مدنية ٤٧٩
(٦٤) سورة التغابن مدنية..٤٨٤
(٦٥) سورة الطلاق مدنية ٤٩٠
(٦٦) سورة التحريم مدنية...٤٩٧
(٦٧) سورة الملك مكية ٥٠٣

(٦٨) سورة القلم مكية..٥١١
(٦٩) سورة الحاقة مكية..٥١٩
(٧٠) سورة المعارج مكية..٥٢٦
(٧١) سورة نوح مكية..٥٣٢
(٧٢) سورة الجن مكية..٥٣٧
(٧٣) سورة المزمل مكية..٥٤٣
(٧٤) سورة المدثر مكية..٥٤٨
(٧٥) سورة القيامة مكية..٥٥٥
(٧٦) سورة الإنسان مكية..٥٦٠
(٧٧) سورة المرسلات مكية..٥٦٨
(٧٨) سورة النبإ مكية..٥٧٣
(٧٩) سورة النازعات مكية..٥٧٨
(٨٠) سورة عبس مكية..٥٨٤
(٨١) سورة التكوير مكية..٥٨٩
(٨٢) سورة الانفطار مكية..٥٩٣
(٨٣) سورة المطففين مكية..٥٩٦
(٨٤) سورة الانشقاق مكية..٦٠٠
(٨٥) سورة البروج مكية..٦٠٣
(٨٦) سورة الطارق مكية..٦٠٧
(٨٧) سورة الأعلى مكية..٦١٠
(٨٨) سورة الغاشية مكية..٦١٤

(٨٩) سورة الفجر مكية...٦١٨
(٩٠) سورة البلد مكية...٦٢٢
(٩١) سورة الشمس مكية...٦٢٥
(٩٢) سورة الليل مكية...٦٢٨
(٩٣) سورة الضُّحَى مكية...٦٣١
(٩٤) سورة الشرح مكية...٦٣٣
(٩٥) سورة التين مكية...٦٣٥
(٩٦) سورة العلق مكية...٦٣٧
(٩٧) سورة القدر مكية...٦٤٠
(٩٨) سورة البينة مكية...٦٤٢
(٩٩) سورة الزلزلة مكية...٦٤٥
(١٠٠) سورة العاديات مكية...٦٤٧
(١٠١) سورة القارعة مكية...٦٤٩
(١٠٢) سورة التكاثر مكية...٦٥١
(١٠٣) سورة العصر مكية...٦٥٣
(١٠٤) سورة الهمزة مكية...٦٥٥
(١٠٥) سورة الفيل مكية...٦٥٧
(١٠٦) سورة قريش مكية...٦٥٩
(١٠٧) سورة الماعون مكية...٦٦١
(١٠٨) سورة الكوثر مكية...٦٦٣
(١٠٩) سورة الكافرون مكية...٦٦٥

(١١٠) سورة النصر مدنية ٦٦٧
(١١١) سورة المسد مكية ٦٦٩
(١١٢) سورة الإخلاص مدنية ٦٧١
(١١٣) سورة الفلق مدنية ٦٧٣
(١١٤) سورة الناس مدنية ٦٧٥
الخاتمة ٦٧٧
المراجع والمصادر ٦٧٩
فهرس الجزء الثالث ٦٩٣

تم الجزء الثالث بحمد الله تعالى